

OKIN

PJ

6075

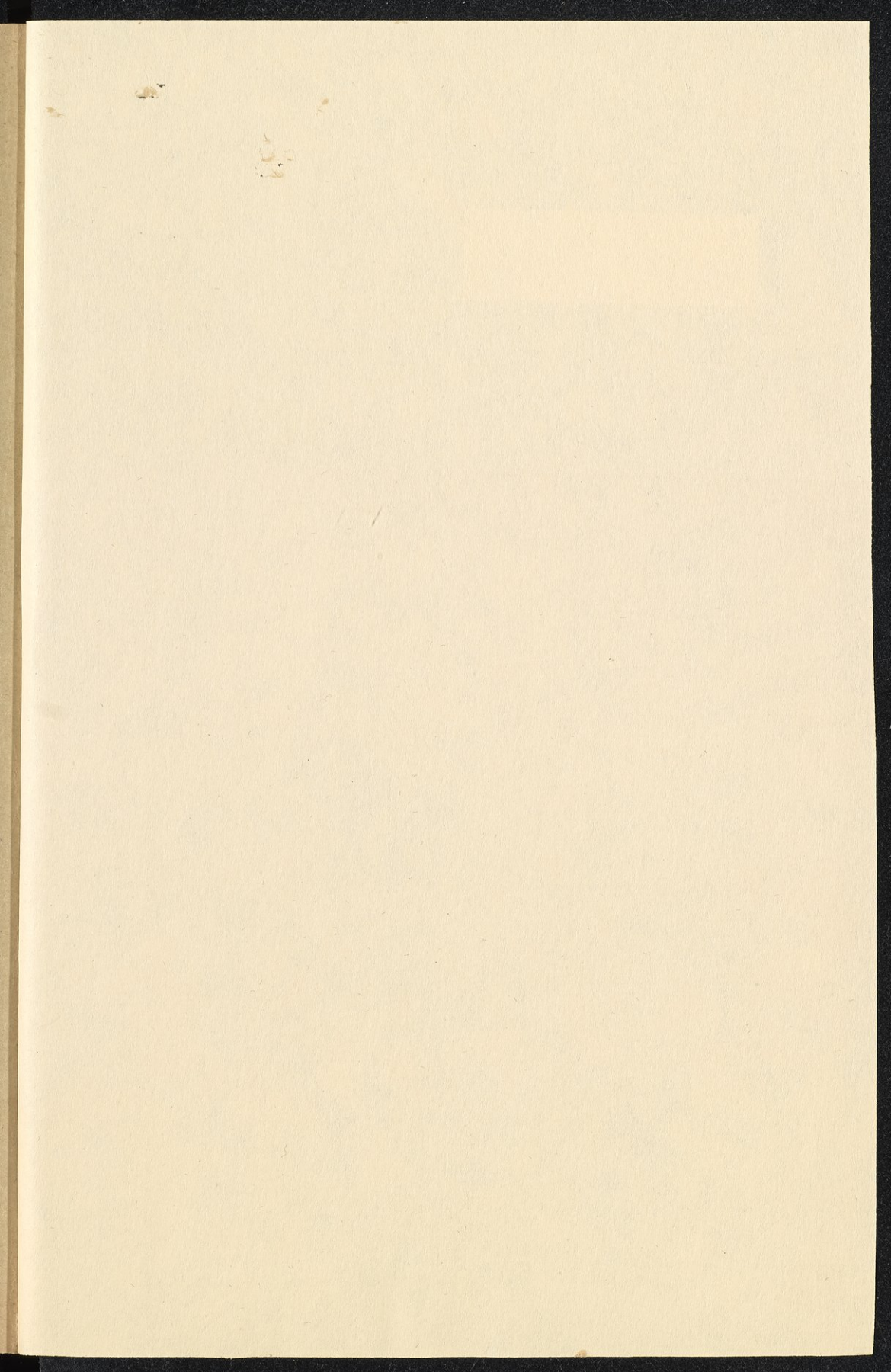
F83

1951

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



3 1924 100 785 850



العربية

دراسات في اللغة واللهجات والأساليب

من عمل

يوهانز فوك

JOHANN FÜCK

نقله إلى العربية وحققه وفهرس له

دكتور عبد السلام النجار

مدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

وتقديم الدكتور

محمد يوسف موسى

بتصدير الدكتور

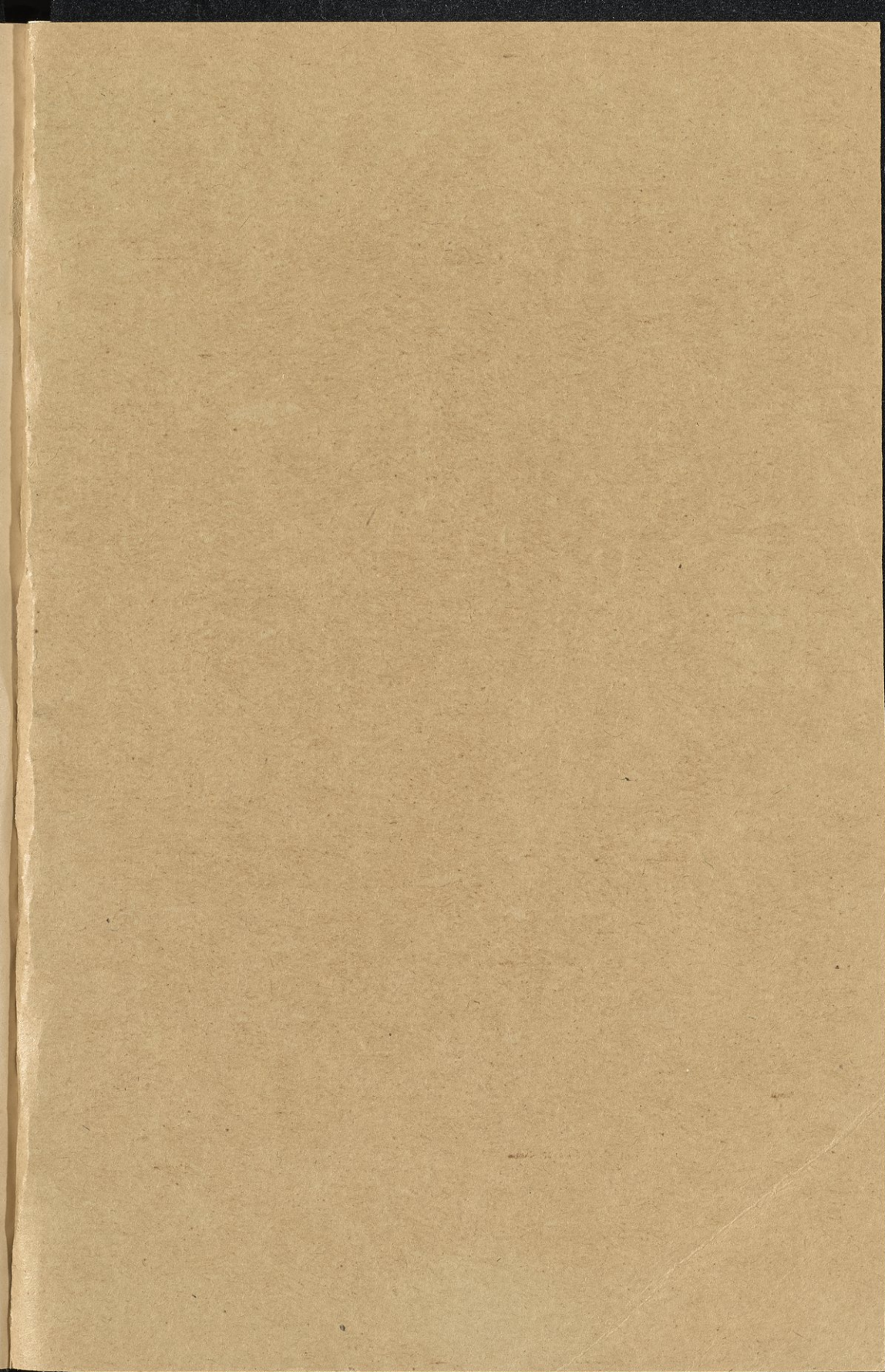
احمد أمين بك

الناشر : مكتبة الخانجي بمصر

القاهرة

مطبعة دار الكتاب العربي

١٩٥١ - ١٣٧٠ هـ



العربية

دراسات في اللغة واللهجات والأساليب

من عمل

يوهان فيك

JOHANN Fück

نقله إلى العربية وحققه وفهرس له

دكتور عبد الحكيم النجار

مدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

وتقديم الدكتور

محمد يوسف موسى

بتصدير الدكتور

احمد أمين بك

الناشر : مكتبة الخانجي بمصر

القاهرة

مطبعة دار الكتاب العربي

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م



فهرس تحايلى لموضوعات الكتاب

١ - تمهيد

(ص ١ - ٦)

الإسلام يقرر مصير العربية - العربية لغة الدين والحضارة فى العالم الإسلامى -
م سقوط الدولة الأموية لم يضعف العربية - العصر الذهبى للعربية فى أوائل الدولة
العباسية - العربية فى عصر السلجوقيين - ص ٢ : مصر تنزعم البلدان العربية -
نقد بعض دعاة الإصلاح حديثا لعقيدة العربية الفصحى - عسر ترسم صورة واضحة
لنمو العربية فى ١٣٠٠ عام - القواعد العربية بلغت مستوى عظيما من الكمال -
لا تزال كتب النحو تعد العربية لغة إعراب - ثلاثى الإعراب منذ أجيال - الإعراب
فارق بين الفصحى والمولدة - ص ٣ : الإعراب وسيلة سطحية فى تمييز اللغة الفصيحة
- جوهر القالب اللغوى هو المير - فقدان الإعراب فى جميع اللغات ما عدا العربية
والبابلية القديمة - النزاع حول تاريخ ثلاثى الإعراب فى لغة التخاطب - أشعار
البادية - اختلاف النحاة إلى عرب البادية - بعض البقايا الجامدة فى لهجات البدو
- أساليب العروض - القرآن - ص ٤ : التركيب العربى كالتركيب اللاتينى -
شهادة القرآن بعدم الفرق بينه وبين لغة العرب - لا يعارض هذا قيام فروق اللهجات
- قواعد رسم المصحف تدل على فروق اللهجات المحلية - ص ٥ : القرآن يعرض
صورة لا يداينها أثر عربى - اختلاف القرآن عن لغة السكينة والعرافين - ص ٦ :
مخالفة القرآن للقواعد ليس شذوذا عن العربية - تطور العربية بعد وفاة الرسول
(صلى الله عليه وسلم) .

٢ - الروابط اللغوية فى عهد الدولة العربية (الأموية)

(ص ٧ - ٤٩)

هجرة القبائل للغزوات مشرق عصر جديد للعربية - تأثير العربية وتأثرها بلغات
الأقاليم الجديدة - اختلاف اللهجات لم يحل دون تفاهم العرب - ص ٨ : فروق
اللهجات التى لفتت أنظار النحاة - سياسة عمر العقبى بإزاء العرب والعربية -

معسكرات العرب أسس للمدن الإسلامية من بعد — ص ٩ : تعذر قيام حد فاصل بين العرب وأصحاب الديار الأصليين — نشأة طبقة عربية من عظام الملاك — نشوء لغة مبسطة للتفاهم بين العرب ومن يتصلون بهم — Pidgin — lingua franca — English — ص ١٠ : بعض ظواهر لغة التفاهم الجديد — ص ١١ : الروايات العربية عن أوائل النحو غير تاريخية — الدافع إلى الملاحظات النحوية — اصطلاحات التحليل النحوية — اصطلاحات سيويه — ص ١٢ : حذق الزنوج للعربية في الجاهلية والإسلام — سكان المدن وألسنتهم وأنسابهم — إشارة القرآن إلى اللغة الأجنبية — معرفة بعض الصحابة بلغة أجنبية — ص ١٣ : تأثير أسرى الفتح في العربية — الأسرى يكونون الطبقات الوسطى والدنيا في المجتمع الإسلامي — اختلاف طبقات المجتمع من الوجهة اللغوية — نشوء لغة دارجة محلية — ممارسة العربية للغات المحيطة بها — ص ١٤ : الأبناط ولغتهم — الفارسية لسان الإدارة في الشرق — اليونانية لسان الإدارة في المغرب — الفارسية بالبصرة والكوفة في القرن الأول — العلاقات اللغوية بالبصرة — ص ١٥ : أساورة البصرة — عبيد الله بن زياد وأسرته — سخرية ابن مفرغ من عبيد الله بن زياد — ص ١٦ : حياة ابن مفرغ دليل على انتشار الفارسية بالبصرة — انتقام ابن زياد منه — ص ١٧ : العلاقات اللغوية بالكوفة — الحيرة ومكانتها قبل الإسلام وبعده — العناصر الفارسية في الكوفة — ص ١٨ : ديلم ، سكان الكوفة — الجاحظ يصف تأثير الفارسية في العربية — ص ١٩ : الفارسية تنفذ إلى الوطن العربي القديم — الجاحظ يصف أثر الفارسية في المدينة وما حولها — ص ٢٠ : شواهد من شعر جرير والفرزدق — مناقشة الشواهد المذكورة — ص ٢١ : موازنة الشواهد بالفقه الإسلامي — القبطية في مصر — العربية مقصورة على المعسكرات — أغلب المهاجرين إلى مصر من قبائل يمنية — اليونانية هي اللغة الرسمية — متى صارت العربية لغة رسمية — ص ٢٢ : أثر القبطية ضئيل في العربية — تلاشي القبطية في القرن السادس — طبيعة الحياة العربية وأثرها في نشر اللغة — ص ٢٣ : أبناء الجوارى في الإسلام — أبناء سمية — ص ٢٤ : أسرة المهالبة — ص ٢٥ : نبوغ أبناء الجوارى في أواخر القرن الأول — حرص الأمويين على خلوص الدم العربي — إبعاد أبناء الجوارى عن الخلافة واستثناء يزيد — ص ٢٦ : تأثير الحياة البدوية بالمؤثرات الأجنبية — ظهور الأخطاء اللغوية في دوائر المجتمع العليا — نشوء مبدأ : تنقية العربية — الأمويون حماة المبادئ العربية — ص ٢٧ : عبد الملك بن مروان — عمر بن عبد العزيز — ص ٢٨ : الحجاج — طعن خصومه في

لغته — ص ٢٩ : رؤبة — ص ٣٠ : خالد بن عبد الله القسري — ص ٣١ : موقف
الدوائر الإسلامية من حركة تنقية اللغة — الحسن البصري — ص ٣٢ : مآخذ على
قراءة الحسن — ص ٣٣ : ظهور خصائص أجنبية في اللسان المتمكن من العربية —
لهجة الفقيه الدمشقي « مكحول » — لهجة « نافع » « شيخ مالك » — تعرض
الشعر لمنافسة الأجانب — زياد الأعجم — ص ٣٤ : أبو عطاء السندي — ص ٣٦ :
من الزوج من ملك زمام العربية — أحد الزوج يهجو جريرا — ص ٣٧ : رداءة
التأليف في شعر الفرزدق — فتور الإحساس اللغوي عند شعراء أواخر القرن الأول
— شعر الطرماح — ص ٣٨ : مآخذ على الطرماح — ص ٤٠ : الكميت بن زياد
— مآخذ عليه — ص ٤٣ : شعر ذى الرمة ومآخذ عليه — ص ٤٥ : موازنة
بين شعر الغزل بالحجاز وسائر الشعر في الدولة — ص ٤٦ : عمر بن أبي ربيعة — قصص
الغرام في أوائل العصر الإسلامي — رأى ابن الكلبي في قصة مجنون ليلى — قصص
بني عذرة — الدوافع إلى دراسة النحو — ص ٤٧ : عبد الله بن أبي إسحاق النحوي
ينقد الفرزدق — هجاء الفرزدق إياه — ص ٤٨ : أبو عمرو بن العلاء ينقد اللحن —
ص ٤٩ : يونس بن حبيب ينقد ابن قيس الرقيات — نقد كثير .

٣ — عربية الدولة ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي

(ص ٥٠ — ٨٤)

سقوط الدولة لم يضعف العربية — لغة القرآن تصير جزءا من حقيقة الإسلام —
الأسرة العباسية تبرز الطابع الديني لسلطانها — الثقافة العربية مثل أعلى —
الشعويون لم يستطيعوا نقض مكاة العربية — العصر العباسي الأول يشهد باكورة
العلم العربي — نحو الفارسي « سيوييه » — ص ٥١ : كتاب سيوييه يدل على
اعتماد القواعد على استعمال عرب البادية — لا يستشهد بشعر المحدثين — يستشهد
بشعراء لم يعتمدهم أكثر علماء اللغة — ص ٥٢ : لم يستشهد بأبي يحيى اللاحقي
— لم يستشهد ببشار — البدو حجة في جميع مسائل اللغة — الحوار بين سيوييه
والكسائي — ص ٥٣ : فصحاء الأعراب — لم تعد الفصاحة أمراً طبيعياً في
القرن الثاني — بعض من عرف بسلامة لغته بالبصرة — ص ٥٤ : موازنة بين
الأمويين والعباسيين — ص ٥٥ : اثنان من الفرس في طليعة أدباء العربية :
ابن المقفع وبشار — أدب ابن المقفع ولغته — ص ٥٦ : موازنة بين لغته ولغة عرب

البادية - ص ٥٧ : بشار بن برد وأدبه ولغته - ص ٥٨ : تطور أسلوب ابن المقفع
وبشار مرحلة جديدة في تاريخ العربية - ص ٥٩ : التطور الجديد يحمل سمات مولدة -
محاورة بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد مؤسس الاعتزال - ص ٦٠ : نقد
الأصمعي للغة ابن المقفع وتصحيح ابن درستويه - بعض البدويين ينقد لغة المنصور -
ص ٦١ : النحو يستبد أحيانا في وضع قواعده - اللغويون لم يتفقوا دائما على الاستعمال
اللغوي الصحيح - خلاف البصرة والكوفة في القياس النحوي وتفسير الظواهر اللغوية
- تعصب اليزيدي لمدرسة البصرة - ص ٦٢ : غضبه على أئمة الكوفيين - انتشار
العيب باللحن من بدء العصر العباسي - طعن يونس بن حبيب في حماد الراوية - ص ٦٣ :
الكلمة يرفض إملاء شعره على حماد - رأى المفضل الضبي في حماد - رأى
أبي عمرو بن العلاء في حماد - سرء قصد البصريين بالكوفيين - جناد بن واصل
الكوفي ورأى يونس والتوزي فيه - ص ٦٤ : علماء الكوفة يعنون بمسائل سلامة
اللغة - طعن حفص بن أبي ودة في شعر المرقش - رد حماد مجرد عليه - ص ٦٥ :
الطعن باللحن في دوائر علماء الفقه - أبو حنيفة وقصة لحنه - ص ٦٦ : لحن أبي شيبة
قاضي واسط - ص ٦٧ : شبيب بن شبة - خالد بن صفوان - ص ٦٨ : الاشتغال
بالعربية في غير العراق - قلة عناية المدينة بدراسة العربية - رأى الأصمعي في المجتمع
المدني - عيسى بن داب - ص ٦٩ : رأى خلف الأحمر في ابن داب وابن شوكر -
عجب الأصمعي من لحن مالك بن أنس - مالك يستأنس للحنه بلحن شيخه ربيعة الرقي
- ص ٧٠ : ملاحظة التساهل اللغوي في القراءات المدنية - قراءة نافع - ص ٧١ :
التساهل في النحو ظاهرة عامة عند المحدثين - الجاحظ ينقل رأى ابن سبيرة في رواية
الحديث باللحن - ص ٧٢ : هل جوّز الشعبي تصحيح ما روى ملحونا من الحديث ؟
- أيوب السختياني - هل تجب مراعاة سلامة اللغة في رواية الحديث ؟ - رأى الأعمش
الكوفي - ص ٧٣ : سعيد بن عبدالعزيز التنوخي - حماد بن سلمة - باعث سيويه
إلى دراسة النحو - ص ٧٤ : عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي - وهب بن
جرير - سفيان بن عيينة يرجع إلى ابن مناذر في تفسير غريب الحديث - ص ٧٥ :
لحن هشيم بن بشير محدث العراق - وكيع بن الجراح - ص ٧٦ : إسماعيل بن
أبي خالد - أسرة أبي أيوب الطنافسي - عبد الأعلى بن عبد الأعلى البصري -
مهدي بن مهلهل يتخلص من اللحن بالوقوف على أواخر الكلمات - موقف ابن المديني
من تصحيح اللحن في الحديث - ص ٧٧ : ابن الطبري المصري - النسائي -

الاستشهاد بروايات من الحديث على تصحيح اللحن — أقوال عن عمر في الحث على تعلم العربية — ص ٧٨ : نهى عمر عبد الله بن مسعود عن القراءة بلسانه الهندلى — روايات عن ابن مسعود — ص ٧٩ : لم يسهم أهل الحديث في حركة تنقية اللغة — لم يمنع اللحن أهل الحديث أن ينبغوا في فهمهم — ص ٨٠ : لم يقتصر ظهور اللحن على غير المثقفين — استيعاب النحاة لصيغ المقصور والممدود بسبب اللحن فيهما — الجاحظ يحكى لحن يوسف بن خالد النيمى — ص ٨١ : خطأ « نولدكه » في الاحتجاج على صوغ أفعال التفضيل من أسماء العيوب الخلقية — ص ٨٢ : تعسر الحكم على لغة الطبقات الدنيا والوسطى في المدن والأقاليم — افتراض عدم انتشار العربية بين شعوب البلدان المفتوحة — ص ٨٣ : الفارسية كانت سائدة في مدن العراق — الأصمعى كان يحسن الفارسية — ص ٨٤ : إجادة الفارسية إلى جانب العربية كانت أمراً شائعاً — انتشار الألقاب الفارسية إلى الأسماء العربية .

٤ — اللغة العربية في عصر هارون

(ص ٨٥ — ٩٩)

بلوغ الدولة ذروة سلطانها في ظل هارون — ازدهار علوم العربية — اقتربانها بأعلام العلماء — لغة البدويين هي المثل الأعلى — خلاف علماء اللغة مع اللهجة الماريجة — البصريون يتهمون القراء باللحن — ص ٨٦ : الخليفة يظل العلماء بعطفه — فصاحة زبيدة — الأصمعى يخطئ أبو يوسف الفقيه — ص ٨٧ : بصر الكسائى باللغة — باعث الكسائى إلى تعلم النحو — ص ٨٨ : لم يحصل واحد من علماء اللغة على دراية كاملة بالعربية — أبو عبيدة يعجب من فصاحة أم الهيثم الأعرابية — الخلاف حول من يرجع إليه في العربية — ابن الأعرابى لا يعتد بالأصمعى ولا أبو عبيدة — عدم رسوخ ابن الأعرابى نفسه في اللغة — ص ٨٩ : قلة خبرته بالأنساب — أقدم الآثار الأدبية لحركة تنقية اللغة ينسب إلى الكسائى — ص ٩٠ : نقد تحليلي لنسبة الكتاب — الأصمعى ينظم الاستعمال اللغوى بتحديدات معنوية دقيقة — لم يسلم الأصمعى من مخالفة الاستعمال البدوى — ص ٩١ : البطليوسى يلوم ابن قتيبة على متابعتة للأصمعى — الشعر الرفيع يعتنق مبدأ تنقية اللغة في جميع العصور — شعر أبى نواس — ص ٩٣ : وقوع شعراء الطبقة الثانية في اللحن الصريح — العمانى — إبراهيم الموصلى — مسلم بن الوليد — ابن سيابة — ص ٩٤ : اللحن في أشعار القصور أقل منه في شعر الفرص والمناسبات — أبو النضر يعد لحنه لهجة — تهكم أبان

منه - محمد بن يسير البصرى وشعره - ص ٩٥ : لغة الشعب نجد مساعفا في التعبير
الأدبى لأول مرة في عصر هارون - رثاء البرامكة - ص ٩٦ : أول من نظم
المواليا - نشأة بحور الأغاني الشعبية - قالب المزدوجة وأقدم نماذجه - ص ٩٨ :
تاريخ الدوبيت أو الرباعي - عربية الكلام في أواخر القرن الثانى - ص ٩٩ :
ابن منذر يوازن بين لهجة مكة والبصرة ..

٥ - العربية المولدة

(ص ١٠٠ - ١١٠)

مبدأ «تنقية اللغة» يجعل عربية البدو مثلاً أعلى للكلام والتحرير - أثر الحضارة في اللغة -
عربية الدولة واللغة الدارجة - العربية المولدة تكتسب مناطق جديدة - لم يتأثر
المجتمع الراقى بالعربية المولدة حتى القرن الثالث - الأوساط البدوية أبعد من التأثر
بها - اليهود والنصارى بالمشرق يستخدمون اللغة الدارجة - ص ١٠١ : الآثار
المسيحية - العربية في القرن الثانى تقدم أول الوثائق للعربية المولدة - حظ اليهود
والنصارى ضئيل من الثقافة العربية - خصائص مادتهم اللغوية لم تقو على تكوين
لهجة خاصة - لهجة يهود المدينة في عهد الوحي تختلف عن لغة سكان المدينة - على
النقيض من ذلك لهجة نصارى العرب - عربية الأدب اليهودى النصرانى تكونت
خارج الجزيرة - ص ١٠٢ : خصائص اللغة المذكورة - حرف الضاد خاص بالعربية -
ص ١٠٣ : الفرق الحاص بين المولدة والفصحى - ص ١٠٥ : ترك الإعراب في اللغات
السامية لا يقتضى أن يكون راجعاً في العربية إلى طبيعتها - سبب هذه الظاهرة -
نشأة قوالب جديدة من التعبير تأخذ صفة الإعراب النحوية - ص ١٠٦ : أثار اختلاف
الترتيب في علاقات المطابقة - ص ١٠٨ : الانتقال من النوع اللغوى التركيبى إلى النوع
التحليلى - الخلط في النحو والتصريف من ظواهر التطور اللغوى لآمن أسبابه -
ص ١١٠ : النصوص العربية اليهودية والنصرانية تعين على دراسات اللهجات
الشعبية الحديثة .

٦ - العلاقات اللغوية في عصر المأمون وعقيدة الاعتزال الرسمية

(ص ١١١ - ١٢٩)

امتداد عهد الازدهار بعد هارون حتى أواسط القرن الثالث - العصر الذهبى
للأدب العربى - كتب الجاحظ تكشف العلاقات اللغوية من أواخر القرن الثانى

حتى النصف الأول من القرن الثالث — ص ١١٢ : الجاحظ يتنبه إلى لغة الأطفال —
لهجة الأجنبي تم عليه — الجاحظ يتنبه إلى أثر تعدد اللغات على لسان شخص واحد —
موسى الأسوارى من أعاجيب الدنيا في الفصاحة بالعربية والفارسية — ص ١١٣ : لم
يعن الجاحظ باللغات الأجنبية لذاتها — أول كتاب في اللغة الفارسية — ص ١١٤ : الجاحظ
يوجه عناية خاصة إلى عيوب اللسان — الجاحظ يعقد فصلاطويلا عن واصل بن عطاء —
ص ١١٥ : أسماء عيوب اللسان عند الجاحظ — ص ١١٦ : بيان الجاحظ عن اللهجات
واللغات الخاصة — الجاحظ يصف في كتاب البخلاء دوائر الأدب في البصرة — تصوير
الجاحظ للغة المحادثة بالبصرة — نظرة في رموز المختلين — في أدب المائدة —
ص ١١٧ : حديث الجاحظ عن الأعراب — الجاحظ يبين مواضع وجوب استعمال
الإعراب وإهماله — الجاحظ يذكر أول لحن سمع بالبادية ويعقد بابا خاصا للحن —
ص ١١٨ : الجاحظ يفصل أنواع التشدق والتصنع في الكلام — ص ١١٩ : نموذج
الأسلوب المتقعر وشخصية أبي علقمة النحوى — استعمال الإعراب والتصريف كان
يعد تقعرا على عهد الجاحظ — ص ١٢٠ : لحن بشر بن غياث المرسي أحد تلاميذ
أبي يوسف — الأشعار على قافية الهمزة — ص ١٢١ : علي بن الجهم يسقط من نظر
المبرد للحنه — ص ١٢٢ : لغدة الأصبهاني معاصر أبي حنيفة الدينورى — تأثر لغة
الأعراب بالتجديدات المختلفة — سبب تقدم مدرسة البصرة على مدرسة الكوفة في نظر
الرياشى — عمارة بن عقيل حفيد جرير وماخذ النقاد عليه — ص ١٢٣ : الشعر الرفيع في القرن
الثالث يطابق المثل الأعلى في نظر النحاة — شعر أبي تمام — ص ١٢٤ : بعض المآخذ
عليه — ص ١٢٥ : أشعار الفرص والمناسبات أقوى تأثراً باللغة الدارجة — شعر
ابن زينب المرأكبي — الجماز البصرى وعبد الصمد بن المعدل — ص ١٢٦ : الحسن
ابن وهب الكاتب — اللغة الدارجة تبتعد باطراد من النموذج الصحيح — ص ١٢٧ :
هناك فروق في لغة المحادثة — المأمون يؤاخذ عما له على اللحن — وزير المعتصم
يعجز عن تفسير كلمة في إحدى الرسائل — ص ١٢٨ : ضعف ثقافة المعتصم — نفوذ
الأتراك على عهد المعتصم ، الفتح بن خاقان يشد بسعة الثقافة عن صفوف الأتراك —
ص ١٢٩ : كتاب أخلاق الملوك ليس للجاحظ — نفوذ الأتراك يخفض مستوى اللغة —

٧ — العربية تصير لغة الأدب الفصحى في النصف الثاني من القرن الثالث

(ص ١٣٠ — ١٤٢)

اضمحلال الدولة وأثره في اضمحلال العربية — انتشار الأساليب المولدة —
ص ١٣١ : شكوى ابن قتيبة وتسجيله لفساد اللغة — ص ١٣٢ : كتاب أدب الكاتب
ووصفه — موازنة بينه وبين الجاحظ — ابن قتيبة يذب عن مبدأ تنقية اللغة المتطرف —
ابن قتيبة لا يحميد عن رأى الأصمعي — بيان مصادر أدب الكاتب وتحليل أبوابه —
ص ١٣٤ : لا يعنى ابن قتيبة في كتبه الأخرى إلا عرضا بمسائل اللغة — ص ١٣٥ :
لم يجد ابن قتيبة صدى بعيدا عند معاصريه — لم يف هو نفسه بالتزام مطالبه — حتى
الشعر الرفيع في عصره لم يجر على مبادئه — شعر البحترى — ص ١٣٦ : ابن الرومي
— أحمد ابن المدبر — ص ١٣٧ : علي بن محمد الحناني العلوي — انحطاط اللغة
الدارجة أيضا بسبب نفوذ عوام الأتراك في القصور — الوزير يتكلم اللغة الدارجة
— ص ١٣٨ : ظهور الفروق العظيمة في التعبير بين الأوساط المختلفة — آل طاهر
— ص ١٤٠ : ضعف التربية النحوية والملكية اللسانية — الكلام على طريقة
الأعراب لم يعد يساير روح العصر — ص ١٤١ : ضعف الملكة اللسانية عند النحويين
في ختام القرن الثالث — ثعلب — الأخفش الأصغر — ص ١٤٢ : نهاية القرن الثالث
تضع حدا فاصلا بين العربية الفصحى والمولدة الدارجة .

٨ — عربية الأدب في القرن الرابع

(ص ١٤٣ — ١٥٢)

النمو اللغوي يطارد العربية الفصحى — العربية ملسكة متوجة في دائرة الثقافة والأدب
— أثر النمو اللغوي في الأساليب — قدامة بن جعفر يبرز نتائج النمو المذكور في
كتابه : نقد النثر — تفرقة بين الأسلوبين السخيف والجزل — ص ١٤٣ : موقفه
تجاه خلوص اللغة واللحن فيها — ص ١٤٤ : قد يستحسن اللحن — الإرشاد العملي
إلى الأسلوب الجزل في كتاب جواهر الألفاظ لقدامة — باكورة ازدهار السجع
يبغداد في عصر قدامة — السجع أداة من أدوات الأسلوب — وسائل كمال الأسلوب
— ص ١٤٥ : قدامة يعنى أيضا بالموضوع — الأسلوب اللفظي في النثر الفني يطغى
على الأفكار وانصالحها — ص ١٤٧ : لم يحتط قدامة لذلك بل ساعد عليه — الخطوات
الأولى نحو تطور النثر إلى تلاعب بالألفاظ — ص ١٤٨ : لم يبتكر قدامة وضع

الكبر اللغوى فى ترتيب عملى — مبدأ الاتجاه إلى ذلك منذ القرن الثانى — موازنة بين كتاب قدامة وكتاب الألفاظ لابن السكيت — ص ١٤٩ : لم يكن قدامة أيضا أول من حاول سد حاجات الكتاب العملية — كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني — موازنة بين الكتابين — كتاب الألفاظ الكتابية يحتوى على زيادات لابن خالويه — ص ١٥٠ : الباعث للهمداني إلى تأليف كتابه — ص ١٥١ : رأى صاحب ابن عباد فى كتاب الهمداني — دلالة هذا الرأى على انحطاط الأدب — سبب الانحطاط اتجاه الذوق الأدبى فى ذلك العصر — التلذذ الذوقى باللغة وجرسها ديدن العرب منذ قديم — مقام الخطيب إلى جانب الشاعر قبل الإسلام — السجع يرفع الفورات الانفعالية لدى الكهان القدماء — السجع فى القرآن — ص ١٥٢ : علو كلمة السجع تدريجيا .

٩ — العربية ولهجات البدو فى القرن الرابع

(ص ١٥٣ — ١٦٦)

تغير نظر المتقنين إلى لهجات البدو — احتذاء لغة البدو على ممر القرن الثالث نوع من التعير — العربية الفصحى تصير لغة الكتابة فى بدء القرن الرابع — اختلاط البدو بغيرهم أقعد لغتهم صفاءها وخلوصها — ص ١٥٤ : بيان الهمداني عن العلاقات اللغوية فى جنوبى الجزيرة حوالى نهاية القرن الثالث — اختلاط الألسنة الأصلية بعربية الشمال — طريقة الهمداني ضاعفت من عنائه فى تصوير أخطا لهجات الهمداني يرى أن لغة الكتابة العربية هى اللغة الأصلية فى جنوبى الجزيرة — ص ١٥٥ : الهمداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو — لا يفترض للهجات اليمن أساما من لغة أخرى غير عربية الشمال — ملاحظات الهمداني السطحية على اللهجات وتقسيمها إلى فصيحة ومعقدة — تفصيل لهجات القبائل الجنوبية — المهرية والشحرية — لهجات حضرموت — سرو مذحج — مأرب — بيجان — حريب — تحديد المنطقة بين مأرب وذمار — منطقة قائمة — كومان — ص ١٥٦ : منطقة همدان — لهجة سفيان بن أرحب — بنو حرب — المنطقة العظمى التى تغلب فيها الفصاحة — القبائل التى تسكنها — ص ١٥٧ : أهل تهامة عربيتهم رديئة — ناحية صعدة — بعض لهجات أخرى غير فصيحة — لهجات المنطقة الجبلية — ألمان وأنيس غربى ذمار — جبال حراز — جبال الحضور — ص ١٥٨ : الجحادب — بعض قبائل عثم (غير فصيحة) — ظاهر همدان النجدى — لهجة جبّلان — لهجة يحصب ورعين

— منطقة الكلاع — سرو حمير — ص ١٥٩ : لحن وأبين ودثينة والعامريون —
لهجة السكاسك — لهجات جيشان — المعافر في منطقة تعز الحالية — اللهجات
خارج اليمن — العروض — الحجاز — الشام — ديار مصر — ديار ربيعة —
نشوء علم اللغة في هذا العصر على أساس فلسفي بعد انقضاء عصر النشاط في جمع اللغة
— ص ١٦٠ : ابن جنى يعقد في كتاب الخصائص باباً لأغلاط الأعراب — ص ١٦١ :
عمار الكلابي يشكو من غرور النحاة وجرأتهم — ص ١٦٢ : الأزهرى صاحب المعجم
— ص ١٦٣ : اختلاف نظرة الطبقات الوسطى إلى البدويين عن ذى قبل — حروب
القرامطة من أسباب تغيير رأى المجتمع في البدويين — ابن بسام يسمع من الأعراب
ألفاظاً مستكرهة — الصاحب بن عباد يعيب على المتنبي تفاسحه بالألفاظ النافرة —
موقف ابن عباد من غريب اللغة — ص ١٦٤ : رسالة أبي حيان التوحيدي في تحقير
ابن عباد وابن العميد — ص ١٦٥ : لم يمثل ابن عباد مذهب تنقية اللغة المتطرف —
الطعن في معجم ابن عباد اللاغوى ذى السبعة الأجزاء — ص ١٦٦ : أبو حيان
التوحيدي يعقب على موقف ابن عباد — المطالب التي تتوخى في الأسلوب البايخ —
تلاشى الفرق بين بلاغة التعبير في الشعر والنثر — كتاب الصناعتين لأبي هلال .

١٠ — العربية واللغة المولدة في القرن الرابع

(ص ١٦٧ — ١٨١)

انحلال الدولة العباسية مبدأ عهد جديد للعربية المولدة — نشأة مجموعات متميزة
من اللهجات — المقدسى يحاول تمييز كل إقليم من الوجهة اللغوية — كتاب المقدسى
نقيس القيمة في جغرافية الكلمات — اللغة الفصحى تبقى عنوان وحدة الثقافة في العالم
الإسلامي — ص ١٦٨ : لم تقم حواجز بين الأقاليم الإسلامية تمنع التبادل العلمى —
حياة التجول كانت قاعدة مطردة — العربية الفصحى صارت تكتسب بالتعلم لا بتأثير
الوسط العربى — ص ١٦٩ : أسمى درجات العربية في فارس — مقياس فصاحة العربية
في ذلك العهد — مقياس اللحن اللغوى — حتى لغة المتنبي تتأثر بالعربية المولدة —
ص ١٧٠ — ١٧٢ : أمثلة من ذلك — خصائص في أسلوب المتنبي — ص ١٧٣ — ١٧٤ :
أمثلة من ذلك — لم تلفت الظواهر الخاصة في شعر المتنبي أنظار معاصريه — الصاحب
ابن عباد يحمل على المتنبي في كتاب خاص — ص ١٧٤ — ١٧٥ : مطاعن الصاحب في
المتنبي — ص ١٧٦ : تساهل ابن عباد تجاه اللحن ظاهرة عامة عندأدباءالعصر — ص ١٧٧ :
حاجة العصر إلى شرح مصنفات الشعر والنثر — المتنبي يشفع شعره بالشرح —

ابن جني يكتب شرحين لديوان المتنبي — ص ١٧٨ : لم يكن ابن جني عمدة في شرح الشعر وتذوق الجمال الفني — انحصار عمله في دائرة النحو واللغة — ص ١٧٩ : لا يجوز في الشرح إغفال التكوين الداخلي للشعر — طريقة المتنبي في نظم الشعر — من نقد ابن جني من العلماء — ابن فورجه — ص ١٨٠ : أبو حيان التوحيدي — الشريف المرتضى — أبو القاسم الأصفهاني — ابن وكيع — ابن جني لا يتراجع عن طريقته في الشرح — يؤلف كتابا في شرح بيت واحد — أربعة أجزاء في شرح أربع مرثا للشريف الرضي — ص ١٨١ : أبو العلاء المعري يقرب بعض دواوينه بالشرح — سقط الزند قوى التأثير بالمتنبي — الفصول والغايات .

١١ — ظهور اللغة الدارجة في أشعار القرن الرابع

(ص ١٨٢ — ١٩٠)

شعر الفرص والناسبات يحمل طابع العربية المولدة — يتيمة الدهر للشعالي — شعر ابن حجاج مرآة للغة عصره — مذهبه في الشعر — ص ١٨٣ : كثرة الدخيل من لغة بغداد في شعره — ص ١٨٤ : ابن حجاج يحسن الفارسية — تحقيره مبدأ تنقية اللغة — ص ١٨٥ : تبحر بلاد المغرب أيضا من النماذج الأدبية المتعارفة — موازنة بين التبحر الموضوعي في المشرق والتبحر الأسلوب في المغرب — اختراع «الموشح» في المغرب — أوليات الموشح في المشرق — ص ١٨٦ : أول من اخترع الموشح بالمغرب — محمد بن محمود المقبري الضريير — عبادة بن ماء السماء — ص ١٨٧ : نموذج من موشحات عبادة — ص ١٨٨ : قالب التضمير — الموشح والموسيقى — خصائص الموشحات من عوامل التبحر اللغوي — ص ١٨٩ : اللغة الشعبية في الموشحات — محاولة نظم «الزجل» — المزج بين الفصيحة والدارجة في الاستعمال الفني بالأندلس — ص ١٩٠ : تقليد المشرق للمغرب في الموشحات — السبب في عدم نفوذ الموشحة إلى العراق .

١٢ — وصف المقدسي للعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي

إبان القرن الرابع الهجري

(ص ١٩١ — ٢٠٧)

كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم — قيمته من ناحيتي الموضوع والأسلوب — ولع المقدسي بالثر المسجوع — ميله إلى الاقتباس — ص ١٩٢ : تضمينه للأثار

الأديبة — تعبيره في وصف كل إقليم بلغة ذلك الإقليم — مراده لغة المثقفين لالغة الشعب —
 أصح العربية في فارس — مناطق الفصاحة اللغوية — في جزيرة العرب — الثغور — لهجة عدن
 — ص ١٩٣ : عربية العراق — لهجة الكوفة والبصرة — ما بين النهرين — ص ١٩٤ :
 مصر — المغرب — قائمة من الاستعمالات المحلية في شتى الشئون — ص ١٩٥ : فهرست
 أسماء السفن — ص ١٩٦ : أسماء المقاييس والموازين والنقد — ص ١٩٧ : وسائل
 السقي والرى — الألفاظ الدالة على سكان الريف — أسماء السنور — ص ١٩٨ :
 الاختلاف اللغوي دليل اختلاف الثقافة — قصده إلى تنوع الكلام وتجميله أكثر
 من التلون بالصبغة المحلية — استعماله ألفاظاً خارجة عن محيط العربية — ص ١٩٩ :
 لم تقتصر عناية المقدسي على اللغة العربية بل تناولت اللهجات الفارسية لتلك العهد —
 كان يحسن الفارسية — لهجة نيسابور — ص ٢٠٠ : لهجات طوس ونسا — مرورذ —
 لسان هراة — سرخس وأبيورد — جرجستان — جوزجان — طخارستان
 وباميان — لهجة خوارزم — لهجة بخارى — سمرقند — لهجات الهيطل —
 الصغدية — قومس وجرجان — ص ٢٠١ : لسان طبرستان — الديلمية — الجيلانية —
 الحزرية — لهجة الرى — همدان — قزوين — الأصفهانية — خوزستان —
 الكرمانية والخراسانية — البلوصية ولغة السند — لغة مكران — المقدسي يروي حديثاً
 مندهياً في اللغة الفارسية — أسماء الأعلام الشائعة في فارس — ص ٢٠٢ — ٢٠٣ :
 لا يخذعنا الظلاء البلاغي في لغة المقدسي عن أن لغته مولدة — نماذج من التوليد في
 لغته — ص ٢٠٤ : طريقة : « دى غويه » في نشر كتاب المقدسي — ص ٢٠٥ —
 ٢٠٧ : موازنة بين المقدسي ومعاصريه في أسلوب الكتابة — أسلوب ابن النديم .

١٣ — اللغة العربية في عهد السلجوقيين

(ص ٢٠٨ — ٢٢٩)

لم تكد العربية الفصحى تعمر قرنين من الزمان — عوامل ذلك — الفارسية
 تصير لغة رسمية — استخدامها في التأليف — ص ٢٠٩ : إتقان العربية بالترية
 والتعليم — سياسة السلجوقيين الدينية تحفظ العربية — تأسيس مدارس ذات هدف
 عملي للدولة — الفقه القانوني مركز الدائرة — كتب التبريزي تصور طريقة التعليم —
 تأسيس المدرسة النظامية ببغداد — ص ٢١٠ : شرح ديوان الحماسة للتبريزي —
 ص ٢١١ : مصادر التبريزي في شرح الحماسة — تهذيب التبريزي لكتابي : الألفاظ وإصلاح

المنطق — خلف التبريزي في المدرسة النظامية — ص ٢١٢ : الفصيحي — الجواليقي —
كتاب العرب — شرح أدب الكاتب للجواليقي — موازنته بشرح البطليوسي —
كتاب درة الغواص للحريري — ص ٢١٣ : بيثة الحريري — يمثل مبدأ تنقية اللغة —
مصادر درة الغواص — تلاشي الشعور اللغوي في عصر الحريري — ص ٢١٣ —
٢١٧ : نماذج — ص ٢١٧ — ٢١٩ : أمثلة من تزلت الحريري وتعسفه — ص ٢١٩ —
٢٢٠ : الترجيح الاختياري والتصحيح الحاطيء عند الحريري — نشاط اللغة
الدارجة أقوى من مبادئ المزمتمين — ص ٢٢١ : الحريري نفسه ينزلق في تيار
اللحن — نماذج — ص ٢٢٢ : لم تستطع الملاحظات اللغوية وقف تطور اللغة —
عوامل ضعف العناية بالتراث الأدبي — كتابة الحريري تثير اهتماما كبيرا — احتدام النزاع
بين الحريري ومشاهير اللغويين — دلالة ذلك على ضعف الإحساس اللغوي وملكة
النقد — اعتراف اللغويين باللغة الشعبية — اختلافهم على تصحيح ماخطأه الحريري —
تعليقات ابن بري على درة الغواص — الشهاب الخفاجي — ص ٢٢٣ : تحليل هذه
التعليقات ودلالاتها على ضعف ملكة النقد — فكرة ابن بري عن مبدأ تنقية اللغة —
كتاب أغلاط الضعفاء من أهل الفقه لابن بري — ص ٢٢٤ — ٢٢٥ : نقد
الكتاب المذكور وتحليله — تعليقات ابن ظفر على درة الغواص — ص ٢٢٦ :
تعليقات ابن الحشاش — نزاعه مع ابن بري — تلاشي الإحساس اللغوي وأمثلة من ذلك —
الاحتجاج بالحديث في أمور اللغة — ص ٢٢٧ : ابن خروف أول من اعتمد حجية
الحديث — ابن مالك — الحافظ اليونيني — مراتب فصاحة اللغة في رأي ابن مالك —
توسع الاسترأبأذي في الاحتجاج اللغوي — تحول عربية الأدب إلى لغة النحو
والقواعد — ص ٢٢٨ : اختلاف الكتاب في التمسك باللغة الصحيحة — تقرير
ابن الصلاح عن شيوخ عصره — اللهجات المولدة تنضح بقوة على لغة الأدب — أسلوب
أسامة بن منقذ — ص ٢٢٩ : ابن يعيش النحوي وأسلوبه — تراجم الأطباء لابن أبي
أصبيعة مرآة لغة المسامرة والحديث بالقاهرة .

١٤ — عود على بدء

(ص ٢٣٠ — ٢٣٤)

أثر السيل المغولي في تاريخ اللغة — مصر تنصدر بلدان العالم الإسلامي — النهضة
الأدبية في مصر تستمر قرنين من الزمان — كشف البرتغاليين طريق البحر إلى الهند
وأثر ذلك في انحطاط النهضة — خضوع البلدان الإسلامية للعثمانيين — ص ٢٣١ :

أحلك قرون التاريخ العربي — بدء المرحلة الحديثة بجملة « نابوليون » — إدخال
النظم العربية على يد محمد علي — الألفاظ الدخيلة حديثاً في العربية — نشوء معركة
تنقية اللغة من جديد — ص ٢٣٢ : أعمال الجمعيتين العلميين في القاهرة ودمشق —
طبيعة الكفاح في وجه الغريب — اقتراب العربية إلى طبيعة التعبير الأوربي —
ص ٢٣٣ : لا يقتصر تأثير الغرب على العربية الفصيحة بل يتناول اللهجات المحلية —
أثر انكماش الأمية في تطور اللغة — الصحافة — الخدمة العسكرية — مسارح السمير
الشعبي — المذاع والحاكي والحياطة (السينما) الناطقة — ازدهار الحضارة بمصر يجعل
لغة التحدث القاهرية مثلاً أعلى — استعادة مصر مكانتها في زعامة البلاد العربية —
أصوات النقد للعربية الفصيحة — العربية تقضى على حركة النقد — ص ٢٣٤ : العربية
هي الرابطة العام لكل البلدان الناطقة بالضاد — هي الرمز اللغوي لوحدة العالم
الإسلامي — العربية لسان المدنية الإسلامية .

ملحق — مادة : ل ح ن ومشتقاتها

(ص ٢٣٥ — ٢٤٦)

عرب البادية لم يعرفوا اصطلاح اللحن — كانوا يعرفون العوائق اللسانية —
مدلول اللحن نشأ عن اتفاق عرفي — المدلول الأصلي للحن — ص ٢٣٦ : معنى لحن
على وزن فطن — مصدر اللحن بسكون الحاء — أفعال التفضيل — وروده في الحديث
— ص ٢٣٧ : اللحن مجاز في هديل الحمام — ص ٢٣٨ : امم الفاعل « لحن » —
الحن من الجرادتين — لحن بالتشديد — تلحين — معنى آخر للحن — ص ٢٣٩ :
لحن اليمن — أقوال مأثورة عن عمر في اللحن — اللحن بمعنى التورية — ص
٢٤٠ : وهم الجاحظ في تفسير بيت مالك بن أسماء — تنبيهه على بن يحيى المنجم للجاحظ —
انتشار كتب الجاحظ عاق دون إصلاح الخطأ — ص ٢٤١ : ابن دريد يصحح خطأ
الجاحظ — أبو بكر الصولي — تأثير الجاحظ في ابن قتيبة — نقد ابن الأباري
لابن قتيبة — تأثر قدامة بن جعفر بالجاحظ — ص ٢٤٢ : أبو حيان التوحيدي
يدافع عن الجاحظ — اللحن بمعنى التورية والرمز في الحديث — في رسالة لأحد
الأعراب — في سورة محمد عليه السلام — ص ٢٤٣ : فعل لحن — معنى آخر
للحن — ابن دريد وكتابه : الملاحن — ص ٢٤٤ : اللحن بمعنى الخطأ في التعبير —
قدح لحن وقوس لاحنة — اشتهار اللحن في المعنيين : الخطأ والغناء — خطأ
ابن الأعرابي في عده اللحن من قبيل الأضداد — انحراف مذهب ابن الأعرابي بوجه
عام — ص ٢٤٥ : متى نقل لفظ اللحن إلى الخطأ في الكلام — ص ٢٤٦ : ارتباط
ذلك بمبدأ تنقية اللغة — بعض الشواهد القديمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

بقلم مضمرة صاحب العزة الأستاذ الكبير «أحمد بك أمين»

اللغة نظام اجتماعي كالدين والحكومة ، خاضع لتأثير الزمان والمكان ؛ فكم من الفرق بين اللغة يتكلمها الأقدمون ، واللغة يتكلمها المعاصرون .
نعم إن الطبيعة عودتنا حتى في الماديات أن يكون الانتقال بطيئاً جداً ، ومتدرجاً جداً . . . ألسنت فيما ترى تجد الانتقال من شمس إلى ظل . . . بل إنك تمر بفترة لاتدرى أهي ظل بحت ؟ أم شمس بحت ؟ ثم تتدرج إلى الظل الخالص ، أو الشمس الخالصة . . .

هذا في المحسوسات ، فما بالك بالمعاني ؟ فإنك مثلاً لاتدرك فرقا كبيراً بين اللغة أمس ، وبين اللغة اليوم ؛ ولكن إذا باعدت بين الزمانين أدركت الفرق واضحاً . فكم من الفرق بين ماروي لنا من خطب أبي بكر وعمر رضى الله عنهما من مجمل صبّت صباحاً كأنها حكم لاتصل بين جملتين منها صلة ، بل يعتمد في الاتصال بينهما على الإدراك الذهني ؛ وبين كلام عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، في التفصيل ، وربط الجمل ، واتضح المعنى وتحديدته . .
بل ما أكبر الفرق في عصرنا هذا بين الأساليب في أول عهدنا بالنهضة العلمية ، والأساليب اليوم : كانت الأساليب الأولى ترحى إلى السجع وتحسين اللفظ وتزويقه ، ولا تأبه للمعنى كثيراً ؛ ثم رأينا الأساليب ترسل إرسالا ، ويقصد فيها إلى المعنى أكثر من اللفظ ، ورأينا المدرسة القديمة تندثر شيئاً فشيئاً في تدرج وبطء ، ويموت أعلامها شيئاً فشيئاً في تدرج وبطء أيضاً ؛ وتحيا المدرسة الحديثة في تدرج وبطء كذلك ؛ حتى لو أننا قارننا بين المدرستين لأخذنا العجب كل العجب كيف يفعل باللغة الزمان . . ؟

وذلك بفضل أن اللغة كانت تستقى في مدرستها الأولى من منابع الأدب العربي القديم ؛ وعمادها في ذلك عبد الحميد ، وابن المقفع ، والجاحظ ؛ ثم الصاحب بن عباد وابن العميد ، ثم القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني ، وأمثالهم ؛ على حين أن المدرسة الجديدة تستقى من الأدب العربي معانيه ، وأساليبه ، وتفننه ؛ ولم تستق من الأدب العربي إلا ألفاظه وبعض أساليبه أيضاً .

هذا بالنسبة إلى عامل الزمان ؛ وكذلك عامل المكان ؛ فكل سكان الأقطار العربية من سوريين ، ومصريين ، وعراقيين ، يتكلمون اللغة العربية ويكتبونها ؛ ولكن ما أشد الفروق بينهم ؛ فقد عملت بيئة كل قطر عملاً خاصاً في حناجرهم ، وفي ألفاظهم التي استقوها من العرب الذين نزلوا بهم ، وطريقة أدائهم لهذه الألفاظ ، وغير ذلك من العوامل المسكانية .

كل هذا من اختلاف عوامل الزمان والمكان يحتاج إلى دراسة دقيقة جداً... وقد تنبه المحدثون إلى أهمية هذه العوامل ، فأنشأوا معاهد للأبحاث اللغوية ، بعضها يسجل اختلاف اللهجات ، وبعضها يتجه إلى رسم خرائط تبين كيف تعبر كل بلدة عن المعنى الواحد بألفاظ مختلفة ، وحتى إن اتحدت في الألفاظ فكيف تعبر عنها مع اختلاف النطق بها ، ونحو ذلك .

ويأتى علماء الاجتماع بعد ، فيستنتجون ، من دلائل هذه الاتفاقات والاختلافات ، القوانين على اتحاد الأصول إن اتحدت ، واختلافها إذا اختلفت ، وهكذا .

كما عنى بعض المستشرقين بدراسة بعض اللهجات العربية ، فاتجهوا مثلاً إلى قبيلة هذيل ، ودرسوا أشعار الهذليين ؛ بما يمتازون بألفاظهم وبعض معانيهم عن القبائل الأخرى .

فما كان أحوالنا إلى بحث دقيق ، يبين لنا تطور الأساليب في اللغة العربية واللهجات في الأزمنة المختلفة ، والامكنة المختلفة ؛ والعوامل التي عملت في هذا التطور من بيئات طبيعية ، أو بيئات اجتماعية . فهذا يفيدنا ، من ناحية في وقوفنا على هذا التغير ، ومن ناحية على العوامل التي تعمل فيه حتى نضع أيدينا عليها ، فنقويها أو نضعفها .

ولم نعرف كتابا من قبل عالج هذا الموضوع معالجة مستقلة ، بل نعرف تنفا في الكتب هنا وهناك ، ومسائل صغيرة بها . فوقف الأستاذ : يوهان فك (Johann Fück) نفسه على هذا البحث المضى العميق . فكم فتش في ثنايا الكتب عما يدل على بحثه ، ووفق في الجزئيات الصغيرة أن يستنتج منها نتائج كبيرة .

وَنُشْهَدُ اللهُ أَنَا كُنَّا نَعْرِفُهَا وَنَفْهَمُهَا ، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَنْجِ مِنْهَا النَّتَاجَ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا . . . وَقَدْ عُرِفَ الْأَلْمَانُ بِدَقَّةِ الْبَحْثِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ ، وَالِاسْتِطَاعَةِ الْعَجِيبَةِ فِي أَنْ يُؤَلَّفُوا بَيْنَ أَجْزَائِهِ الْمْتَنَافِرَةِ ، وَأَنْ يَصِلُوا مِنْهُ إِلَى أَدَقِّ النَّتَاجِ وَأَعَمَّقِهَا . وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الْأُسْتَاذُ الْمُؤَلِّفُ . فَجَنَحْنَا ، إِذَا قَرَأْنَا الْكِتَابَ ، نَرَى أَنَّهُ شَرَحَ لَنَا تَدْرِجَ الْأَلْفَاظِ وَالْأَسَالِيبِ مِنْ أَوَّلِ الْمُهْجَرَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى الْفَرَنْجِيِّ الرَّابِعِ الْمُهْجَرِيِّ .

نعم إن الكلمة التي ذكرها المؤلف ليست هي الكلمة الأخيرة في الموضوع ؛ ولكنها الكلمة الأولى ؛ فهي تحتاج إلى كلمات أخرى تبسط المحمل ، وتوضح الغامض ، وتزيده بدءًا إلى أول عهدنا باللغة العربية ، ونهايةً إلى عهدنا الحاضر . . . وإلكنه على كل حال له فضل السبق ، وفتح الباب .

وإذا كان المؤلف يحتاج منا إلى ثناء عظيم على ما بذل من جهد ، وما وفق من نتائج ؛ فللمترجم : « الأستاذ النجار » فضل نقله إلى العربية ، لينتفع به أهل العربية الذين ألفوا الكتاب لهم وللغتهم ، فهم أجدر بالاستفادة منه ، والجري على منواله .

والحق أن الترجمة جاءت دقيقة واضحة ، مع صعوبة أصلها ، وملائها بالجميل المعترضة ، التي تدخلها عادة في باب الغموض ؛ فاستطاع الأستاذ المترجم ، مع دقة الأصل ، ومع هذه التراكمات الملتوية بعض الالتواء ، أن يكشف غامضها ، ويذهب التواءها ، ويعرضها في ثوب واضح .

وإذا كان هذا العمل فاتحة عمل المترجم فإنه يحق لنا أن ننتظر منه كثيراً من الأعمال الجيدة ؛ وهل بعد الإرهاص إلا الإعجاز ؟ أو هل بعد الإزهار إلا الإثمار ؟ والله يوفقه .

أحمد أمين

ف
ع
ف
ر
ع
ز
ا
ا
ع
ف

تقديم

بقلم الدكتور محمد يوسف موسى

الأستاذ المساعد بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول

اتصال الغرب بالشرق أمر معروف منذ زمن طويل قبل الميلاد . كان ذلك في مصر حين وفد إليها غير قليل من فلاسفة اليونان ومفكرها للفادة من علماء مصر وكهنتها ؛ وكان في فارس بسبب الحروب وما يتصل بها ؛ وكان في الإسكندرية التي أنشأها الإسكندر الأكبر لتكون ملتقى حضارة الإنسانية جميعاً : الشرق والغرب .

ثم جاء الإسلام ، وانتشر في الشرق والغرب انتشاره المعروف ، واستيلائه على بعض البقاع في أوروبا : الأندلس ، فرنسا ، إيطاليا ؛ فكان لكل هذا نتيجته الحتمية من اتصال الغرب والشرق اتصالاً علمياً قريباً ، وأخذ الغرب كثيراً من الشرق في نواح عديدة من نواحي العلوم والمعارف . وأخيراً تقلص الإسلام وجلا عن أوربا ، إلا أن بعض العلماء الغربيين — وقد راعتهم قوة الإسلام ، وحضارته وانتشاره — رأوا العكوف على التراث الإسلامي بأوسع معانيه لتعرف أسباب تلك القوة ، ومقومات هذه الحضارة ؛ ومن هنا كانت نشأة الحركة التي عرفت فيما بعد بحركة « الاستشراق » .

ولسنا بمعرض الحديث عن الاستشراق والمستشرقين ؛ ولكننا نريد أن نشير إلى أن المستشرقين عاجوا كل ما يتصل بالشرق من دين ، وحضارة ، وثقافة . وكان هذا بأسلوبهم الخاص ، ومنهجهم الغربي ؛ ولم يضحوا في هذا بجهد أو مال . ولقد أنشأوا لذلك الجمعيات الأسيوية المعروفة ، بفرنسا ، وإنجلترا ، وألمانيا ؛ واستخدمت كل جمعية من هذه الجمعيات أدوات النشر المعروفة : الكتاب ، والصحيفة الدورية ، والبحوث الفردية ، والجمعية ، يكشفون بسببها الغبار الذي تراكم على المكتبة العربية في أنحاء المعمورة بهمة لا يحدها كلل أو ملل .

وكان من هذا أن عرف العالم علماء أعلاما ، امتازوا بالتوفر على دراسة الشرق عامة ، والإسلام بوجه خاص . وقد ظفرنا بثروة كبيرة من المؤلفات العربية التي نشرها هؤلاء العلماء نشرأ علمياً حقاً ، فضلا عن البحوث العلمية العميقة التي قام بها أولئك الأعلام ، وانتفعنا ولا نزال ننتفع بها كثيراً فيما نكتب عن العربية وعن الإسلام .

ومن هذه البحوث القيمة ، هذا الكتاب ، الذي يسعدني كثيراً أن أسهم في تقديمه للقراء ، من نتاج الأستاذ المستشرق الألماني : « يوهان فك » ؛ وهو دراسات في اللغة العربية ، ولهجاتها ، وأساليبها ، وتطورها مع تطور الزمان ؛ دراسات عميقة تقوم على الملاحظة القوية لحياة هذه اللغة وتطورها وعوامل هذا التطور ومظاهره ، في أدوار التاريخ وفتراته المختلفة ، حتى هذا العصر الذي نعيش فيه .

أول ما لاحظته المؤلف بحق ، في تمهيد الكتاب ، هو أن ظهور الإسلام كان أهم حدث في تاريخ اللغة العربية وتقرير مصيرها ؛ إذ جعل الإسلام من اللغة الفصحى نموذجاً مفروضاً ، ومثلاً أعلى يقتفيه كل كاتب عربي . على أن هذا لم يمنع أن تبدأ هذه اللغة في التطور سريعاً ، أي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وابتداء الفتوحات الإسلامية ، وما كان نتيجة حتمية لهذه الفتوحات من دخول عناصر غريبة من الأتباع والسراري في البيئة العربية ، ثم بسبب انتقال اللغة نفسها إلى مواطن أجنبية ، أثرت فيها وتأثرت بها بطبيعة الحال .

لكن العرب ، وهم جدّ حراس على لغتهم ، لم يُرضهم هذا الخلط الذي أصابها ، فنشأ في عهد الأمويين مبدأ « تنقية اللغة العربية » ، وذلك عن طريق التربية والتعليم ، وكان في هذا ما أوجد الدافع في نهاية القرن الأول إلى دراسة قواعد اللغة ، ضماناً لسلامتها من هذا الخلط ، الذي كان يهددها في أصولها ، وحركاتها ، وأصواتها .

ومضى العهد الأموي ، وجاء العهد العباسي ، فكان من أثر ذلك أن دخلت اللغة العربية في مرحلة جديدة من مراحل حياتها ؛ وهذا بسبب بعد العباسيين — وإن كانوا أصلاء في عروبتهم — عن حياة البدو بعداً كبيراً ، وبسبب اصطنائهم لعناصر أجنبية لا تستطيع أن تستبطن اللغة العربية ، والحياة العربية الصحيحة . ومن السهل علينا أن نتبين ما أصاب اللغة من تطوّر وتغير في ثر ابن المقفع وشعر بشار بن برد ، مع حرص كليهما على تقليد القدماء في الحروف والأصوات ، والمادة اللغوية ، والأسلوب .

على أن الإحساس كان لا يزال قويا في عهد العباسيين أيضا ، بوجود المحافظة على اللغة وتنقيتها من الغريب عنها ، مادة وأسلوبا ، حتى كان اللحن معيماً جداً ؛ فهذا الكميّ الشاعر يرفض أن يعلى شعره على حماد ، لأنه خشي لحنه ، كما يقول ابن النديم : إن حماداً كان كثيراً ما يلحن (ص ٦٣) . وهذا عبد الله بن إدريس الأودي ، وكان يعيش في أيام الرشيد ، ورفض أن يلى القضاء حين ندبه له ، كان إذا لحن الرجل عنده في كلامه لم يحدثه ، كما كان يفض درسه إذا لحن واحد من مستمعيه ، كما يروى الخطيب في تاريخ بغداد (ج ٩ ص ٤١٩) . وكان من الطبيعي لهذا أن تبدأ في الظهور مصنفات في لحن العامة ، بل وفي أوهام الخواص ، على ما هو معروف . وهذه المصنفات خدمت بلا ريب مبدأ « تنقية اللغة » ، وعاونت على احتذاء عربية البدو ، التي صارت تعدّ القدوة المثلى ؛ حتى لقد وصل الأمر إلى أن احتذاها المثقفون في الكلام الشفوي ، والتحرير الكتابي جميعاً (ص ١٠٠) .

ومع ضرورة الحيلة التي اضطلع بها أصحاب مبدأ « تنقية اللغة » ، نرى اللغة — وهي في سبيل انتشارها وتطوّرها — ندخل عليها تجديدات كان سدتها يحسون عدم جوازها ، وذلك في القرن الثالث ؛ وقد ضرب المؤلف لذلك بضعة أمثلة (في ص ١٢٢ - ١٢٣) . ونعتقد أن هذا الأمر جد طبيعي ، ما دامت اللغة كائناً حياً يتأثر بما يحيط به تأثيراً لا معدى عنه بحال . ومهما يكن من أمر ، فقد نالت هذه التجديدات من المستوى العام

الثقافة اللغوية ، فكان من نتائج ذلك ظهور كتاب مثل أدب الكاتب لابن قتيبة ، لعلاج النقص الذي لم يسلم منه بعض كتاب الدولة ووزرائها . ومن الطبيعي ، وهذا شأن اللغة الفصحى ، أن يكون حال اللغة الدارجة أسوأ من ذلك بكثير ؛ ولا سيما — كما يقول المؤلف ص ١٣٧ — « وقد كان عوام الأتراك هم أصحاب الكلمة في القصر » .

ونشأت من ذلك ظاهرة قد تعتبر غريبة ، وهي جدُّ طبيعية ما دامت قد وجدت أسبابها ؛ ذلك أن لغة الأعراب كانت تعتبر المثل الأعلى للمتكلم والكاتب ، وكانت لهجاتهم حتى أواسط القرن الثالث هي المعين الذي يستقى منه علماء اللغة ؛ ولكن لما قويت العربية المولدة ، شالت كفة اللغة الفصحى ، وصار يعدُّ من التقعر احتذاء لغة البدو احتذاءً تاماً ، وبخاصة والأعراب ، كما لاحظ ابن جنِّي ، قد يقعون في اللحن ؛ ولهذا تراه يخصص في كتابه « الخصائص » باباً مستقلاً لأغلاط الأعراب .

وكان انحلال الدولة العباسية نهائياً في القرن الرابع إلى دويلات عديدة ، مما عاون بقوة على نشوء لهجات إقليمية يتميز بعضها عن بعض ؛ وتستطيع التأكد من هذا بالرجوع إلى كتاب مثل كتاب « أحسن التقاسيم » للمقدسي ، إذ حرص على أن يميز كل إقليم من الوجهة اللغوية بذكر التعبيرات المحلية الخاصة به . بيد أن وحدة الثقافة في الدولة ، على اتساع رقعتها ، وانقسامها إلى دويلات عديدة ، ضمن للعربية الفصحى مقاماً ثابتاً لم ينل منه انحلال الدولة العباسية بحال . لكن يلاحظ المؤلف بحق أن اللغة الفصحى ، وقد كملت بقواعدها وعلومها ، لم يعد لها تأثير حتى متبادل مع لهجة الأعراب ، وصار على المتعلم أن يتعلمها كما يتعلم لغة ماتت أو كادت (ص ١٦٨) .

هذا ، وقد خلق استيلاء السلجوقيين ومن والاهم وخلف بعدهم من أمثالهم على الحكم منافساً قوياً للعربية الفصحى ، نعى اللغة الفارسية التي صارت اللغة الرسمية ، ولغة الأدب ، والشعر ، والعلم ، حتى لقد ألّف بها عدد غير قليل من العلماء ، مثل الوزير نظام الملك ، وحجة الإسلام الغزالي . وقد استتبع

هذا الأمر نتیجته الطبيعية ، نعى أن طلاب العلم صاروا في حاجة إلى شروح بين يدي النثر أو الشعر الفصيح ، ليتيسر لهم فهمه . وقد قام أبو زكريا التبريزي ، الذي عاش في القرن الخامس بخدمات جلی بما وضعه من شروح لغير قليل من دواوين العربية وعيون كتبها .

ومهما كانت هذه الجهود التي بذلها التبريزي ، ومعاصره الحريري (بكتابه درة الغواص في أوهام الخواص) وأضربهما ، والتي أريد بها بعث العربية القديمة الفصيحة ، فقد كانت حيوية اللغة الشعبية الدارجة أقوى من ذلك كله ؛ ولقد كتب لها النصر والبقاء على أقباض الأولى ، وساعد على هذه النتيجة ما كانت تعانيه الدولة الإسلامية من اضطراب وانحلال وحروب صليبية ، مما لم يكن يسمح بالعناية الكافية بالتراث الأدبي التليد .

وجاء السيل المغولي الذي اكتسح خلافة بغداد عام ٦٥٦ هـ ، فكان الضربة القاضية ، إذ بلغت به مرحلة الانحلال اللغوي والقوي إلى آخر حلقاتها ، وصار على العربية بعد هذا أن تسلك أشد فترات حياتها سواداً وركوداً ؛ وهي فترة تمتد إلى آخر القرن التاسع عشر .

وأخيراً شهد فجر هذا القرن العشرين طلائع النهوض ، وبواكير الجهود ، لإقالة العربية من عثارها ، وإرجاعها إلى مكانتها الحرّية بها ؛ وكان لمصر ، ولا يزال ، في هذا السيل الفضل الأول ؛ وهذا ما أدى إلى « نشوء حركة التنقية اللغوية نشأة جديدة أخرى » (ص ٢٣١) .

وإنّ ما وصلت إليه اللغة العربية في مصر ، لعهدنا هذا ، من السلامة والفصاحة ، مادة وأساليب ، وبخاصة لدى المثقفين ثقافة عربية إسلامية ، ليجعلنا نقول مع المؤلف في ختام كتابه بأنه « قد برهن جبروت التراث العربي التالذ الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية عن مقامها المسيطر . وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطيء الدلائل ، فستحتفظ أيضاً بهذا المقام العتيد ، من حيث هي لغة المدينة الإسلامية ، ما بقيت هناك مدينة إسلامية » .

هذه نظرة تحليلية عابرة لهذا الكتاب النفيس ، الذي يسر « جماعة الأزهر للنشر والتأليف » أن عنيت بنشره ، كما يسرني شخصياً أن أقدمه للقارئ العربي ؛ وهي نظرة قد تكشف عن بعض الجوانب ، مما زخر به الكتاب من معارف حمة ، وعرض واسع المدى ، واسترسال طويل النفس ، ثرى بالملاحظات الصائبة ، والتحليل الدقيق ، والدراسات المتنوعة الألوان ، في قوة وعمق ، للغة العربية وتطورها في مادتها ولهجاتها وأساليبها منذ ظهور الإسلام إلى العصر الحاضر .

وتزيد من نفاسة هذه الدراسات ، ويُعلى من قيمتها أنها نتيجة عمل دقيق ، أساسه الصبر الجليلد ، والهمة القعساء ، قام به مستشرق من نوابغ مدرسة المستشرق الألماني الباقي الذكر ، الخالد الاسم : أوجست فيشر August Fischer ؛ ومن مزايا المستشرقين الألمان بوجه عام ، والمدرسة المذكورة على الخصوص ، الدأب المتواصل ، والنشاط الحثيث في كل ما يباشرون من عمل ، مع بناء آخريهم ، على الأسس التي وضعها أولهم ؛ وهكذا يتقدم العلم على أيديهم خطوات ظاهرة ملموسة في كل ما يكتبون على تعاقب الأجيال .

وللأستاذ المؤلف : يوهان فك Johann Fück تاريخ حافل في خدمة العربية ، وتجديد معالمها ؛ ومن آخر ما عرفنا توفره عليه ، ونبوغه في دراسته وتحقيقه : كتاب الفهرست لابن النديم ؛ وقد ذكر له ذلك وأثنى عليه الأستاذ العالم المؤرخ ، ألدوميللي Aldo Mielli (انظر . Aldo Mielli, la science arabe et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale, Paragraph § 17, p. 98, 222

كما أن سلامة أحكامه ، وصحة نتائجه ومقدماته ، كما يعرضها في هذا الكتاب المائل بين أيدينا ، أصدق شاهد على تضلعه ، وتخصه دهرأ طويلاً في هذه الناحية من علوم الاستشراق .

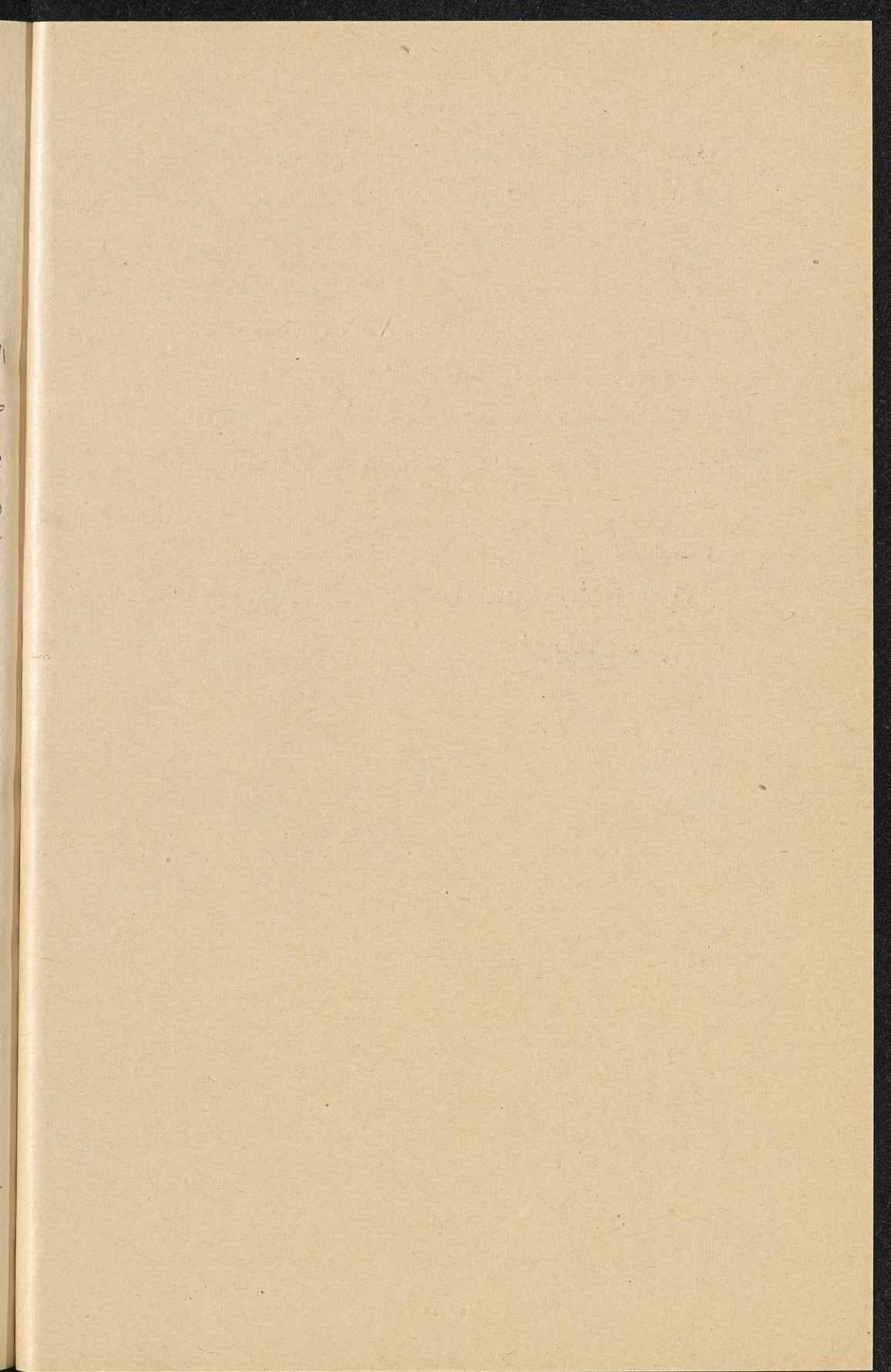
أما ناقل الكتاب إلى العربية فهو صديقنا الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار ، المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ؛ وهو من أسرة عرفت بحب العلم ، والدأب على الدرس والبحث ، والتوفر على العلوم

الإسلامية ؛ وهو نفسه من نوابغ العلماء الذين جمعوا كلتا الثقافتين : الشرقية والغربية ، إذ كان مبعوثا إلى جامعة برلين التي نال فيها الدكتوراه في الدراسات الشرفية والإسلامية .

وتشهد له ترجمته لهذا الكتاب بعلو الكعب ، ورسوخ القدم فيما يعرض له من دراسة ؛ فإن هذه الترجمة فضلا عن أنها لا تكاد تجعل القارئ يلمس أثر النقل من لغة أجنبية ، إذ جاءت مطبوعة مصبوبة صبا ، كما لو كانت تأليفا لا ترجمة — تتم عن تخصص وإحاطة بالناحية التي عرض لها الكتاب ، بما قام به من تحقيق وتعليق ، ودرس للنصوص والنقول عميق .

والله نسال أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يكتب ناقله إلى لغة الضاد في سجل العلماء العاملين لخدمة الدراسات العربية والإسلامية ؛ والله ولي التوفيق .

محمد يوسف موسى



تسبيح

لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام . ففي ذلك العهد — قبل أكثر من ١٣٠٠ عام — عند مارتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بنى وطنه بلسان عربي مبين ، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد ، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة . ولا ينحصر هذا في المقام الذي أخذته العربية منذ ذلك الوقت في العالم الإسلامي كافة ، من حيث صارت لغة الدين والحضارة على الإطلاق ، بل يتجاوزها بمقدار أعظم إلى النتائج التي تركتها غزوات الفتح على أيدي عرب البوادي تحت راية الإسلام في لغتهم . وبذلك صارت العربية لغة الطبقات السائدة الموجهة في دولة سرعان ما امتدت رقعتها — في أوج اتساعها وانتشارها بعد سنة ٧٠٠ م — من أسبانيا غرباً ، إلى أواسط آسيا نحو المشرق . وقد زحفت العربية مع الفاتحين البداية فاستقرت في بعض الأقاليم ، واضطرت إلى الانسحاب بأخرة من بعض آخر ؛ كما كانت هناك مناطق استعاض سكانها الأصليون من العربية إحياء ما بلى من لهجاتهم ، وأخيراً أخرى بقيت فيها العربية لغة العلم المعتمدة فحسب . ولم يقحم سقوط الدولة العربية (الأموية) سنة ٧٥٠ م لغة العرب معه في الاضمحلال والانحلال ؛ بل لقد شهد عصر النور في أوائل الدولة العباسية أقصى درجات العناية بالقواعد العربية ، ثم شهد ، على أثر ذلك مباشرة ، العصر الذهبي للأدب العربي ؛ كما أن انحلال الدولة العباسية إلى دويلات عديدة مستقلة ، ذلك الانحلال الذي أخذ نهايته في سنة ٩٣٥ م ، لم يزعزع من مكانة العربية ، التي ربطت إذ ذاك جميع أقطار المدينة الإسلامية ، على أنها اللغة الأصلية للعلم والأدب ، برباط جامع وثيق . حقاً لقد رفع العصر السلجوقي بالقطر الإسلامي الشرقي من شأن اللغة الفارسية

الحديثة ، فجعلها لسان سُدَّة الملك ، ولغة السياسة الدولية (الدبلوماسية) ، وترجمان الثقافة العالية ، والأدب الرفيع ؛ على حين أنه اعترف بالعربية فقط من حيث هي لغة الدين والفلسفة الكلامية ؛ كما أن الأحداث السياسية قد دفعت مصر إلى أن تتبوأ مكانة الرياسة بين البلدان الناطقة بالضاد بعد الحروب الصليبية وهجوم المغول ؛ مكانة عرف وادى النيل كيف يحتفظ بها إلى هذا اليوم ؛ بيد أن مقام العربية باعتبارها اللغة المعتمدة للعلم والأدب قد بقي حتى هذا العصر الحديث ثابت الأركان ، وطيد الدعائم ؛ ولم يجرؤ إلا بعض دعاة الإصلاح الإسلاميين على توجيه تقدمهم اليوم — دون جدوى — إلى عقيدة اللغة العربية الفصحى .

هذه العقيدة التي جعلت من العربية الفصحى نموذجاً مفروضاً ، ومثلاً أعلى يقتفيه كل كاتب عربي ، جعلت من العسير بمكان أن نحصل على صورة واضحة للنمو والتطور الذي أخذته العربية ، ككل لغة حية ، في مدة تربو على ثلاثمائة وألف عام . ولقد تكلفت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلال ، وتضحية جديرة بالإعجاب ، بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها ، من ناحية الأصوات ، والصيغ ، وتركيب الجمل ، ومعاني المفردات على صورة محيطية شاملة ؛ حتى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد . ولا تزال كتب القواعد الأساسية المذكورة تعد اللغة العربية لغة متصرفة بمعنى الكلمة ، محافظة على علامات الأحوال والتصريفات المختلفة ، مثل الضمة في حالة رفع الاسم والفعل ، والكسرة في حالة خفض الاسم ، والفتحة في حالة نصب الاسم والفعل الخ . ولما كانت علامات الإعراب هذه قد تلاشت منذ أجيال تفوق الحصر في جميع العالم العربي ، سواء على لسان عامة الشعب ، في القرى والمدن ، أم في شتى أساليب الكلام الجاري على ألسنة الطبقات المثقفة ، بل في لهجات البدو أنفسهم ، فقد صار التصرف بالإعراب هو الفارق الذي يميز عند المثقفين من العرب بين العربية الفصحى وجميع

القوالب والأساليب المولدة ، حتى اللهجات الدارجة ، واللغات العامية . بيد أن هذا الإعراب ، أى الطريقة الخاصة التى كان ينطق عرب البادية على مقتضاها ، هى ذاتها سطحية ، بحيث لاتكفى وحدها لتكون ميسماً مميّزاً للغة الفصحى . وليس من النادر أن نجد الإعراب مجرد حلية فارغة يقصد منها إلى إغارة نوع من التعبير ، فى قالب يخالف للفصحى فى جوهره ، مسحة زائفة من الفصحى . وإذا فُجره القلب اللغوى وحقيقته هو الذى يميز الطابع الصحيح للعربية الفصحى . ومن هنا يصح أن نقول : إن التحرر من الإعراب قرينة أكيدة على مخالفة الفصحى ، لا العكس ، أى أنه ليست مخالفة الفصحى منحصرة فى التحرر من الإعراب .

لقد احتفظت العربية الفصحى ، فى ظاهرة التصرف الإعرابى ، بسمة من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها جميع اللغات السامية — باستثناء البابلية القديمة — قبل عصر نموها وازدهارها الأدبى . وقد احتدم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابى فى لغة التخاطب الحى . فأشعار عرب البادية — من قبل العهد الإسلامى ومن بعده — ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان . كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين واللغويين الإسلاميين كانوا — حتى القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى على الأقل — يختلفون إلى عرب البادية ليدرسوا لغتهم ، تدل على أن التصرف الإعرابى كان بالغاً أشده لذلك العهد . بل لازل حتى اليوم نجد فى بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البداءة ظواهر الإعراب . أما أن أقدم أثر من آثار النثر العربى ، وهو القرآن ، قد حافظ أيضاً على غاية التصرف الإعرابى ، فهذا أمر ، وإن لم يكن من النوضوح والجللاء بدرجة الشعر ، الذى لا تترك أساليب العروض والقافية مجالاً للشك فى إعراب كلماته ، إلا أن مواقع كلام القرآن الاختيارية لاتترك أثراً للشك فيه كذلك . انظر مثلاً آية ٢٨ من سورة فاطر : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »

وآية ٣ من سورة التوبة : « أَنَّ اللَّهَ بَرِيٌّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » .

وآية ١٢٤ من سورة البقرة: «وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ» .

وآية ٨ من سورة النساء: «وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ» .

فمثل مواقع الكلمات في هذه الآيات (كاستعمال اللاتيني *matrem amat filia*

الأمَّ تُحِبُّ الْبِنْتَ) لا يمكن أن يكون إلا في لغة لا يزال الإعراب فيها حياً صحيحاً .

يضاف إلى ذلك شهادة القرآن نفسه ، مثل آية ١٠٣ من سورة النحل : « وَهَذَا

لِسَانَ عَرَبِيٍّ مُّبِينٌ » . وصریح من هذا أنه لم يقيم عند محمد ومعشره فرق هام بين

لغة القرآن وبين لغة العرب ، أى قبائل البدو . ولا يمنع ذلك أنه كانت هناك فروق

بين لهجة مكة ولهجات البادية ، وبين هذه الأخيرة بعضها مع بعض . فهأى ذى

قواعد رسم المصحف تدل على أن مكة قد تحررت من تحقيق الهمز ، كما أن لغة القرآن

تختلف اختلافا غير يسير عن لغة الشعراء ، فهى تعرض ، من حيث هى أثر لغوى ،

صورة فذة لا يداينها أثر لغوى فى العربية على الإطلاق^(١) . ففى القرآن ، لأول مرة

(١) على أساس هذا الاختلاف بنى ك. فولرز K. Vollers فى كتابه : Volkssprache

und Schriftsprache im alten Arabien, Strassburg 1906

للأظار ، من أن القرآن كان فى بادىء الأمر بلسان محمد ، يعنى بلهجة مكة الحألية من ظواهر

الإعراب ، وأنه يدين بأسلوبه الذى وصل إلينا ، إلى تنقيح خاضع للقواعد التى اعتمدت فى العربية

على الأخص من حيث الإعراب . وهذه النظرية التى تناولها نولدكه Nöldeke بنقد يرفض

التسليم بها فى كتابه : Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissen —

Schaft, Strassburg 1910, 1 - 5

فى كتابه P. Kahle : The Cairo Geniza, London 1947, p. 78 - 84

وإن كان فى قالب معتدل . وقد ساق كاله هنا ، وبتفصيل وسط فى مقاله فى

the Arabiya المنشور فى الكتاب التذكارى لتكريم المستشرق « جولدتسيهر » ، ص ١٦٣

و ١٨٢ ، عدداً من النصوص والروايات التى تحت المسلمين على حراعاة الإعراب فى ترتيب القرآن .

نعم لا تدل هذه الروايات على أن القرآن فى حياة محمد قرىء فى أوساط المسلمين دون إعراب ،

— وقد عرف النقاد المسلمون أنها موضوعة مزيفة ، وأبقوها بعيدة عن المصاحف المعتمدة — ،

ولكنها تدل على أن ترك الإعراب قد حصل فى وقت متأخر ، وأن النجاة رأوا من الضرورى

أن يعملوا على محاربتها . وقد ساق كاله ، فى كتابه السالف الذكر ، نقلا عن الفراء المتوفى سنة

٢٠٧ هـ ، فى نص عربى يتضمن بعض هذه الروايات مع بيان لهذا النجوى الكوفى الضليع

فى موضوع إعجاز القرآن . وفى هذا يؤيد الفراء مذهب أهل السنة من أن القرآن نزل بأفصح

اللغات ، ويرد على بعض علماء الشعر، ورواة الأخبار التاريخية عن عرب البادية ، الذين لا يريدون

في تاريخ اللغة العربية ، ينكشف الستار عن عالم فكري ، تحت شعار التوحيد ، لاتعد لغة الكهنة والعرافين الفنية المسجوعة إلا نموذجاً واهياله ، من حيث ظاهر وسائل الأسلوب ، ومسالك المحاز في اللفظ والدلالة ، على حين أن هذا الأثر العظيم ، الذي وجد التعبير الموائم لمحصل جديد برؤيته ، إنما يصوّر مجهوداً لمحمد صلى الله عليه وسلم جدّ أصيل^(١) ، لا ينقص من قيمته أن محمداً نفسه كان يرى أنه وحي إلهي

== أن يلتبسوا إعجاز القرآن في قوالبه اللغوية ، بل يرون كالم الفصاحة في لغة عرب البادية ، ثم يختلفون (الكوفيون والبصريون والمدنيون والمكيون) حول أي القبائل أفصح ؟ حسب اختلاف جوار كل منهم لقبيل من العرب . فيذهب الفراء رداً على جميع هؤلاء إلى أن لغة القرآن أفصح أساليب العربية على الإطلاق . ومن ينكر عقيدة الإعجاز اللغوي في القرآن أهل الاعتزال من علماء اللغة . وقد أخذ تفسير الإعجاز القرآني عند المعتزلة مذاهب شتى (انظر : Goldziher, Muh-Studien 2, 401) كما أن آراء المعتزلة انتشرت انتشاراً بعيداً بين علماء اللغة من أواخر القرن الثاني ، بحيث لم يعد السني المحافظ إبراهيم الحاربي ، المتوفى ٢٨٥ هـ ، لهده غير أربعة من نخاة البصريين الذين لا يتعلق الشك بثقتهم وصحة مذهبهم (انظر : الخطيب ، تاريخ ج ١٠ ص ٤١٨) . وكان الفراء نفسه يميل إلى الاعتزال ، ولكن ذلك لم يمنعه من موافقة مذهب أهل السنة في موضوع إعجاز القرآن كما ذكر . وقد روى عنه أنه أنحى بشدة الأئمة على أبي عبيدة في محاولته تفسير مجاز القرآن من الوجهة اللغوية (خطيب ، في الموضوع السابق ، ج ١٣ ص ٢٥٥) .

وقد عالج Kahle توضيحات الفراء مرة أخرى في مقاله : The arabic Readers of the Koran (Journal of Near Eastern Studies 8, 1947, p. 65-71).

وأراد أن يعتبر من منكري إعجاز القرآن اللغوي ، قراء القرآن الأولين في المدن الإسلامية الكبرى ، الذين رحلوا لمخاطبة عرب البادية الخيميين في جوارهم ، قصداً إلى دراسة رواياتهم عن شعراء البدو ، ووضع قواعد مستنبطة من لغة الشعر لقراءة النص القرآني على مثالها ، وهو يفترض أن هذه الضرورات العملية هي التي أوجدت الباعث إلى جمع شعر الجاهلية وكتابته في أوائل العصر الإسلامي . وعلى أساس هذه المادة التي جمعتها ، وضعت لغة نموذجية ، كان الإعراب من مميزاتهما ، ومن ثم أدخل الإعراب في قراءة القرآن . اه كاله .

(١) يفهم مما ذكر أن المؤلف لا يرضى ما رآه كل من Kahle و Voller من أن القرآن كان عرضة للتغيير من الوجهة اللغوية . على أن Nöldeke قد تكفل من قبل ببيان ما وقع فيه Voller من خطأ علمي ، وبناء على غير أساس . أما كلام Kahle فلا يخفى ما فيه من التخليط ؛ ذلك أن الخلاف في موضوع إعجاز القرآن ، إنما هو بحث في أصل من كليات اللغة ، ومراتب ذروتها في البلاغة ، وشتان بين هذا وبين التنزل إلى افتراض عامية القرآن أو خلوه من الإعراب ، وجريانه على الأساليب الدارجة ، فذلك ما لم يدر بخلد أحد من العلماء على الإطلاق .

تلقاه في أوقات الاستغراق الديني . والاستعمالات القرآنية الخاصة ، التي تحتوى هي أيضاً على مخالقات للقواعد العامة ، تعدّ في مستوى مغاير للشذوذ المختلف المراتب ، بالنسبة للتصرف الإعرابي ، في العربية الفصحى والعربية المولدة . وقد بدأ التطور إلى العربية المولدة حينما نقلت العربية بعد وفاة الرسول مباشرة بواسطة غزوات الفتح الإسلامي الكبرى في العهد الأول ، إلى خارج حدود الوطن العربي ، في مواطن لغوية أجنبية^(١) .

(١) هذا على ما يعتقدوه الغربيون من أن القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم . ولا تخفى مخالفة هذا العقيدة الإسلام .

(١)

الروابط اللغوية في عهد الدولة العربية (الأموية)

٦٣٢/١١ - ٧٥٠/١٣٢

كانت هجرة القبائل العربية ، عقب وفاة محمد (صلى الله عليه وسلم) سنة ٦٣٢/١١ ، إيذاناً بشروق عصر جديد للغة العربية . ففي مدة عشرات من السنين حملت قبائل البادية ، في غزوات الفتح ، لهجاتها نحو الشمال إلى فلسطين وسورية وما بين النهرين حتى جبل طوروس وجبال أرمينية ، ونحو الشرق ، عبر العراق ، إلى إيران ، ونحو الغرب ، عبر شبه جزيرة سيناء ، إلى مصر وشمال أفريقيا ، ولم تسكد تمضي مائة عام على وفاة محمد (عليه السلام) حتى امتدت الدولة إلى سفوح البرانس في المغرب ، وإلى أواسط آسيا على شواطئ نهر الهند في المشرق ؛ وهذا النفوذ الذي بلغته اللغة العربية ، إلى مناطق كانت تستوطنها لغات أخرى ، لم يكن لير عليها دون تأثير أو تغيير ، مهما اختلفت تتأج هذه العلاقات الجديدة ، حسب اختلاف الأحوال ، في مظاهرها وظواهرها . ولقد احتفظت كثير من القبائل البدوية أيضاً في البلدان التي استولت عليها ، بطريقة حياتها البدوية ؛ وحافظت بذلك على سلامة لهجاتها وخلوصها . ولهذا كان لا يزال ممكناً في أوائل العهد العباسي ، أن يلاقى المرء من جنوب البرتغال في الغرب ، إلى خراسان في الشرق ، قبائل عربية ، وأن يسمع من أفواها عربية بدوية خالصة ، لا تشوبها هجئة ولا عجمة . ومن جانب آخر لقد أدى عهد الفتح إلى بث روح من القوة في صميم العربية ، وإلى توحيد لهجات البدويين أنفسهم . فعلى غرار البدويين من غير العرب ، كقبائل الترك مثلاً ، لم تكن لهجات القبائل البدوية بالجزيرة العربية بعيدة الاختلاف من الوجهة اللغوية بحيث لا يمكن التفاهم ، حتى بين القبائل المتباعدة بعضها عن بعض في السكنى والجوار ؛

إذ أن أغلب الفروق — فيما يظهر — كانت ترجع إلى طبيعة اختلاف الأصوات ، والقوالب ، والمفردات ؛ أو على الأقل هذه هي الفروق التي لفتت أنظار النحاة واللغويين الإسلاميين ، الذين نعتد على أخبارهم وحدها في معارفنا عن اللهجات البدوية^(١) . ومن تلك الفروق — مثلاً — : العنونة ، أى إبدال العين من الهمزة ؛ والكسكسة ، وشبهتها الكشكشة ، أى إبدال السين أو الشين من الكاف ؛ والتثنية ، أى كسر حرف المضارعة ؛ [والعججة ، أى] قلب الياء المشددة جيماً في النسبة [مثلاً] ؛ وأخيراً الأمثلة التي لاحصر لها من استعمال لفظ عند قبيلة ، في صيغة تخالف صيغته عند أخرى ، أو بمعنى يختلف قليلاً . فهذه الخصائص القبلية ، الراجعة إلى اللهجات المحلية ، قد صُقلت إلى حد بعيد في عهد الفتوحات التي وحدت القادرين على حمل السلاح من مختلف القبائل في سبيل التعاون في الجهاد . يضاف إلى ذلك أن السياسة الواسعة الأفق التي امتاز بها الخليفة الثاني ، عمر العبقرى ، مؤسس الدولة العالمية الإسلامية (حكم ١٣/٦٣٥ — ٢٣/٦٤٤) قامت بقسط لا يستهان به في سبيل توحيد اللغة ، وإنشاء لسان مشترك بين قبائل البدو جميعاً ؛ كما حفظت العربية من الاضمحلال والانحلال . فلكنى يحفظ عمر العرب من التلاشي في جماهير الشعوب المغلوبة ، التي تفوقهم بكثرة العدد ، حرم عليهم أن يمتلكوا الضياع في الأقاليم الجديدة ، أو أن يتخذوها لهم وطناً ومقاماً ؛ كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبيرة في البلدان المفتوحة ، ماعدا سورية التي كانت استعربت إلى حد كبير قبل الإسلام بواسطة القبائل العربية التي هاجرت إليها^(٢) ، فأسكنهم في معسكرات من الخيام ، كانت نواة للمدن العظمى في العالم الإسلامى ، التي نشأت في بضع عشرات من السنين ، كالبصرة ، والكوفة ، والفسطاط ، وغيرها . وبينما كانت تقيم هنا مختلف القبائل والعشائر في جوار قريب ، اكتسبت أيضاً لهجاتهم قوة وفتوة ، ونشأت لغة

(١) يقدم كثيراً من النصوص : H. Kofier: WZKM (Wiener Zeitschrift für

Kunde des Morgenlandes) Band 47 - 49.

Wellhausen : a) Skizzen, 6, 51 ff. b) Reich 83

(٢)

بدوية مشتركة ، وضعت الأساس لعربية القرون المتأخرة الفصحى .
حقاً لم يكن ممكناً أن يبقى حد فاصل ، بين الفاتحين العرب والمغلوبين على أمرهم
من غير العرب ، قائماً على الدوام . لقد كانت توجد في جميع الأقاليم مناطق زراعية ،
لم يكن لأحد من السكان الأصليين عليها حق قانوني : الضياع الملكية للأسر المبعدة
من الحكم ؛ الأملاك التي انقرض ملاكها ؛ التركات التي هرب أصحابها أو نفوا ؛
إلى غير ذلك . هذه الضياع والأملاك احتازها ولاة الأمر في العهد الجديد على صورة
إقطاعيات . وهذه الطبقة السائدة ، من الملاك العظام ، كانت على اتصال دائم بالسكان
الوطنيين ، مهما كان هؤلاء — من حيث قلة العدد — أضعف من أن يؤثروا أثراً
ظاهراً في تكييف العلاقات اللغوية وتغييرها . بل لقد كانت أكثر من ذلك كثيراً
تلك الطائفة التي تلتحق بكل جيش عربي من غير العرب ، من العبيد ، والخدم ،
والتجار ، والطهارة ، الخ ، الذين كانوا يقدمون الخدمات المختلفة لسادتهم الجدد ،
ويخلقون بذلك مشكلة لغوية غير هينة . ومن هنا نشأت بالضرورة لغة التفاهم ،
لا يمكن أن نصورها بسهولة كافية إذا ضربنا لها مثلاً : *lingua franca* ،
أو *Pidgin - English* ، أو غيرها من اللغات المصطنعة لتقريب التفاهم عند
الضرورة ^(١) وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوي ،
فبسطت الحصول الصوتي ، وصوغ القوالب اللغوية ، ونظام تركيب الجملة ، ومحيط
المفردات ؛ وتنازلت عن التصرف الإعرابي ، واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال
الكلمة وتصريفها ، كما ضحت بالفرق بين الأجناس النحوية ، واكتفت ببعض
القواعد القليلة ، الثابتة في مواقع الكلام ، للتعبير عن علاقات التركيب .
وفي أي صورة كانت تصدر هذه اللغة الجديدة ؟ هذا ما تشير إليه قصة تاجر

(١) *lingua franca* اصطلاح أوربي يقابله في بلاد الشرق تعبیر : اللغة الافرنجية ،
وهي خليط من الكلمات الإيطالية والفرنسية واليونانية وغيرها ، يستعمله المشارقة في التفاهم مع
الأوربيين . و *Pidgin - English* اصطلاح على لهجة إنجليزية مبسطة محررة من القيود اللغوية ،
يجري التفاهم بها بين الإنجليز والأجانب . على الأخص في بلاد الشرق الأقصى . و *Pidgin*
كلمة محرفة عن : *business* الإنجليزية .

الدواب ، الذى باع جنود المسلمين دواب رديئة ، فاستنطقه الحجاج ، فأجابه :
« شريكاتنا فى هوازها وشريكاتنا فى مداينها وكما تجيء تكون » ؛ أى أن هذه
الدواب قد وصلت على ماهى عليه من رداءة من شركائه فى بلادهم بالأهواز
والمداين^(١) . ولم تكن أقل من ذلك عدداً تلك الجماعات غير العربية ، التى وقعت
فى الأسر فى أثناء حروب الفتح ، التى دخلت معسكرات الفاتحين وبيوتهم عبيداً
وإماءً ، فوجدت نفسها فجأة متغلغلة فى جو لغة عربية مشتركة ، واضطرت إلى
استعمال لسان السادة ولهجتهم . وفى هذا لقيت العربية على لسان غير العرب تغييرات
هددت بالمشح صورة وقعها وجرسها ، وطبيعة تكوينها وتركيبها فى الصميم .
وتفاصيل هذا التطور غير معلومة لنا ، بسبب انعدام أخبار المعاصرين . بيد أن عالم
التأليف المتأخر عن ذلك قد حفظ لنا مقداراً كبيراً من الأخبار عن الأخطاء اللغوية ،
التى وإن كان كل منها على التفصيل ليس بذى قيمة خاصة ، إلا أنها فى مجموعها
تؤكد نوعاً من الخصائص والسمات بصورة مستفيضة ، بحيث يجوز لنا أن نعتبرها
طابعاً مميزاً لهذا التطور . وهكذا نجد أن غير العرب يستبدلون بأصوات عربية معينة ،
أخرى أسهل عليهم ، بحيث كان العربى يدرك من ذلك التبديل ما إذا كان الناطق
فارسيّاً أو نبطياً . وقبل كل شيء ، نجد التعارض مع قواعد النحو والتصريف العربى
للأسماء والأفعال كثير الذكر فى الأخبار ، دليلاً على أن ترك التصريف الإعرابى كان
من أول السمات على الخطأ فى طريقة التعبير . هذا ، ولم تكن هناك لغة واحدة بين
اللغات التى التقت بها العربية فى عهد الفتح ، كانت محتفظة بنظام تصريفها ؛ ولهذا
كان من الشاق العسير على الأجانب الذين اضطروا إذ ذاك إلى استخدام العربية ،
أن يتابعوا القواعد والنظم المعقدة للنحو العربى القديم ؛ فأثروا التصريف بوساطة
أساليب التعبير النقربية ، التى اعتادوها فى لغاتهم الأصلية ، وحذفوا حركات
الإعراب الأخيرة . ومن المعلوم أن الروايات العربية تقرن أوائل النحو العربى

(١) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٦٨ ؛ ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٦٠ .

بأبى الأسود الدؤلى (المتوفى ٦٩/٦٨٩) ، الذى يقال إنه وضع أسس هذا العلم ، إما بدافع من نفسه ؛ أو بأمر من والى الأموى زياد بن أبيه ؛ أو بإرشاد من الخليفة على نفسه ، لحفظ لغة القرآن من الفساد ، على السنة الداخلين الحديثين فى الإسلام^(١) . وعلى الرغم من أن هذه الروايات المتفرقة المتضاربة غير تاريخية بالمعنى الصحيح ، فإنها تحتوى على إدراك عميق لأن اتحاذ المسلمين الجدد لغة العرب لساناً لهم كان هو الدافع الأول للملاحظات النحوية . وإلى أى حد كانت صعوبات التصريف الإعرابى هى الموجهة لقواعد النحو الناشئة ؟ هذا ما تدل عليه الاصطلاحات التى ترتب الظواهر اللغوية ترتيباً سطحياً بحتاً بالنظر إلى حركات وأخر الكلمات ، بقطع النظر عن اختلاف تأثيرها النحوى فهو ذا الخليل بن أحمد (المتوفى ١٦٠ ، أو ١٧٠ هـ) ، أقدم علماء النحو ، الذى أنقذت مصادفة سعيدة^(٢) اصطلاحاته ، يستعمل الرفع فى الاسم المضموم المنون ، وكذلك الخفض فى الاسم الجرور المنون ، والنصب فى الاسم المفتوح المنون ؛ على حين يسمى بقية الحركات العارية من التنوين فى الأحوال والصيغ المختلفة بأسماء الحركات العامة ، أى الضم والكسر والفتح ، كما أنه يسمى بالجر حركة الكسر التى تربط بين آخر الصيغة الفعلية وبين همزة الوصل^(٣) . ولا يوجد عنده ما يدل على تأثير النظرية القائلة بأن اختلاف حركات الكلمات المتصرفة متوقف على العامل النحوى ، إلا فى التفرقة التى جعلها بين التوقيف ، أى عدم الحركة فى أواخر الحروف وما شاكلها ، والجزم ، أى سكون الفعل الجزوم . وعند تلميذه سيبويه نجد التقسيم الثنائى إلى متمكن وغير متمكن ضمن الاصطلاحات التى ساقها . وهو يتوسع فى إطلاق الرفع والجر والنصب على

(١) الجمحى : طبقات ص ٥ ؛ ياقوت : لإرشاد ج ٤ ص ٢٨٠ ، ابن الأنبارى : نزهة ص ٣ — ١٣ ، ابن الأثير : المثل الدائر (١٢٨٢ هـ) ص ٧ . وقد ساق ابن قتيبة فى عيون الأخبار كلمة منسوبة لأبى الأسود فى اللحن .

(٢) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٣٠ وما بعدها .

(٣) عبارة مفاتيح العلوم (عن الخليل) : والجر ما وقع فى أعجاز الأفعال الجزومة عند

استقبال ألف الوصل نحو لم يذهب الرجل اه .

حركات أو آخر الكلمات غير المتصرفة^(١). ولكن لاتفرقة عنده ولا عند البصريين المتأخرين^(٢) بين الاسم والفعل المرفوعين ، والمنصوبين ، في تسمية الحركة ؛ والفعل الحالى يسمى المضارع ، أى المشابه للاسم فى تصرفه ؛ ولا توجد عنده اصطلاحات خاصة لأحوال الاسم ، وتغيرات الفعل ، بَلَّه تصرف الاسم والفعل بوجه عام . وإذا فالإعراب ، أى التعريب أو الاستعراب اللغوى ، بمعنى النطق على طريقة العرب الخالص ، يتجلى فى الدقة التامة فى مراعاة دقائق التصرف الإعرابى .

هذا ، واتخاذ العبيد والجوارى لإدارة المنازل فى العهد الإسلامى المبكر ، يجد ما يشبهه فى الدور الذى لعبه الرقيق من الزواج^(٣) بوجه خاص فى الجاهلية . فالمثل الذى نجده فى شاعر المعلقات « عنتره » وغيره من أغربة العرب^(٤) ، أى المنتمين إلى آباء من العرب وأمهات من زنوج أفريقية ، يدل على أن الزواج سرعان ما يصبغون ألسنتهم بلغة ساداتهم . ولا بد من أن يكون اختلاف الألسنة فى المدن التجارية ، لكثرة سكانها الأخطاط ، كما فى مكة مثلاً ، أقوى من ذلك كثيراً . وتحتوى آية ١٠٣ من سورة النحل ، فى الطور المسكى الثالث ، على إشارة عابرة إلى اللغة الأجنبية : « لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ » أى الرجل الذى توهمه أعداء محمد معلماً له . ومن أول حوارى الرسول يُعَدُّ بلال الحبشى ، أول مؤذن فى الإسلام . وهناك صحابى قديم آخر من صحابة الرسول : صُهَيْب بن سنان ، وهو وإن كان عربى الأصل إلا أنه اختطفه البيزنطيون فى طفولته فربوه ، ولذلك كان ينطق العربية بلسنة بيزنطية^(٥) . كما يروى عن معاصر ثالث للرسول : سُحَيْم

(١) سيبويه ص ٢ وما بعدها .

(٢) انظر أيضاً مفاتيح العلوم ص ٢٩ .

(٣) انظر فى هذا الموضوع : 44 B, Moritz : Arabien

(٤) نقاض جرير والفرزدق ص ٣٧٢ .

(٥) ابن حجر : لإصابة (١٣٢٨ هـ) ج ٢ ص ١٩٥ . ورواية الجاحظ (بيان ج ١ ص ٣٢)

أن صهيياً كان يقول : إنك لهائن ، يريد إنك لحائن ، تشير فقط إلى أن العرب قد لفت نظرهم فى اللهجة الرومية لإبدال الحاء هاء .

المشهور بعبد بنى الحسحاس ، الشاعر المشهور ، أنه كان يرتطن لكلمة أجنبية ، ولكن نظراً إلى أنه صار في عهد مبكر بطل رواية غرامية ، لم تعد التفاصيل التي تخبر عن لكنته النوبية أو الحبشية جديرة بالثقة^(١) . وعلى الرغم من ذلك فقد كان عدد أمثال هؤلاء الأجانب من القلة بحيث لم يكن لهم تأثير في طابع العربية . ولكن الأمر بالنسبة إلى أسرى الحروب في العهد الأول للفتوحات الإسلامية كان على صورة أخرى . فقد كان عدد هؤلاء وفيرا ، وأخذ في الازدياد ، إذ كانوا يتمتعون بحقوق النسب والمصاهرة ، وكان لهم أن يشتروا أنفسهم ، ويجروا رقابهم ، كما كان يعد قرابة إلى الله تحريرهم بالإعتاق . وقد تألفت من هؤلاء العتق أو الموالى ، بعد أجيال قليلة ، الطبقات الدنيا والوسطى من المجتمع الإسلامي ، وامتلكت العناصر الطامحة من هذه الطبقات زمام اللغة التي تنطقها الطبقة العربية العليا ، على حين بقي السواد الأعظم عند أسلوب لغوى دارج ، ظهرت فيه ، بوساطة ترك التصرف الإعرابي قبل كل شيء ، سمات من التطور إلى العربية المولدة . ومن هذه اللغة الدارجة في القرن الأول ، التي أخذت — كما يبدو — بعض الخصائص المحلية في المدن المختلفة ، نشأت اللهجات المتأخرة في المدن الإسلامية .

استمرت ممارسة العربية للغات العالم المحيط بها بضعة قرون ، خرجت منها تدريجاً بمحصولها الحالي . ففي بادئ الأمر ، قدمت العربية لأقاليم دولة الخلافة مجرد خيوط واهية في شبكة تتألف خيوطها الأساسية من التعبيرات المتعارفة لدى السكان الأصليين . وقد كانت قوة تلك الخيوط العربية موقوفة على قوة الجيوش العربية ، والإمدادات اللاحقة بها ؛ كما كانت تتناقص بوجه عام كلما ازداد البعد عن الوطن

(١) الجاحظ (بيان ج ١ ص ٣٢) يروى مثلاً لذلك قوله : سعرت ، بدلا من شعرت .
أغاني ج ٢٠ ص ٢ ، روى عنه : أحسنت بدلا من أحسنت . وعلى النقيض من ذلك روى عنه ابن قتيبة (الشعر والشعراء ص ٢٤١) وابن جنى في سر الصناعة كما في خزنة الأدب ج ٢ ص ٢٥٧ .
أحسنك ، بدلا من أحسنت ، أى أنه يصوغ الضمير المتصل للمفرد المتكلم على مثال اللغة الحبشية .
انظر في هذا :
Nöldeke, BSSW 21, Anm 2.

القديم . وقد هاجرت مع قبائل البدو ، الذين فتحت لهم غزوات الفتح مراعى جديدة لم تكن سعتها وعظمتها فى حسابان ، لهجاتهم ولحونهم حتى حدود الدولة . وإزاء هذا تمسك السكان الأصليون فى أول الأمر بلهجاتهم البالية . فقد كان الفلاحون ، الذين يسميهم الكتّاب المسلمون بالأنباط^(١) ، والذين كانوا يؤلفون فى المنطقة اللغوية الآرامية جمهور السكان الزراع ، ينطقون اللهجات الآرامية . وأمثال هؤلاء النبط كانوا يوجدون فى سورية ، على الرغم من أن هذا الإقليم كان قد شهد هجرة عربية قوية قبل الإسلام ؛ وفيما بين النهرين ، وفى الأرض الزراعية الخصيبة من سواد العراق . وكذلك فى المدن لم تتغير العلاقات اللغوية إلا بمقدار الزيادة التى أضافتها العربية الجديدة إلى ما فيها من تعدد الألسنة . وفى أى صورة من البطء أخذت العلاقات تتغير؟ يدل على ذلك الحقيقة الثابتة ، من أن اللغة اليونانية فى غربى الدولة ، والفارسية فى شرقها ، ظلتا قرنا كاملاً لسان الحكم والإدارة ، وحتى فى المدن الناشئة فى مواضع المعسكرات العربية ، كالبصرة والكوفة ، كان سيل العناصر الإيرانية من القوة بحيث كانت اللغة الفارسية تحتل مكان التصدر فى القرن الأول . وفى البصرة كانت أسماء الأمكنة المنسوبة إلى الأشخاص تحتّم عادة بمقطع : — آن^(٢) ؛ وهكذا كانت تسمى القطائع الكثيرة بأسماء أصحابها ، مثل : مهلبان ، أمّيتان (نسبة إلى أبى أمية) ، جعفران (نسبة إلى أم جعفر) ، عبد الرحمانان ، عبّيد اللان ويوجد بين أسماء القنوات الهامة بالبصرة صيغ ، مثل : خالدان ، طلحتان ؛ وأشهر الأمثلة من هذا النوع اسم : رباط عبّادان^(٣) . وفى الفرق العسكرية الساسانية التى انضمت إلى العرب ، بقيت الفارسية لغة الخدمة فى الجيش ، على حين كان

Nöldeke, 25,124 ff. (١)

Grundriss der iranischen Philologie I 2,176,Nöldeke L A 12,183 (٢)

(٣) أخذت هذه الأمثلة من الباب الخاص بتقسيم البصرة فى كتاب البلاذرى ص ٣٧٢، ٣٤٦

وفيه كثير غير ذلك . ومن هنا أيضاً أخذ ياقوت القائمة التى ذكرها فى معجم البلدان ج ١ ص ٦٤٥

ولا يمنع هذا من وجود تسميات عربية محضة مثل : السمارية (بلاذرى ص ٣٦٤) .

بعضهم ، ولا سيما الرُّط ، والسِّيابجة ، والأندغار ، يحملون أسماء قبائلهم الهندية ،
التي انتظموا منها في الجندية^(١) . وكان الفارس منهم يحمل اللقب الفارسي لمرتبه ،
وهو : أسوار^(٢) ، الذي جمعه العرب على أساورة ، ونسبوا إليه : أسواري . وفي
هذه الأوساط نشأ عميد الله بن زياد (حوالي ٣٠ - ٦٧ هـ) الذي صار فيما بعد والياً
على العراق^(٣) ، إذ كانت أمه مرجانة (مرجريت^(٤)) — ويدل الاسم على أن
أصلها غير عربي — قد تزوجت الفارس شيرويه^(٥) : Sheroë ، وسمح لها أبوه ،
رياد بن أبيه ، أن تحتفظ بطفلها معها ، ونشأ من ذلك أن عميد الله كان ينطق عربية
غير فصيحة^(٦) ، فيقال إنه كان ينطق الهاء بدلا من الحاء ، والكاف بدلا من
القاف — كما روى عن مولى لأبيه أيضاً ، وهو : « فيل » الغني ، أنه كان ينطق
الهاء بدل الحاء ، والهمز بدل العين^(٧) — وأنه (عميد الله) قال عن الأرض :
است الأرض ، وأمر الجنود يوماً فقال لهم : افتحوا (أي سَلُّوا) سيوفكم ؛ مما دعا
ابن مفرغ الشاعر أن يسخر منه بقوله :

(١) البلاذري ص ٣٧٥ وانظر أيضاً : (G. Ferrand El (Enzykl. des Islâm) IV, 214 & 1326

(٢) في البهلوية : asvâr وفي الفارسية الحديثة سفار وفي القواميس : أسفار . انظر : P.Horn Grundriss der neupersischen Etymologie 165 Nr 749

(٣) انظر : Zetterstéen El IV 1066

(٤) يرجع لفظ مرجان بوساطة اللغة الآرامية (مرجانيتا) إلى اللغة اليونانية .

انظر : Sachau على العرب للجوالبي ص ٦٥ .

(٥) Sheroë شيرويه بالعربية أحد الأسماء الكثيرة التي عالجها بالتفصيل Nöldeke في : Persische Studien I (SWA 16, 1) 4 ff. . وبما يدل على معرفة العرب بأن لفظ : شير معناه الأسد ، قول ابن منذر في رجل اسمه شيرويه : وسمى الليوث في الفارسية . (أغاني ج ١٧ ص ٢٧) . وكان القصر الذي بناه شيرويه المذكور لمرجانة ، يسمى بالفارسية : هزاردار أي ذو الألف باب (بلاذري ٣٥٩) .

(٦) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٣٢ ، وح ٢ ص ٢ ؛ ابن قتيبة : معارف (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١١٨ ؛ المبرد : كامل ص ٣٦٦ .

(٧) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٣٣ ؛ ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٥٩ .

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكل أمرك للضياع^(١)

ويروى أن معاوية أوصى زياداً ، الذي كان خطيباً مفوهاً^(٢) ، أن يصلح من لسان ابنه ؛ وإن كان روى أيضاً أنه عندما ذكر لمعاوية لحن عبيد الله (مع أنه ظريف) ، أجب بأنه يجد لحنه (على التورية) أظرف^(٣) .

وحياة ابن مفرغ^(٤) الأنف الذكر تقدم دليلاً آخر على الدور الذي لعبته اللغة الفارسية بالبصرة . ذلك الرجل الذي عدّ نفسه — دون حق — من الحميريين ، والذي نسبت إليه تبعة أسطورة « تبع^(٥) » ، صحب سنة ٥٦ هـ^(٦) عباد بن زياد إلى خراسان ، ولكنه وقع معه في خصومة ، فأخذ يحقر أسرة زياد منذ ذلك الوقت في أشنع صورة ، وكانت البصرة جمعاء تنغني بهجائه . وبعد عناء طويل استطاع عبيد الله بن زياد أن يضع عليه يده . وكما تجمع الروايات^(٧) ، أمر هذا بجر ذلك الأثيم عقاباً له في ثياب مهلهلة ، مشدوداً إلى هرّة وخنزيرة في قرآن ، ليسير في طرق المدينة (البصرة) على هذا النحو . وقد ذكر أيضاً أنه كان من الضروري أن صبيان الأزقة تجمعوا خلفه ، ساخرين من حالته المزرية ، وهم يسألونه بالفارسية :

(١) الجاحظ : بيان ح ٢ ص ٢ ؛ ابن قتيبة : ج ١ ص ١٦٥ . ويرى صاحب الأغاني أن الشعر قيل في أخيه عباد بن زياد وفي أبيها .

(٢) كانت لخطبته التي افتتح بها ولايته على البصرة شهرة واسعة ، انظر : Wellhausen Das arab. Reich S. FF . وقد ذكر الرواة بعد ذلك اسمه مقترناً بأوائل النحو العربي ، (ابن الأنباري : نزهة ص ١٢ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٤ ص ٢٨٠) ، كما رويت أخبار جمّة عن دقة إحساسه في الأمور اللغوية (الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ و ج ١ ص ٢٦ ؛ ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٥٩ ؛ القلقشندي ج ١ ص ١٦٩ ؛ الجهشيارى : الوزراء (BAHGI) ص ٢٢ ، وإن كانت مثل هذه الأخبار حموية أيضاً عن الحسن البصري .

(٣) القالي : أمالي ج ١ ص ٥ ؛ ابن دريد : ملائح ص ٦ ؛ ابن الأنباري : الأضداد (القااهرة ١٣٢٥) ص ٢٠٨ ؛ عبد القادر : خزانة ج ٣ ص ١٤ الح .

(٤) انظر : A. Ebermann : Die Perser unter den arabischen Dichtern der Umayyadezeit OLF 30, 1149

(٥) أغاني ج ١٧ ص ٥٢ .

(٦) Zambaur, Manuel de généalogie 4 F

(٧) أغاني ج ١٧ ص ٥٦ ؛ ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ٢١٠ ؛ الطبري : تاريخ ج ٢ ص ١٩٢

ابن حبيست : ما هذا ؟ وأنه أجابهم بالفارسية أيضاً : آب أست ، نبيذ أست ،
عُصارة زيبب أست ، سُمِيَّةُ رُوسِي (١) أست ؛ أى هذا ماء ، ونبيذ ، وعصارة
زيبب ، وسمية البعبي (يعنى بها الخنزيرة) .

وكما يشهد البلاذري (٢) ، كانت توجد في البصرة جالية أصبهاانية يرجع أولها
إلى صدر العصر الإسلامي . وزيادة على هذا جمع عبيد الله بن زياد سنة ٥٤ هـ فرقة
من الرماة مكونة من ألفي رجل من بخارى ، وجعل البصرة مقراً لهم (٣)

ولم يختلف عن ذلك كثيراً أمر العلاقات اللغوية بالكوفة . فقد قامت هذه
المدينة في منطقة كانت تتلاقى فيها اللغات الآرامية ، والفارسية ، والعربية من قديم .
كما أن الخيرة الواقعة على مقربة منها ، والتي كانت بها — في نظر العرب — سُدَّة
إمارة اللخمين ، كانت قبل الإسلام مصدر انتشار مسيحية الآراميين ، وثقافة
الساسانيين ، بين قبائل البدو في السهول السورية العربية المجاورة . وقد أخذت
الكوفة المؤسسة حديثاً سنة الخيرة ، فسارت على منوالها القديم ، وازدهرت وشيكا ،
على حين تراجع الخيرة إلى الورا . وكما كان للبصرة أساورتها ، فقد كانت في
الكوفة بقايا الجيوش الساسانية التي انضمت إلى العرب ، وأخذت تجاهد تحت
راية الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وبناءً على خبر (٤) للمؤرخ الكوفي « مسعر بن
كدام (٥) » عقد أربعة آلاف فارس من جند شاهنشاه الذين قاتلوا تحت قيادة
رستم في القادسية ، أمانا مع سعد بن أبي وقاص ، يخوّلهم حق النزول حيث أحبوا ،
ومخالفة من أحبوا من العرب ، ويفرض لهم في العطاء . وقد اختاروا الكوفة

(١) روسي : رويت في إلخزانة ، على حين يذكر في الروايات الأخرى : روسفيد (بيضاء
الوجه) انظر في هذا : Nöldeke : Das iranische Nationalepos S. 91 Anm. 2

(٢) ص ٣٦٦ .

(٣) ساق أدلة على تكوين هذه الفرقة : De goeje BGA V, XVI . وانظر ياقوت :
معجم البلدان ج ١ ص ٥٢٢ ، وابن قتيبة : عيون ج ١ ص ١٢٢ .

(٤) بلاذري ص ٢٨٠ .

(٥) توفي ١٥٢ هـ انظر ابن قتيبة : معارف (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١٦٥ .

مقرّأ لهم ، وسموا^(١) ، باسم تقيهم « ديلم » : حمراء ديلم . أما في سورية ، حيث ساق زياد جماعة منهم بأمر معاوية ، فكانوا يسمون الفرس فقط ، كما أن زياداً نقل آخرين منهم إلى البصرة ، ونظمهم في صفوف الأساورة .

وكما حصل في البصرة ، كان يرد على الكوفة أيضاً سيل من التجار والصناع وغيرهم ، سرعان ما كونوا مع أسارى الحرب ، الكثيرى العدد ، ذوى الأصل الفارسى ، أغلبية السكان ، فصارت لغة التفاهم السائدة هي الفارسية . وقد كشف الجاحظ النقب عن مدى تأثير هذه اللغة في الجيوش العربية ، بما أورده من ألفاظ معرّبة في لهجة الكوفة^(٢) . فهو يذكر أن الكوفيين يقولون : خيار ، بدلا من قِثَاء ، باذروج ، بدلا من الحوك (البقلة الحقاء ، الرحلة) ، وِيْدِي^(٣) ، بدلا من مجذوم . وإذا كانت كل سوق بالكوفة تسمى : وازار ، فإن هذا النطق المطابق للفارسية القديمة (على عكس : بازار في الفارسية الحديثة) يدل على التاريخ البعيد القدم لاستعمال الألفاظ الفارسية . وفي الكوفة أيضاً يعبر عن المسحاة بلفظ : بال . وهي في الفارسية الحديثة : بِل^(٤) . وكان الناس في الكوفة يفهمون من كلمة : جَهَارْسُوك — وهي بالفارسية الحديثة : جَهَارْسُو — سوقاً على مقطع طريقين (وتسمى في البصرة : مَرْبَعَة) .

(١) كانت هذه التسمية سبباً في الالتباس ببلاد الديلم ، فقد ذكر بعضهم (البلاذرى ص ٢٨٠) أن أساورة الكوفة كانوا يرابطون على حدود الديلم ، وبعد الاستيلاء على قزوين (أى في سنة ٢٤ هـ) انضموا إلى صفوف المساهين كما انضم إليهم أساورة البصرة في مثل هذه الأحوال . أما المدائني فيرى (البلاذرى أيضاً في الموضع المذكور) أن جيش رستم الذى انضم إلى سعد بن أبى وقاص ودخل في الإسلام في حروب المدائن بعد ما استولى على جلولاء واستوطن الكوفة ، كان مكوناً من أعقاب أربعة آلاف أسير استرقهم برويز في حروبه مع الديلم . ونقل البلاذرى عن أحد العلماء أن معنى الحمراء هو « النجم » .

(٢) البيان ج ١ ص ١٠ ، وانظر أيضاً ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣٨ .

(٣) في القواميس الفارسية : فيدى .

(٤) يرى Horn في Grundriss der neupersischen Philologie :

أن ييل bel نشأ من : بال bal الموجود في بعض اللهجات ، بطريق الإمالة ، على حين يذكر في : Grundriss der iranischen Philologie أن كلا اللفظين مثال للتبادل بين à ، é في الفارسية الحديثة . وقد قسر لفظ : معبدة في شرح أشعار الهدليين ص ١٣٥ بلفظ : بال .

ولم يقتصر نفوذ اللغة الفارسية على العراق ، حيث برز بطبيعة الحال في أقوى مظهر ؛ ولكنه كان لافتاً للأنظار أيضاً في الوطن العربي القديم . فقد كانت تسير منذ قديم قوافل التجارة الفارسية بين مدن الثغور في الجزيرة العربية ، كما جاء في غزوات الفتح عدد كبير من أسرى الحرب الإيرانيين إلى الحجاز بوجه خاص . والجاحظ أيضاً هو الذي لاحظ ^(١) التأثير اللغوي للجالية الفارسية القديمة في المدينة وما حولها من البلدان العربية . وطبقاً لما ذكره كان المدنيون يستعملون كلمة : خَرَبُوز الفارسية (المعربة إلى خِرْبُز) بدلا من : بطيخ ، ورُودَق ، بمعنى منتوف الوبرة ، بدلا من سَمِيط ، و : أَشْتَرَنْج ، بدلا من : شَطْرَنْج ، و : مَمْرُوز ، بدلا من : ممصوص ؛ أي هزيل . والأول من هذه الأمثلة اصطلاح تجاري ، على حين يتصل الثاني بالمطبخ ؛ إذ يقول صاحب برهان قاطع ^(٢) : إن رود أو رُودَه كاللفظ العربي : سَمِيط ^(٣) ، كلها بمعنى حيوان (حمل أو طائر) ينتف و بره أوريشه قبل قلبه ، وبعد أن يسلق في ماء حار لهذا الغرض . واللفظ الثالث : أَشْتَرَنْج (دون شكل عند الجاحظ) ، يدل على أنهم في المدينة لم يعبروا عن اللعب المعروف بكلمة : شَطْرَنْج ^(٤) المعربة عن شترنج الفارسية — رجعت الصيغة العربية : شَطْرَنْج ، إلى فارسية الكتابة الحديثة ، وغلبت تقريبا على كلمة : شَتْرَنْج الفارسية — بل تمسك المدنيون في هذا المعنى بالنطق السائد عند الدوائر الفارسية بالمدينة : أَشْتَرَنْج . أما أنهم اتخذوا طريقة التعبير الفارسي هنا وهناك ، حتى في الألفاظ العربية الفصيحة ، فهذا ما يتضح من المثال الرابع : مَمْرُوز ، بدلا من ممصوص ، حيث يستعاض عن الصاد الصعبة النطق على اللسان الفارسي ، بالزاي ^(٥) مع قليل من الإدغام في الميم . وأخبار الجاحظ هذه عن

(١) بيان ج ١ ص ١٠ .

(٢) انظر في مادة : رود : Vullers Lexicon Persico - Latinum وفعل : رودان بمعنى : تنف ، لم يزل باقياً في الفارسية — اليهودية ، انظر : Horn, Grundriss S. 258 Nr. 628

(٣) انظر : سمييط في قاموس Lane .

(٤) يضبطه الترمتون في اللغة : شطرنج على وزن فعلل ؛ انظر الحيرى : درة الغواص ١٣١ .

(٥) انظر : H. Schuchardt - Brevier S. 57. F

العناصر الفارسية في اللهجة العربية لمدينة ، تنطبق على القرن الأول للهجرة ، إذ أنه في ذلك الوقت وردت كلمة : روذق ، الآنفه — وإن لم يكن في المدينة — في البيت التالي لجرير (المتوفى سنة ١١٠ هـ) وهو في نقائض جرير والفرزدق ص ٨٤٥ س ١٠ :
لاخير في غضب الفرزدق بعدما سلخوا عجناك سلخ جلد الروذق^(١)
ويصدق هذا أيضاً على الشطرنج واصطلاحاته الفارسية على طول الخط ، فقد صاغ العرب مفرداً لكلمة : بياذق ، التي أخذوها على أنها جمع حسب شعورهم ، فقالوا : ببيذق ، تماماً على نمطهم في صوغ مفرد : فردوس ، لفراديس الذي حسبوه جمعاً . وقد استعمل الفرزدق كلمة ببيذق في معناها ، وكان يعرف قاعدة اللعب ، من أن البيذق يتقدم إلى الرقعة الأخيرة فيتحول إلى وزير : نقائض جرير والفرزدق صفحة ٧٨٧ سطر ٦ :

ونحن إذا عدت تميم قديمها مكان النواصي من وجوه السوابق
منعتك ميراث الملوك وتاجهم وأنت لدري ببيذق في البياذق^(٢)

وكذلك استعمل جرير نفس اللفظ للدلالة على شيء تافه القيمة ، وذلك في بيت يرمى فيه جعنين ، أخت الفرزدق — مع الإشارة إلى مهر المثل — بأنها لم تأخذ مهراً معيناً في عقد النكاح : نقائض ص ٨٤٥ س ١٥ :

سبعون والوصفاء مهر بناتنا إذ مهر جعنين مثل حر البيذق

كما أن استعمال كلمة : ببيذق ، أيضاً ، بمعنى رجل قصير القامة^(٣) ، يرجع إلى

(١) فسر لفظ : روذق في المرح مرة بالحمل ثم بالجلد السلوخ . ولما كان المعنى الثاني غير ظاهر من السياق رجح Bevan الأول ، وصواب التفسير هو : حمل منتوف الوبرة بعد سلقه . وانظر أمثلة أخرى للألفاظ والمجل الفارسية ذكرها Bevan في النقائض : Glossar S. 612
(٢) انظر : Gildemeister, L D M 628 (1844) 693

(٣) أغاني ج ١٢ ص ٢٠ وعبارته ... قال حدثني محمد الراوية المعروف بالبيذق (بالذال لا بالذال) وكان قصيراً فلقب بالبيذق لقصره وكان ينشد هارون أشعار المحدثين وكان أحسن خلق الله إنساناً اه بقى أن يعرف هل هو البيذق الذي زار يزيد بن عبد الملك ؟ ربما كان غيره وإلا فإن هذا عاش في القرن الثاني . وقد سمي بالبيذق أيضاً أبو بكر بن علي الصنهاجي الذي ذكر حديثه عن أستاذه المهدي في : Lévy-Provençal, Documents inédits d'histoire

القرن الأول ؛ فقد كان هذا اللفظ يطلق لقباً على مغنّ وقارىء مدني ، زار^(١) في أواخر حياته الخليفة يزيد بن عبد الملك (حكم ١٠١ — ١٠٥ هـ) . وهذا الكشف — عن قدم استعمال لفظ : شطرنج ومترقاته حتى القرن الأول — يتفق تماماً — كما يلاحظ بهذه المناسبة — مع قول الفقهاء الإسلاميين إن مسألة تحليل لعب الشطرنج في الشريعة كانت موضع البحث لأول مرة في عهد الطبقة الثانية ، بعد محمد [صلى الله عليه وسلم] ، أي طبقة التابعين . نعم هناك عدد من الأحاديث المروية عن الرسول في تحريم^(٢) اللعب (المذكور) ، ولكن النقاد المسلمين تبينوا عدم حتمتها ، ولم يؤخذ واحد منها ضمن المجاميع^(٣) المعتمدة .

وفي مصر ، كانت القبطية هي اللغة التي اصطدمت بها العربية . وقد بقيت لغة الفاتحين هنا أيضاً كما في العراق — مقصورة بادىء ذي بدء على المعسكرات كالفسطاط قبل كل شيء ، وعلى المناطق التي اختارتها القبائل العربية ، لتكون مراعى لسوامهم . وكان للحقيقة الثابتة ، من أن أغلب المهاجرين العرب قد تجمعوا من قبائل يمنية الأصل ، أثر حاسم في التطور اللغوي بهذا الإقليم . وقد بقيت اللغة اليونانية بادىء الرأى هي اللغة الرسمية . ولم تدخل العربية في دوائر الإدارة إلا في سنة ٨٧ هـ . بيد أنها لم تستو على سوقها إلا في أوائل القرن الثاني . وقد ظل الجمهور الأعظم من السكان متمسكاً بالقبطية ، كما أن النسبة المتوية للأقباط في المدن كانت جدّ كبيرة . ولكن بينما أثرت الفارسية في عربية العراق تأثيراً بعيد المدى ، وكثرت في اللغة العربية الفصحى الألفاظ الفارسية المعربة بصورة ملحوظة ،

Almohade p. 50 - 133 كما ذكر ياقوت أيضاً في معجم البلدان مكاناً اسمه : « شاهيدق »

في بيت من الشعر لعبد الله بن أبي عوف الخزازي (معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٤) .

(١) أغاني ج ١٣ ص ١٦٣ .

(٢) انظر ابن قتيبة عيون ج ١ ص ٣٢٣ .

(٣) انظر المتقي : كثر العمال ج ٧ ص ٣٣٢ ؛ ابن حجر : إصابة (القاهرة ١٣٤٧) ج ١

ص ٣٨٩ ؛ لسان الميران ج ٢ ص ١٦٦ ؛ ابن الديبع : تمييز الطيب (القاهرة ١٣٤٧) ص ١٦٨ .

وانظر النووي في ابن الديبع في الموضوع السابق .

كان أثر القبطية في اللهجة العربية جد ضئيل^(١). وقد أراد بعض العلماء أن يعزو أسباب ذلك إلى الطابع القبطي القومي^(٢)؛ ولكن بقي علينا أن ننظر فيما إذا كان تعذر كشف أثر اللغة القبطية في عربية التفاهم في أثناء القرنين الأولين راجعاً إلى طبيعة مصادرنا. فلو أن مصر منيت بكاتب مثل الجاحظ الذي أواع بتصوير مستوى الطبقات الدنيا والوسطى بين سكان المدن في القرن الثاني، ربما كان أفادنا أن العلاقات اللغوية في الفسطاط القديمة لم تختلف كثيراً عنها في البصرة والكوفة. حقاً لقد تم تعريب مصر (احتلال العرب لها) بصورة أسرع وأعمق من العراق؛ ففي القرن الثاني كانت قبائل عرب الشمال قد هاجرت إليها وفق نظام مرسوم، كما يبدو أن تكاثر الدخول في الإسلام قد ازداد بقوة في نفس الوقت، بعد أن كان لا يتقدم في القرن الأول إلا في حدود معتدلة، بحيث رجحت كفة العربية في القرن الثالث، على حين تراجعت القبطية إلى سهول الريف حتى تلاشت^(٣) تماماً في القرن السادس.

والهوية الواسعة التي كانت تفصل بين الطبقة العربية الحاكمة، وبين الجماهير الغفيرة من رعاياها حتى سقوط الدولة العربية سنة ١٣٢/٧٥٠، لم يكن أبعد أثراً في اقتحامها والتغلب عليها من التسرى واقتناء السادة العرب للسراري والجواري، فإن النظرية التي ترجع إلى عهد الوثنية العربية، والتي تبيح لمالك الأمة أن يعاشرها معاشرة الأزواج، قد احتفظ بها الإسلام، فصار سنة متبعة، أن يجد الأسارى من النساء مدخلاً إلى حرم ساداتهن، وهكذا سرعان ما نشأ، حتى في بيوت السادة العظام من العرب، جيل بين أمهاته كمثيرات من غير العريبات. وكان لا بد أن يترك ذلك أثراً بعيد المدى في العلاقات اللغوية، فإذا كانت الأجنبية اعتدن الدخول إلى

(١) انظر: K Vollers, ZDMG 50 - 653-6 Littmann ebd, 56, 681 - 4,

Spiegelberg Zf Sem. 4, 61 f, EI II 1046 f.

Vollers a, a, O,

(٢)

G, Wiet, EI, Qibt, J. Simon, ZDMG, 90, 44, f

(٣) انظر:

حرم الدوائر العليا ، وإذا كانت هذه الدوائر العليا تعتمد على غير العرب أيضا في خدمتها ورعاية شئونها الدنيا ، فلا جرم أن تأخذ الشيبية الناشئة — تحت تأثير هذه العلاقات — شتى الظواهر اللغوية من لغة التفاهم الدارجة التي كانت غريبة عن العربية . ولقد كان النسل الناتج من غير الحرار موسوما في نظر المجتمع بميسم عدم الكفاءة في المولد ، ولكن القانون الإسلامي يعدهم أحراراً ، ويسوى بينهم وبين إخوتهم من الحرار في الملك والميراث . أما أن هؤلاء الأبناء ، غير الأكفاء في المولد ، قد سمو إلى مراتب رفيعة ، على الرغم من تأخر رتبتهم بحسب المولد ، لمناقبهم الشخصية ، أو لمواتاة الفرص والأسباب ، فهذا ما يؤيده مثال أبناء سُمَيَّة ، فقد كانت أمهم جارية فارسية^(١) أو بيزنطية^(٢) الأصل — كما جاء في الروايات — أهديت إلى سيدها الحارث بن كلدة الطيب . وعند ما حاصر محمد (صلى الله عليه وسلم) الطائف في السنة الثامنة للهجرة ، ووعد^(٣) كل من ينضم إليه من أهلها ، سواء كان حراً أم عبداً ، الحرية ، صمم أحد أبنائها ، وهو أبو بكر^(٤) نَفِيع ، أن ينحاز إلى الرسول ، فصار معدوداً من مواليه منذ ذلك الوقت . أما أخوه نافع^(٥) فقد ركن إلى الحارث بن كلدة وبقي عنده ، فأعلن الحارث حرّيته و بنوته ، كما اعترف أيضا بنسب أزد^(٦) بنت سمية . وأزدة هذه تزوجها عتبة بن غزوان مؤسس البصرة . هذا الزواج فتح لإخوتها — كان هناك ثالث لأبي بكر ونافع ، هو زياد المولود سنة ٨ هـ — طريقاً إلى المجتمع الراقى ، فقد تبعوا أختهم إلى البصرة ، وامتلأوا ضياعاً عظيمة ، ولعبوا دوراً هاماً^(٧) بعد ذلك بقليل في المجتمع . وكما هو معلوم ، رقي

- (١) ابن قتيبة : معارف ٩٧ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٩٥٢ (عن ابن الكلبي) ؛ انظر أيضاً شعر ابن مفرغ (أغاني ج ١٧ ص ٦٥) .
 (٢) عوانة (كما ذكره ابن حجر : إصابة ج ٤ ص ٣٤٠) .
 (٣) ابن هشام ص ٨٧٤ ؛ واقفي ص ٣٧١ (Wellhausen) ؛ سهيلي : الروض ج ٢ ص ٣٠٤ .
 (٤) ابن سعد ج ٧ قسم ١ ص ٨ وما بعدها .
 (٥) ابن سعد ج ٧ قسم ١ ص ٤٩ ؛ البلاذري ص ٣٥٠ ، يحيى بن آدم (طبع ١٣٤٧ هـ) ص ٧٨ .
 (٦) ابن قتيبة : معارف ص ٩٧ .
 (٧) البلاذري ص ٣٤٣ .

زيداً أعلى المناصب . وأخيراً اعترف به الخليفة معاوية بن أبي سفيان أخاه من أبيه . ولم يكن معاوية ليقدم على ذلك لو لم تكن أبوة أبي سفيان له — على الأقل —
أمراً ظاهراً . أما أن سمية كانت عاهراً ، فهذا أمر قد تقرر — على أقل تقدير —
في أبيات ابن مفرغ^(١) ، التي كانت تفقد مغزاها لو أن الإخوة الثلاثة نسلوا
من نكاح صحيح .

كذلك يحتاط الغموض أصل أسرة أخرى من العهد الأموي : أسرة المهالبة .
ويريد أبو عبيدة^(٢) الذي كان يتتبع بحرارة جمع كل المثالب عن المجتمع العربي ،
أن يعلم أن أبا المهلب كان نَسَاجاً^(٣) فارسياً ، وهاجر من جزيرة حارَك Harak
في الخليج الفارسي إلى عُمان ، وهناك انتقل من الجوسية إلى الإسلام^(٤) ، مغيراً
اسمه^(٥) إلى أبي صُفْرَةَ ، وصار سائس خيل عثمان بن أبي العاص الثقفي ، الذي
هاجر معه أخيراً إلى البصرة . وليكن باقياً بعدُ بيان مبلغ هذه الأخبار من الصحة ،
فحسبنا نحن فيما يتعلق بوجهة نظرنا ، أن دعوى أن المهالبة يجري في عروقهم دم فارسي
قد لقيت تصويباً وتأكيداً في الأبيات التي هجاها كعب بن الأشقر^(٦) يزيد بن

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢١٣ ؛ أغاني ج ١٧ ص ٦٠ ؛ ابن خلكان : وفيات
ج ٣ ص ٢٢٣ ؛ خزائن الأدب ج ٢ ص ٥١٦ ، وانظر : Nöldeke im Islam 14,132
(٢) ابن رسته (BGA VII 205) ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٧ .
(٣) يسم العرب النساجين وكل ذوى صناعة يدوية بـ«سم الضعة» (G, Jacob, Altarab, Beduinen leben S, 150 f)
ولكنه لم يرو في الجامع المعتمد (انظر ابن حجر : لسان الميزان ج ١ ص ٤٤٢ ، ج ٣ ص ١٤٤ ،
ج ٤ ص ١٣١ ، ص ٢٤٩) .

(٤) سماه أبو عبيدة : بسخرة بن بهبودان . وكلا الاسمين موجودان في شعر كعب بن الأشقر
كما ذكره ياقوت في معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٧ على حين يذكر في الأغاني (ج ١٣ ص ٦٤)
في نفس البيت : مرداء وفسخراء . ويذكر التعليق في الصحيفة المذكورة أن هذين الاسمين لأبي
أبي صفرة وجده . انظر أيضاً : Marquart, Festschrift, E, Sachau .
(٥) مثل هذا التغيير تجده في : Goldziher, Muh Studien I, 133Anm 2 .
وفي الخطيب : تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٨٢ .

(٦) أغاني ج ١٣ ص ٦٤ (أربعة أبيات) ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٧ (البيتان
الثاني والثالث) مع تغيير كثير . وبوجد البيت الأول أيضاً في ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٩٣٣
مع تغيير كثير أيضاً ، وفي البلاذري ص ٤٢٦ .

المهلب . ولا تستطيع تغطية ذلك شجرة^(١) النسب الفاخرة ، التي عُتبت الأسرة بتأليفها بعد ذلك .

وفي المدينة برز أبناء الإماء في النصف الثاني من القرن الأول . فقد كان عليّ زين العابدين (٣٦ — ٩٤ هـ) من حفدة عليّ ، والقاسم بن محمد من حفدة أبي بكر ، وأخيراً الفقيه الضليح سالم بن محمد (المتوفى ١٠٦ هـ) من حفدة عمر ، كان هؤلاء جميعاً غير أكفاء من جهة الولادة ، بيد أنهم لعبوا دوراً رئيساً في المجتمع . وكما يرى الأصمعي ، أسهموا بقسط عظيم — بوساطة مناقبهم الشخصية — في تغيير^(٢) رأى المجتمع في أبناء الجوارى . بل لقد أمكن في ذلك الوقت ، حتى في أسرة عريقة في الوثنية ، كأسرة « أبي لهب » الملعون في القرآن ، أن يفخر^(٣) أحد أعقابها من غير الأكفاء : الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب — وكانت جدته حبشية^(٤) بانتسابه إلى عبد مناف . وقد ظل بيت الخلافة الأموية أحرص البيوت ، وأطولها أمداً — بصورة نسبية — في الاحتفاظ بمثل الجاهلية الأعلى من نقاء الدماء . وها هو ذا مسامة بن عبد الملك (٦٣ — ١٢٠ هـ) بقي^(٥) مبعداً عن عرش الخلافة لأنه من أولاد الجوارى نعم لقد ولى الخلافة يزيد الثالث ، وهو ابن جارية صُغدية^(٦) من الأسرى ، سنة ١٢٦ هـ ؛ ولكن الفضل في هذا راجع إلى ثورة نشبت ، كما أنه حصل قبل سقوط الدولة العربية (الأموية) نهائياً بسنوات قليلة .

(١) ابن سعد (VII, 1, 71) أغاني ج ١٨ ص ٨ ؛ المسعودي (تنبيه BGA VIII) ص ٣٢٠ ؛ ابن حجر : إصابه ج ٤ ص ١٠٨ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب (على هامش ابن حجر) ج ٤ ص ١٠٩ .

(٢) ابن قتيبة : عيون ج ٤ ص ٨ .

(٣) أغاني ج ١٤ ص ١٧٨ يضاف إلى هذا : Vollers Centenario Michele Amari 1,88 وقد رجع هذا إلى : الفضل : الفاخر ص ٤٣ ، ابن حجر : فتح الباري ج ١١ ص ٦٢ وغير ذلك .

(٤) أغاني ج ١٥ ص ٢ .

(٥) El, 3, 454 .

(٦) Wellhausén Das arab. Reich 226

بل كذلك طبيعة الحياة البدوية لم تبقى بعيدة غير متأثرة بالمؤثرات اللغوية في من
الأجنبية . وهذا هو الحجاج يهدى جريراً ، لأول زيارة له بالعراق ، جارية^(١) نفيس
من الرى ، ولدت للشاعر كثيراً من الأولاد ، كما تغنى بها في أشعاره . وفى وسعنا وأنه
أن نشق بالرواية التي تحدثنا عن عيوب في تعبيرها ، مهما تكن الجملة التي قيلت على
لسانها مخترعة^(٢) . وهذا ابن ميادة يقدم لنا مثالا آخر في الجيل التالى لذلك ؛ ويعده
بعض النقاد آخر من يحتج به من شعراء البادية . وقد أهداه الخليفة الوليد بن يزيد
(١٢٥ - ١٢٦ هـ) جارية من طبرستان ، كانت كاملة من جميع الوجوه ، ما عدا فقد
لمحتها العربية ، فقال ابن ميادة فيها :

بأهلى ما ألدك عند نفسى لو أنك بالكلام تعرّينا
كأنك ظبية مضغت أراكا بوادى الجزع حين تبغميننا^(٣)

وفى الثلث الأخير من القرن الأول ، كان قد أخذ نمو العربية المولدة ، التي
تكونت من العوائد اللغوية الراجعة إلى اللهجة الدارجة فى مناطق العربية القديمة ،
حدّاً لم تتوقف فيه الأخطاء اللغوية عن الظهور ، حتى فى الدوائر الأولى من المجتمع
العربى . لقد صار منذ زمن طويل غير مفهوم طبيعة الحال أن يتعلم أولاد هذه الدوائر
الأولى ، من المحيط الذى هم فيه ، عربية جيّدة . وقد كانت هذه التجديدات تعدّ عند
العرب الذين كانوا ذوى إحساس دقيق منذ القدم ، بجمال لغتهم ، خطأ لغويًا (لحنا^(٤)) .
ولهذا قامت بينهم حركة رجعية ضد فساد اللغة ، ونشأ من ذلك فى أواخر القرن
الأول (السابع الميلادى) مبدأ «تنقية اللغة العربية» الذى حمل راية المحافظة على خلوص
اللغة . وهنا أيضاً برهن الأمويون على أنهم حماة المبادئ العربية القديمة . فقد روى
أن عبد الملك (حكم ٦٥ - ٨٦ هـ) كان يحذّر أبناءه من اللحن ؛ فإن اللحن

(١) المراد ص ٣٠١ .

(٢) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٢٢ ، ج ٢ ص ٣ .

(٣) الأغاني ج ٢ ص ١١٢ .

(٤) انظر المحقق فى خاتمة الكتاب .

فغوية في منطق الشريف أفصح من آثار الجدرى في الوجه ، وأفصح من الشق في ثوب
(١) نفيس (١) . ويروى أن هذا الخليفة لم يكن يستعمل (٢) صيفاً ملحونة حتى في المزاح ؛
عنا وأنه كان يقدر الدقائق اللغوية حق قدرها ؛ فحينما غير الشاعر الخارجي أبو المنهال
على عتيان بن وصيلة بينته :

« ومنا أمير المؤمنين شبيب » إلى : « ومنا أمير المؤمنين شبيب » ، نال على
هذا التغيير في الجواب استحسان الخليفة حتى أطلق سراحه (٣) . وعلى الرغم من ذلك
فقد روى أنه أهمل (٤) تأديب ابنه الوليد (حكم ٨٦ — ٩٦ هـ) ، ولذلك رويت
في أخطائه اللغوية شتى الروايات اللاذعة (٥) . وعلى النقيض منه تأدب سليمان
ابن عبد الملك (حكم ٩٦ — ٩٩ هـ) أدبا رفيعا ؛ وكان يحسن (٦) الإشادة بقيمة
الجمال اللغوى ؛ كما روى عنه أنه قال في المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ،
أحد أشرف قريش ، ساخراً منه : « المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث يفخّم اللحن
كما يفخّم نافع بن جبير الإعراب » . وكذلك كان أخوه مسleme رفيع الثقافة ؛ وكان
يكبره عمرو بن مسلم ، أختنبة بن مسلم ، لأنه كان يلحن (٧) في كلامه ؛ كما روى أنه
كان يمقت السائلين الذين يلحنون (٨) في لغتهم . وكان عمر الثاني (ابن عبد العزيز)

(١) البلاذرى (آلورد) ص ٢٦٠ ؛ الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ ؛ ابن قتيبة : عيون
ج ٢ ص ١٥٣ .

(٢) الزجاجي : أمالي (طبع ١٣٤٢ هـ) ص ١٤ فما بعدها .

(٣) ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ج ١ ص ٣٩٩ ؛ الدميرى (١٣٤٨ هـ) ج ٢ ص ٢٦١
وكثيراً ما تساق أبيات هذا الشعر دون تسمية قائله ؛ ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٥٥ ؛ ياقوت :
إرشاد ج ١ ص ٢٥ ؛ البيهقي : محاسن ص ١٤١ الخ .

(٤) المرزباني : موشح ص ٢١٧ .

(٥) البلاذرى ٢٣٥ (آلورد) ؛ الجاحظ : محاسن (١٣٢٤ هـ) ص ٦ ؛ قدامة : نقد
النثر ص ١٢٣ ؛ البيهقي : محاسن ص ٤٥٤ ؛ المبرد : كامل ص ١٩٠ ، وانظر القلقشندي
ج ١ ص ١٦٨ .

(٦) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٤ ؛ اليميني : ذيل الأمالي ص ٦٦ .

(٧) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ ؛ وفي المغيرة انظر : ابن سعد ج ٧ ص ١٥٥ ؛ أغاني ج ١٥

ص ٤٨ ؛ وفي نافع انظر : ابن حجر : تهذيب ج ١٠ ص ٤٠٥ .

(٨) الحفاجي : طراز المجالس (١٢٨٤ هـ) ص ٦٧ .

(حكم ٩٩ — ١٠١ هـ) دقيق الإحساس في شئون اللغة بوجه خاص ؛ وكان

لا يطبق أن يسمع في محيطه خطأ لغويا أيّما كان ؛ وكان يصلح ما يعترضه من

الأخطاء^(١) ؛ وكان يجب الواضح السهل من العربية حتى في الشعر .

وكان بعض معاصري الأمويين — كذلك — يقدّسون آراءً مثل آرائهم .

فقد كان الحجاج والى المشرق لا ينطق عربية ناصعة فحسب^(٢) ، بل كان يقيم

أيضاً وزناً لأن يعبر محيطه تعبيراً صحيحاً . ويزعم بعضهم أن كثير بن أبي كثير

البصرى ، الذى أراد الحجاج إكراهه على عمل يتولاه ، تخلص منه بأن أساء إلى

أذن الحجاج بلحن فظيع في القواعد^(٣) . حقاً لقد حمل الكره خصومه السياسيين

أن يقولوا عنه إنه ارتكب أخطاء حتى في القرآن ؛ ولكن هذا حصل في آية قرأها

وهو ساه ، حيث قرأ لفظ : أحب ، في آية ٢٤ من سورة التوبة بالرفع بدل النصب :

« قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ

وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ

إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا » . وقد أوقعه في السهو

محمى^(٤) ، خبر كان بعدها باثنتي عشرة كلمة . وقرأ مرة أخرى في الآية ١١ من سورة

العاديات بدل : إن ، بكسر الهمزة في : « إِنْ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ » ، أن

(١) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٥ ؛ الجاحظ : ج ٢ ص ٢ ، و ص ١٢٠ ؛ الجاحظ : محاسن (١٢٢٤ هـ) ص ٦ .

(٢) انظر الجاحظ : بيان ج ١ ص ٦٨ ، ج ٢ ص ٤ ؛ الزجاجي : أمالي ص ١٤ ، وقد قرن

الزجاجي في الموضوع المذكور ، بالحجاج الخطيب المشهور : ابن القرية . (انظر هذا في المعارف

لابن قتيبة وابن خلكان ج ١ ص ١٤٥) على أن كلامن عوانة (أغاني ج ٢ ص ٩ — طبع دار الكتب —) ، والأصمعي (أغاني ج ٢ ص ٢ — الطبعة نفسها —) قد أنكرا وجوده التاريخي .

(٣) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٥ .

(٤) الجحفي : طبقات ص ٦ ؛ ابن الأنباري : نزهة ص ١٩ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٢٩٦ ؛ ابن خلكان ج ٣ ص ١٩٣ .

بالفتح ، متخلصاً من الغلط بحذف^(١) ، لام القسم من الخبر . وكذلك كان سهواً منه حين قرأ^(٢) في آية ٢٢ من سورة السجدة : « إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ لَمُنْتَقِمُونَ » بدلاً من : « إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ لَمُنْتَقِمُونَ » . ولم يقل عن الحجاج في تعظيم العربية أيضاً عمر بن هبيرة ، الذي كان والياً على العراق (سنة ١٠١ - ١٠٥) ؛ وكان يرى أن من يحسن العربية أعلى من غيره مقاماً في الجنة^(٣) .

ومثل ذلك التعظيم للعربية الخالصة ، نجده لذلك الوقت في الشعر أيضاً ، فهاهوذا رؤبة (المتوفى سنة ١٤٥ هـ) يرى من الضروري أن يُبَرِّزَ في أرجوزته التي مدح بها بلال بن أبي بردة قاضي البصرة ، أن المدوح يصحح الإعراب ولا يقع في الخطأ :

* فُرُتَ بَقْدْحِي مُعْرَبٍ لَمْ يَلْحَنَ^(٤) * *

ورؤبة نفسه كان يجب أن يتمدح بمقدرته اللغوية ؛ فهو يبرز (XXVI ٣٥) ذكر العناية الدقيقة (التنطس) التي يبذلها في نظم كلامه . وهو يشعر بتفوقه على خصمه ، أيّاً كان ، في الدراية وتعاطي الوحشي الغريب من مادة اللغة (عَقْمِي) ؛ وهو يفخر (XXXVI ٤٥) بأنه ترك بعض من عارضه من الشعراء وراءه مثل الألتغ الذي ينطق لكنة أعجمية ، ولا يعرف فرق الصحيح من الزائف في العربية :

* أعجم لا يعرف زيغ الزبيغ * وفي أرجوزته التي امتدح بها القاسم ابن محمد بن القاسم ، ابن فاتح السند ، أگد (XXII ١٣٧) أن نحوياً ضليعاً في العلم يفهم مداخل الكلام (داهي العلم والتعبّر) ، ليس له بعد نظره في اللغة ، مهما أشاح بوجهه غضباً من ذلك :

كيف تراني أنتحى في دفتري على قضيب الذاهبات الشبر

(١) ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٦٠ ، ابن خالويه : مختصر ص ١٧٨ .

(٢) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ .

(٣) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٢ .

(٤) رقم ٥٧ ، بيت ١٥٤ (آلورد) .

لا ينظر النحويُّ فيها نظريَّ وإن لوى لحيه بالتحقير
وهو دهى العلم والتعبير^(١)

وفى مدحه لآخر وال أموى على خراسان : نصر بن سيار ، يقول رؤبة
(١٩ XIX) إنه اختار لمديح نصر ألقاباً متنخلة ، يتعب النحو فى فهم غرضه منها :
وأنا فى تخيرى وجدى إذا تنخلت جساد الند
يلتمس النحوى فيها قصدى مجّدت نصراً وهو أهل المجد
وعلى النقيض من ذلك يحقر يحيى بن نوفل الحميرى خالد بن عبد الله القسرى ،
والى العراق ، (١٠٥ - ١٢٠ هـ) فى البيت :

والحنُّ الناس كلُّ الناس قاطبةً وكان يولعُ بالتشديق فى الخطب^(٢)
وهذا يرجع إلى أن خالداً الضعيف القلب ، فزع فزعاً شديداً ، وطلب جرعة
ماء وهو متبلجج ، حينما تلقى سنة ١١٩ هـ ، وهو يخطب ، نبأ قيام الشيعة المغيرة^(٣)
ابن سعيد بثورة فى الكوفة . وقد غالى خصومه فى انتهاز هذا الحدث . ويرى
المدائنى^(٤) أن خالداً كان حقيقةً لحنّةً بوجه عام ، وأنه كان يستعين فى خطبه

(١) يحتاج تاريخ هذه القصيدة إلى شيء من الاستقصاء . فهى — كما يؤخذ من البيت
١٤٩ — موجهة إلى القاسم ، والقصود به كما ذكر فى العنوان : القاسم بن محمد بن القاسم .
ويرى فيه كل من آلورد ص ١١ وكرنسكو El III 1159 القاسم بن محمد الثقفى الذى فتح
الهند فى سنة ٩٤ هـ كما جاء فى الطبرى ج ٢ ص ١٢٥٦ ، وابن الأثير ج ٤ ص ٢٢٣ وعلى ماجاء
فى الشعر وعنوانه تكون صحة تسمية فاتح الهند : محمد بن القاسم الثقفى ، وهذا ما ذكره مثلاً
إلياس برشينايا فى تاريخه على أنه فاتح الهند فى السنة المذكورة (F.Baethgen, Fragmente
١٧ (syr.u. arab, Historiker S, 42) ، وقد كان سن هذا عند شروعه فى غزو الهند
سنة بشهادة أبى اليقطان (المتوفى ١٩٠ هـ) كما ذكره ابن قتيبة : عيون ج ١ ص ٢٢٩ ،
(وكما فى الأبيات التى استشهد بها فى البلاذرى ص ١٤١ ، وفى ابن الأثير ج ٤ ص ٢٢٤ ،
وهى من قول حمزة بن بيبس) . ولما كان فاتح الهند المذكور قد قتل سنة ٩٥ هـ فلا بد أن يكون
ميلاد ابنه المدوح حوالى سنة ٩٠ (إذ كان عمر أبيه عند فتح الهند ١٧ سنة كما ذكرنا)
فلا يعقل أن يمدحه رؤبة إلا حوالى ١١٠ هـ على الأقل .

(٢) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٥٢ ، ج ٢ ص ٤ ؛ وذكره المررد (كامل ص ٢٠) لشاعر آخر
(٣) انظر الطبرى ج ٢ ص ١٦١٩ ؛ الأشعرى : مقالات : فهرست ؛ النونجى : فرق
الشيعة : فهرست ؛ الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٩١ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ج ٦
ص ٧٥ — ، Wellhausen, das arab. Reich' 204 .

(٤) أغانى ج ١٩ ص ٦٢ .

رجل يلقنه Soufleur ، كما يرميه بالتصنع ، إذ قال ذات يوم : إن كنتم رجبون
(كذا في البيان والتبيين) ، فإننا رمضانيون ^(١) ، ويعدّه الجاحظ من اللحنين
البلغاء ^(٢) . ولكن خالداً كان في حقيقة الأمر خطيباً ممتازاً ؛ وكان إذا انقطع
عليه خيط الكلام يعرف كيف يحسن ^(٣) الخروج من المأزق . وبيت ابن نوفل
إنما يدل على أنه منذ بداية القرن الثاني الهجري لم تعد سلامة التعبير من اللحن
أمراً طبيعياً ، حتى عند ذوى المناصب الرفيعة .

ومما كان ذا مقام حاسم في مستقبل العربية ، أن المجتمع العربي في عهد الأمويين
لم يكن هو وحده الذي يعترف بالعربية على أنها القدوة الرفيعة ، والمثل الأعلى ؛
بل كذلك الدوائر الإسلامية غير العربية ، (من طبقة الموالى) ، للملحة في التسامى
والتعالى ، كانت ، في سبيل طموحها إلى محاكاة الطبقة السائدة فيما تفعل ، تجارى
هذه أيضاً في الناحية اللغوية ، وتحتضن حركة تنقية اللغة العربية ، بما في ذلك من
إعلاء شأن اللغة البدوية الخالصة . وكلما أخذت سلامة اللغة تصير أمراً من أمور
التربية والتعليم ، قويت آمال غير العرب أن يستبدلوا — بالصبر والاجتهاد —
عربية فصحي من عربية اللهجة الدارجة في محيطهم . وقد تيمّما ما تملك الحسن البصرى
(المتوفى ١١٠ هـ) ، وهو ابن لأحد أسارى الحرب من مدينة ميسان ، أرمّة العربية ،
بحيث كان رجال ضليعون ، كأبي عمرو بن العلاء ورؤبة ، لا يجدون غضاضة
في أن يضعوه ^(٤) إلى جانب الحجاج . وكان تلاميذه المجتهدون يكتبون عبارات
أستاذهم ، لا لما تحتويه من علم فحسب ^(٥) ، بل لصياغتها اللغوية كذلك . وكثيرة
هي الأخبار ^(٦) والروايات التي تطنب في وصف دقة إحساسه تجاه الأخطاء اللغوية .

(١) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ .

(٢) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ .

(٣) القالى : أمالى (الطبعة الثانية) ج ١ ص ١١١ ؛ ابن قتيبة عيون ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٤) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٦٨ ، ج ٢ ص ٤ .

(٥) تجد مثالا لذلك في أخبار التجويين البصريين للسيرافي ص ٨٠ ؛ وانظر أيضاً الكامل

المبرد ص ١٢٠ .

(٦) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ ؛ ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، القالى :

أمالى ج ٣ ص ١٤١ ، والبكرى عليه ص ٦٦ .

حقاً لا تعرب قراءته للقرآن عن ذلك الصقل والانسجام الذي تتطلبه حركة « تنقية اللغة العربية » عند نحة العصر العباسي الأول ؛ فقد كان يقرأ مثلاً . « الْحَمْدُ لِلَّهِ » بكسر الدال بدلا من ضمها ، وبشهادة النحوى المصرى : النحاس (المتوفى ٣٣٨ هـ) ، كانت صيغة الحمدلة على هذا النحو خاصة بلهجة تميم ^(١) ؛ وقد اجتهد الكوفيون فى تأييد هذه القراءة وأختها : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » « بضم لام لله » ، بسوق أمثلة أخرى لتناسب الحركات والإتياع ؛ وعلى النقيض من ذلك البصريون الذين عابوا هذه القراءة — التى هى فضيلا عن ذلك قراءة زيد بن على المتوفى ١٢٢ هـ ، ورؤية — بحجة أنها سقطت من الاستعمال تماما ، وأنها مخالفة للقواعد ، ومصطدمة بالإعراب ^(٢) . ويصف الجاحظ قراءتين للحسن بأنهما خطأ صراح ، إحداهما : « وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ » بدل « الشَّيَاطِينُ » فى آية ٢١٠ من سورة الشعراء (الأيقال ذلك أيضاً فى آية ٢٢١ من نفس السورة ، وفى آية ١٠٢ من سورة البقرة ، وفى آية ٧١ من سورة الأنعام) ، والأخرى : صَادِي ، بدل : صَادٍ ^(٣) (آية ١ من سورة ص) . وفى الأولى نرى صيغة جديدة : شياطون ، وقد نشأت من توهم أن نون جمع التكسير هى نون جمع التصحيح (المذكر السالم) . أما أن هذه الصيغة الجديدة وردت حقيقة فى الاستعمال اللغوى للقرن الأول ، فهذا ما تؤكده شهادة ثقات قدماء آخرين ، مثل سعيد بن جبير (المتوفى ٩٥ هـ) وطاووس (المتوفى ١٠٦ هـ) ؛ بل كذلك الأعمش نفسه (المتوفى ١٤٨ هـ) . بيد أن شياطون ، ككثير من الصيغ المخالفة للقواعد ، التى وردت فى القراءات الشاذة ، لم تلق قبولا عند النحاة ، بل عييت ^(٤) من غالبيتهم وعدوها خطأ صريحاً . وليس كذلك أمر القراءة الثانية :

(١) ابن الأنبارى : نزهة ص ٣٦٤ .

(٢) انظر الأنبارى : الإنصاف ص ٥٧ س ٧ ، ص ٣١٠ س ١٠ ، ص ٣١١ س ١٦ ، ص ٣١٥ س ٩ ؛ وانظر المحتسب لابن جنى فى سورة الفاتحة ؛ وانظر المختصر لابن خالويه ، (Bibl. Jsl. VII) .

(٣) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ .

(٤) ابن جنى : المحتسب فى سورة الشعراء ، ابن خالويه : المختصر ص ١٠٨ ، الكشاف :

ص ١٠١١ ، تاج العروس ج ٥ ص ١٧٢ .

صادى ، التي تدين في نشأتها إلى نظر تفسيري محض ، حيث فهمت على أنها أمر من مصدر المادة الثلاثية : ص دى ، ومن هنا لا تتعارض في صيغتها مع قواعد^(١) النحو . وقد كان ممكن الوقوع أن يحيط غير عربى بمعرفة العربية معرفة راسخة ، بيد أن خصائصه في التعبير تنمّ على أنه أجنبي . وهكذا نمت لهجة الفقيه السورى الكبير : مكحول (المتوفى ١١٧ هـ) ، على أن نسبه يمتّ إلى أحد الأسرى من « كابل » ؛ فقد كان يستعيض^(٢) من الحاء بالهاء ، ومن القاف بالكاف ، كما أعرب الحدّث الثقة الكبير : نافع (المتوفى ١١٧ هـ) ، أستاذ « مالك » — يضع البخارىّ سلسلة : مالك عن نافع عن ابن عمر فوق كل إسناد — عن أصله الديلمى^(٣) ، بسبب تعبيره .

بل حتى في أكثر النواحي اختصاصاً أصيلاً بالعرب ، وهو فنّ الشعر ، كان على العرب أيضاً أن يرضوا بمنافسة الأجانب . وقديماً ، في النصف الثانى من القرن الأول ، نال رجل غير عربى : زياد الأعجم (المتوفى ١٠٠ هـ) من حيث هو شاعر فى سدّة المهلب بن أبى صفرة (المتوفى ٨٢ هـ) فى خراسان ، مجدداً وعلواً كبيراً . لقد كان فارسى الأصل ؛ ويرجع لقبه : « الأعجم » إلى لسانته الفارسية ، وضعفه فى مخارج الحروف . وبصفه أحد خصومه ، وهو المغيرة بن حبياء ، بأنه « عليج أعجم » ، وأنه أعجمى اللسان وأنه « ابن زروان^(٤) » ، والأقوال التى رويت على لسانه^(٥) تدل على أنه كان يستعيض من العين بالهمز ، ومن الحاء بالهاء ، ومن حروف الإطباق بحروف أخفّ منها ، مقارنة لها . وهذه الظواهر فى نطق العربية من السمات الخاصة بالألسنة الفارسية ، مما يحملنا على الركون إلى هذه الروايات الواردة

(١) ابن جنى : المحتسب فى سورة ص ؛ ابن خالويه : مختصر ص ١٢٩ .

(٢) ابن قتيبة : معارف ص ٢٣٠ ؛ ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ج ٢ ص ٥٨٥ ؛ الذهبى : تذكرة ج ١ ص ١٠٢ .

(٣) الذهبى : تذكرة ج ١ ص ٩٤ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ١٠ ص ٤١٢ .

(٤) أغانى ج ١١ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٥) أغانى ج ١٤ ص ١٠٣ ؛ الجاحظ : بيان ج ١ ص ٣٢ ؛ البرد : كامل ص ٣٦٦ .

في هذه النقطة على الأقل وإن كانت أهم هذه الروايات ^(١) قد حكيت ^(٢) أيضاً عن زياد ، أخى حسان بن أبى حسان النبطى ^(٣) الذى اشتهر بأعمال السقى والرى في العراق على عهد الوليد وهشام . ولكيلا يتأثر حسن الجرس في أبيات زياد الأعجم بسوء تعبيره ، أهدى إليه المهلب غلاما يجيد ^(٤) الإلقاء . وما كان ليفعل ذلك لو لم تكن أبيات الشاعر سليمة من حيث النحو والقواعد . وفي الحق إن تركة ^(٥) زياد الشعرية لتدل على أنه كان متمكنا من العربية تمكنا كاملا ؛ ومرثيته للغوية ابن المهلب (المتوفى ٨٢ هـ ^(٦)) من أشهر المراثى في الشعر العربي ^(٧) . نعم لقد أخطأ في قوله (في مكان آخر) :

إذا قلت قد أقبلت أدبرت كمن ليس غاد ولا رآح

إذ كان يجب أن يقول : كمن ليس غاديا ولا رأحا . بيد أنه من قبيل التعميم ، الذى لا وجه له من الحق ، أن يقول فيه ابن قتيبة ^(٨) بسبب ذلك : إنه كان كثير اللحن . بل ربما كان أبو الفرج الأصبهاني مصيبا حين يصف ^(٩) عبارته اللغوية بالسلامة من الخطأ : « فصيح الألفاظ » .

وقد وجد مثال زياد الأعجم تكررارا ، بعده بنصف قرن ، في شخص أبى عطاء السندی ، الذى يأخذ مجرى حياته مهيباً مطابقاً لمجرى حياة الشاعر القديم بصورة لافتة للنظر . لقد كان أبو أبى عطاء ^(١٠) عبدا من السند ، لا يكاد ينطق العربية .

(١) أغاني ج ١٤ ص ١٠٢ ، وانظر عبد القادر : خزانة الأدب ج ٤ ص ١٩٣

(٢) الجاحظ بيان ج ٢ ص ٣ ؛ المحاسن والأضداد (القاهرة ١٣٢٤ هـ) ص ٧

(٣) انظر في هذا Wellhausen, das arab. Reich' s.157

(٤) الأغاني ج ١٤ ص ١٠٢

(٥) حفظ الأغاني كثيراً من شعره ، كما توجد طائفة من أرقامه في كتب التراجم والتاريخ والأدب .

(٦) القالى ج ٣ ص ٨ — ١١ ؛ وشرح البكري في الموضوع نفسه ؛ ويضاف إلى المصادر

المذكورة فيه ، ياقوت : إرشاد ج ٤ ص ٢٢٢

(٧) أغاني ج ١٤ ص ١٠٢

(٨) الشعر والشعراء ص ٢٥٩ Syntax s. 97, Reckendorf وقد أخذ سهواً بحكم ابن قتيبة دون تمحيص .

(٩) أغاني ج ١٤ ص ١٠٢

(١٠) أغاني ج ١٦ ص ٨١ — ٨٧

وعنه أخذ ابنه ، الذي نشأ بالكوفة ، تعبيره السقيم ، كما يفعله كثير من الهنود إلى هذا اليوم . كان يبذل الحاء هاءً ، والجيم زايا ، والشين سينا ^(١) ؛ لكنه كان ذا ملكة في الشعر لا يستهان بها ؛ حيث حصل وشيكاً بمدائحهم نزل إعجاب معاصريه . وكان أشهر من احتضنه وشد من أزره والى خراسان لبني أمية : نصر بن سيار (حكم ١٢٠ - ١٣١ هـ) ، الذي كان هو أيضاً على عرق في الشعر ، وكان يقيم الشعر وزناً ومقاماً . ولما كانت لهجة « السندی » لا تسمح له أن يلتقي الشعر ، فقد استوهب أحد ممدوحيه ، وهو سليمان بن سليم بن كيسان الكلبي ^(٢) ، عبدا حبشيا للإلقاء . وقد بقي لنا الشعر ^(٣) الذي استوهب سليمان به هذا العبد :

أعوزتني الرواة يا بن سليم	وأبي أن يقيم شعري لساني
وغلى بالذي أجمع صدرى	وشكاني لعجمتي شيطاني ^(٤)
وازدرتي العيون إذ كان لوني	حالكا محتوى من الألوان ^(٥)
فضربت الأمور ظهراً لبطن	كيف أحتال حيلة للساني
وتمنيت أنني كنت بالشعـ	ر فصيحاً ، وبان بعض بناني ^(٦)
ثم أصبحت قد أنخت ركابي	عند رحب الفناء والأعطان
فأكفني ما يضيق عنه روائي	بفصيح من صالحى القلمان
يُفهم الناس ما أقول من الشعـ	ر فإن البيان قد أعياني

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٤٨٢ ؛ الأغاني ج ١٦ ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ؛ التبريزي شرح الحماسة ص ٢٦ ؛ عبد القادر : خزائن ج ٤ ص ١٧٠ ؛ ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ج ٢ ص ٥٨٥ .
(٢) كان على رأس القوات السورية في العراق التي رابطت في الحيرة تحت ولاية يوسف بن عمر (١٢٠ - ١٢٦ هـ) واشتركت في قتال زيد بن علي (انظر الطبري ج ٢ ص ١٧٠٨)

(٣) أغاني ج ١٦ ص ٨٢

(٤) وروى : وجفاني لعجمتي سلطاني . والظاهر أنه تحريف : انظر : Gold ziher

Abhandl. Z. arab. Philologie 1, 13

(٥) روى : وعدتني العيون .

(٦) يؤثر المؤلف : وبان بعض بياني ، ولا داعي لآليه . وربما كان في البيت قبله : كيف أحتال

حيلة لياني ، تفاديا للإيطاء مع البيت الأول .

فاعتمدني بالشكر يا بن سليم في بلادى وسائر البلدان
ستوافيهم قصائد غرّة فيك سبّاقة بكل لسان
فقد يما جعلت شكرى جزاء كل^(١) ذى نعمة بما أولانى
لم تزل تشتري المحامد قدما بالرييح الغالى من الأثمان

على أن الأمر لم يكن مقتصرًا على الفرس والهند فحسب ، بل لقد كان ، حتى
بين المحقرين من الزوج — حوالى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى —
رجال تمكنوا من ناصية العربية تمكننا تاما ، بحيث سجّلوا لأنفسهم ذكرا ومكانة
في الشعر . فحينما حقّر جرير^(٢) — عرضا من شأن الزنج ، في قصيدة ، تهكم فيها
بالأخطل ، انبرى زنجي للرد عليه بقصيدة تغنى فيها بمدح بنى جلدته ، وعدّ أباطهم
وشعراهم . وقد أثارت قصيدته إذ ذاك دهشة عظيمة ، وإن طُرحت بعد ذلك
في زوايا النسيان ، فلم يصلنا منها إلا بضعة أبيات^(٣) . وحتى اسم صاحبها لم يرد
في صورة ثابتة ؛ فعلى قول المبرد^(٤) ، يسمى : رباح بن سُنَيْح ، ويقول آخرون
إن اسمه — على عكس ذلك — : سُنَيْحُ بن رباح ، (أو صُبَيْحُ بن رباح^(٥)) ؛
ويذكر المبرد أنه : فصيح ؛ كما أن أبياته الباقية تدل على أنه كان يفهم كيف يتعاطى
فنّ الشعر العربي ولغته ، ويحسن أساليبه . ولكي يحقّر جريرا ، مدح في قصيدته
خصمه بكلمات المدح التالية :

إن الفرزدق صخرة عادية طالت ، فليس تنالها الأوعالا^(٦)

(١) انتصب لفظ : كل ، على أنه مفعول للمصدر وهو : جزاء .

(٢) نقائض جرير والأخطل ؛ نشرها الصلحاني : بيروت ١٩٢٢

(٣) ذكر الجاحظ ١٤ بيتاً منها في رسالة تفضيل السودان على البيضان (ثلاث رسائل للجاحظ
طبع فان فلوتن) . وانظر أمالى ابن الشجرى ج ١ ص ١٩٤ طبع كرنكو ، ونقائض جرير
والأخطل السالف الذكر .

(٤) كامل ص ٤١٥ ، ويوجد في بعض النسخ كما في بعض النسخ الخطية رباح بن صديح .

(٥) كذا في الجاحظ في الموضوع السالف الذكر . وقرأه فان فلوتن : شيخ بن رباح ، وهى
قراءة رديئة . وقرأه الصلحاني في النقائض : سنح بن رباح ، وذكر في التعليق بعض الاختلافات .
وقرأه كرنكو — غلطاً — سفح بن رباح .

(٦) مرتضى : أمالى ج ٤ ص ١٣٠ ؛ شتورى على سيويوه ج ٢ ص ٣٥٦ ؛ ابن رشيق :

عمدة ج ١ ص ١٧٤ ؛ تاج العروس ج ٧ ص ٤٢٣

وهذا هو البيت الفرد الذي يكثر سوقه من أبيات القصيدة ، وإن كان دون تسمية قائله . وهو يشتمل على تأليف للكلام لافت للنظر ، بل معيب عند بعض النقاد . وكان التأليف الطبيعي يقتضى : طالت الأوعالَ فليسَ تنالها . بيد أن من شعراء البادية من سمح لنفسه بحرية أجراً من هذه ، فلا يجوز لأحد أن يرجع هذه الظاهرة إلى أصل الشاعر غير العربي . وقد اشتهر برداءة التأليف مثلاً — بيت الفرزدق التالى ، من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن هشام بن اسماعيل ، خال الخليفة هشام بن عبد الملك لأمه :

وما مثله فى الناس إلا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه^(١)

كذلك يبدو فساد التأليف فى بيت الفرزدق التالى ، من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره^(٢)

وقصائد الفرزدق بوجه خاص ، تقدم سلسلة من الأبيات كثيراً ما سببت لشارحها عناء كثيراً ، لما يرد فيها من التداخل عن صنعة واختيار .

بل لقد ظهر كذلك فى أواخر القرن الأول فتور فى الإحساس اللغوى القديم عند الشعراء من أصل عربى . حقاً لقد كان الطراز الرفيع من الشعر يجرى على السنن المرسوم ، والنظام المشبع ، ليس فقط من حيث الموضوع واختيار المقام والمقال ، بل كذلك فى ظواهره من حيث القوالب والصيغ ، ومادة الألفاظ ، ومناهج الأساليب . بيد أنه على الرغم من ذلك ، كان فى الأول ، يصدر عن طبع صادق ، ونبع أصيل ، أما فى ذلك العهد فقد انتشرت الصنعة والتقليد عند المولدين أيما انتشار .

وهاهو ذا ديوان الشاعر : « الطَّرِّمَاح » ، حافل بالعبارات المنتقاة ، والألفاظ المهمة . لقد نشأ فى سواد الكوفة ، ويقال عنه : إنه كان يكتب ألفاظ النبط ،

(١) سقط البيت فى الديوان . وقد أضافه الصاوى فى ص ١٠٨ نقلاً عن الأخبار والروايات
(٢) عني ج ١ ص ٥٥٥ الخ ؛ وفى الديوان ٣١٢ وردت الرواية : أبوها وهى أخف تعقيداً
(٣) بحتوى الأغاني ج ١٩ ص ١٥ فما بعدها على أمثلة كثيرة من ذلك .

فيعر بها ، ويدخلها في شعره^(١) . وبعد الأصمعي — وحكمه راجح الوزن — الطرمّاح
والكميت من الشعراء المولّدين الذين لا يحتج باستعمالهم للغوى ؛ ويزعم أنهما استعمالا
عبارات أغارا عليها من أقوال غيرهما ، دون أن يفهماها فهماً صحيحاً^(٢) . وهو يقصد
« من أقوال غيرهما » رؤبة الراجز ، الذي حكى أنه ، وهو في فارس عند ممدوحه أبان
ابن الوليد البجلي^(٣) ، سأله الطرمّاح والكميت عن شيء من الغريب ؛ فلما كان
بعد رأه في شعرها^(٤) . ولقد كان رؤبة في مثل هذه البيانات — بطبيعة الحال —
أبا عنذرتها ، الذي يسمو في فهم أسرار اللغة ودقائقها على المستفسرين بكثير ؛ وحتى
لو كانت أقواله مغالى فيها ، أو كاذبة كما شك^(٥) فيها بعضهم على غير أساس ؛ فإن
حكم الأصمعي جدّ صحيح ، ويؤيده ديوان الشاعر كل التأييد ، كما ستبينه الأمثلة التالية
التي يمكن زيادتها بسهولة : فإذا وصف الطرمّاح (ص ٩٠ س ٣) ثوراً وحشياً
في ليلة ممطرة ، تلفه سحابة مثقلة بالماء (سارية وطفاء) ، وهَيْفٌ مُبْرِدٌ ، فإنه لا يكاد

(١) المرزباني موشح ص ٢٠٨

(٢) الموضع السالف ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٣) كان أبان عاملاً لخالده بن عبد الله القسري بين ١٠٥ و ١٢٠ هـ (أغاني ج ١٩ ص ٢٠)
وانظر في سعيه لتخليص خالد من الحبس (طبرى ج ٢ ص ١٦٥١ — ١٦٥٤) ووقوعه هو
في الحبس (أغاني ج ١٥ ص ١٢٩) ، وكان مقصوداً من الشعراء يجزل لهم العطاء (انظر
فهرست الأغاني) . وقد قال فيه رؤبة القصائد رقم ١٥ ، ٢٣ ، ٢٥ في ديوانه ، (انظر مقدمة
آلورد في الديوان المذكور) (Sammlungen alter arabischer Dichter III S. XLVII)
ولا يلتبس بأبان بن الوليد المشهور بانتصاره على البيزنطيين سنة ٧٥ هـ ، فهذا ابن الوليد بن عقبة
الذي ولي الكوفة (٢٦ — ٥٣٠) انظر: ١١٥ — ١١٧ wellhawsen Skizzeu VI S.
(٤) المرزباني : موشح ص ٢٩٢ ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٣٧٢ ؛ الأغاني ج ١٠

ص ١٥٦

(٥) انظر : (krenkow the poems of tufail and Trimmah (GMSXXV)

S. XXVj EI, IV 860

وقد حدد كرنكو ميلاد رؤبة في دائرة المعارف الإسلامية بسنة ٦٥ هـ . على ذلك فلا يمكن
أن يكون في عهد انحلال الدولة العربية شاباً فتياً *a very young man* ، بل أصغر قليلاً
من الكميت (المولود سنة ٦٠ هـ) الذي لم يكن تجاوز بعد قة لإنتاجه الأدبي . كذلك لم يتم بين
رؤبة والطرمّاح فارق بعيد من جهة السن . ولا علاقة بين مرتبة رؤبة في الشعر وعلو مكانته في
شئون اللغة ، فهو هنا من حيث هو بدوى أصيل نسيج وحده .

يفهم من اللفظين الأخيرين إلاريج باردة . ولكن لفظ هَيْفٌ ، معناه ريح الجنوب^(١) اللالفة الحرارة . ورواية : هَيْفٌ ، المذكورة عند المرزوقي^(٢) وحده . وهو يعلق على ذلك بأن الشاعر قد خالف طريقة استعمال غالب البدو . وفي الديوان : هَيْفٌ مُبْرَد . وربما جازلنا أن نرى في هذه الرواية تغييراً مقصوداً للفظ الأصلي ؛ على أنها كذلك لا تدل على معنى مقنع ؛ إذ أن لفظ : هَيْفٌ ، ومعناه فارغ ، يدل على : سحابة خالية من المطر ، وهذا المعنى لا يتناسب أيضاً — مثل ريح الجنوب — مع سياق الكلام . وإذا كان التعليق يفسره (لفظ : هَيْفٌ) بالريح الباردة ، فهو — فيما يظهر — مصيب .

ونسوق — مثلاً ثانياً — البيت التالي (ص ١٩٠ بيت ١٢) من قصيدة يمدح بها يزيد بن المهلب (المتوفى ١٠٢ هـ) :

لَأَمْ تَحْنُ بِه مِزَا مِير الْأَجَانِبِ وَالْأَشَامِلِ

وهنا صاغ الشاعر للفظ : شَمْلٌ ، وهي صيغة ثانية إلى جانب شَمَالٌ ، أو صاغ — بعبارة أخرى — لجمع شَمْلٌ ، وهو : أَشْمَلٌ ، جمعاً جديداً على أَشَامِلِ ، وجعله مجازياً للفظ : أَجَانِبِ ، بحيث نشأ من ذلك ازدواج لفظي غريب . وقد عمد إلى ما هو أعنف من ذلك في بيت آخر (ص ١٠٠ بيت ٢١) اختصر فيه لفظ : تلاميذ إلى : تلام ، بسبب القافية . نعم قد ترد مثل هذه التغييرات اللفظية المتعمدة عند شعراء آخرين أيضاً ، بيد أنها تعدّ — بحق — عند النقدة الفنين العرب من قبيل الخطأ^(٣) . ومثل هذه الظواهر كان من المرغوب عنه تماماً اعتماد أشعار الطرماح في قاموس اللغة العربية ، على الأخص بالنظر إلى المفردات التي ينفرد باستعمالها . ولفظ كِرَاضِ الوارد في القصيدة رقم ٢ (ص ٨٠ بيت ١٠) — أيد المبرد^(٤) مطابقتها لمعنى تعبير

(١) انظر ديوان ذي الرمة ج ١ ص ٤٤ ؛ (والقواميس العربية : اللسان ؛ التاج ؛ الأساس)
Dozys supplément ; J.J. hess , Islamica 2, 587

(٢) كتاب الأزمنة والأمكنة (حيدر آباد ١٣٣٢ هـ) ج ٢ ص ٧٨

(٣) انظر مثلاً مقدمة : نقد الشعر ص ٨٦ فما بعدها .

(٤) كامل ص ٩٥

يوناني — فسر^(١) بعضهم ، مراعاة للسياق ، بالرحم ، أو ما يلفظ الرحم من ماء ، أن
أو ماء الفحل . فأى هذه المعاني ينطبق هنا ؟ وهل هو لفظ في لهجة بعينها ، أو لفظ
قديم بطل استعماله ، أو وضع جديد ، أو ناشىء عن سوء فهم ؟ هذا ما يعسر بيانه
بالتحديد .

ويضع الأصمعي مع الطرماح — كما ذكرنا — الكميت بن زيد الشاعر
(حوالي ٦٠ — ١٢٦ هـ) في مرتبة واحدة^(٢) . ولد الكميت بالكوفة ، وينسب
إلى بنى أسد . حقاً لا تدل شجرة نسبه الفاخرة^(٣) على خلوص نسبه العربية .
ولما كانت دعوى^(٤) الأصمعي ، أنه جرّمقانيّ من الموصل ، لا تكاد تكون هواء
أو مبنية على غير أساس ، فلا بد من فسح المجال لاحتمال أن أبأمه كان من السكان
الذين نزلوا بمنطقة الموصل وأقاموا فيها . وأياً ما كان ، فقد بقي بعيداً عن البداوة ،
وصار من أهل المدن . نعم لا تزال تجرى أشعاره على السنن القديم تماماً ، كما أنها تحمل
طابع التقليد المصطنع على جبينها . وهذا ينطبق — قبل كل شيء — على أوصافه
التي لا لون لها ، والتي لا تقول شيئاً ، والتي قال فيها ذو الرمة : ما يقدر إنسان أن
يقول إنها صواب أو خطأ . وإذا كان الكميت لم يعارض هذه الحقيقة الثابتة ؛
بل لاحظ عليها موضحاً — مبيناً للفرق بينه وبين ناقد — أنه يصف شيئاً لم يره
بعينه ، فإن محاولته الدفاع عن نفسه على هذا النحو تدل على أنه رفع^(٥) التقليد لذاته
إلى مرتبة الحدق الفني . ومع هذا ، فإنه لم يتقيد بمثله ونماذجه تقيد العبودية ؛
فقد حُبب إليه مثلاً أن يعطى النسب تحولا سلبياً ، حينما يبرز في صورة التأكيد

(١) انظر : تاج العروس ج ٥ ص ٨٢

(٢) المرزباني : موشح ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٣) أغاني ج ١٥ ص ١١٣ ، وعلى ما ذكره هناك كانت جدتاه من البدو .

(٤) القالي : أمالي ج ١ ص ٩٦ ؛ انظر ابن دريد : الاشتقاق ص ٢٦٥ (طبع فستيفلد) ،

وفي « الجرامة » انظر الهمداني (BGAV) ص ٣٥ ؛ تاج العروس ج ٦ ص ٣٠٥ EI, 1,588
تحت لفظ : Badjarma .

(٥) أغاني ج ١٥ ص ١٢٥ ؛ مرزباني : موشح ص ١٩٥ .

أن قلبه ليس ملكاً للغواني ، ولا يطمح إلى حب النساء ، وأن طربه لا يرجع^(١) إلى شوق أو غرام . وهذا يتيح له الفرصة ، حتى في قصائد الرثاء التي يجب بالبداية أن تكون بمعزل عن التشبيب والغزل ، أن يتفنن في صوغ التعبيرات التقليدية المألوفة في النسيب ؛ وهذا خروج على الأساليب عاب^(٢) عليه — بحق — نقاد الفن من العرب . وفي مرة أخرى اختار الكميت للنسيب ، في قصيدة يمدح بها عبد الرحمن ابن عنبسة ، قالب الاستفهام التوبيخي :

أببكاك بالعرف المنزل وما أنت والطلل المحول^(٤)
وما أنت ويك ورسم الديا ر وسنك قد قاربت تكمل

كذلك كان لا يبالي أن يقتبس من القرآن — إلى جانب الأشعار القديمة — لأغراضه ، بحيث استطاع العالم الكوفي : ابن كناسه (١٢٣ — ٩ / ٢٠٧ هـ) ، الذي اشتغل كثيراً بأشعار الكميت ، أن يضع كتاباً^(٥) كاملاً في ما أخذه (سرفات الكميت من القرآن وغيره) . ولكنه هناك ، حيث لا يعتمد على مأخذ ، يبدو تعبيره فقيراً رثياً ، عارياً من كل جمال شعري . وكثير من شعره يبدو في صورة نثر منظوم ، تبرز بين أثناء فقره وإقفاره ، التعبيرات الرفيعة من لغة الشعراء ، المقصنة هنا وهناك ، كأنها رقايع جديدة في ثوب بال ، تشده الأبصار ، وتدهش الأنظار . ويتسق مع هذا اتساقاً تاماً أن الكميت كان يهد أمية بن أبي الصلت أشعر الشعراء (أغاني ج ٤ ص ١٢٢) . فهذا التنقل بين السطحية المقفرة ، والصيغة المتنخلة ، قد أسهم كثيراً في طبع أسلوب الكميت القلق المضطرب بطابع عام غير مرض .

(١) انظر — قبل كل شيء — الهاشميات .

(٢) ابن رشيقي : العمدة (١٣٤٤ هـ) ج ٢ ص ١٢٢

(٣) انظر : Wüstenfeld, gen. Tabellen U24 .

(٤) أغاني ج ١٨ ص ١٩٣ ؛ خزنة الأدب ج ١ ص ٥٥٨ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٦٤٧ . وهذا مذهب آخر غير مذهب تحقير الأطلال ورسوم الديار الذي ظهر في شعر المحمدين

(Goldziher, muh. studien I 32 Anm. 1)

(٥) انظر الفهرست ص ١٠٥

وترجح في هذا الأسلوب كفة العنصر النثري بصورة حاسمة ، وحتى الحرية التي فهم
يتخذها الكميّ — عرضاً — في الأمور اللغوية ، هي أيضاً ذات ميسم نثري ؛ يقول
فهو يستعمل مثلاً للفظ : « ذو » الذي يقتصر وروده عادة على التركيب الإضافي ، وظن
جمع مذكر سالماً : « الذوين » بمعنى أشرف اليمن^(١) ؛ وهو يصوغ لفظ « عُشَار »
بمعنى لكلّ عشرة ، على الرغم من أن صيغة « فُعَال » تستعمل^(٢) عادة في ألفاظ
التقسيم من واحد إلى أربعة فقط (أحاد ، ثناء ، ثلاث ، رباع) ؛ وهو يستعمل
اسم الموصول : « الذي » ، دون صلة ، بمعنى اسم الإشارة :

فَإِنْ أَدَعَ اللّوَاتِي مِنْ أَنَاسٍ أَضَاعُوهُنَّ ، لَا أَدَعَ الذِّينَا^(٣)

ولم يأخذ الناقدون عليه استعماله للألفاظ المهجورة تماماً ، كما هو الحال عند
الطرماح ، وإنما انصبّ النقد على تسامحه في تعاطي اللغة الدارجة . فمثلاً يُحِطُّهُ
الأصمعيّ في البيت الذي قاله في هجاء يزيد بن خالد بن عبد الله القسري :

أَبْرَقَ وَأَرَعِدُ يَا يَزِيدُ فَمَا وَعَيْدِكَ لِي بَضَائِرُ

لاستعماله صيغة الرباعي المهموز من : برق ورعد ، مع أن الاستعمال الفصيح
لا يعرف إلا صيغة الثلاثي^(٤) : مجازاً في التهديد والوعيد . وأخيراً ، أساء الكميّ

-
- (١) سيويه ج ٢ ص ٣٩ (Derenbourg) ؛ خزانة الأدب ج ١ ص ٦٧ ؛ ٨٦ وغير ذلك
(٢) انظر الأغاني ج ١٣ ص ١٤٥ ؛ ابن قتيبة : أدب الكاتب (نشر Grünert) ص ٥٩١
وشرح البطليوسى عليه ص ٤٦٧ والجواليقي ص ٣٩٣ ؛ الحريري : درة الغواص ص ١٤٨ (نشر
Thorbecke) .
(٣) خزانة الأدب ج ٢ ص ٥٦٠ ومثل هذا الاستعمال يوجد في العبارة المشهورة : بعد اللتيا
والتي . انظر : الميداني (١٣٤٢ هـ) ج ١ ص ٨٢ .
(٤) شواهد الفعل الثلاثي في المعنى المجازي مستفيضة ؛ انظر ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٤٠٠ ؛
ديوان التلمس (Vollers VI 15) أما الفعل الرباعي بهذا المعنى فقد جاء في بيت لههلهل عده
الأصمعيّ مزوراً (أغاني ج ٤ ص ١٤٩ ؛ البرد : كامل ص ٦٢٥ ، المرزباني : موشح ص ١٩٦)
وكما في البيت المنسوب إلى عبدالله بن الحارث السهمي (ابن هشام ص ٢١٦ × ٢١٦) والذي روى أنه
سمى : المبرق بسببه ؛ وفي بيت لازيفيان (انظر ديوانه : آلورد VIII 4) ، وللعديل ابن الفرخ
العجلي معاصر الحجاج (الحماسة ص ٢٤٨) . ونظراً لهذه الشواهد المختلفة يعد كل من أبي عبيدة
وأبي عمرو (انظر : اصلاح المنطق ج ٢ ص ٥٨) وأبي زيد (انظر القالي : أمالي ج ١ ص ٩٦)
صيغة الرباعي ، كصيغة الثلاثي فصيحة .

التي فهم بعض التعبيرات في لغة البدويين — عرضاً — لقلّة بصره بشؤونهم ؛ فهو مثلاً
 يقول : نار أبي حُبّاح^(١) ، فأخطأ في فهم العبارة المشهورة : « نار الحُبّاح^(٢) » ،
 وظن أن لفظ حُبّاح ، الذي معناه : اللهب أو دويبة حمراء تشبه اللهب ،
 اسم رجل عربي بجيّل ؛ كما أخطأ في ذلك أيضاً من تابعه من اللغويين^(٣) .

على أنه ، حتى عند آخر من يحتج بشعره من الشعراء البدويين : ذى الرمة ،
 المتوفى ١١٧ هـ توجد هنا وهناك صيغ مولدة . حقاً لقد كانت علاقته بالشعر القديم ،
 إذ كان بدوياً ، تختلف اختلافاً تاماً عن علاقة الكميت ؛ كما صانته خبرته ودرابته
 العميقة باللغة والطبيعة العربية من الوقوع في أخطاء صريحة . بيد أنه — على الرغم من
 ذلك — قد ظهر أثر العصر الجديد في لغته أيضاً ؛ فهو مثلاً يستعمل^(٤) في القصيدة ٨٧
 بيت ٢٩ ، لفظ : زوجة ، بدلاً من اللفظ القديم : زوج ؛ وهي صيغة جديدة وردت
 عند الفرزدق من قبل ، ص ٦٠٥ س ٥ ؛ ولكنها مرفوضة من الأصمعي^(٥) ،
 رعاية لاستعمال القرآن اللغوي فيما يظهر . ويخطئ الأصمعي أيضاً استعمال ذى الرمة
 قصيدة رقم ١٧ بيت ١٠ ، ٢٢ بيت ١٣ ، لفظ : أدمانة ، بمعنى بيضاء اللون
 (ظبيّة) ، بحجة أن لفظ الجمع وهو : أدمان (جمع آدم) لا يصح أن يأخذ علامة
 تأنيث ، ولا يصح غير : أدماء^(٦) . وإذا كان علماء آخرون يشيرون إلى أن الوصف

(١) العيني : شرح الشواهد الكبرى ج ٤ ص ٣٦١ ؛ تاج العروس ج ١ ص ٢٠٠ ؛
 خزائن الأدب ج ٣ ص ٢١٣ (نار أبي الحُبّاح)

(٢) النابغة : قصيدة ١ بيت ٢١ ؛ حاجز : أغاني ج ١٢ ص ٥٢ ؛ القطامي قصيدة ١٥
 بيت ٤٠ ؛ أبوحية (رواه الجاحظ في الحيوان ج ٤ ص ١٥٥ ؛ الميداني : ج ١ ص ٢٣٢ ؛ الدميري

(٣١٤٧ هـ) ج ١ ص ٣٣٤ ؛ ابن السجري : أمالي ج ٢ ص ٥٨ ؛ وانظر أيضاً : A. Fischer
 Der koran des abu l'Ala' al-ma'arri, Leipzig 1942 s. 58-63
 (٣) انظر : Nöldeke Beiträge zur semitischen sprachwissenschaft 118,10

(٤) أخذت الشواهد المتعلقة بذى الرمة من : The Diwan of Ghailan b. :
 uqbah known as Dhu'r-Rummah ed. by C.H.H. Macartny, Cambridge
 1919.

(٥) المرزباني : موشح ص ١٨٠ ؛ تاج العروس ج ٢ ص ٥٤ .

(٦) ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٤ (وأدمانة غاط) ؛ تاج العروس ج ٨ ص ١٨١

على فعلان بالمعنى الإفرادى يصح أن يأخذ علامة التأنيث (مثل : مُخْصَان^(١))
وَمُخْصَانَةٌ بمعنى : أهيف وهيفاء) ، فلا ينطبق ذلك على ما نحن فيه ؛ لأن أَدْمَانَ
— كما ذكر — ليس بمفرد . وحقيقة يبدو أن لفظ : أَدْمَانَةٌ لم يرد في الشعر
القديم ؛ وهذا البيت الذي يساق كثيراً^(٢) :

إنسانة الحى أم أَدْمَانَةُ السَّمْرِ باللهى رقصها لحن من الوتر

والذى ينم^(٣) فيه أيضاً لفظ : إنسانة ، مؤنث إنسان ، على أنه متأخر ،
إنما قيل في القرن الخامس . وقائله رجل من زعماء بدو المنتفق اسمه : كامل ، كان
في خدمة الوزير السلجوقى : كُنْدُرَى ، سنة ٤٥٠ هـ بالبصرة . وقد سمع منه القصيدة
التي يقول في مطلعها^(٤) هذا البيت ، الباخرزى ، حاجب كندرى . وكذلك ،
في دائرة التركيب النحوى ، تظهر في لغة ذى الرمة ، بين حين وآخر ، سمات من غير
الفصحى ، مثل حشوه : « إلا » الزائدة في البيت ١٧ من القصيدة ٢٤ :

حراجيج ما تنفك إلا مُنَاخَةٌ على الخسف أوزمى بها بلداً قفرا

ويظهر أنه قصد من ذلك إلى إبراز معنى الحصر في وضوح^(٥) . كما أن وضعه
لفظ : « لا » جواباً على ترديد السؤال ، بدلاً من « بل » في البيت ٣٠ من القصيدة ٨٧ ،
من الاستعمال المولّد^(٦) . وأياً ما كان الأمر فإن هذه الظواهر عنده من الندرة

(١) ورد هذا اللفظ في شعر ذى الرمة ، قصيدة ١ بيت ١٣ ؛ وأبى وجزة في تاج العروس

ج ١٠ ص ٢٦٩

(٢) انظر تخرّيج هذا البيت في فهارس الشواهد : Fischer u . Bräunlich

schawahid - Indices 102 p11

(٣) ورد لفظ : إنسانة لأول مرة في شعر المتنبي ؛ انظر تاج العروس ج ٤ ص ٩٩

(٤) انظر الباخرزى : دمية القصر (١٣٤٩ هـ) ص ٢٧ — ٢٩

(٥) المرزبانى : موشح ص ١٨٢ ؛ ١٨٤ وانظر في تخرّيج ذلك على مختلف الوجوه ، ابن
الأنبارى : الانصاف ص ٧١ فما بعدها ؛ خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٩ فما بعدها ؛ على أن عبارة :
ما ينفك إلا ، قد وردت عند بعض المدققين مثل الحريرى (انظر ياقوت : ١ إرشاد ج ٦ ص ١٧٢)

(٦) هكذا يقرر المؤلف محيلاً على المبرد : كامل ص ٢٦٠ ، بيد أن الأخلق أن يجعل اللحن
في السؤال بلفظ : أم ، التي يطلب بها تعيين أحد الأمرين مع الإيقان بحصول أحدها . وظاهر
الكلام في البيت المشار إليه أن السؤال عن التصديق بأحد الأمرين أى أن السائلة تجهل حصول =

بحيث لا يمكن أن تغض من مكانة ذى الرمة ، من حيث إنه من الشعراء المحتج بهم .
وهاهو ذا الأصمعي الذي عُني^(١) كثيراً بهذا الشاعر ملقياً^(٢) نظره بصورة
خاصة على الظواهر المولدة ، ينتهي إلى تقرير أن ذى الرمة حجة في شئون اللغة ،
لأنه بدوى ؛ على الرغم من أن شعره ، ما عدا الدالية XVII ، لا يشبه شعر العرب^(٣) .
وهذه السمات المولدة ناشئة من إقامة ذى الرمة في أرض « السواد » الخصبية ،
أو كما يقول الأصمعي في عرض تصويري^(٤) : « إن ذى الرمة قد أكل البقل والمملوح
في حوانيت البقالين حتى بَشِمَ » .

وبينما كان شعر « البلاط » والأحزاب السياسية في الدولة العربية يتصرف
في الحدود المتعارفة لأشعار البدويين ، ويجعل قوته ومثاله فصحاء الجاهلية الأولين ،
بُدى شعر الغزل ، الذي ازدهر بالحجاز في أوائل العصر الأموي ، صورة بعيدة عن
البداءة من الوجهة اللغوية أيضاً . ومثلهذا الشعر الغزلي كانوا في الأعم الأغلب من بيت
الملك ، أو من رجال آخرين من ذوى النسب الرفيع ، من الشببية الذهبية في الدولة :
jeunesse dorée ، التي لم تكن مشبعة بمطمح سياسي أيّاً كان ، بل تفضّل أن
تقضى عيشها ، في وطن الأسرة القديم ، مستغرقة في جميع صنوف الملاذ ، التي كان
الاجتماع الحجازي المرح الخالي من المهموم يبالغ^(٥) في عرضها وتقديمها . وأشعارهم السهلة
السائغة انبعثت عن تجارب الحب الخاصة ، والمغامرات التي تحدها الرقة والظرف .

== واحد منهما ، فكان المقام للفظ : أو ، بدلان : أم . وعلى هذا فالجواب بلفظ : لا يصحح نظراً
إلى قصد السائل لا إلى لفظ السؤال ، لأن لا : مثل : بل ، يجاب بها في التصديق لا في التعيين .
انظر رغبة الأمل ج ٤ ص ١٨٣

(١) كثيراً ما اعتمد صاحب الخزانة (انظر ج ١ ص ٢٨٤ الخ) على شرحه لديوان ذى الرمة .
(٢) مما يدخل في المولد استعماله لفظ : إليه ، فالأصمعي يرى وجوب تنوينه (انظر ياقوت :
إرشاد ج ٣ ص ١٤ ؛ خزانة ج ٤ ص ٢٣٨) ؛ كما اعترض الأصمعي على لفظ دوم بالمعنى المراد
في البيت ٩٥ من قصيدة ١ ، إذ أن دوم معناه الدوران في الهواء . انظر الديوان .

(٣) انظر الأصمعي : حوالة الشعراء (نشر C. Torry في مجلة الجمعية الشرقية :
ZDMG 65,503,17) ؛ المرزباني : موشح ص ١٧٠

(٤) المرزباني : موشح ص ١٨٠ ، انظر أيضاً السهيلي : الروض الأنف ج ١ ص ٢١٠

(٥) انظر Wellhausen Das arab, Reich, 101

وأعظمهم خطراً عمر^(١) بن أبي ربيعة (٦٤٤/٢٣ — ٧١٢/٩٣) الذى يمتاز تعبيره المصقول الطبيعى ، المتأثر تأثراً خفيفاً بلغة الحوار فى أرقى المجتمعات العربية ، امتيازاً واضحاً — من حيث مادته اللغوية قبل كل شيء — عن عربية البداوة ، الشديدة الأسر ، المنعمة بالقوة .

ويبدو أن نفس دوائر المجتمع الحجازى هذه ، هى التى ظهر فيها لون فنى آخر من شعر الغرام فى أوائل العصر الإسلامى . تلك القصص الغرامية العاطفية التى لعبت دورها بين البدو فى السهول والهضاب ، مثل قصة ليلى والمجنون وغيرها من أزواج القصص والروايات . ولم يكن مجهولاً لدى بعض^(٢) علماء اللغة من العرب أن هذا « المجنون » شخصية غير تاريخية . ونحن مدينون لابن الكلبي بهذا الخبر ، من أن شاباً أمويًا وقع فى عشق ابنة عم له ، فاختر قصة ليلى والمجنون لتكون إطاراً لشعره فى التشبيب ؛ ولكيلا يشيع اسم حبيبته بين الناس . وكذلك تلك القصص المؤثرة ، عن بنى عذرة^(٣) ، الذين يموتون إذا أحبوا^(٤) ، تعتبر من مبالغات شعر العاطفة عند البدو (Beduinenromantik) التى لعبت فى المجتمع الإسلامى دوراً كبيراً .

هذا ، فتشدد الطبقة العليا من العرب فى المحافظة على العربية ، التى كانت معرضة دائماً ، من حيث هى لغة البداوة ، لخطر الفساد والانحلال فى المدن بما تحتوى عليه من سكان أخلاط ؛ وظهور « حركة التنقية اللغوية » ، التى كانت تلحّ باطراد فى تطهير اللغة وتحليلها ؛ وطموح المسلمين الجدد البعيدى الهمة إلى امتلاك ناصية العربية بجميع دقائقها وأسرارها ، كل ذلك قد أوجد الدافع — فى نهاية القرن الأول — إلى دراسة التواعد ، التى كانت تجعل نصب عينها فى أغلب الظن

(١) انظر Kratschkowsky, EI III 1057 f

(٢) أغاني ج ٢ ص ٢ (طبع دار الكتب).

(٣) انظر Levi Della Vida, EI IV 1071 f

(٤) الجمحى ص ٦ (نشر : Hell)

— كما هي الغاية العملية — تحديد الاستعمال اللغوي الصحيح بصورة أساسية ، والتي لم تستطع الابتعاد — بسبب طابعها القياسي — من الأثر الشخصي ، والاشتغال بالتوافه ، كالمحاكات اللفظية وماشابهها . وقدما روى عن ابن أبي إسحاق الحضرمي القارئ (حوالي ٢٩ — ١١٧ هـ) أنه وجه^(١) إلى الفرزدق نقدا واهيا . وقد حملته دراسته للقرآن على الاشتغال بأمور اللغة . ويقال إنه توسع توسعا كبيرا في استعمال القياس اللغوي ، كما أنه كان يلاحظ اللهجات الخاصة^(٢) ، وكان — فوق ذلك — مولعا ، لكونه من الموالي ، بالعثور على شيء في لغة البدويين يتناوله بالنقد والتصحيح . ولما وقع الفرزدق في « الإقواء » الذي لم تسلم منه أحيانا لغة الجاهليين أنفسهم^(٣) ، حيث ضم القافية بدلا من كسرها في البيت :

على عمائمنا تلقى وأرحلنا على زواحف تزجي مَحْهارِيرِ

أى ذائب ، تعامى ابن أبي إسحاق — عمداً — عن هذا الإقواء ، ورواه كما لو أن الفرزدق قال : رِيرِ بالكسر ، وأنه خالف بذلك قواعد العربية . ولهذا غير الفرزدق قافية البيت إلى : على زواحف تزجيها محاسير^(٤) . وقد روى البيت على هذه الصورة السليمة من العيب ؛ في الديوان^(٥) . وقد ثار الفرزدق لنفسه من ناقده بالبيت المشهور :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

(١) الجمحي : طبقات ص ٦

(٢) تجد أمثلة لذلك في الجمحي : طبقات ص ٦ ؛ فهرست ص ٦٢ ؛ ابن جني : المحتسب في

سورة البقرة آية ٣٥

(٣) انظر ديوان النابغة ، قصيدة ٧ ؛ وانظر الأغاني ج ٩ ص ١٦٤ ، وديوان اصرى القيس (طبع السندوني) ص ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ ص ١٤٦ ص ٧ وديوان الفرزدق (طبع الصاوي) ص ١٧٢ ص ٧ ؛ ص ١٨٢ ص ٧ ، ٤ ص ١٨٤ ص ٣ ص ١٩٣ ص ٦ الخ .

(٤) الجمحي : طبقات ص ٧ ؛ وفي الرواية المساوقة عند المرزباني : الموشح ص ١٠٠ وابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٥ أن ابن أبي إسحاق أخذ على الفرزدق الإقواء فحسب ، وفي رواية أخرى أن الذي عاب الإقواء على الفرزدق هو عنيسبة بن معدان ، انظر المرزباني في الموضع المذكور .

(٥) طبع الصاوي (القاهرة ١٣٥٤ هـ) ص ٢٦٣

بيد أنه سرعان ما أُرشد^(١) الفرزدق إلى أن الصواب يتعين أن يكون مولى موال . وكذلك لم تقف شهوة التمحيص عند ابن أبي اسحاق أمام الشعراء والأولين . فقد رأى في بيت النابغة (آلورد xvii ، ١١) :

فبت كأتى ساورتنى ضئيلة من الرقش في أنيابها السمّ نافع
أنه يجب أن يكون في غير الضرورة^(٢) : نافعاً . وعلى عكس ذلك بلغت سخرية خصومه منه أن أخذوا عليه أنه ، مع كل نقده لتحقيق الصواب ، لم تكن لغته على ما ينبغي^(٣) .

وقد أخذت مثل هذه الاعتراضات تفقد ، في أثناء ذلك باطراد ، طابع النظرية الاختيارية ، والرأى العارض ، كما تقدمت العناية باللغة ، فصارت طريقة خاصة للنظر في القواعد . وقد فسح القارىء الغوى ، المشهور أيضاً ، أبو عمرو بن العلاء (حوالى ٧٠ — ١٥٤ هـ) ، مجالا في نقده للنظر في القواعد ، ولم يتورع حتى عن تصحيح متن القرآن ؛ فقد غيّر في^(٤) آية ٦٣ من سورة طه : *إِنَّ (أَوْ إِنَّ)* هذان ، إلى : *إِنَّ هذين*^(٥) ورتب ترتيباً نحوياً سليماً^(٦) في تغييره آية ١٠ من سورة المنافقين : *وَأَكْن* ، بالجزم ، إلى : *وَأَكُون* بالفتح ، بل حتى الظاهرة الصوتية المحضة ، كالانتقال من الواو المضمومة إلى الهمزة المضمومة ، لم يرد أن يعتدّها ، فقرأ : *وُقِّمَتْ* ، بدلا من : *أُقِّمَتْ*^(٧) . وإذا كان يجترى على مثل هذا التغيير

(١) الجحى : طبقات ص ٧ ؛ سيبويه ج ٢ ص ٥٣ ، ويوجد مثل ذلك في شعر عنتره ص ٢٦ (نشر آلورد) وفي بيت ٣٧ من مرثية مالك بن الربيع (القالى : ذيل الآمال ص ١٣٧) وغير ذلك
(٢) انظر سيبويه ج ٢ ص ٢٢٣ والمواضع التي ذكرها فيهمر في فهارس الشواهد ص ١٤٠
(٣) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٣٧١ ؛ ابن الجزرى : غاية النهاية ج ١ ص ٤١٠ .
(٤) لم يغير أبو عمرو ، وإنما هي قراءة رواها عن الثقات وكذلك فيما نسب إليه بعد ؛ وإذا كان قد روى عن بعض القراء تحطّثه ، فلتعارض الروايات وترجيح بعض القراء لبعضها دون الآخر . وانظر كتب القراءات والتفسير في ذلك .
(٥) عالج ابن يعمر هذا الموضوع بتفصيل في شرح المفصل ص ٤٤٧

(٦) انظر : Fleischner, Beiträge Zur arab. sprachkunde VII 82

(٧) الدانى : المقنع ص ١٢٢ ، وفيه أيضاً بعض ما اختص به أبو عمرو من القراءات ، على أنه لم يسلم من الاعتراض ، وقد لحن المبرد قراءتين له (نزهة الألباء ص ٣٦٤) ، إحداها : عاد الولي .

في صلب الكتاب الكريم ، فهو أجدر ألا يتراجع نقده بالضرورة ، إزاء نصوص الشعر ؛ فقد أخذ على الشاعر : ابن قيس الرقيّات (حوالى ٨٥ هـ) أنه ألحق بضمير المفرد المتكلم الهاء فصار : يه ، بدلا من : ي (في قصيدته رقم ٤٠ . Rohd.) للقافية على الرغم من ورود ذلك في القرآن^(١) أيضا . كما أن تلميذاً لأبي عمرو ، هو يونس بن حبيب الفارسي (حوالى ٩٠ — ١٨٢ هـ) ، اعترض على هذا الشاعر أيضا بأنه استعمل لفظ : يالغان ، وهو لهجة خاصة في : يوالغان ، مع أن الجائز هو الثاني فقط^(٢) . وقد أدى هذا الاعتراض إلى تغيير النص إلى : يوالغان ويوالغان ، على المعلوم والمجهول ، وأبعد بذلك كل اعتراض . ورواية المجهول للتخفيف غلبت على الرواية الأصلية في نسخ الديوان المتناقلة ، وسادت هذه الرواية في القرن الثالث حتى إن ثعلباً (المتوفى سنة ٢٩١ هـ) ساق البيت على هذا التغيير ، شاهداً على : يوالغان مبنياً للمجهول بمعنى : أولغه صاحبه ، أى حمّله على أن يبلغ^(٣) ، وإن لم يسم الشاعر . وهذا المثال يبين مدى ذلك الدور الذى كان يلعبه تصحيح النحاة في تاريخ رواية الأشعار العربية القديمة ، وإن كان في أحوال أخرى — وهى أغلب الأحوال — لم يكتب للنقد شيء من الانتصار . كما أخذ على « كُتَيْب » أنه استعمل^(٤) في بيت^(٥) ، بدلا من : ترأم بالهمز ، وهى الصيغة الفصيحة : ترأم ، بالتسهيل ، وهى لهجة الحجاز ؛ بيد أن الصيغة المنتقدة هى التى غلبت ، لتحصنها بالقافية .

== بالادغام بدلا من : عادا الأولى ؛ والأخرى : يؤده (آية ٧٥ من سورة آل عمران) بتسكين الهاء (انظر الدانى : تيسير فى الآية المذكورة) . ولا وجه للمبرد فى التخطئة ، لما ذكرنا من صحة الرواية عند أبى عمرو ، والمبرد إنما يحكم قواعد النحو التى صحت عنده . ولا شك أن العربية أوسع من نحو المبرد .

(١) انظر : Rhodokanakis فى مقدمته للديوان ، ص ٦١ ؛ المرزبانى : موشح ص ١٨٧ ؛

نولده : تاريخ القرآن ج ٣ ص ١٩٩

(٢) الأغانى ج ٥ ص ٨٧

(٣) فصيح ثعلب ص ٣ وملاحظات Barth عليه .

(٤) المرزبانى : موشح ص ١٤٦

(٥) انظر الديوان (نشر : Pères) .

عربية الدولة ، ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي

٧٨٦/١٧٠ - ٧٥٠/١٣٢

لم تهو العربية في هوة السقوط الذي حاق بالدولة العربية ، على الرغم من أن جزيرة العرب وسورية بالذات ، أى الإقليمين الوحيدين اللذين لم يكن اللسان العربي فيهما قلة تجاه السنة أصيلة الديار ، هما اللتان أصابهما هذا الانقلاب السياسى بشدة وطأته فى الصميم . ولماذا لم تنزل عن المسرح ، مع طبقة السادة العرب الذين كانوا ، حتى ذلك الوقت ، لا يزالون ممسكين بزمام القيادة والتوجيه ، اعتمهم كذلك ؟ ربما كان سبب ذلك هو أن لغة القرآن قد صارت فى شعور كل مسلم ، أياً كانت لغته الأصلية ، جزءاً لا يفصل من حقيقة الإسلام ، حتى إن الفرس الذين باسروا الحكم إذ ذاك ، لم يكونوا يستطيعون التفكيك فى رفع إحدى اللهجات الإيرانية لتكون لغة الدولة . بل حتى فى فارس ، كان يجب أن يمضى قرن بعد لتحتفل اللغة الحديثة للأدب الفارسى ببعث حيائها . وقد انضم إلى هذا أن الأسرة الجديدة أخذت تبرز الطابع الدينى لسلطانها بوجه خاص ، وصارت تعلن أنها وريثة السلطان الإلهى الذى أسسه محمد [صلى الله عليه وسلم] . بيد أنه كان من العوامل الحاسمة أن الطبقات المتميزة فى المجتمع الإسلامى الأوسط ، إنما أحرزت رقيها الاجتماعى منذ أجيال بمجاراتها للطبقة السائدة العليا من الوجهة اللغوية ، إذ أخذت عنها مثلها الأعلى فى الثقافة العربية لا لغاية قصيرة الأمد ، بل تمسكت بها أيضاً ، بعد أن حقق لها سقوط الدولة الأموية المساواة الكاملة للعنصر العربى . بل حتى الشعوب الذين ادعوا تفوق الشعوب غير العربية ، لم يستطيعوا أن ينقصوا شيئاً من مكانة العربية وقيامها مثلاً أعلى . وهكذا شهد العصر العباسى الأول ، فى مدارس النخبة بالبصرة والكوفة ، الباكورة الأولى للعلم العربى ، كما رأى فى نحو الفارمى « سيمويه » (المتوفى حوالى ١٨٠ / ٧٩٦) أول وضع شامل لقواعد العربية ، لم تغير الأجيال المتأخرة شيئاً من أسسه

وقواعده ، وإن وسعته توسيعاً مختلف النواحي ، أو غيرت من صورته وقوابله .
 وكتاب سيبويه يرينا كيف أن القواعد العربية اعتمدت على الاستعمال اللغوي عند
 عرب البادية دون استثناء . فهو يرجع دائماً في شئون الاستعمال اللغوي إلى «العرب»
 ولا يجيد في ذلك عن ترجيح كفة اللسان الحجازي^(١) ، بأنه «الأول والأقدم» ،
 وغالباً يكتبني في ذلك بعبارات عامة ، مثل : «العرب الذين ترضى عربيتهم»^(٢) .
 أو : «العرب الموثوق بعربيتهم»^(٣) . أو : «عربي أثق بعربيتته»^(٤) . وهي عبارة
 حملها بعض المتأخرين غلطاً على أبي زيد الأنصاري (المتوفى ٢١٥ هـ)^(٥) ،
 أو ببساطة : «العرب الموثوق بهم»^(٦) ؛ أو أخيراً : «فصحاء العرب»^(٧) . كذلك
 لا يسوق في شواهد شاعراً محدثاً قط ، على الرغم من أنه لم يكن يقبس — بحال —
 لغة الشعراء بمقياس أصحاب «حركة التنقية» المترددين المتخوفين ؛ فهو يستشهد
 بعدى بن زيد وأبي داود ، اللذين لم يرو عرب البادية أشعارها ، بشهادة الأصمعي ،
 لانحراف لهجتهما عن لغة نجد^(٨) . وهو يستشهد — على النقيض من أكثر علماء
 اللغة^(٩) — بأمية بن أبي الصلت وغيره من بني حنيفة ، وهو يعتمد — خلافاً
 للأصمعي^(١٠) — الكميث والظرماع في الاحتجاج بشعرهما . وهو يستشهد بزياد

(١) سيبويه (١٣١٦ هـ) ج ٢ ص ٤١ ، وانظر ج ٢ ص ٤٢٤ .

(٢) سيبويه ج ٢ ص ٤٢٣ ، وانظر ج ١ ص ٩٣ .

(٣) سيبويه ج ١ ص ١٥٣ ، وانظر ج ١ ص ٤٥١ ، ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٤) مثل ج ٢ ص ٥٩ س ١٢ .

(٥) ابن قتيبة : معارف (فستفولد) ص ٢٧٠ .

(٦) ج ١ ص ١٩٨ س ٥ ؛ ج ١ ص ١٠ ؛ ج ١ ص ٢٢٢ س ١ ؛ ج ١ ص ٣٨١ س ١٥ —

ج ٢ ص ٢٩٠ س ٤ ؛ وانظر : ج ١ ص ٣٣١ س ١٣ ؛ ج ٢ ص ١١٠ س ١٠ ؛ ص ١٦٧
 س ١٢ الخ .

(٧) ج ١ ص ٤٧٧ س ٧ ؛ ج ٢ ص ٢٠ س ٢٠ ؛ ص ١٤٧ س ٤ ؛ ١٨ ؛ وانظر ج ٢

ص ٥٢ س ٤ .

(٨) المرزباني : الموشح ص ٧٣ س ١٩ .

(٩) انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٧٩ س ١٠ .

(١٠) المرزباني : الموشح ص ١٩١ .

الأعجم وأبي عطاء السندی ، كما يترك مجال القول أحياناً لمعاشرين قدما ، مثل :
رؤبة وأبي نخيلة ؛ لكن لا لشاعر محدث البتة . ذلك أنه إذا كان قد استشهد
مرة ^(١) ببيت زوره — فيما يقال — أبو يحيى اللاحق (يظهر أنه : أبان بن عبد الحميد)
أو ابن المقفع ، بقصد التعمية على النحوى العظيم ^(٢) ، فلا يعدو الأمر — مهما يكن
نصيب هذه الرواية من الصحة ، أن يكون من قبيل السهو . وفي بيت آخر ، يوجد
حقاً في متن الكتاب بأيدينا : « لرجل من بنى سلول مولد ^(٣) » . ولكن هذه
الجملة من وضع مُخرج الكتاب ؛ فقد ثبت لدينا بصورة أكيدة أن سيبويه ساق
جميع شواهد دون تسمية الشعراء ^(٤) ، وذلك الرأى يجد تأييداً له فيما أضيف إلى
الجملة السابقة وهو : « ويقال : وضعه النحويون ^(٥) » ، فصریح أن هذه الزيادة
لا يمكن أن تكون من قول المؤلف . وأخيراً تريد إحدى الروايات أن تعرف أن
سيبويه اعتبر شعر بشار حجة خوفاً من سلاطة لسانه . ولكن الكتاب نفسه
يدحض هذه الرواية ، حيث نبحت عبثاً عن اسم بشار فلا نجد له ذكراً ؛ وفوق هذا
فإن رواية أخرى — مساوقة لهذه — تضع اسم « الأخفش » النحوى بدلا من
« سيبويه ^(٦) » .

كان البدو يعدون حجة لايعتورها الشك في جميع مسائل اللغة . وكم خلاف
بين علماء اللغة حول التفسير الصائب لمبت من الشعر ، أو حول صحة تعبير من
التعبيرات ، رفعه حكم بدوى حاضر عرضاً . وحسبنا أن نذكر الحوار الخلفي ، الذى
دار بين سيبويه والكسائى ، في مجلس الوزير « يحيى بن خالد البرمكى » في مسألة :
« كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور » هل يقال بعد ذلك : « فإذا هو هى »

(١) ج ١ ص ٥٨ .

(٢) عبد القادر : خزنة الأدب ج ٣ ص ٤٥٦ .

(٣) ج ١ ص ٤١٦ س ٦ .

(٤) خزنة الأدب ج ١ ص ١٧٨ س ٢٦ .

(٥) ج ١ ص ٤٣٤ .

(٦) أغانى ج ٣ ص ٢١٠ .

أو: « فإذا هو إياها^(١) ». وفي ذلك الوقت كان البدوي يحدون مدخلا إلى بيوت السادة ، من حيث هم حجج اللغة . ولا تزال بأيدينا أسماء « فصحاء الأعراب » الذين دفعتهم الضرورة — تحت إهمال العباسيين — من أوطانهم اللاهثة المتوجعة ، ليقدموا معارفهم اللغوية إلى السادة الجدد^(٢) . وقد كان أبلغ آيات التقريظ التي توسم بها لغة أحد المثقفين ، أنه ينطق كما ينطق البدوي ، وتلك الطريقة الكلامية الخالية من كل تفكير ، والتي يتحرر فيها المتكلم من علامات الإعراب ، وتصاريف القواعد ، جريا على السليقة ، بحيث يستطيع السامع أن يفهم غرضه دون لبس ، لم تكن بعد — في القرن الثاني — أمراً طبيعياً (على النقيض من التعبير الرفيع المكتسب بالدرية والتلقى) ؛ بل كانت تعد تهاوناً وإهمالاً^(٣) . وقد كانت مثل هذه السلامة اللغوية تؤثر مثلا عن أبي سعيد المعلم (المتوفى سنة ١٦٩ هـ) الذي جعله^(٤) المنصور مؤديا للخليفة اللاحق « المهدي » ، والذي جعله^(٥) المهدي بعد ذلك معلماً لابنه وخلفه « الهادي » ، وكانت تؤثر^(٦) أيضا عن اللغوي المشهور « أبي زيد الأنصاري » (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) . كذلك الراويان البصريان : خالد بن الحارث (١٢٠ — ١٨٦ هـ)^(٧) ، وبشر ابن المفضل (المتوفى ٧ — ١٨٦ هـ)^(٨) ، روى أنهما كانا ينطقان لهجة سليمة لاشية

- (١) انظر : A. Fischer في الكتاب التذكارى لتكريم E. G. Browne (A Volume of oriental Studies) ص ١٥٠ — ١٥٦ : تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٠٥ .
(٢) فهرست ص ٤٣ س ٢٧ .
(٣) انظر تفسير كلمة السليقة عن الليث معجم Lane ص ١٤١١ ؛ وانظر الجمحي : طبقات ص ٥ س ١٦ .
(٤) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٥٣ ؛ ابن قتيبة : معارف (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١٨٥ وما بعدها .
(٥) ابن سعد ج ٧ ص ٢ .
(٦) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ س ١٤ ؛ وانظر أيضاً ج ١ ص ٦٨ س ٢٩ . وهو ينقل في المكان الثاني عن « أبي العاص ... ويريد به — فيما يظهر — ابن عبد الوهاب الثقفي للمتوفى ١٩٤ هـ ، الذي اشتهر بكتابة رسالة في البخل (الجاحظ : بيان : طبع Van Vloten ص ١٦٢ — ١٨٢) . وللووقوف على أخبار أسرته ، انظر الأغاني ج ١٧ ص ١٢ . هذا وقد كان للملاحظات النظرية مقام لا يستهان به في لغة أبي زيد ، فقد كان يراعى « القياس » والإجماع وما أشبه ذلك . انظر : نوادر أبي زيد ص ٦٧ فما بعدها .
(٧) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٤ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ٣ ص ٨٢ .
(٨) ابن حجر : تهذيب ج ١ ص ٤٥٨ فما بعدها .

فيها^(١)، كما يروى عن جرير بن حزم (٨٥ — ١٧٠ هـ) في مبالغة بليغة، أنه كان ينطق عربية أفصح من عربية «معد»^(٢). أما أن هؤلاء الرجال، باستثناء أبي سعيد المعلم وحده، كانوا يعيشون بالبصرة، فلم يأت ذلك مصادفة ولا اعتباطاً، فإن البصريين الذين كانوا يفاخرون^(٣) بمدرستهم النحوية، وينافرون بكتاب «سيبويه» ومعجم «الخليل»، كانوا يبرزون بحق — في عصبيتهم المحلية طبعاً — وهم مفعمون بالفخر، أسماء أمثال أصحابهم هؤلاء الذين امتازوا بفصاحة خاصة في اللغة. وعلى الرغم من ذلك، فقد بدأت أيضاً مرحلة جديدة في تاريخ اللغة العربية مع خلافة العباسيين ببغداد سنة ١٣٢ — ٧٥٠. لقد كانت الأسرة القديمة جِدًّا قريبة إلى أهل البادية، بحيث كانت تجد مدخلاً مباشراً إلى عالم تفكيرهم؛ وكانت تنطق بلسانهم، وتحسن فهم أشعارهم. حقا لقد كان العباسيون أيضاً يتمدحون بأصلهم العربي، ويرفعون نسب سلالتهم إلى العباس، عم الرسول، بيد أنهم بعدوا عن حياة البدو بعداً كبيراً، كما لم يفعل أموى أيّاً كان. وكانت الدوائر الإسلامية الجديدة، غير العربية الأصل، التي وصلت إلى الحكم في ذلك العهد، تشعر أقل من ذلك بالصلة النفسية الداخلية بمجياة العرب وطبيعتهم، فهم لم يُدَشِّئُوا في الخيام، ولم يذوقوا طعماً لتلك الخشونة والحاجة التي تعرفها حياة البداوة وطبيعة الارتياح والاتجاع، كما لم ينفذوا إلى عالم البدو الثرى الغنى بكنوزه وقيمه الخلقية والعادية والفنية، على الرغم من كل ضيق في وجهة النظر، ومرعى الفكر. بل لقد عمرت الدوائر الإسلامية الجديدة تلك المدن العظيمة السريعة الازدهار، في دولة عالمية؛ وأسهموا في إقامة صرح حضارة، نشأت تحت شعار الإسلام في أرض الشرق الأوسط المحررة من السلطان الروحي للقساوسة، ومن النظام الإقطاعي الذي كان سائداً بها من قبل، فهم لم يكونوا يستطيعون — حتى ولو

(١) الجاحظ: بيان ج ٢ ص ٥ س ١٣.

(٢) ابن حجر: تهذيب ج ٢ ص ٧٠ س ١٦.

(٣) انظر مثلاً: تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٧ س ٥٥.

استخدموا العربية — أن ينطقوا كما كان البدو ينطقون ؛ بل صبّوا أفكاراً حديثة في قوالب اللغة القديمة ، وملاوها على هذا النحو بمادة جديدة . وما كان اعتباراً أن يأتي في طبيعة الأدب العربي لذلك العهد ، عصر المحدثين في أول الدولة العباسية اثنان من الفرس : ابن المُقَفَّع ، وبشار بن برد . وعلى الرغم من قوة نزوعهما إلى الشعبية ، لم يفكر واحد منهما في استخدام لغته الأصلية ، وإقامة وزن لها من الوجهة الأدبية ، بل اعتمدا على اللغة العربية .

وقد أخذ ابن المقفع « الفصاحة » في البصرة عن أبي الجاموس^(١) ، بدوى كان في خدمة والى البصرة فيما يعد (١٣٣ — ١٣٧) سليمان بن علي أحد أعمام الخليفة . ولقد استحوذ ابن المقفع على لوزنية وأستاذية في تعاطى العربية ، بحيث استطاع أن يترجم كتباً عدة من الأدب البهلوي ترجمة مثالية . وتراجمه لأخبار الملوك : « خُدَاي نامه »^(٢) وكتاب أنظمة الملك : « آيين نامه »^(٣) وقصة مزدك^(٤) ، وحياة بُرْزُويه^(٥) ورسالة تَنْسَرَه^(٦) ، قربت للمثقفين في جميع الأقطار الإسلامية أشخاص أساطير البطولة الإيرانية وتاريخ الساسانيين ، كما جعلتهم على بصيرة بروح فارس وطبيعة حياتها قبل الإسلام . وكذلك الترجمة التي عملها بمنوان : « كليلة ودمنة » لخرافات الحيوان التي ألفها بَيْدَبَا (بِدْبَيْ Bidbai) ، جعلت هذه التحفة الأدبية العالمية التي يرجع أصلها إلى « مرآة لأمرء الهند » سهلة سائغة في عالم الناطقين بالضاد ، كما بلغت مرتبة حاسمة ، نظراً لانتشارها في المشرق والمغرب بوساطة ترجمتها وتهذيبها وتناولها كل متناول باطراد ، في العربية ، والفارسية ، والسريانية ، والعبرية واليونانية . وأخيراً عمد ابن المقفع ، الذي اعتنق الإسلام لأسباب خارجية فحسب ،

(١) فهرست ص ٦٧ .

(٢) A. Christensen, L' Iran sous les Sasanides (1936) p. 54

(٣) الموضوع السالف ص : 56 .

(٤) الموضوع السالف ص : 63 .

(٥) الموضوع السالف ص 418 ، 424 ، 434 .

(٦) الموضوع السالف ص : 58 ، 325 .

إلى أن نقل في سلسلة من مقالاته التثقيفية، حكمة الشرق العملية الخلقية المستخلصة من تجارب الحياة التي لا تعترف بمبادئ مرسومة للعادات والتقاليد، ولا يخدعها الوهم والخيال عن حقائق الناس، والتي تعلم في برود وواقعية جافة — دون اكتراث لما جاء في الأديان السماوية من مبادئ وفروض خلقية وأدبية — كيف يصنع المرء وكيف يصوغ نفسه، إذا أراد أن يعيش في العالم بعيداً عن المضار، محظياً بالسعادة. وكذلك بلغت تلك المقالات نجاحاً عظيماً، سواء من حيث موضوعاتها التي تملقت دوائر الثقافة الرفيعة في المدن بسبب تساهلها الديني، أم من حيث أسلوبها الشائق البديع. نعم لم يعلم المؤلف، حتى بعد وفاته المبكرة (سنة ١٤٢ هـ) خصوما كانوا — كالحليفة المهدي — يعدونه رأس الزندقة كلها^(١). على أنه بعد إبعاد ضرر المانية (الزندقة) خرسست ألسنة المعارضة تدريجاً، ولم يكن فقط رجل مثل البرمكي يحيى بن خالد (حوالي ١٠٢ — ١٩٠ هـ) الذي قدره حق قدره^(٢)، بل حتى الأصمعي المحافظ (المتوفى ٢١٣ هـ) يروى أنه كان يعجب ببيئته^(٣). وفي أيام الجاحظ (المتوفى ٢٥٦ هـ) كان يدرس كل كاتب ناشئ كتبه^(٤). ومنذ ذلك العهد، سمى مجد ابن المقفع غير مزعزع، وعد من البلغاء اللامعين في العالم العربي. بيد أن اللغة التي كتب بها ابن المقفع ليست هي العربية القديمة؛ فبموازنة هذه بتلك نجد لغة ابن المقفع سوية، شفافاً مبسطة حسب أغراضها؛ وبدلاً من الثروة الفياضة في المادة البدوية القديمة، التي تجمع التنوع المتعدد الألوان لعالم الظواهر، مع حشد من السمات الخاصة، التي تصور مثلاً فروق الحيوان، والأعمار، والأجناس، والألوان، والصفات، والخصال البارزة، بكلمات خاصة؛ كما تحتوي على قائمة من المفردات لأصوات الحيوانات؛ تكتفي لغة ابن المقفع — إلى حد بعيد — بالتعبيرات

(١) أمالي المرتضى (القاهرة ١٩٠٧) ج ١ ص ٩٣ فما بعدها الخ.

(٢) ياقوت: إرشاد ج ٦ ص ٢٦٨ س ١١.

(٣) ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ج ١ ص ٢٦٧ س ١٢.

(٤) ذم أخلاق الكتاب (ثلاث رسائل للجاحظ، نشر فنكل) ص ٤٢ س ١٥.

العامية ، وتؤثر تصوير الخصائص البارزة بعبارات مقاربة . كما يعرب أيضاً استعماله
الغوى في دائرة تركيب الألفاظ وصياغتها ، عن طموحه الدائم إلى التبسيط الموأم
للغرض ، فكثير من صيغ الأسماء في العربية القديمة يقل عنده أو ينعدم تماماً ؛
وأخيراً نجد تركيبه النحوى أيضاً واضحاً شفافاً ، وهو يتجنب كذلك الجمل التعبيرية
المتنوعة الدلالة ، وصيغ التعجب والاستغائة ، ويتفادى تصفيف الكلام ، والتداخل
العسير الفهم ، وما شا كل ذلك مما يستفيض في لغة البدويين . وربما بلغنا إقناعاً
بما نقول إذا وازنا بين لغة ابن المقفع والنثر الأصلي البدوي القديم ، كما ورد في أيام
العرب ، أو كما جاء في الحكم والأمثال .

والتغييرات التي تبدو في نثر ابن المقفع ، بالنسبة للعربية القديمة ، وجدت نظيرها
تماماً — في نطاق دائرة الشعر — في لغة معاصره « بشار بن برد » (حوالى
٩٥ — ١٦٧ هـ) ، على الرغم من أن قوة الرواية ، وتقليد القدماء في هذه الدائرة
بالذات ، كانا يقفان عقبة في طريق كل تطور في الأسلوب . وكان ابن المقفع أيضاً كان
بشار فارسي الأصل ؛ وكان يعدّ مانيئاً مقنّعا . نشأ في البصرة ، وكان بصيراً باللغة
القديمة بصراً مؤسسا ، بحيث أدرك لتوّه عدم أصالة بيت مدسوس على الأعشى
(رقم ١٣ ، بيت ٢)^(١) . ولما علم أن الأمير سلم بن قتيبة الباهلي — كان واليا
على البصرة ومات ١٤٩ هـ^(٢) — محب للشعر على طريقة القدماء ، وأنه كان يعد
نفسه بصيرا بالغريب ، تعنى بشار بمدحه في أرجوزة ، ملأها بالنادر المتنخل
من الألفاظ^(٣) . وحينما أنكر عليه عقبة بن ربيعة حق الحكم في الرجز ، والفصل
في تفضيل بعضه على بعض ، برهن هو على أنه يعرف أيضا مرمى بصره في طراز
الرجز^(٤) . كما حقر أحد البدو في هجاء أصيل الأسلوب ، لأن هذا لم يطمئن إلى أنه

(١) أغاني ج ٣ ص ١٤٣ فما بعدها .

(٢) Zambaur, Manuel 40 ، ابن حجر : تهذيب ج ٤ ص ١٣٤ .

(٣) أغاني ج ٣ ص ١٩٠ . وقد قيل في سلم أيضاً القصيدة المذكورة في ص ١٠٠ من
كتاب : المختار من شعر بشار « طبع بدر الدين » كما ذكره الأشنانداني في : « معاني الشعر » ص ٤٠ .

(٤) أغاني ج ٣ ص ١٧٤ — ١٧٧ ؛ وانظر المختار ص ٢٧٥ ؛ الجاحظ : بيان ج ١ ص ٢٣ ؛ =

ذو ملكة في الشعر^(١) لأنه مولى . وإذا قال بشار الشعر على طراز الأقدمين إلى
عن قصد ، وجدنا أشعاره تحمل طابع الصنعة والتعلم على جبينها ؛ على أنه لم يكن
يبالي إلا نادرا بالقصد إلى المحاكاة والتقليد ؛ فإذا ما تنازل عن ذلك وجدنا أسلوبه
يعرض تلك الأناقة الواضحة ، والبيان الناصع الشفاف ، الذي نجده في نثر ابن المقفع .
سمات أساسية تبدو جلية في تعبيره ، سواء في اختيار الألفاظ ، أم في تركيب الجمل ،
أم في تفضيل العروض القصير الخفيف . وفي شعر الارتجال يعنى بشار في التحرر
من الشعر القديم ، حتى يستعمل أحيانا عبارات شعبية^(٢) ، وروايات نبطية^(٣) ؛
وكان بشار يستعمل المزدوج والخمس^(٤) في الهزل ، وفي تحقير الشعر القديم ؛ فهو
يقحم مثلا في أحد أبياته — لتحقير نبطى قلد أسلوبه في النطق على ما يظهر —
الكلمات التالية :

لا دَهْل من جَمَلًا

أى لا خوف من الجمل^(٥) .

وهذا التطور في الأسلوب ، الذي نستطيع أن نشاهده عند ابن المقفع وبشار ،
أذن بشروق عهد جديد في تاريخ اللغة العربية ، دعا إليه الانتقال من حياة البداوة

== ابن رشيق : العمدة ح ١ ص ١٣٦ . ولفظ : طراز (أغاني ٣ ص ١٧٦) يمكن أن يضاف
إلى الألفاظ التي جمعها جولدزهر في : Abhandlungen I, 29 ff. ، والتي تدل على تشبيه
الشعر بالنسيج .

(١) أغاني ٣ ص ١٦٦ ص ٩ .

(٢) مثل استعمال لفظ : « قارورة » أى زجاجة بمعنى : « المرأة » في بيت له (أغاني ٣
ص ١٩٠) ، وقد ساق ابن حجر هذا البيت في فتح الباري ج ١٠ ص ٤٥١ شاهداً على حديث
البخاري : أدب ؛ مسلم ؛ فضائل ؛ الطبائسي : مسند ؛ حيث ورد هذا الاستعمال المجازي .

(٣) انظر الجواليقي : العرب ص ٦٧ س ٤ ؛ تاج العروس ج ٧ ص ٣٢٨ .

(٤) ابن رشيق : العمدة ح ١ ص ١٢٠ ؛ الجاحظ : بيان ١ ص ٢٣ ، يسميه صاحب
مشور ومزدوج .

(٥) الجواليقي في الموضوع السالف ص ٦٧ س ٥ ؛ على أنه نسب البيت نفسه في ص ١٣٤
إلى سراقه الباهلي الذي اشتهر بين سنة ٦٠ - ٧٠ هـ . وفعل دهل أو دخل بالفتح بمعنى خاف ،
ورد في إحدى الروايات (تاج العروس ج ٧ ص ٣١٩ ؛ وفي رواية أخرى : كنز العمال ج ٢
ص ٢٩٨ ، ورد بدلا من ذلك : « خاف » .

مين إلى حضارة المدن ، وتغلغل غير العرب ، في مناطق الأدب . وذلك الطابع الوحشي
بكن العربية القديمة بثروتها الفياضة في الألفاظ والقوالب ، تراجع في ذلك العهد أمام
بويه أسلوب منوق مهذب ، لا يسبب استوائه وسهولته صعوبات ذات بال للأفهام .
وقع . وهذه اللغة السهلة ، المنسكبة ، الواضحة ، سرعان ما احتذيت واستعملت في الأدب
ل ، من قبل المثقفين جميعا في العالم الإسلامي ، دون تمييز بين أصل وجنس ، ولا بين
لغة أصلية ولهجة وطنية خاصة . وبما أن الشعوب والأقوام في المدن العظمى للدولة
كانت أخلاطاً متعددة الألوان يوج بعضها في بعض ، لم تستطع الدوائر العربية
أن تتخلص من تأثيرها بصفة دأمة ؛ بيد أن كل هذا الانسجام والاستواء في القوالب
والأساليب ، وذلك الاطراد السطحي في موافقة القواعد ، لم يكن ليستطيع أن يخذعنا
عن أن القالب الداخلي ، والأسلوب الحقيقي للغة الدولة الجديدة ، كان يحمل سمات
مولدة . وإلى أي مدى كانت الطبيعة العربية لا تزال مرهفة الإحساس إزاء كل
أعجمية ؟ هذا ما يشير إليه ذلك الخبر المستفيض الرواية عن محاوراة جدلية بين
أبي عمرو بن العلاء (حوالي ٧٠ — ١٥٤ هـ) وعمرو بن عبيد مؤسس الاعتزال
١٤٤ — ٨٠ هـ) حول نظام الجزاء الإلهي : فحينما قال هذا (عمرو بن عبيد) :
إن الله منجز وعده ووعيده ، قال له أبو عمر لأتما : إنك أعجمي ولا أعني لسانك
(أي أنه لا يخالف قواعد النحو واللغة) ولكن فهمك . وعلمه ، مشيراً إلى بيت
عمر بن الطفيل (قطعة ٧١ بيت ٢) :

وإني إن أوعده أو وعدته تخلف إيعادي ومنجز موعدي

أن العرب لا تعد ترك الإيعاد ذمّاً وتعدّه مدحاً ، على عكس الوعد^(١) . ومع
هذا فقد كان عمرو بن عبيد خطيباً ممتازاً لا يزال كثير من أقواله باقياً^(٢) .

(١) ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٤٢ س ٩ ؛ الثعالبي : يتيمة ج ١ ص ٤٦٤ س ١١ ؛
الذهبي : ميزان ج ٢ ص ٢٩٦ س ١٩ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ٨ ص ٧١ ؛ ابن حجر : لسان
الميزان ج ٥ ص ٣٧٩ ؛ الأشعري : مقالات ص ١٤٨ هامش .

(٢) انظر مثلاً في عيون الأخبار لابن قتيبة .

ومثال آخر من ذلك النقد ، حصل مع من ليس أقل من ابن المقفع ، الذي عد عليه الأصمعي من الخطأ الفاحش تعريفه لفظي : بعض وكل^(١) حيث قال : « العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خيراً من ترك الكل » ، لأن إبهام معنى بعض الذي لا يرتفع أيضاً بإضافته إلى المعرفة — بعض العرب معناه جماعة من العرب أي كانوا — يمنع من تعيينه بأداة التعريف ؛ وكذلك لفظ « كل » ، الذي كثيراً ما يستعمل مقسماً ، لم يرد معرفاً في العربية القديمة بحال^(٢) . وهذا — في الحق — لم يمنع الإدراك الفكري المحض أن يبتدع فيما بعد لفظي البعض ، بمعنى الجزء أو الجزئي ، والكل بمعنى الجميع أو المجموع . وهذا التعبير العديم الحياة ، حاول^(٣) النحوي « ابن درستويه (٢٥٨ — ٣٤٧ هـ) في : « الرد على ابن خالويه في الكل والبعض » أن يصححه . وأخيراً استشهد بعضهم لتصحيحه بأبيات صريحة التصحيح^(٤) .

بعد هذه الأمثلة لا نكاد نعدل عن شاكلة الصواب ، إذا نحن أولنا بنفس المعنى تلك الرواية ، من أن أحد البدويين عد على الخليفة المنصور (حكم ١٣٦ — ١٥٨ هـ) في جلسة واحدة ، ثلاثة أخطاء لغوية ، حتى وإن لم ينقل إلينا نص هذه الأخطاء^(٥) . ذلك أن المنصور ، كأكثر العباسيين ، لم يكن خالص العروبة من جهة الدم — كانت أمه من البربر — ؛ كما يجوز لنا أن نظن أنه كان يتكلم الفارسية^(٦) . ولكنه كان رجلاً واسع الثقافة ، وكان خطيباً لامعاً ؛ وقد جمعت أقواله في كتاب خاص كان جُرد مشهور عند النساخين في أيام الجاحظ^(٧) .

(١) تاج العروس ج ٥ ص ٨ و ج ٨ ص ١٠٠ ؛ كذلك في الزهر ج ٢ ص ١٠٥ عن كتاب ليس لابن خالويه .

(٢) الصواب تغيير لفظ « كل » في بيت امرئ القيس إلى كل بفتح الكاف ، كما قرره :

Reckendorf في : Arab. Syntax, p 154 .

(٣) فهرست ٩٤ ، وفي تاج العروس ج ٥ ص ٨ أبيات قيلت في السخرية منه لذلك .

كما أن رأى ابن خالويه ذكر في الزهر في المسكان السالف (ج ٢ ص ١٠٥) .

(٤) الحفاجي : شرح درة الفواص (استانبول ١٢٩٩) ص ٧٠ .

(٥) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٣ س ٦ .

(٦) ابن قتيبة : عيون ج ١ ص ٢٠٨ .

(٧) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ١٥٤ س ٢٩ .

فليكن وقع في خطأ مرة أثناء تلاوة القرآن^(١)، فإنه لا يظن بحال أنه كان يقع في أغلاط فاحشة من جهة القواعد ، بل ربما كان يستعمل فقط عبارات تجرح الإحساس اللغوي الطبيعي لرجل من البدو .

وككل علم قياسي لم يسلم النحو العربي دائماً من خطر الاستبداد بالحياة الواقعية ، وإكراهها في وضع قواعده . وعلماء اللغة لم يتفقوا أبداً باطراد في وجهة نظره نحو الاستعمال اللغوي الصحيح ؛ وقد انضم إلى ذلك أيضاً الخلاف المدرسي بين البصريين والكوفيين ، ولم يكن من السهل بالكوفة ملاقات العرب الرحل من وسط الجزيرة وشرقها ، وسؤالهم ، كما كان ذلك متيسراً لأهل البصرة . ولذلك اعتمد العلماء في الكوفة بحكم الضرورة على أنصاف المقيمين من القبائل في سواد الكوفة ، الذين لم يرد علماء اللغة بالبصرة الاعتراف بلغتهم على أنها أصل للاحتجاج^(٢) . وكانت لعلماء البصرة مذاهب معتمدة في القياس النحوي تختلف عن مذاهب الكوفيين ، كما سلك كل من القبيلين في تفسير الظواهر اللغوية طريقاً خاصاً . لهذا نجد أبا محمد الزبيدي (١٣٨ - ٢٠٢ هـ) مؤدب المأمون الذي كان شديد العصبية لمدرسة البصرة يسخر في قصيدة^(٣) هجا فيها الكسائي الكوفي مؤدب الأمين ، من علماء أفسدوا النحو وأزروا به ، وهم بين أعتم لا يحسن الكلام ، موضح ذى مرأ وذى لكنة ، خسيس الأصل والنسب ؛ أحدثوا في النحو قياساً فاسداً لا يغني شيئاً . وسيظلون في مبادئ النحو ، لا يتجاوزون أجديته ولو عمّروا أعمار عاد . أما الكسائي فهو من النحاة الذين لا يرجي عندهم غناء ، ومن أتاه دون علم به يبغى عنده العلم فهو كالعطشان قصد إلى سراب في البياء :

(١) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٣ س ١٠ .

(٢) سيرافي : أخبار النحويين ص ٩٠ (طبع كرنكو) ؛ فهرست ص ٨٦ س ١٥ ؛

ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ٢٦٣ .

(٣) سيرافي : أخبار النحويين ص ٤٠ ، فما بعدها (طبع كرنكو) .

وقل لمن يطلب علماً ألا ناد بأعلى شرف ناد
يا ضيعة النحو، به مغرب عنقاء أودت ذات إصعاد
أفسده قوم وأزروا به من بين أغتام وأوغاد
ذوى مرء وذوى لكمة لئام آباء وأجداد
لهم قياس أحدثوه هم قياس سوء غير منقاد
فهم من النحو، ولو عُمروا أعمار عاد، في أبي جاد
أما الكسائي فذاك امرؤ في النحو حار غير مراد^(١)
وهو لمن يأتيه جهلا به مثل سراب اليبس للصادي
كما بيت شكواه وغضبه على أمة الكوفيين في شعر آخر^(٢):

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه على لغى أشياخ قطر بل
فكلهم يعمل في تقض ما به يصاب الحق لا يأتلي
إن الكسائي وأشياعه يرقون في النحو إلى أسفل

ومن هذا يتبين أنه منذ بدء العصر العباسي أخذ العيب باللحن ينتشر — بحق
أو دون حق — لوسم خصم بأنه غير مثقف ، وللمحظ من شأنه في أعين معاصريه .
ومما يذكر في هذا الصدد على سبيل المثال ، حكم يونس بن حميب (حوالى ٩٥ —
١٨٣ هـ^(٣)) ، الذى ينقل سيبويه كثيراً عنه ، على حماد الراوية (حوالى ٩٥ —
١٥٥ هـ^(٤)) ، جامع المعلقات الذى كثر الطعن فيه ، وصيغة ذلك الحكم كما يلي :
« كان يكذب ، ويلحن ، ويكسر^(٥) » ، (أى لا يقيم وزن العروض . وكذلك

(١) كذا في أخبار النحويين وهو ظاهر التحريف .

(٢) ابن الأنبارى : نزهة الألباء ص ١٠٨ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٢٩٠ ؛ سيوطى :

بغية ص ٣٣٦ .

(٣) فهرست ص ٦٣ .

(٤) ياقوت : إرشاد ج ٤ ص ١٣٧ .

(٥) المحجى : طبقات ١٥ (طبعة Hell) .

يروى أن معاصر حماد : مروان بن أبي حفصة (١٠٥ — ١٨١ هـ ^(١)) ، وصفه بأنه
لُحْنَةٌ لِحْنَانَةٌ ، مما حمل حماداً على أن يبين له عذره في ذلك حيث قال (أي حماد) :
« يا أخى إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها ^(٢) » . وفي رواية أخرى أن
الكهيت الشاعر رفض أن يملئ أشعاره على حماد لأنه خشى لحنه ^(٣) . ويقول
صاحب الفهرست أيضاً إن حماداً كان كثيراً ما يلحن ^(٤) . وعلى النقيض من
ذلك لا يفكر خصم حماد اللدود ، المفضل الضبي (المتوفى ١٦٨ هـ) أن حماداً كان
ذا دراية ممتازة باللغة ، ولكنه أساء استعمالها ، حيث وضع — في حذق ومهارة —
أبياتاً على نسق القدماء ، ففسدت بدسه رواية الشعر القديم في كل زمان ^(٥) . فإذا
أضفنا إلى هذا جميل رأى أبي عمرو بن العلاء في حماد — كما روى ذلك عنه ^(٦) —
فلن نشك في أن الروايات التي تزعم أنه كان لحناً إما نشأت من التأثر بالخصومة
واللدد ، وأن كلمات يونس تعبر عن قصد السوء من قبل البصريين في خصومهم
الكوفيين ^(٧) .

وإلى جانب حماد يوضع كوفي آخر ، هو جناد بن واصل ، في مرتبة واحدة .
وكان يونس لا يعد كليهما شيئاً ^(٨) . ويحملهما بصري آخر ، وهو التوزي (المتوفى

(١) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٤٥ س ٢١ .

(٢) أغاني (طبع دار الكتب) ج ٦ ص ٧١ .

(٣) المرزباني : موشح ص ١٩٥ .

(٤) فهرست ص ١٣٤ وعبارته : وكان حماد ربما لحن في الشيء الخ .

(٥) أغاني (طبع دار الكتب) ج ٦ ص ٨٩ ؛ وعبارته : ولكنه (حماداً) رجل عالم

بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل
ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق الخ . وفي صدر هذه الرواية يقول المفضل الضبي :
فقد سلب على الشعر من حماد الرواية ما أفسده فلا يصلح أبداً الخ . ووردت الرواية أيضاً في
ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ١٧١ .

(٦) أغاني (طبع دار الكتب) ج ٦ ص ٧٢ .

(٧) على أن الكوفيين كانوا يطعنون من جانبهم أيضاً في البصريين بتهمة اللحن . فقد صنع
بعضهم مثلاً على يونس بن حبيب البصري هذه الجملة العامية : هاتي ذيك الماء من ذلك الجرة .
ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٥١ ؛ سيوطي : مزهر ج ١ ص ١٢٢ .

(٨) أغاني (طبع دار الكتب) ج ٨ ص ٢٨٣ .

٢٣٨ هـ^(١)) تبعة تصحيف الروايات الكوفية^(٢) . وإذا نسب إلى جناد اللحن^(٣) فقد يجوز أن يكون هذا الطعن لا وجه له ، تماماً كما هو الرأى فى حماد . أما أن علماء الكوفة أيضاً كانوا يعنون — على التقيض من ذلك — بمسائل سلامة اللغة وصحتها ، فهذا ما يبدو للعيان من شعر الهجاء الذى قيل فى حفص بن أبى ودّة ، الذى كان يعد من أصحاب حماد الراوية ، ونسبت إليه معه تهمة الزندقة لسوء سلوكه ، وحرية رأيه^(٤) . وكان حفص طعن فى شعر المرقش^(٥) ورماه باللحن ، فسخر به من أجل ذلك شاعر كوفى — تختلف الروايات فيه ، هل هو شريكه فى التحال والزندقة : حماد بن مجرّد (المتوفى ١٦١ هـ) ، أو مساور الوراق ، أو البردخت^(٦) — بالأبيات :

[لقد كان فى عينيك يا حفص شاغل وأنف كشيّل العود عما تتبّع]
تتبعت لحناً فى كلام مرقش وخلقت مبنى على اللحن أجمع
فعينك إقواء وأنفك مكفاً ووجهك إطاء فأنت المرقع

وقد شبه الشاعر عيوب مهجوه الخلقية بالعبارات المصطاح عليهما فى العروض العربى : الإقواء (وهو الخلط فى حركة القافية) ، والإبطاء (وهو تكرار لفظ القافية فى الشعر الواحد) كما قابل بين المرقش ، أى المحسن ، ووصفه بالمرقع ، أى المشوّه

- (١) فهرست ص ٨٥ (والثورى تحريف عن : التوزى) ؛ السيرافى : أخبار النجوين ص ٨٥ ؛ زهة الألباء ص ٢٣٢ ؛ ياقوت : معجم ج ١ ص ٨٩٤ .
(٢) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٤٢٦ (وقد صحف أيضاً إلى : التورى) .
(٣) فهرست ص ١٣٥ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٤٢٥ .
(٤) ذكر فى قائمة الزندقة عن الجاحظ ، وقد ساقها المرتضى فى : الأملى ج ١ ص ٩٠ ؛ والأغانى (طبع بولاق) ج ١٦ ص ١٤٨ (مع تحريف ودة إلى وردة) ؛ وابن حجر : لسان الميزان ج ٢ ص ٢٢١ (مع تحريف ودة إلى : برده) .
(٥) المراد — فيما يظهر — المرقش الأصغر ، الذى يعده ابن أبى إسحق الحضرمى أشعر شعراء الجاهلية (طبقات الجحى ص ١٦) ، لاعمه المتفق معه فى اللقب . وفى الفضليات طائفة من أشعارها رقم ٤٥ — ٥٩ .
(٦) انظر : المرزبانى : موشح ص ٢٦ ؛ أغانى ج ١٣ ص ٨٧ ، ١٦ ، ١٦٨ ؛ الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٣ ؛ ابن قتيبة : الشعر ص ٤٤٨ .

المرقع . وقوله : فعيماك إقواء ، أى فيهما حَوْل ؛ وأثفك مكفأ ، أى معوج ؛ ووجهك
إيطاء ، أى موطأ مفطح ؛ وأنت المرقع ، أى المدنس المشوه .

أما أن الطعن باللحن كان يوجه أيضا إلى دوائر علماء الفقه ، فهذا ما يدل عليه
مثال كوفي ثالث ، هو أبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هـ) ، فقد حكى عنه الجاحظ^(١)
تعبيراً جاء فيه خطأ شنيع ، حيث قال : [ولو ضرب رأسه] بأبا قبيس ، بدلا من :
أبى قبيس . وكيف جازت دعوى أن هذا الإمام العظيم لم ينطق صحيحاً ؟ هذا
ما تكشفه الرواية المساوقة^(٢) ، التي اقترن فيها ذلك التعبير نفسه بالخبر التالي : كان
أبو حنيفة طلب النحو في أول أمره ، فذهب يقيس فلما أخذ يصوغ جمعا لكلب
على كلوب (بدلا من كلاب) ، قياساً على : قلب وقلوب ، تبين له أنه لن يصل في
ذلك إلى شيء ، فعدل عن النحو ولم يكن له علم به . ومما يلمس باليد أن هذا الخبر الذي
يرجع إلى الحنبلي الكبير : إبراهيم الحربي (١٩٨ - ٢٨٥ هـ^(٣)) قد اخترع بدافع
المصيبة من قبل الخصوم المحافظين الذين أرادوا الغض من شأن مبدأ القياس في دائرة
اللغة أيضاً . ومما يذكر بهذه المناسبة أن النحوى الكوفي : ابن فارس (المتوفى
٣٩٥ هـ^(٤)) رأى أنه يمكن التماس تصويب لأبى حنيفة ، دون طعن في صحة الخبر
الذكور ، بأن تكون صيغة : بأبا قبيس ، جارية على لهجة خاصة تقصر أبا (على أن
صله : أبو^(٥)) . وقد تلقى معسكر الحنفيين هذا الإيضاح بشغف ، وافتتح به أحد
لأشباع المتعصبين لهذه المدرسة^(٦) : الملك المعظم شرف الدين الأيوبي (٥٧٦ -
٦٨١ هـ^(٧)) ، رسالته : « السهم المصيب ، في الرد على الخطيب » ، التي اجتهد بها

(١) بيان : ج ٢ ص ٢ س ١٧ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٢ .

(٣) فهرست ٣٢٣ ؛ تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٧ ؛ ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ص ٥٠ .

(٤) (El (Enzyklop ädie des Islam II, 400) .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١٠٢ ؛ وذكر دون عزوفى : ابن الأنبارى : الإنصاف

ص ٧ ؛ والدميرى : حياة الحيوان (طبع ١٣٤٧ هـ) ج ١ ص ٢٠٦ ؛ والبيقى ج ١ ص ١٣٨ الخ

(٦) ابن خلكان (طبع ١٢٩٩ هـ) ج ٢ ص ١٢٣ .

(٧) El III 646

في دفع جميع المغامز التي أثارها الخطيب في تاريخ بغداد حول صورة أبي حنيفة^(١) .
وقد عقب الخطيب^(٢) على خبر إبراهيم الحربي المشار إليه آنفاً ، فذكر أن أبا حنيفة
لحن القراءة المشهورة : « تَرْزَقَانِه » في آية ٣٧ من سورة يوسف ، مصوباً ضم
الماء^(٣) بدلا من كسرهما ؛ هذا وقد أثبت سيبويه^(٤) صيغاً مثل : بِهِ ، وِبِدَارِهِ الخ ،
على أنها لهجة حجازية حتى في قراءة القرآن . ومن المحتمل جداً أن أبا حنيفة كان
يرجحها ، قياساً على : لَهُ ومنه الخ . أما أن يستنبط من هذا أنه يلحن الصيغ الجارية
بِهِ وما شاكلها ، فهذا مادعا إلى وضعه عليه — بلاريب — لدخول خصومه . على
أن الملك المعظم لم ينكر أيضاً في رسالته صحة نسبة التعبير المذكور إلى إمامه ، بل
اكتفى بحمله على محمد حسن^(٥) .

وأجدر بالتصديق دعوى أن قاضي واسط : أبا شيبعة إبراهيم بن عثمان^(٦) (المتوفى
١٦٩ هـ) — وهو إيراني الأصل^(٧) ، ولا يلتبس بأبي شيبعة الواسطي^(٨) الذي كان
عربياً صميمياً — كان لحناً معروفاً ؛ فإن خلطه بين صيغ الفعل ، وقوله مثلاً :
أَنْ نَقُمُ ؛ بدلا من : أَنْ نَقُومُ^(٩) ، كان خروجاً على العربية أشد من الخلط في الإعراب
عده رقية بن مصقلة : (المتوفى ١٢٩ هـ) المشهور ببلاغته ، من كبار الذنوب^(١٠) .

-
- (١) حاجي خليفة (طبع ١٣١٠ هـ) ج ٢ ص ٣٨ ؛ وقد نشرت الرسالة المذكورة في
القاهرة سنة ١٩٣٢/١٣٥١ على صورة ملحق ثان لتاريخ بغداد ، بعد أن تركت الترجمة المذكورة
في التاريخ ج ١٣ ص ٣٢٣ — ٤٥٤ لأبي حنيفة أثراً سديماً في نفوس معتنقي مذهبه .
- (٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٢ .
- (٣) ضمت نون : ترزقانه ، أيضاً على سبيل التحريف في طبعة التاريخ بالقاهرة .
- (٤) ج ٢ ص ٢٩٤ ؛ انظر أيضاً : Nöldeke : Gesch. d. Qurans III 138 ff .
- (٥) انظر الرسالة السالفة .
- (٦) ابن سعد ج ٦ ص ٢٦٧ ؛ تاريخ بغداد ج ٦ ص ١١١ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ١
ص ١٤٤ ؛ الذهبي : ميزان ج ١ ص ٢٣ .
- (٧) اسم جده خواستي .
- (٨) انظر في ترجمة هذا : ابن حجر : تهذيب ج ٦ ص ١٣٦ ؛ الذهبي : ميزان ج ٢ ص ٩٨ .
- (٩) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ .
- (١٠) الصولي : أدب الكتاب ص ١٣٢ ؛ وفي رقية ، انظر ابن قتيبة : معارف ص ٢٠٥ ؛
ابن حجر : تهذيب ج ٣ ص ٢٨٦ ؛ تاج العروس ج ١ ص ٢٧٥ .

وهل وقع أيضاً معاصره : شيب بن شيبه^(١) (المتوفى ١٦٤ هـ) ، بحضرة بلال ابن أبي بردة ، في لحن شنيع مثله^(٢) ؟ هذا ما يشك فيه ، لأنه كان عربياً ، وأحد خطباء قبيلة المفوهين^(٣) . كذلك غير ظاهر ادعاء أن خالد بن صفوان^(٤) — وهو من رهط شيب المذكور — الذي اشتهر بمنادمة السفاح ، وبملكته في الخطابة ، وحضور بديهته في المزاح ، قد أرشد إلى الصواب من قبل بلال بن أبي بردة ، بسبب اللحن ، حتى وإن أضيف إلى ذلك أن هذا كان باعثاً له أن يتعلم الإعراب في المسجد^(٥) ؛ إذ لا يمكننا أن نخفي تشككنا في أن الغرض من ذلك هو وسم الخطيب المشهور بميسم التلمذة في مدرسة البصرة . وأقرب من هذا إلى الصحة أن لحن شيب ينحصر في أنه كان يضع التعبير أحياناً في غير موضعه ؛ كما روى أنه استعمل مرة عبارة : ما بين لابتيها ، التي تقال في المدينة فحسب ، مريداً به البصرة — وإن يكن هذا التجوز القريب ، بتعميم التعبير المذكور المأثور عن الرسول [صلى الله عليه وسلم]^(٦) ، المشهور لدى كل مسلم ، قد اعترف به من قبل البلغاء المتأخرين^(٧) — ويقال أيضاً إنه استعمل لفظ : محبطني ، الذي معناه المتفتح البطن ، في معنى من تورمت أنفه غضباً^(٨) .

(١) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٧٤ ؛ الذهبي : ميزان ج ١ ص ٤٤١ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ٤ ص ٣٠٧ .

(٢) ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٥٩ .

(٣) الجاحظ : بيان ج ١ ص ١٣٤ ؛ ويوجد كثير من أقواله في عيون الأخبار لابن قتيبة وأمالى القالى وغيرها . ومن آباءه عمرو بن الأهم خطيب تميم عند النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ويؤخذ من هجاء قاله فيه قيس بن عاصم (أغانى ج ١٢ ص ١٥٧) أن أم الأهم أبيه كانت أمة غير عربية من الحيرة .

(٤) الجاحظ : بيان ج ١ ص ١٣٠ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٢٠٦ .

(٥) المبرد : كامل ج ٢ ص ٢٥٣ ؛ ابن خلكان ج ١ ص ٤٣٥ .

(٦) البخارى : فضائل المدينة ؛ كنز العمال ج ٧ ص ١٥٣ .

(٧) انظر الزمخمرى : أساس ؛ المطرزي : المغرب الخ .

(٨) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٣٧٢ ، وعنه : الزهر ج ٢ ص ٢٢٢ وعن المزهري تاج العروس

ج ١ ص ٤٧٤ ؛ وانظر معجم البلدان ج ٤ ص ٣٣٥ .

وفي غير العراق ، كان الاشتغال بالعربية حقاً جدّ ضئيل . فبينما كانت في البصرة والكوفة مدرستان خاصتان بالنحو ، حذت حذوها بعد ذلك بغداد بمدرستها التي نزعت إلى الجمع والتوفيق بين المدرستين ، لم تقم بالمدينة — مثلاً — علوم اللغة على أساس وطيّد^(١) . وهاهوذا الأصمعي الذي نزل في أواسط القرن الثاني ضيفاً على الهاشمي جعفر بن سليمان^(٢) بالمدينة ، يقول إنه لم يسمع هناك قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة . وقد أنشد الأخباري المدني : عيسى بن يزيد بن داب (المتوفى ١٧٠ هـ)^(٣) بيتاً على أنه لأعشى همدان (Fragm. VI) :

من دعا لي غزيلي أربح الله تجارته

فزعم أن شاعراً فصيحاً — مثل الأعشى المذكور — يحذف الألف التي قبل الهاء في الله ، ويسكن الهاء^(٤) ، ويرفع : تجارته ، وهو منصوب ؛ وقد جر على نفسه بذلك لوم الأصمعي — بحق — وتقريره^(٥) ؛ وطعن فيه الأصمعي أيضاً بأنه يضع الشعر — توجد دابية مثل هذه في أشعار الهدليين رقم ١٧١^(٦) — وأحاديث السمر ، وكلاما ينسبه إلى العرب . وفي الحق تدل نماذج محادثات ابن داب مع الخليفة موسى الهادي الذي كان عيسى جليسه في آخر سني حياته ، على أنه لم

(١) لا يعرف كثير من نحوي كان بالمدينة ، يحمل الاسم الفارسي : بشكست ، وقتل في حرب الخارجى : طالب الحق سنة ١٣٠ هـ انظر الأغاني ج ١ ص ١٤٤ ؛ ج ٢٠ ص ١٠٨

(٢) كان والياً على المدينة ؛ انظر ابن قتيبة : معارف ص ١٩٠ . Wuetenfeld zeneal.

Tbellen W 25

(٣) الجاحظ : بيان ج ١ ص ١٢٤ ؛ ابن قتيبة : معارف ص ١٨٢ تاريخ بغداد ج ١١

ص ١٤٨ .

(٤) رأى قطرب في هذه الصيغة الناشئة من حذف الألف ، صيغة إضافية سائغة في التعمير (أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ١٦) والبيت الذي استشهد به طعن فيه أبو حاتم بأنه من صنعة قطري ابن الفجاءة ، أو من صنعة هو أى قطرب (انظر المبرد : كامل ص ٣٣ ؛ خزانة الأدب ج ٤ ص ٣٤٣) ؛ كما يوجد شاهد ثالث على ذلك في خزانة الأدب ج ٤ ص ٣٣٥ ؛ وقد عولج الموضوع بتفصيل في الخزانة أيضاً ج ٤ ص ٣٤١ — ٣٤٣ ؛ وقد أباح لنفسه البخارزي (دمية القصر ص ١٧٥) هذا الاستعمال أيضاً في القافية .

(٥) يكمل كل من الأغاني ج ٦ ص ٥٦ والمرزبانى : موشح ص ١٩١ رواية ياقوت في الارشاد ؛ وانظر فحوله الشعراء للأصمعي C. Torrey ZDMG 65 491 .

(٦) انظر (٦) Wellhausen ' skizzen nnd vorarbeiten I' 130 .

يكن يلقي بالألا للصدق التاريخي في الموضوع ، ولا للدقة الديبلوماسية في اللفظ بل لمجرد أخبار السمر^(١) . ويقول خلف الأحمر (المتوفى ١٨٠ هـ)^(٢) أستاذ الأصبغى : إن كلا من ابن داب وابن شوكر السندي^(٣) آفة^(٤) الرواية في المشرق والمغرب . وفي الوصف التصويري^(٥) الذي قاله خلف عن يروي لابن داب وابن شوكر ، دون اهتمام بالإسناد ، توجد ملاحظة تلتقى ضوءاً كبيراً على ما نحن بصدده ؛ إذ أن هؤلاء الرواة كانوا يستعملون صيغة : قالت ستي ، مما يسفر عن الطابع المولد في أسلوبهم اللغوي .

ويجوز لنا بما تقدم أن نفترض أن اللغة العربية في المدينة لم تحظ بعناية خاصة ، وأن الدوائر المثقفة لم تتمسك بتعاليم القواعد ومبادئها . وقد وجد الأصبغى^(٦) من الغرابة بمكان أن يصدر لحن من مالك بن أنس (حوالي ٩٠ — ١٧٩ هـ) الذي كان هو يوقره توقيراً كبيراً ؛ إذ قال : أي مطراً ، بدلا من : أي مطر . ولكن عبثاً أراد أن يحبب إليه أن يُصَلِّح من لغته ؛ فإن مالكا لم يقتصر على الاستشهاد بأن أستاذه ربيعة بن أبي^(٧) عبد الرحمن — هو الفقيه المدني (المتوفى ١٣٦ هـ) المعروف باسم : ربيعة الرأي^(٨) — كان يخاطب في الإعراب ، إذ كان يقول : بخيراً بدل : بخير ؛

(١) السعدي : مروج الذهب (طبع ١٣٤٦ هـ) ج ٢ ص ٢٥٨ ؛ ياقوت لإرشاد ج ٦ ص ١٠٦ ؛ الجهشيارى (BAHG) ص ٢٠٥ ؛ وكتاب التاج (نشر أحمد زكي) ص ١١٦ .
(٢) ياقوت : إرشاد ج ٤ ص ١٧٩ .

(٣) سماه ياقوت (إرشاد ج ٦ ص ١٠٩) الشوكري من الكوفة ؛ وسماه خلف في شعره : الشوكري ، وعقب عليه ياقوت برواية عن عمر بن شبة قال : شوكر شاعر بالبصرة يضع الأخبار والأشعار ، ومن هنا سماه شوكر — غلطا — كل من الذهبي : ميزان ج ١ ص ٤٥٢ ؛ ابن حجر : لسان ج ٣ ص ١٥٨ .

(٤) انظر تاريخ بغداد ج ١١ ص ١٥٢ ؛ ابن حجر : لسان ج ٤ ص ٤٠٩ ؛ تهذيب ج ٩ ص ١٥٣ .

(٥) ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ١٠٩ : « إنما يروي لهؤلاء من يقول قالت ستي ويدعو ربه ويسبح بالحصى ويحلف بحيت المصحف ويدع حدثنا وأخبرنا ويقول أكلنا وشربنا » .

(٦) الصولي : أدب الكتاب ص ١٣٣ .

(٧) سقط لفظ : أبي في الموضع المشار إليه .

(٨) أطلق هذه التسمية عليه — يادى ذى بدء — خصومه العراقيون تصغيراً من شأنه =

ولكنه علل رفضه أيضاً بسبب أبعد مدى ، حيث تمثل بحكمة لزاهد لم يسمه^(١) :
أعر بنافي كلامنا فما نلحن ، ولحنًا في أعمالنا^(٢) فما نعرب . هذا التحقير من شأن
الثقافة الظاهرية ، الذي يتفق مع عزوف مالك عن العلوم الدينوية^(٣) ، أسهم
بقسط غير ضئيل في أن النحو وعلم اللغة لم يجداً بالمدينة تربة خصيبة ، وحتى في قراءات
القرآن المدنية يلاحظ نوع من التساهل في الشئون النحوية . فهذا نافع (المتوفى سنة
١٦٩ هـ^(٤)) يقرأ في آية ١٠ من سورة الأعراف : معاش ، بالهمز بدل : معاش ،
فعامل لفظ المفرد : معيشة ، كما لو كان على وزن فعيلة . وكون الصيغ المشتقة غامضة
بمحيط يتلاشى الإحساس بأصلها ، أمر يتكرر دون انقطاع في تاريخ اللغة العربية^(٥) .
على أن النحاة قد رفضوا دائماً الاعتراف بمثل هذه الصيغ الجديدة ؛ هذا سيمويه
يحكم على : مصائب ، بدلا من مصاوب (جمع مصيبة) بأنه خطأ . ورجال تنقية اللغة
المتزمتون تمسكوا دائماً بذلك المبدأ ، فأبقوا الواو والياء في صيغة الجمع على حالهما
(الأجوف) . على أنه في الاستعمال اللغوي قد ظهرت بكثرة مستفيضة صيغ

= (تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٢٣ . كما أن وصفه بالعي في أغلب تراجمه (ابن قتيبة : المعارف ص ٢٤٩ ؛
الفهرست ص ٢٨٥ ؛ ابن خلكان ج ١ ص ٣٢٥ إلخ) ترجع إلى حكاية مختوعة ، أساسها تصرفه
في القول كل متصرف مع الإسهاب والإطناب . والباعث إلى ذلك ملل المستمعين كما تجدد ذلك
منسوبا إلى الفضل الرقاشي (أغاني ج ١٥ ص ٣٥ ؛ تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٤٥ ؛ المرزباني :
موشح ص ٢٩٨) .

(١) نسب الجاحظ (بيان ج ١ ص ١٠٣) هذه الحكمة لابراهيم ابن أدهم (المتوفى ١٦١ هـ) ،
وكررها دون تسمية قائلها ج ٢ ص ٥ ورويت في تعبير مختلف عند ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٥٩ ؛
وانظر أيضاً : Goldziher ZDMG 26.776 Anm. 4 .

(٢) في أدب الكتاب للصولي : في كلامنا في الجملة الثانية أيضاً ، والصواب ما ذكر .
(٣) يظهر أن هذه المرحلة في حياة مالك كانت عابرة ، وأنه في وقت متأخر عن ذلك كان
يبحث على تعلم الإعراب ودراسة القواعد ، وقد روى القلقشندي عنه حكما وأقوالا في مدح الإعراب :
صبح الأعشى ج ١ ص ١٦٨ .

(٤) الذهبي : ميزان ج ٣ ص ٢٢٧ .

(٥) انظر في توليد أصول جديدة في العربية A. Meg في بحثه المنشور في كتاب تسكريم
المستشرق : نولدكه ، ص ٢٤٩ ؛ وقد صيغ في اللهجة الدارجة من لفظ معيشة ، فعل تمعش ، أي
اكتسب معاشه ، انظر : Dozy ج ٢ ص ٦٠٢ .

جديدة مهموزة^(١) بحيث رأى بعض البعيدي النظر ، من علماء اللغة ، ضرورة الاعتراف^(٢) على الأقل بمصائب ومناثر ، بعدهما شاذين قياساً ، وإن كانا مطردين في الاستعمال جمعين لمصيبة ومناثرة . ولم يعدم القارئ المدنى أصواتاً أخذت عليه عدم بصره بالقواعد^(٣) بسبب صيغة : معاش ؛ وكانت نتيجة ذلك النقد^(٤) أن اعتمدت الصيغة الفصيحة : معاش ، في قراءتي قالون وورش عن نافع المدرجتين في القراءات السبع المعتمدة ، بحيث لا يوجد ، إلا في إشارات متفرقة في كتب النحو واللغة ، ما يذكر بقراءة نافع^(٥) .

هذا التساهل الذي ظهر عند مالك ونافع تجاه القواعد ، لم يكن من النادر ظهوره أيضاً خارج المدينة في صفوف المحافظين . ففي كل مكان ، ولا سيما بين المحدثين ، وجد رجال كان الاشتغال بالقواعد في نظرهم عبثاً ، إن لم يكن مضية للوقت جداً مفسدة . وقد كان معولهم في الاشتغال بالحديث على الموضوع ؛ أما الصيغة والقالب فقد كانا في المحل الثاني . حقاً يزعم الجاحظ^(٦) أن الكوفي أبو معمر (عبد الله بن سخبرة^(٧)) ، الذي عاش في أواسط القرن الأول ، كان يجيز كل رواية على الصورة التي سمعها عليها ، بكل ما فيها من خطأ ؛ بيد أن هذا الخبر ، الذي يرجع مسائل لم تحدث إلا في عصر متأخر إلى أوائل عصر الرواية ، لا يستحق الوثوق به ؛ فإن مثل هذه الدقائق لا ينتظر حصولها في أواخر القرن الأول ؛

(١) انظر تصريح ثعلب في تاج العروس ج ٣ ص ٥٨٧ .

(٢) انظر المعاجم اللغوية في مادتي : ص و ب ؛ ن و ر .

(٣) انظر ابن الأثير : المثل السائر ص ٩ ؛ ابن يعيش ص ١٤٣٤ ؛ تاج العروس ج ٤

ص ٣٢٨ .

(٤) لم يكن ذلك نتيجة النقد المشار إليه ، بل كل من قراءتي معاش بالهمز ومعاش دون همز ، راجع إلى روايات عن نافع .

(٥) المازني : التصريف الملوكي (ذكره ابن الأثير في المثل السائر ص ٩) ؛ ابن خالويه

(٦) bibl . Jsl . VIII) ص ٤٢ حيث ذكر أنها قراءة خارجة بن مصعب عن نافع والأعرج ؛

تاج العروس ج ٤ ص ٣٢٨ ؛ ويشير إلى عدم عناية قراءة مكة بالقواعد تاريخ بغداد ح ٣ ص ٢٥٣

(٦) بيان ح ٢ ص ٢ .

(٧) ابن حجر : تهذيب ج ٥ ص ٢٣٠ .

وإن نسبت^(١) مثل هذه الدقة في رواية الحديث إلى البصرى ابن سيرين (حوالى ٣٣ - ١١٠ هـ)؛ كذلك ليس جديراً بالتصديق الخبر الذى ينسب إلى الشعبي (حوالى ١٩ - ١١٠ هـ) أنه أجاز فيما روى من الحديث دون إعراب أن يحلّى بالإعراب^(٢)، أى أن يحول الحديث الذى روى باللغة الدارجة إلى أسلوب عربى فصيح . وأجدر من ذلك بالقبول أن الشعبي كان أحب إليه أن يقرأ فيسقط من أن يقرأ فيلحن^(٣)، بل إنه كذلك لم يكن يلحن حتى فى المزاج^(٤)، وأنه كان يستصوب اشتغال الموالى بالنحو والقواعد ، لأن فساد اللغة ، بدأ صدوره منهم^(٥) . كذلك البصرى أيوب السختياني (٦٨ - ١٣١ هـ) روى أنه كان إذا لحن فى حرف قال أستغفر الله كأنما عد اللحن ذنباً اقترفه^(٦) . كما روى أنه أوصى بتعلم النحو فإن تعلمه يرفع الوضيع وإيماله يضع الشريف^(٧) . ومثل هذه الآراء تتفق تماماً مع ترجمة سيد الفتيان^(٨) الذى تجلّى نبيل مذهبه فى لغته المختارة المتنخلة كذلك . ولكن بعد أن توطدت أسس المدارس النحوية فى العصر العباسى الأول ، على نظام دقيق ، ونمت حركة التعليم والتعلم نمواً مطرداً ، أمكن تكوين رأى حول مسألة : هل تجب مراعاة مقتضيات سلامة اللغة فى رواية الحديث ، وإلى أى حد يتعين ذلك ؟ وهكذا نسمع أن الحدّث الكبير : الأعمش (٦٠ - ١٤٧/٩ هـ) الكوفى لم يكن يبالغ فى تجنب اللحن فحسب^(٩) ، بل كان كذلك يصحح كل رواية ملحونة بحجة أن الرسول

(١) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٠ .

(٢) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٦ .

(٣) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٦ .

(٤) الزجاجى : أمالى ص ١٤ (طبع ١٣٢٤ هـ) .

(٥) المبرد : كامل ص ٢٦٤ ؛ الجاحظ : بيان ج ١ ص ١٧٦ .

(٦) الصولى : أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٠ .

(٧) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥٠٥ .

(٨) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٤ .

(٩) العجلى (المتوفى ٢٦١ هـ مؤلف كتاب الجرح والتعديل ، انظر الذهبى : تذكرة الحفاظ

ج ٢ ص ١٢٧) كما نقله عنه ابن حجر : تهذيب ج ٤ ص ٢٢٣ .

[صلى الله عليه وسلم] لم يكن يمكن أن يلحن^(١). وكذلك أوصى الدمشقي سعيد بن عبد العزيز التنوخي (٩٠ — ١٦٧ هـ)^(٢) بمحو كل لحن من الحديث^(٣). كما أن البصري حماد بن سلمة (المتوفى ١٦٧ هـ)^(٤)، الذي كان يعدّ أفصح من عبد الوارث بن سعيد (١٠٢ — ١٨٠ هـ)^(٥) وقد كان هذا الأخير مضرب المثل في الفصاحة، كان يتشدد مع تلاميذه في التحرز من اللحن في الحديث، حيث كان يغالى بقوله: من لحن في حديثي فقد كذب علي^(٦). ويروى أنه كان يشبه من يكتب الحديث ولا يعرف النحو بالحمار عليه مخلاته ولا شعير فيها^(٧). ويُعدّ من تلاميذه «سيبويه». وتذكر الرواية^(٨) أن السبب الذي حمل هذا الأخير على دراسة النحو هو أنه كان يستملى على حماد فقال حماد يوماً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أحد من أصحابي إلاّ وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء^(٩)، فقرأ غلطا ليس أبو الدرداء^(١٠).

- (١) ياقوت: إرشاد ج ١ ص ٢٠ .
 (٢) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٧١ ؛ الذهبي: تذكرة ج ١ ص ٢٠٣ ؛ ميزان ج ١ ص ٣٨٦ ؛ ابن حجر: تهذيب ج ٤ ص ٥٩ ؛ الجزري: غابة النهاية ج ١ ص ٣٠٧ .
 (٣) ياقوت: إرشاد ج ١ ص ٢٥ .
 (٤) ابن قتيبة: المعارف ص ٢٥٢ .
 (٥) الذهبي: تذكرة ج ١ ص ٢٣٧ ؛ ميزان ج ٢ ص ١٦٠ ؛ ابن حجر: تهذيب ج ٦ ص ٤٤١ .
 (٦) السيرافي: أخبار النحويين البصريين ص ٤٣ ؛ ابن الأنباري: نزهة ص ٥٠ ؛ ياقوت: إرشاد ج ٤ ص ١٣٥ .
 (٧) ياقوت: إرشاد ج ١ ص ٢٦ .
 (٨) السيرافي: أخبار النحويين ص ٤٣ ؛ ابن الأنباري: نزهة ص ٧٢ ؛ ياقوت: إرشاد ج ٤ ص ١٣٥ ؛ محيط المحيط ص ١٩٣٦ ؛ انظر أيضاً ابن قتيبة: معارف ص ٢٥٢ .
 (٩) كذا في أخبار النحويين ؛ وفي النزهة ليس أحد ؛ وفي ياقوت: ما من أحد من أصحابي إلاّ ولو شئت لأخذت عليه . انظر ابن حجر: الإصابة ج ٢ ص ٢٥٣ ؛ كثر العمال ج ٦ ص ١٨١ .
 (١٠) انظر في ليس بمعنى أداة الاستثناء سيبويه ج ١ ص ٣٢٨ (Dere nbourg) ؛ Fleicher, Kleine Schriften I, 147 . وجاءت ليس مع رفع المستثنى في رواية واحدة في كثر العمال، وما عدا ذلك بلفظ: غير وإلا .

وفي الجليل التالي لهذا أقام — مثلاً — الكوفي عبد الله بن إدريس الأودي^(١) (حوالي ١١٥ — ١٩٢ هـ) وزناً لسلامة اللغة ؛ لقد كان يفضّ درسه إذا لحن واحد من تلاميذه^(٢) . ويروى أن معاصره وهب بن جرير (المتوفى ٢٠٦ هـ)^(٣) كان يحثّ على تعلم النحو^(٤) ؛ كما أن آخرين كانوا يطلبون — على الأقل عرضاً — معرفة ما يعرض لهم من غريب الحديث عند علماء اللغة . ولما حضر الشاعر ابن منذر ، الذي سنلتقى به مرة أخرى فيما يلي ، مجالس سفيان بن عيينة^(٥) (١٠٧ — ١٩٨ هـ) في مكة بين ١٨٧ و ١٩٨ هـ ، كان ذلك الحدث الرفيع المكانة يسأل مستمعه عن معاني حديث النبي [صلى الله عليه وسلم] فيخبره بها^(٦) . على أن سفيان لم يكن ذا دراية مؤسّسة باللغة القديمة — كان هو نفسه يشكو انحطاط مستوى الأدب في دوائر أضرابه في الفن^(٧) — وإلّا لما عدّ^(٨) لفظ : ملصق ، الذي معناه : ملحق ، وهو لفظ كثيراً ما يستعمل في تحقير أدعياء النسب ، رديفاً لحليف ، أي معاهد على الحلف .

وعلى النقيض من ذلك لم تهتم غالبية المحدثين أصلاً بالنحو لذاته ، بل لم يكن يخلو بينهم من كان يلحن في الكلام . فقد روى أن هشيم بن بشير^(٩) ، الذي كان

(١) انظر : تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١٥ — ٤٢٣ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١٩ .

(٣) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٥١ .

(٤) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٢ .

(٥) ابن سعد ج ٥ ص ٣٦٤ ؛ تاريخ بغداد ج ٩ ص ١٧٤ .

(٦) الأغاني ج ١٧ ص ٩ ، عن المبرد .

(٧) الأغاني ج ٣ ص ٢٢٥ (طبع دار الكتب) والعبارة المروية عنه في هذا الموضع :

عهدى بأصحاب الحديث وهم أحسن الناس أدباً ، وصبرنا عليهم حتى أشبهناهم فصرنا كما قال الشاعر :

وما أنا إلا كالزلمات إذ صحا صحوت وإن ماق الزمان أموق

والتبادر من هذا أنه يشكو من فساد الناس لا من فساد اللغة والأدب بالمعنى الخاص .

(٨) مسلم : فضائل الصحابة (القسطلاني : إرشاد الساري ج ٩ ص ٣٨٩ على الهامش) .

وفي لفظ ملصق انظر معاجم اللغة .

(٩) ابن قتيبة : معارف ص ٢٥٣ ؛ فهرست ص ٣١٨ ؛ تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٨٥ .

في رأى مالك ، المحدث الوحيد الذى يعتقد به في العراق ، كان لحاناً ، وقد ذكر شاهداً على ذلك^(١) أنه قرأ على الخليفة المأمون الحديث^(٢) : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سدادٌ من عوز ففتح سين « سداد » غلطا . على أن هذا ليس لحناً فظيماً بوجه خاص ، لأنه وإن كان سداد بكسر السين قد ثبت أنه على وزن فعال المستعمل في أسماء الآلات بحسب الأصل ، فإن لفظ : سداد بالفتح — الذى هو في الأصل مصدر من سد بمعنى أصاب الصواب — قد اعتمد صحته أيضاً^(٣) بعض الكوفيين ، كابن الأعرابي ، الذى انضم إليه ابن قتيبة^(٤) ، وابن السكيت^(٥) . وعلى النقيض من ذلك كان من الاستعمال الدارج قول هشيم : يُونِس ، بفتح الياء وكسر النون^(٦) بدلا من ضمها^(٧) . ولما كان لفظ يونس قريناً في صيغته للفظ يوسف ، فمن المظنون أن هشيماً كان يقول أيضاً : يوسِف بفتح الياء وكسر السين ، وأنه كان يرى فيه مقياساً للفظ : يُونِس ، كما هو الحال في اللغة الأرامية . ومثل هشيم أيضاً كان وكيع بن الجراح^(٨) معاصره ، يلحن في الكلام . فبشهادة تلميذه ابن المدينى (الذى كان يلقى وزناً لسلامة اللغة كما سنراه) كان وكيع يقول مثلاً : عَيْشَة ، بدلا من : عائِشَة^(٩) ، وهى صيغة منتشرة اليوم في العربية الدارجة^(١٠) . وقد ثبتت هذه اللهجة في القرن الثالث — التاسع بالنسب إليها في

- (١) الأغاني ج ١٥ ص ٢٠ ، ٢٣ (وعنه باختصار ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٢١٧)
 ابن الأنبارى نزهة : ص ١١١ ؛ الحريرى : درة الفواص ص ١٠٥ ؛ وذكره ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ج ٣ ص ٧٠ والزهرى ج ٢ ص ١٨٧ والعسكرى : ديوان ج ١ ص ٠٩ .
 (٢) انظر كنز العمال ج ٨ ص ٢٤١ .
 (٣) انظر الخفاجى : شرح درة الفواص (١٢٩٩ هـ) ص ١٥٠ .
 (٤) أوهب الكاتب ص ٥٧٠ (نشر Grünert) .
 (٥) إصلاح المنطق ج ١ ص ١٨٢ .
 (٦) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ .
 (٧) انظر الرمشمري في الكشاف : سورة يوسف آية ٤ وهو لا يعترف إلا بالضم .
 (٨) ابن قتيبة : معارف ص ٢٥٤ ؛ فهرست ٣١٧ ؛ تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٩٦ — ٥١٢ .
 (٩) الذهبى : تذكرة ج ١ ص ٢٨٣ ؛ ميزان ج ٣ ص ٢٧٠ ويصحح .
 (١٠) انظر مثلاً : B. Spitta. Gramm. S. 228 .

صبيغة: العَيْشِي (١)، وهي نسبة اشتهر بها أعقاب «عائشة بنت طلحة» (٢)، مثل البصري عميد الله بن محمد (٣) (المتوفى ٢٢٨ هـ) وابنه عبد الرحمن (٤) (المتوفى ٢٢٧ هـ) وقد عرف أيضاً بفساد أسلوبه في التعبير الكوفي اسماعيل بن أبي خالد (المتوفى ١٤٦ هـ) فقد روى مثلاً أنه قال: عن أبوه؛ حقاً لقد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان يعمل طحاناً، وإلى ذلك كان أبوه فارسياً يدعى: هُرْمُز (٥). ومن بين الإخوة الخمسة من أسرة الحديث الكوفية، أسرة أبي أيوب الطنافسي، كان واحد فقط ينطق دون لحن (٦). ويضيف الجاحظ (٧). إلى هذه الأمثلة من مخالفة القواعد في دوائر المحدثين، اثنين آخرين: عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامعي (٨) البصري (المتوفى ١٨٩ هـ)؛ وتلميذ غير معروف — فيما عدا ذلك — للبصري هشام بن حسان (٩) (المتوفى ١٤٧/٨ هـ)، يدعى: مهدي بن مهلهل، وكان هذا يرى سلامته في الوقوف على الكلمات لعدم بصره بالإعراب.

ربما جاز لنا أن نلاحظ هنا، مقدماً، أن حالة المحدثين في الوقت التالي بقيت أيضاً غير متحدة. فقد ظل بعد، كما كان قبل، مبدأ الأداء الحرفي لمادة الحديث المرورية عن المحدث، في نزاع مع مقتضيات سلامة اللغة. فكان الناقد العظيم: علي بن المديني (١٠) (المتوفى ٢٣٤ هـ) يصحح فقط ما يعرض لألفاظ الرسول

(١) انظر السمعاني ص 404 a: 379b.

(٢) EI I.229؛ والبيت الذي روى في العرب للجوابيق ص ٤٥، والذي تسمى بمقتضاه:

عيشة، مصنوع.

(٣) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣١٤.

(٤) في الموضع المذكور.

(٥) ابن حجر: تهذيب ج ١ ص ٢٩١، ج ١٢ ص ٨٢.

(٦) الذهبي: ميزان ج ٣ ص ٩٩؛ ابن حجر في الموضع السالف ج ٩ ص ٣٢٨.

(٧) بيان ج ٢ ص ٥.

(٨) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٤٥؛ ابن حجر ج ٦ ص ٩٦.

(٩) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٣٢؛ ابن حجر ج ١١ ص ٣٤.

(١٠) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٥٨.

من اللحن ، بحجة أن محمداً [صلى الله عليه وسلم] لم يكن ليتمكن أن يلحن^(١) .
وكان ابن الطبري في مصر (١٧٥ - ٢٤٨ هـ) يصحح كل خطأ في الحديث^(٢) .
وكان النسائي ، أحد الجماع الستة (المتوفى ٣٠٣ هـ) يترك كل تعبير يجد وجهاً من
التصحيح على أنه لهجة خاصة ، ولا يصحح إلا اللحن الصراح^(٣) . وكانوا يعتمدون
في تصحيحهم على الاستشهاد بأحاديث مصنوعة ، يظهر فيها الرسول تارة ، أو أحد
صحابته تارة أخرى ، أو أحد كبار الصالحين من الأوائل في بعض الأحيان ، على أنه
داع مدافع عن سلامة اللغة^(٤) . وفي إحدى هذه الروايات - مثلاً - روى أن
النبي [صلى الله عليه وسلم] سمع رجلاً يلحن في القرآن فقال : أرشدوا أخاكم^(٥) .
وقد أذاع هذه الرواية الفقيه المدني : أبو الزناد (٦٦ - ١٣٠ هـ) - يثني ابن سعد^(٦)
على سلامة تعبيره ، وبصره بالعربية - ؛ وهي وإن كانت ترجع أولاً إلى قراءة
القرآن فحسب ، فإنه يفهم بذلك من قريب الاحتجاج بها على شرعية تصحيح
الخطأ اللغوي بوجه عام . وقد انضم إلى هذا عدد من الأقوال المصنوعة على الرسول
[صلى الله عليه وسلم] . من ذلك رواية أن محمداً افتخر بفصاحته ، مثل : أنا أفصح
العرب^(٧) ، أو : أنا أفصح من نطق بالضاد^(٨) ، أو : أنا من قريش ونشأت في
بني سعد فأني لى اللحن^(٩) . كذلك قيلت على لسان عمر^(١٠) أقوال تمث على تعلم

(١) السيوطي : مزر ج ٢ ص ٢٤٦ عن ابن الطيب : مراتب النحويين .

(٢) ابن حجر : تهذيب ج ١ ص ٤٠ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٧٧٧ .

(٤) جمع أبو علي المالكي (المتوفى ٤٣٨) طائفة من هذه الأخبار في كتابه : التمهيد .
وقد كشف Kahle هذا الكتاب في مجموعة . Chester Beatty وساق كاله أهم هذه الأخبار
في الكتاب التذكاري لتكريم المستشرق : جولد زيهر ، وناقشها في مقاله بالكتاب المذكور
كما سبق في التعليق على مقدمة هذا الكتاب .

(٥) كنز العمال ج ١ ص ١٥١ ؛ مزر ج ٢ ص ٢٤٦ ، ويزيد : فقد ضل .

(٦) ذكره ابن حجر في التهذيب ج ٥ ص ٢٠٥ .

(٧) مزر : ج ١ ص ١٢٦ .

(٨) مزر في الموضوع السالف ؛ انظر فيشر 59. 837 ZDMG .

(٩) مزر ج ٢ ص ٢٤٦ ، وبتوسع في كنز العمال ج ٦ ص ١٠١ ؛ السيوطي : الخصائص .

الكبرى (طبع حيدر آباد) ج ١ ص ٦٣ .

(١٠) توجد مجموعة من ذلك في كنز العمال ج ٥ ص ٢٢٨ .

العربية^(١) واللحن والقرائض^(٢) ، أو تعلم السنن والقرائض واللحن ، أو أخيراً النحو والسنن والقرائض^(٣) . كما زعم بعضهم أنه قال للرماء الذين لم يحسنوا الرمي فأرادوا الدفاع عن أنفسهم قائلين : نحن متعلمين : إن لحنكم أفضح من خطبكم في الرمي^(٤) . وروى عنه أيضاً أنه أخذ على رجل وضعه الضاد موضع الظاء^(٥) ، وأنه نصح أبا موسى الأشعري أن يقنع^(٦) كاتبه سوطاً حيث لحن فكتب : من أبو موسى . وبسبب الالتباس بعمر الثاني ، نسب بعضهم إلى عمر الأكبر أنه أدب أولاده بسبب اللحن^(٧) . كما يريد آخرون أن يعلموا أن عمر حرّم على عبد الله بن مسعود الذي قرأ : آية ٣٥ من سورة يوسف « عتّى حين » بدلا من : « حتى حين » ، أن يدخل^(٨) في متن القرآن مثل هذه الخصائص من لسانه الهدلى . وعلى النقيض من ذلك جعل بعضهم أيضاً ابن مسعود بالذات ، لكونه مشهور الدراية بالقرآن ، يروى أقوالا عن الرسول ، مثل : أعربوا القرآن^(٩) ، أو : جوّدوا القرآن^(١٠) . كما زعموا أنه كان يسترشد^(١١) برأى القارىء الكوفي : زر بن حبيش (قتل في

-
- (١) كنز في الموضع السالف ؛ صبح الأعشى ج ١ ص ١٦٨ ، ويروى مثل ذلك في أمالي الزجاجي ص ١١٩ منتوبا إلى شعبة .
(٢) كنز في الموضع السالف .
(٣) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥٥ .
(٤) كنز في الموضع السالف .
(٥) القالي : ذيل الأمالي ص ١٤٢ .
(٦) البلاذري ص ٣٤٦ ؛ الصولى : أدب السكتاب ص ١٢٩ ؛ السيوطي : مظهر ج ٢ ص ٢٤٦ ؛ الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ ، ذكر حسين بن الحر بدلا من أبي موسى .
(٧) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٠ .
(٨) كنز العمال ج ١ ص ٢٨٤ ؛ ابن جني كما ذكره : Bergsträsser, Nicht Kanonische Lesarten, S. 42 ؛ كشف في الآية المذكورة ، وانظر نولدكه في تاريخ القرآن ج ٣ ص ٦٨ .
(٩) كنز ج ١ ص ١٥١ .
(١٠) السيوطي : إتيقان ص ٢٣٥ .
(١١) ابن سعد ج ٦ ص ٧١ ؛ ابن الجزري : غاية النهاية ج ١ ص ٢٩٤ .

معركة دير الجماجم سنة ٨٢ هـ) في أمور اللغة . بيد أن هذا الاتجاه نحو « تنقية اللغة » لم يستطع أيضاً في ذلك العهد أن يثبت ويسود ؛ فقد كانت هذه المسألة عند جل المحدثين غير ذات بال ؛ كما أن مبدأ الاعتماد في الحديث أولاً وبالذات على الموضوع ، أدى بسهولة إلى نتيجة جد سيئة بالنظر إلى الحكم على الخطأ النحوي . وقد صاغ واحد منهم : هلال بن العلاء الرقي^(١) (١٨٤ - ٢٨٠ هـ) في تعبير شعري فكرة أن خشية الله أفضل من الإعراب وقد أراد تلميذ للشاعر هو الفقيه الحنبلي : النجّاد^(٢) (٢٥٣ - ٣٤٨ هـ) أن يتنافس معه من جديد لسوء الأثر الذي تركه في نفوس تلاميذه بمخالفته للعربية^(٣) . وعلى هذا يتضح أنه ، حتى عند بعض كبار المحدثين ، كان إهمال اللغة ظاهراً ، دون أن يؤثر ذلك في شهرتهم ؛ فإنّ صدق الناقد العظيم : ابن عدى^(٤) ، كان ثابتاً لا يتزعزع عند معاصريه ، على الرغم من لحنه^(٥) . كذلك بعض الإشارات المذكورة - عرضاً - في مصادرنا تنم على أن اللغة السليمة من الخطأ في دوائر المحدثين لم تكن مجالاً أمراً مفهوماً بالضرورة . فقد ذكر مثلاً أن حفص بن عمر الحوضي (المتوفى ٢٢٥ هـ) من رجال البخاري كان أعرابياً فصيحاً^(٦) ؛ كما يذكر أن الوضاع المشهور : غلام خليل (المتوفى ٢٧٥ هـ) كان يتحري الإعراب^(٧) ؛ وكما رأى الحاكم الأصغر (المتوفى ٤٠٥ هـ)

-
- (١) الذهبي : ميزان ج ٣ ص ٢٦١ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ١١ ص ٨٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٨٠٤ ؛ إرشاد ج ٧ ص ٢٥٥ ، وقد ذكر الذهبي نماذج من رواياته المرفوضة في الميزان ج ٢ ص ٢١٤ في ترجمة أبيه : العلاء بن هلال .
- (٢) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٨٩ ؛ ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ص ٢٩٣ .
- (٣) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٩١ ، وقد ساق رواية ذكر فيها شعر أستاذه هلال المذكور ؛ وانظر جولد زهر : ZDMG 26. 780 .
- (٤) انظر : كتاب محمد بن إسحاق ص ٢١ لمؤلف الكتاب .
- (٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٤٣ .
- (٦) ابن حجر : تهذيب ج ٣٠٦٢ .
- (٧) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٨٠ .

جديراً بالذكر أن أستاذه : ابن الأخرم (٢٥٠ — ٢٤٤ هـ) كان يتشدد في التحرز من اللحن في كلامه^(١).

على أن اللحن لم ينشأ على أسنة غير المثقفين فحسب ، بل كذلك أيضاً أولئك الذين كانوا يجتهدون أن ينطقوا نطقاً صحيحاً ، دون أن يتمكنوا من النحو في واقع الأمر ، لم يكن من النادر أن يصطدموا بقواعد النحو في صيغهم التي يبالغون في تصحيحها وتنقيحها ، بناءً على أقيسة خاطئة . ولما كانت صيغ المقصور والمدود قد اختلطت في اللغة الدارجة ، فقد اجتهد النحاة في استيعاب القوائم ، حسب الإمكان ، لمجموعتي النوعين جميعاً ؛ كما يوجد ثبت من المراجع في هذا الموضوع^(٢) . ورغبة في صحة النطق ، استعمل أنصاف المثقفين كثيراً صيغة المدود أيضاً في كلمات مقصورة . فعلى شهادة الجاحظ^(٣) ، روى أن يوسف بن خالد التيمي^(٤) ، المعاصر لعمر بن عبید (المتوفى ١٤٤ هـ) كان يقول : قفاء ، بدل : قفا ، صيغة خبطها خبط عشواء ، ولكنها وجدت بعد ذلك أيضاً اعترافاً وتصويباً^(٥) . والاحتمان الآخران ، اللذان نسبهما الجاحظ إلى يوسف المذكور ، من طبيعة أخرى ؛ فأحدهما ، وهو أنه استعمل المضارع : يشجج ، بكسر الشين بدل الضم ، يعدّ من الأحوال غير القليلة التي تضطرب فيها حركة المضارع^(٦) ؛ على حين أن الآخر ، وهو صوغ أفعال التفضيل : أحمر ، أى أشد حمرة ؛ أو بعبارة أخرى ، صوغ أفعال التفضيل من أسماء الألوان ، يستحق النظر قليلاً . فأسماء الألوان ، والعيوب الجسمية — في ذاتها — لا تقبل التفضيل ؛ ولهذا منع البصريون — بحق — استعمال أفعال التفضيل وصيغ

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٧٧ .

(٢) انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ، تحت عنوان كتاب المقصور والمدود .

(٣) بيان ج ٢ ص ٣ .

(٤) هكذا ذكر في الطبعة القاهرية المحرفة (١٣ — ١٣١١) . والظاهر أنه : السمطي

الفقيه المشهور الذي عاش بالبصرة ١٢٠ — ١٨٩ وأدخل المذهب الحنفي في البصرة . انظر

ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٤٧ ؛ الذهبي : ميزان ج ٣ ص ٢٢٩ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ١١

ص ٤١١ — ٤١٣ ؛ ابن أبي الوفاء : الجواهر المضيئة ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٥) ابن جنى : تاج العروس ج ١٠ ص ٢٩٩ .

(٦) عد أصحاب المعاجم — في وقت متأخر — يشجج بالكسر فصيحاً مثل الضم .

التعجب فيها ، مع الحكم على ما جاء من ذلك بالشذوذ^(١) ؛ على حين أن الكوفيين لم يكن عندهم مانع من الاعتراف^(٢) بصحة الاستعمال اللغوي المتأخر ومساواته للأصل في الصحة . على أن الشواهد التي ساقها كلا الطرفين مصنوعة . فواحد منها يروى على ثلاثة أوجه ؛ وهو بيت تهكم فيه قائله بشريف أبي أن ينحرف للفقراء في الشتاء :
فأنت أبيضهم سربال طبّاخ

أما أنه نسب — بغير حق — إلى طرفة^(٣) ، فقد قرره^(٤) ابن الكلبي .
كذلك نسب — بغير حق — إلى رؤبة ، الشاهد الآخر :
أبيض من أخت بني إباح

وهو لا يوجد في ديوانه^(٥) . ولا يصح أيضاً أن نجري مع « نولدكه »^(٦) في الاستشهاد بآية^(٧) ٧٢ من سورة الإسراء : « وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخرة أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا » ؛ إذ أنه لا تفضيل فيه ، بل معناه : أن الأعمى في الدنيا هو في الآخرة أعمى أيضاً ، بل أضل عن الطريق . نعم يروى أن أبا عمرو ابن العلاء كان يرى أن معناه هو أكثر عمى ، كما يروى أنه كان يفرق في لفظ أعمى بين صيغتي الوصفية والتفضيلية بأن الأول يقرأ بالإمالة ، والثاني دون إمالة^(٨) . ولكن معنى العمى لا يتأتى فيه التفضيل إلا في حالة استعماله مجازاً في الضلال ونحوه . أما استعمال : أضل سبيلاً على صورة التفضيل ، فلا يقتضى ذلك أيضاً في مساوقه .

(١) انظر الفصل في الموضوع المذكور .

(٢) انظر ابن الأنباري : الإنصاف ص ٦٨ — ٧٠ ؛ ابن يعيش ص ١٠٤٦ ؛ عبد القادر خزانه ج ٣ ص ٤٨١ ؛ وعلى النقيض من ذلك لا يوجد شاهد في البيت : أبيض من آل أبي عتيق ، فهو وصف لا تفضيل فيه . وهو من قول الزبير بن العوام (ابن قتيبة : عيون ج ٣ ص ٩٥) .

(٣) نشر Seligsohn Suppl. VII

(٤) خزانه الأدب ج ٣ ص ٤٨٤ .

(٥) انظر خزانه الأدب ج ٣ ص ٤٨٢ .

(٦) Zur Grammatik des Klassischen Arabisch Wien 1896. S.16

(٧) عالج هذه الآية الشريفة المرتضى في أماليه ج ١ ص ٥٩ .

(٨) الشريف المرتضى : أملى ج ١ ص ٦٤ ؛ الكشف في الآية المذكورة .

ثم يدور الكلام بعد ذلك حول بعض أبيات ظُن فيها - بغير حق - استعمال اسم التفضيل في الألوان . فمثلا قال الأحدب السعدي ، أحد اللصوص في مختتم القرن الأول :

لما دعاني السّمهري أجبتَه بأبيض من ماء الحديد صقيل^(١)

ولا تفضيل هنا كذلك . ويشبهه هذا أيضاً بيت للعديل بن الفرخ العجلي ، معاصر الحجاج^(٢) ، كما يشبهه بيت في حماسة أبي تمام^(٣) ، ينسب إلى الشاعر :
أبي الأبيض العبسي الذي قيل إنه توفي في عهد هشام بن عبد الملك (حكم ١٠٥ - ١٢٠ هـ) كذلك لا تفضيل في نصف البيت الذي قاله عبد الله بن الزبير سنة ٧٥ هـ :

[هما خطنا خسف نجأوك منهما] ركوبك حوليا من الثلج أشهباً^(٤)

وأقدم ما يوثق به من استعمال صيغة التفضيل في الألوان ، هو ما نجد في الحديث^(٥) عن نهر الكوثر في الفردوس : « ماؤه أبيض من اللبن » .

مثل الأخطاء الغوية التي ذكرناها في هذا الباب ، هي الأخبار الوحيدة عن اللغة الدارجة بين المثقفين في العصر العباسي الأول . وعلى النقيض من ذلك لانكاد نعلم شيئاً عن لغة الطبقات الوسطى والدنيا في المدن والأقاليم . بيد أننا لانكاد نحط بشكلة الصواب إذا افترضنا أن اللهجات الوطنية القديمة ، كانت سائدة في الوديان

(١) أغاني ج ٢١ ص ٧٧ عن أخبار اللصوص للسكري ؛ ونسبه البحتري ، وهو غير دقيق في نسبة الشعر ، إلى زيد الخيل الطائي ، المتوفى ١٠ هـ ، في حماسه رقم ٢٠٧ (مع تغيير طفيف : ولما دعاني الخيري .

(٢) انظر الأغاني ج ٢٠ ص ١٢ .

(٣) Freitag ٢٣١ .

(٤) أغاني ج ١٣ ص ٤٢ ؛ المبرد : كامل ص ٢١٧ ، ص ٦٦٦ ؛ ابن قتيبة ص ٢٠٤ ؛ خزاعة الأدب ج ٣ ص ١٧٥ ، وضبطه هنا بضم التاء جمع أنلج أي نشط وهو غير ظاهر ، بل المراد - فيما يظهر - الثلج المعروف ، بقرينة الأبيات في السياق ، إذ المراد أنه إذا هرب إلى خراسان فسيقيم هناك في الثلج والبرد القارس الحولى .

(٥) البخاري : الرقائق ؛ وذكر الترمذي في تفسير الحديث المذكور الثلج ، بدلا من اللبن ، وأغاب النصوص تذكر الثلج أيضاً ؛ انظر المراجع في : Wensinck I. 241 b ؛ كثر العمال ج ٧ ص ٢٢١ ، ٢٧٤ .

والسهول في كل مكان : اللاتينية الشعبية في شبه جزيرة إيبيريا ؛ ولهجات البربر في شمال أفريقيا ، والقبطية في مصر ، والهجرات الآرامية في سورية وما بين النهرين . على أنه ، حتى في المدن ، لم تكن الكلمة العليا للعربية إذ ذاك في مكان ما بعد . ففي مدن العراق كانت الفارسية سائدة بين الطبقات الدنيا إلى مدى بعيد ، بحيث كان الأصمعي يُعدّ أمانة على ضعة الشخص أن يتكلم بالفارسية^(١) في مصر عربي . والأصمعي نفسه ، الذي كان يحسن^(٢) الفارسية ، أمكن أن يعتمد على فهم السامعين حينما فسّر^(٣) لفظ : « قصب » في معلقة عنتره (XXI ٣٧) بكلمة : ناي ، أي مزمار ؛ أو إذا سمى كثيراً صاحب كُرْبُج^(٤) ، أي صاحب دكان . ومعرفة الفارسية ، التي كانت تظهر هنا أو هناك فقط عند العرب في العصر الأول^(٥) ، صارت غير نادرة في صفوفهم لذلك العهد . وهكذا ، يؤخذ من تقرير^(٦) عن الطيب « سرجويه » Sorgoë الذي لم يكن ينطق عربية سليمة ، وكان لهذا يخاطب أحد الأشراف : محمد بن عبد الوهاب الثقفي ومن اجتمع لديه من الأعيان بالفارسية ، أن دوائر أشراف العرب بالبصرة ، على عهد المهدي وهارون الرشيد — كان محمد بن عبد الوهاب المذكور (١١٠ — ١٩٤ هـ)^(٧) من أعقاب الحكم بن أبي العاص الذي قام مقاماً عظيماً في فتح فارس^(٨) — كانت تفهم الفارسية . ومن الشواهد أيضاً على أن إجادة

(١) المبرد : كامل ص ٢٣٩ .

(٢) الأغاني ج ٤ ص ١٢٠ .

(٣) المبرد : كامل ص ٥٠٢ ؛ وقد استعمل بشار كلمة : ناي . انظر المختار من شعر بشار

ص ١١٤ ، وعرف الأصمعي لفظ : نانوم انظر الديوان نشر : Geyer رقم ١٥٥ ص ٧ .

(٤) فحولة الشعراء (نشر Ch. Torrey ZDMG 65 وانظر الموشح ص ١٤٦) وجاء

لفظ كربج في البيان والتبيين ج ٢ ص ٦٣ ، وفي المعرب للجواليقي ص ١٢٧ ؛ كما ذكر سيدييه

لفظ : قربيق أو كربيق . انظر تاج العروس ج ٧ ص ٥٦ وفيه بيت منسوب إلى أبي قحطان .

(٥) مثل المغيرة بن شعبه ، انظر : Wellhausen. das arab. Reich 73 .

(٦) انظر الأغاني ج ١٧ ص ١٩ .

(٧) انظر الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٦١ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ٦ ص ٤٤٩ ؛

الأغاني ج ١٨ ص ٢ .

(٨) انظر : Wellhausen' Skizzen . vorarbeiten VI, S. 111 .

اللغتين كانت أمراً شائعاً ، ما نجده من ألقاب فارسية لمن يسمون — فيما عدا ذلك — بأسماء عربية محضة . وهكذا كان الشاعر المعاصر لجرير : علي بن خليل من قبيلة ضبة ، يلقب بالبردخت^(١) ، أي الفارغ من العمل . وبه سميت صحراء البردخت^(٢) ، وهي سهل فسيح عند الكوفة . كذلك المحدث البصري : يزيد ابن أبي يزيد^(٣) (المتوفى ١٣٠ هـ) يدين لغيرته بلقب : الرشك^(٤) : من رشك ، بكسر الراء وفتحها في الفارسية . ولما كان هذا مساحا للحقول وحاسباً أريباً صار^(٥) لفظ : الرشك — فيما يروى — وصفاً في لهجة البصرة بمعنى : قسّام . وبعد ذلك بنصف قرن ، تندّر البصريون فأطلقوا اللفظ الفارسي : « خَشِينْشَار »^(٦) الذي معناه طير الماء ؛ على أحد المحدثين . على حين كان العالم اللغوي الضليع : أبو عبيدة (المتوفى ٢١٠ هـ) يلقب استهزاء بلقب : سُبَيْخَت^(٧) . ولما اعتنق الإسلام ، سنة ١٩٠ هـ ، وزير المأمون فيما بعد : الفضل بن سهل ذو الرياستين ، ولزم الفراش وهو مريض بالحمل ، زاره الطبيب : جبريل بن بُحْتَيْشُوع ، فوجد في يده القرآن . وقد رأى الراوي ، الذي سجّل هذا المنظر^(٨) ، من الطبيعي أن الزائر سأل مريضه باللغة الفارسية : تَشُونِ بِنِي نامِه إيزاد : كيف تجد كتاب الله ؟ وأنه تلقى الجواب بنفس اللغة : خُشْ فَتَشُونِ كَلِيلِه قَدِمْنَه : حسنٌ مثل كليله ودمنه .

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٤٤٧ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧٠ .

(٣) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٣ .

(٤) انظر ابن حبان في التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٣٧٢ ؛ السمعاني ص 253 a .

(٥) انظر الترمذی في كتاب الصوم ؛ السمعاني ص 452 a .

(٦) أغاني ج ١٧ ص ١٧ .

(٧) ذكر هذا اللفظ في بيت لابن منذر ؛ انظر الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٣ ؛ وذكر في تاج

العروس ج ١ ص ٥٥٠ ؛ وفي تعليق على هامش تاج العروس أنه مأخوذ من اللفظ الفارسي :

سبوخت أي منبوذ ، بيد أن وزن الشعر يرفض ذلك لصراحة تضعيف الباء فيه .

(٨) انظر ابن الفطحي نثر : Lirret .

اللغة العربية في عصر هارون

بعد أن استقرت في الظاهر أسس دولة الخلافة ببغداد على أيدي مؤسس حكم الأسرة: السفاح (حكم ١٣٢ / ٧٥٠ - ١٣٦ / ٧٥٤) وأخيه وتابعه بوجه خاص المنصور (حكم ١٣٦ / ٧٥٤ - ١٥٨ / ٧٧٥) ، بحيث استطاع الخليفة الثالث: المهدي (حكم ١٥٨ / ١٧٥ - ١٦٩ / ٧٨٥) أن يباشر ضغطه دون هوادة على عقيدة الثنية (الزندقة) المهتدة لوحدة الدولة ، متمماً بذلك عمل سالفه من وجهة السياسة الداخلية ، بلغت الدولة ذروة سلطانها ، بعد خلافة الهادي القصيرة الأمد ، في ظل هارون الرشيد (١٧٠ / ٧٨٦ - ١٩٣ / ٨٠٩) . لقد قدم لها ثراؤها العريض الذي كان يعتمد على غلات أخصب مناطق الشرق كافة ، وسائل ازدهار الثقافة والحضارة . ولقد كان الخليفة ظلاً ظليلاً ، سيداً جواداً على الشعراء والعلماء والموسيقين . ولقد أخذت علوم العربية في عهده نهضة جديدة اقتربت بأسماء الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد والفراء والكسائي . وعند هؤلاء الرجال جميعاً كانت لغة البدويين هي القدوة المثلى ، والمموج الرفيع ؛ وبذلك كانوا دائماً في خلاف شديد مع اللهجة الدارجة بين سواد الشعب العريض . وأبو زيد بالذات ، الذي كان ينطق كما ينطق الأعرابي ، بعث في وقت مبكر إلى نكات من المزاح مشتملة على موازنات بين صوابه المنتحل المصنفي ، وطريقة التعبير الفاحشة المعوجة عند معاصريه^(١) وعلى النقيض من ذلك ، كان من قبيل تعصب البصريين على الكوفيين في ظاهر الأمر إذا أخذ على الفراء العظيم (١٤٤ - ٢٠٧ هـ) أنه لحن بمحضر هارون ، وأنه اعتذر

(١) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٧٨

(٢) ابن خلكان ج ٣ ص ١٩٤ .

من ذلك بأن اللحن عند سكان المدن لازم لهم كالإعراب عند أهل البادية . وأقل من ذلك جدارة بالتصديق الخبر القائل : إن أبا عبيدة تاقى نصيحة من أبيه ، إذا كتب كتاباً أن يجعل فيه لحناً لتزول عنه حرقه الصواب ^(١) . بل لقد كان محبباً إلى الخليفة أن يجالس النحاة ، وكان يقدر سلامة اللغة حق قدرها . وقد يروى أنه خطب زبيدة زوجه فقال لها : يا أم نهر ^(٢) ، بدلا من أم جعفر ، كنيتهما الصحيحة . وكانت زبيدة ، حفيذة المنصور ، امرأة عاقلة مثقفة ^(٣) ، وكانت على قدم من البلاغة بحيث بقي خطابها للأمن ، عند دخوله بغداد ، عالقاً بذاكرة الأجيال التالية عهداً طويلاً ^(٤) . بيد أنه لم يكن معروفاً لديها أن اسم العلم : جعفر ، منقول ، وأنه مرادف للنهر . على أن هارون نفسه لم يرض من الأصمعي أن يستعمل في خطابه إياه تعبيراً مهجوراً غريباً : ما لاقتني بعدك أرض ، أي لم تمسكني ^(٥) وقد تعرض أبو يوسف (١١٣ — ١٨٢ هـ) أول قضاة الدولة — كان أول من حمل لقب قاضي القضاة — لتخطئة الأصمعي في تفسير المعنى الغامض في تلك القاعدة الفقهية التي صاغها الشعبي : لا تعقل العاقلة عبداً ، بمعنى أن العاقلة ، أي الأسرة ، ليست مسؤولة عن دية عبد يقتل ؛ حيث أراد أبو يوسف أن يفسره بأنه لا دية على العاقلة إذا ارتكب عبد لها جناية قتل . فرد عليه الأصمعي بأنه كان يجب حبيئذ أن يقال : لا تعقل عاقلة عن عبد ^(٦) . ففي مثل هذا الجو ازدهرت إلى جانب المعارف الحقيقية ، شدة الذكاء وسعة الحيلة ، ولطف المدخل ، وشهوة الغلب . وإذا كان هارون كما في إحدى

(١) الصولى : أدب الكتاب ص ١٣١ والظاهر أن صواب العبارة : حرقه الصواب ، أى حرقه

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ١٦٨ .

(٣) السيرافي : أخبار التحويين ص ٦٤ .

(٤) انظر رأى الجاحظ في الموشح للمرزباني ص ٣٥٣ .

(٥) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٤٣٣ .

(٦) السيرافي ص ٦٣ ؛ ابن الأنباري : نزهة ١٦٣ ، والروايات المساوقة في الصولى : أدب

الكتاب ص ٩٩ ؛ تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٩ ؛ ابن خلكان ج ١ ص ٥١٧ ؛ تاج العروس

ج ٧ ص ٦٥ تجعل بدلا من لاقت ، ألاق الرباعي .

(٧) ابن قتيبة : أدب السكاتب والجوابقي عليه (طبع القدسي ١٣٥٠ هـ) ص ٨٠ .

الروايات — كان يفرق بين : أنا قاتلُ غلامِك على سبيل الإضافة ، بمعنى لقد قتلت غلامك ؛ وأنا قاتلُ غلامك بالتنوين ، على معنى سأقتل غلامك ؛ فهذا يعتمد على نوع من الدقة كان الاستعمال اللغوي الواقعي كثيراً ما يطرحه وراءه ظهرياً^(١) .

كذلك التمييز الذي ينم على حدة ذكاء ، والذي روى على لسان الكسائي الذائع الشهرة ، سواء لأنه نحوي ضليع ، أم لأنه قارئ من القراء المعتد بهم ، حيث فرق بين : أنت طالق ، طالق ، طالق ، وبين أنت طالق وطاق وطاق^(٢) ، أو ما شا كل ذلك ؛ فمثل هذا ليس مأخوذاً من اللغة الواقعية الحية . وأحياناً كانت مثل هذه اللوذعية في علوم اللغة لا تصحح خطأ الرواية ، وإنما تصحح القائل نفسه ، بمعنى أنها تقول على لسانه ما لم يقوله . فمثلاً حينما مدح الفرزدق حسين بن الأصرم قاتل الجون الكندي لأنه حرم على نفسه تناول اللحم والخمر حتى يقتله ، فقال :

غداة أحلت لابن أصرم طعنةً حسين عبيطاتُ السدائف والخمر

بنصب طعنة ورفع عبيطات ؛ لم يعجب الكسائي هذا القلب والتغيير بين الفاعل والمفعول ، فغير البيت :

غداة أحلت لابن أصرم طعنةً حسين عبيطاتِ السدائف والخمر

وعلى هذه الصورة المغيرة يوجد البيت اليوم في الديوان الذي بأيدينا^(٣) . وينقل الرواة الكوفيون أن الذي حمل الكسائي أيضاً على تعلم النحو هو تعبيره باللحن ، إذ قال : قد عييت ، بمعنى تعبت ، وكان ينبغي أن يقول : قد أعييت ، لأن عي الثلاثي من : عى بالأمر^(٤) لم يقدر على إتمامه . ومع هذا فلم يخل الأمر من خصومات بين العلماء ؛ إذ كان من الطبيعي أن أحداً من علماء اللغة هؤلاء لم يحصل على دراية

(١) ياقوت ج ٥ ص ١٨٧ وانظر سيبويه ج ١ ص ٧١ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٠٦ .

(٣) ديوان الفرزدق ص ٣١٧ ، وانظر المبرد : كامل ص ٢٠٩ .

(٤) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٠٤ ؛ نزهة الألباء ص ٨٢ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ١٨٤ .

كاملة بالعربية ، حتى ولا بمعنى أنه كان محيطاً بكل الكنز اللفظي الحى ، الذى كان مستعملاً إذ ذاك فى عالم البادية .

ولما زار العلامة الكبير : أبو عبيدة ، أم الهيثم^(١) ، التى عرفت بأنها أعرابية فصيحة بليغة الكلام ، وصفت له مرضها بكلمات لم تكن معروفة عنده ، حتى سأهلاً فى دهشة عما إذا كان للناس لغتان ينطقونهما^(٢) . وبحكم هذه الأحوال لم يقيم النزاع حول مسائل الاستعمال اللغوى الصحيح فحسب ، بل كذلك حول من يرجع إليه فى ذلك . وهكذا حدث فى الجيل التالى لهذا أن ابن الأعرابى الكوفى (حوالى ١٥٠ - ٢٣١ هـ) لم يشأ أن يعتد لا بالأصمى ولا بأبى عبيدة ؛ وهما من هما فى مرتبة العلم التى تسمو على مرتبته بكثير . ولكنه استطاع مثلاً أن يعتمد على أن الرجال الذين يأخذ عنهم من البدو كثيراً ما أعطوه بياناً يتعارض مع آراء الأصمى^(٣) ؛ أو على أن أبا عبيدة روى : شلت الحجر (من مادة : ش ي ل) أى رفعته ، وشلت يده^(٤) ؛ أى أصيبنا بالشلل ؛ على حين أن الصواب يجب أن يكون : شلت بالحجر (من مادة : ش و ل) و : شلت يده بفتح الشين . بيد أن علم ابن الأعرابى نفسه لم يكن راسخاً بحال . فقد أكدى بصورة مزرية حينما طلب إليه أن يشرح كلمات غريبة فى شعر الطرمّاح^(٥) ؛ كما قرأ : قتلى كذا ، بالذال المعجمة ، بدلاً من قتلى كداء ، فى بيت للمغنى المشهور : ابن أبى سنة ، الذى غير ابن الأعرابى اسمه أيضاً إلى : ابن أبى شبة ؛ وحاول أن ينقذ نفسه^(٦) بتفسير : قتلى كذا ، بأن معناه عدد كبير من القتلى . كذلك لم يفهم مرعى الشاعر فى الكلمات :

[ولا عيب فينا غير عرق لمعشر كرام] وأنا لا نخط على النمل

(١) فهرست ص ٧٠ .

(٢) تاج العروس ج ٢ ص ٢٦٠ .

(٣) ياقوت : لإرشاد ج ٧ ص ٥٥ .

(٤) هكذا روى أبو عبيدة فى بيت لورقاء بن زهير ؛ انظر النقائض ص ٣٨٤ .

(٥) أغاني ج ١٠ ص ١٥٦ .

(٦) أغاني ج ٤ ص ٩٢ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٨ .

أى أننا لا نخط على النمل ، بمعنى القروح (والمراد أننا لسنا مجوساً نتزوج أخواتنا) . وفي ذلك رمز إلى عادة فارسية ، هي أن يطلب إلى غلام ناتج من زواج الإخوة أن يخط على القروح على سبيل التعويذ والسحر . وقد تخلص ابن الأعرابي ببيان حائر ففسره بأن الشاعر يقول : نحن لا نخط (من حط ، لا نخط من خط) على جماعات النمل لنسلبها زادها^(١) . كذلك لم تكن معارفه عن الأنساب على ما ينبغي^(٢) كما أن آراءه اللغوية تتكشف تماماً في نظريته الجديرة بالنظر ، من أن الذال والطاء يتبادلان مواقعهما في حالة الاختيار^(٣) .

وقد بقي لنا مصنف في لحن العامة يحمل اسم الكسائي ، وهو وإن لم تكن نسبته صحيحة ، فإنه يعتبر أقدم الآثار الأدبية لحركة « تنقية اللغة العربية » . ويذكر هذا المصنف في مقدمته أنه من عمل الكسائي لهارون الرشيد^(٤) . ويحتوى في ١٠٢ فقرة على ملاحظات متفرقة جمع بعضها إلى بعض حول الاستعمال اللغوى الصحيح . وتبدأ كلها بكلمة : تقول (أى الصواب . . .) ، وقد تبدأ في بعض الأحيان : لا تقول ، مع ذكر الصيغة المستعملة عند العامة . وكثيراً ما يستشهد بذكر مواضع من القرآن أو أبيات الشعر . على أن نسبة هذا المصنف لم تسم عن شك أيا كان . أما أنه لا يوجد منه غير مخطوطين اثنين حديثي الكتابة ، متقاربان تقارباً كبيراً^(٥) ، فقد يكون ذلك من قبيل المصادفة والاتفاق ، كما هو الحال بالنظر إلى أن صاحب الفهرست لا يعرف هو ولا غيره من كتب التراجم التي بأيدينا مثل هذا

(١) نزهة الألباء ص ٢١١ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٧ . وانظر في معنى البيت ابن قتيبة ص ٢٢ ، والبطليوسى عليه ص ٢٩٠ ، والجواب بق عليه ص ١٢٠ ، وتاج العروس ج ٨ ص ١٤٦ .

(٢) أغاني ج ١١ ص ١٠٠ .

(٣) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٤) نشر أولاً عن نسخة خطية حديثة رديئة كثيرة الأغلاط (برلين ؛ آلورد ٧١٠٣) ، وناشره ، بروكلمان : المجلة الأشورية عدد ١٣ ص ٢٩ — ٤٦ ؛ ثم نشرها عبد العزيز الميمنى في : ثلاث رسائل ، بالقاهرة ١٣٤٤ هـ ؛ ص ١٩ — ٦٨ على أساس نسخة خطية حديثة أيضاً في بومباي ، ولكنها أحسن من الأولى كثيراً . ورجع إليها في الاستشهاد .

(٥) مطلعهما : هذا كتاب ما تلحن فيه العامة مما وضعه على بن حمزة الكسائي للرشيد .

المصنف للكسائي . ولكن أحق من ذلك بأن يلفت النظر ، هو أن السند الوحيد الذي يروى عنه مع ذكر اسمه ، هو البصرى المعروف : أبو زيد الأنصارى (حوالى ١٢٥ - ٢١٥ هـ) الرجل الذى عاش بعد الكسائى المتوفى فى سن الثمانين أو التسعين . ومع هذا فإن أهم من ذلك تلك الأحوال ، التى لا يتفق ما ينقل فيها من الآراء وقد فى هذا المصنف ، مع ما هو معروف فى معاجم اللغة الأصلية على أنه رأى الكسائى . فثلاً يخطئ المصنف المذكور : نعم بكسر القاف ، (رقم ٣) ؛ ولكنه يرجح : وددت (رقم ١٩) ؛ كما يفرق (رقم ٨٧) بين : قبسته النار ، أى أعطيته ناراً ، وأقبسته العلم ، أى علمته ؛ وكذلك (رقم ١٠٢) بين : بما ، الواوى بمعنى زاد ، ونمى اليأى بمعنى احمر (الخضاب) واسود . وعند الجوهرى وغيره من أصحاب المعاجم — على النقيض من هذا — أن الكسائى ارتضى نعم بكسر القاف ، ووددت بفتح الدال معاً ؛ وأنه فسر الرباعى : أقبس ، بالمعنيين جميعاً : أعطى النار ، وعلم ، على الحقيقة والحجاز ؛ وقال عن : نما الواوى ، إنها صيغة مفردة سمعها من اثنين فقط من بنى سليم . نعم قد يكون هذا التضارب ناشئاً أيضاً من أخطاء فى مقابلة النقل ، أو مبنياً على تصحيح كتاب أساسى ؛ بيد أنه إذا لم يكن هناك دليل قاطع على صحة النسبة ، فقد بقى من المشكوك فيه ما إذا كان هذا المصنف يحمل اسم الكسائى بحق .

ومهما يكن من أمر فى صحة نسبة المصنف المذكور فى ألحان العامة للكسائى ، فما لاشك فيه أن حركة « تنقية اللغة العربية » على عهد هارون الرشيد قد نضجت نضجاً تاماً . وهنا كان الأصمعى قبل كل شىء هو الذى لم يكتف بجمع كنىز المادة اللغوية عند البدويين وترتيبه فحسب ، بل شرع كذلك فى تنظيم الاستعمال اللغوى الدقيق بوساطة تحديدات معنوية غاية فى الدقة . ولا ريب أنه كان فى ذلك كثيراً ما يخالف المعانى والاستعمالات التى ترد فى كلام البدويين ؛ ودعوى ابن الأعرابى أنه وجد فى ألف حالة ، سمع فيها من ثقاته البدويين ، تلك الصيغ التى ذكر الأصمعى أنها خطأ ، ليست غير ذات أساس ؛ على الرغم مما يبدو من أن ابن الأعرابى كان يريد

أن يقبذ موقفه . إذ أنه حينما كان لا يزال مؤدباً في بيت سعيد بن سلم بن قتيبة^(١) (المتوفى ٢١٧ هـ) ، أثبت عليه الأصمعي في حضرة تلميذه خطأً في تفسير بيت^(٢) . ولكن آخرين من علماء اللغة ، غير ابن الأعرابي ، خالفوا الأصمعي أيضاً في أقواله . وقد أمحى البطلبوسى بشدة اللائمة على ابن قتيبة ، لأنه احتضن مذهب الأصمعي المتطرف في « تنقية اللغة » ، دون أن يعنى بمذاهب الثقات الآخرين من علماء اللغة ولو على سبيل العرض فحسب .

وهذه المقتضيات التي يتطلبها مبدأ « تنقية اللغة » ، قد احتذاها الشعر الرفيع في جميع العصور كما هو الأعم الأغلب ، فمثلاً أشعار أبي نواس (١٣٠ - ١٩٩ هـ) أنه الشعراء ذكراً في عصر هارون ، خالصة من اللحن اللغوي خلوصاً عجيباً . وماعدّه نقاده المشبعون بروح التشكك خطأ ، هو في الغالب نوع من الحرية الشعرية ، أو ضرورة الوزن ، كما نجد عند أسلافه من الشعراء .

وهكذا ، تدين مثلاً الصيغ المختلفة التصريف : سنون وبنون ، التي استعملها بالتنوين ، بدلا من الإعراب بالحروف^(٣) ، إلى الرغبة في إعارة هذه الأسماء الثنائية (المبنى) تمكنا من الأصالة ، كما أنها وردت - بعيدة عن القافية - في أشعار العصر الأموي^(٤) . وزيادة على ذلك ليس من الشاذ العادم النظر أن يستعمل الشاعر في ضرورة القافية ، جمع المذكر السالم بكسر النون بدل فتحها^(٥) . وإذا كان أبو نواس في قوله في مدح الأمين :

ياخير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر الميمون^(٦)

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٨١ .

(٢) المرتضى : أمالي ج ٢ ص ١٤٨ .

(٣) الحمريات رقم ٦٢ (آلورد) ؛ انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٥٢٠ .

(٤) انظر المصادر في: Nöldeke, NBSS 126 (Nue Beitrage zur semitschen Sprachwissenschaft)

(٥) ساق المبرد : كامل ص ٢٩٢ ثلاثة أمثلة لذلك من شعر الفرزدق وسحيم (أصمعيات رقم ٧٦ بيت ٦ ، ويوجد هذا البيت أيضاً في شعر جرير ، ديوان ٥٧٧) وذى الأصبع (المفضليات ٣١) وانظر ابن يعيش ص ٦١٣ ، وخزانة الأدب ج ٣ ص ٤١١ .

(٦) انظر ابن الأثير : المثل السائر (١٢٨٢ هـ) ص ١١ .

قد خالف قواعد العربية ، من وجوب نصب المستثنى من كلام تام موجب ، فإن
هناك شواهد قديمة أيضاً^(١) على مثل هذه الحرية الشعرية . كذلك في البيت :

فليت ما أنت واط من الثرى لى رمسا^(٢)

نصب معمولى : ليت ، وهو استعمال قبلى خاص ، ورد في رجز العجاج^(٣)
(المتوفى ٩٧ هـ) وفي شعر الهذلى عبد الله بن مسلم^(٤) (في أوائل القرن الثانى) :

وترك الهمز في واط ، بدلا من واطى أمر معتاد .

وأكثر من ذلك لفتناً للأنظار ، ترك الإعراب ، واستعمال صيغ دارجة في مثل
محدثه بدلا من محدثه^(٥) ؛ ويأتك ، على الوقف بسكون الكاف ، بدلا من فتحها
في الخطاب^(٦) . وأخيرا من المستغرب البيت^(٧) :

كأن صغرى وكبرى من فقاقتها حصباء در على أرض من الذهب

لأنه كما في قواعد النحو البدائية ، لا يجوز تعريف فعلى مؤنث أفعال التفضيل
إلا في حالة ما إذا صار اسما مثل : دنيا ، أو أخذ معنى خاصا ، مثل : أخرى . كذلك
من اللحن قوله :

ونشوة سَقَطَتْ منها في يدي

لأن سَقَطَ في يده ، بمعنى حار أو ندم ، ملازم للمجهول ، وهو فعل غير شخصى
لأن سَقَطَ غير متعد^(٨) . فلا يسند إلى الضمير .

(١) انظر نولدكه : Zur Grammatik S. 43

(٢) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥١٩

(٣) انظر المرزبانى : موشح ص ٢١٧

(٤) ديوان هذيل رقم ٢٤٧ ؛ وفي الشاعر انظر ابن حجر : تهذيب ج ٦ ص ٢٨ .

(٥) الشعر والشعراء ص ٥١٩ ، وقد صحح في الديوان ص ٨٩ .

(٦) القالى : ذيل الأمالى ص ٤٧ .

(٧) الديوان ص ٢٤٣ ؛ الحمريات رقم ٧ (آلورد) ؛ وانظر الحريرى : درة ص ٤٦ ؛

ابن الأثير : المثل السائر ص ١٠ ؛ الميدانى (١٣٤٢) ج ١ ص ٧١ ؛ العاملى : الكشكول
(١٢٨٨) ص ٢٦٣ .

(٨) ميدانى (١٣٤٢) ج ١ ص ٣٠٢ .

ومع هذا فقد ترد عند شعراء الطبقة الثانية أخطاء صريحة في قواعد النحو .
وهاهوذا الشاعر الشيعي : السيد الحميري (المتوفى ١٠٥ - ١٧٣ هـ) ، يقول شاهد
على ما تقول^(١) :

أحوكُ ولا أقوى ولست بلاحن وكم فائل للشعر يُقوى ويلحن
وتؤيده في ذلك الروايات التي بأيدينا ؛ فهاهوذا أحد شعراء سُدَّة الرشيد :
العماني — يدين بهذا اللقب لزيارة له إلى عمان ، أو لسبب غير ذلك ، لكنه على كل
حال ليس من هذا الإقليم المشهور بفساد عربيته^(٢) — ينشد بيتي الرجز التاليين
في وصف حصان :

كأن أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلما محرفا
وهو خطأ سرعان ما صححه الخليفة ، حيث اقترح^(٣) عليه وضع : تحال ، مكان :
كأن . وفي القصيدة التي أنشدها إبراهيم الموصلي (١٢٥ - ١٨٥ هـ) متغنياً بجوس
هارون على عرش الخلافة ، تجد هذا البيت :

ألم تر أن الشمس كانت مريضة فلما ولي هارون أشرق نورها
فقال : ولي ، بالإشباع ، بدل : ولي بفتح الياء .

وشاعر آخر نابه الذكر في هذا العصر : مسلم بن الوليد (المتوفى ٢٠٨ هـ) ،
يفتخر بأنه ابتدع للفظ : يزيد ، جمع تكسير : أيازيد ، فجعله ذلك هدفاً لنقد
أبي نواس^(٤) . وأخيراً : في شعر ابن سيابة (المتوفى ٢١٣ هـ) ، الذي وإن كان

(١) المرزباني : موشح ص ١٤ ، وانظر في هذا جولدزهر : Abhandl. Z. arab. Philologie I. 132

(٢) توجد تفسيرات مختلفة عند ابن قتيبة : الشعر ص ٤٧٥ ؛ الأغاني ج ١٧ ص ٧٨ ، ٨١ ؛
تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٧٠ .

(٣) المبرد : كامل ص ٥١٣ ؛ الصولي : أدب الكتاب ص ٨٦ ؛ ويريد بعض الكوفيين
أن يستشهد بهذا على جواز نصب معمولي كأن ، انظر خزنة الأدب ج ٤ ص ٢٩٢ - ٢٩٤ ،
وتوجد شواهد أخرى في فهارس الشواهد ، فيشر ص ١٥٧ .

(٤) المرزباني : موشح ص ٢٩٠ ، ولا يوجد البيت المشار إليه : رأى المهلب أو بأس الأيازيد ،
في الديوان (نشر دي غويه) .

لا يقاس بالشعراء السالفي الذكر ، فقد سارت أشعاره كل مسير ، بتلحين إبراهيم
الموصلى إياها ، وتغنيه بها ، نجده يقول : أبو سحاق ، بحذف همزة إسحاق^(١) ، وهو مثل
خطوة أولى نحو التسمية المتأخرة .

واللحن في أشعار القصور ، أقل منه في أشعار الفرس والمناسبات ، كما نرى
في أشعار البصرة لمختتم القرن الثاني . فهذا أبان اللاحق يتهمك بالمحاولات الشعرية على
لأبي النضير الذي كان يخرج المغنيات من الجوارى بالبصرة ، وكان يمدّ أظرف
الناس بها :

يكسر الشعر وإن عاتبته في مجال ، قال هذا في اللغة^(٢)

أى أنه كان متأثراً بخصائص لهجات خاصة ، وأبو النضير يستعمل مثلاً الصيغة
الغريبة : فإياك بأن يعلم^(٣) ، يجزم المصارع على خلاف القاعدة . ولو بقي لنا كثير
من أشعاره ، التي تحتسب في الطبقة الوسطى ، لأمكن العثور فيها على لحن
أكثر وأوسع .

ومن دوائر أدياء البصرة التي التقينا فيها بمثل ابن مناذر ، يعدّ أيضاً محمد بن
يسير^(٤) ؛ رجل وضع النسب ، فتحت له قريحته في الشعر مدخلا إلى قصور المجتمع
الرفيع . وقد حمله عدم التسامح في الطموح على الزهادة في أن يضع فنه في خدمة
الخليفة أو كبار رجال الدولة مكنتياً بحياة طفيلية^(٥) في شعار الخمر على نفقة بعض
الأثرياء الذين خصهم بالمديح . وقد كانت أشعاره الخفيفة المترقصة ، التي تغنى فيها
وهو مضطرب المزاج ، بصغائر الأحداث من خواطر أيامه الرتيبة ، محببة إلى الناس

(١) أغاني ص ٩ .

(٢) أغاني ج ٢٠ ص ٧٤ .

(٣) أغاني ج ١٠ ص ١٠١ س ١٣ ، والبيت الذي قال فيه ذلك : فإياك بأن يعلم وإياك وإياك ،
كما في الأغاني ، والظاهر أن الواو موضوعة غلطاً من الناسخ ، ولعل الصواب :
فإياك بأن يعد . إياك وإياك

وإذا فلا لحن في كلامه .

(٤) انظر الأغاني ج ١٢ ص ١٢٩ - ١٤١ ، حيث سمى الشاعر غلطاً : محمد بن بشير ، انظر
تاج ص ٢٢٧ س ٩ ، وانظر مراجع أخرى في : فهارس الشواهد لفيشر .

(٥) يتحدث هو نفسه عن طفله في الأغاني ج ١٢ ص ١٤١ .

براهم دهرأ طويلا . بيد أنها قد عرضت من الوجهة اللغوية سلسلة من السمات المولدة الطابع
وهم مثل حذف الهمزة المحققة ، لا في الصيغ الدارجة فحسب مثل : حرأمه ، بدلا من :
حرأمة^(١) ، بل كذلك في مثل : قرأه ، بدلا من قراءة^(٢) ، كما أدخل نوعا من
الاختصار الذي اشتهر في اللهجات المتأخرة^(٣) ، بجمعه لفظ : « شاهين » بمعنى صقر ،
على : شواهن^(٤) بدلا من شواهين^(٥) . وفي البيت :

ولو قنعت أتاني الرزق في دعةٍ إن القنوع الغنى لا كثرة المال
خلط بين : قنع ، بفتح النون ، من مصدر القنوع بمعنى السؤال والتذلل ؛ وقنع
بكسر النون من مصدر القناعة ، بمعنى الرضا^(٦) . وخطأ شنيع استعماله في الدعاء
صنيف المضارع الخبري الواقعي : يرحمنا^(٧) ، بدلا من ماضى الدعاء : رحمنا (أى عسى أن
كثير رحمنا) . فإذا أضفنا إلى هذا كله ذلك العدد الجهم من الدخيل الفارسي ، حصلنا على
صورة من التعبير الشعري ابتعدت كثيرا من الشعر الفصيح في الصدر الأول .

وإذا جاز لنا أن نثق بالروايات التي بأيدينا ، كان عصر هارون هو العصر الذي
وجدت فيه لغة الشعب للمرة الأولى مساعاً في التعبير الأدبي ، فكما في قصة جدِّ
معروفة ، يروى أن هارون بعد أن قضى على البرامكة ، منع الناس أن يبكوا القتلى
في مرآث تشيد بذكرهم ، ولكن جارية لجعفر بن يحيى بن خالد بكت سيدها القليل
في قصيدة نظمها باللسان الشعبي ، تحتم أبياتها بقولها : يامواليه^(٨) !

(١) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ١٢٣ وقد ذكر نولدكه شواهد قديمة على ذلك في : Zur

Grammatik S. 9

(٢) أغاني ج ١٢ ص ١٣٣ .

(٣) انظر : El I 476

(٤) أغاني ج ١٢ ص ١٣٥

(٥) أو شياهين ، انظر الفرزدق ص ٤٠٥

(٦) المرزباني : موشح ص ٢٩٩ ؛ البطليوسي ص ١٨٠ ؛ على أن بعض اللغويين ذكر أن
الأول من الأضداد . انظر القاموس في المادة .

(٧) المبرد : كامل ص ٢٣٣ ؛ أغاني ج ١٢ ص ١٣٧ ؛ البيهقي : محاسن ص ٣٨١ ؛ الجاحظ

بيان ج ٢ ص ١٠٢

(٨) انظر سفينة الملك لشهاب الدين ص ٣٨٠ ؛ محمد بن شنب في : El III 484 .

بيد أن حظ هذه الأسطورة من الصحة ضئيل ، مثل التأويل الذي حاكه بعضهم ، في أن أول من نظم أغاني المواليا ، هم عبيد من واسط كانوا يتغنون بها في أثناء العمل . حقاً لقد وجدت في سائر العالم العربي بحور غنائية شعبية ، ولكنه ليس ممكناً بعدُ تحديد مبدأ الفنون السبعة المولدة بحسب الزمان والمكان . فجميع هذه الأغاني يناسبها شعر الأدوار الذي تتحد قافية كل دور فيه ، وإن اختلفت قوافي الأدوار بعضها مع بعض ؛ على حين أن الشعر العربي لا يعرف — من مهنه — إلا القافية الواحدة في القصيدة كلها . بيد أنه قد نظمت في العصر العباسي أغان من شعر الأدوار (المزدوجات) بلغة الكتابة الفصحى أيضاً . وعصر هارون — بالذات — هو العصر الذي لدينا منه شواهد كيدة على نقل هذه القوالب الشعبية إلى الشعر الفنى — وأبسط هذه القوالب هو ما يسمى « المزدوجة » ، وهو قالب شعري ، الأثر يؤلف فيه بيتان قصيران — في الغالب من الرجز — متحدًا القافية ، وحدة خاصة أو دوراً مستقلاً . وقد نظم أبو العتاهية (حوالي ١٣٠ — ٢١٠ هـ) في هذا القالب أرجوزته : « ذات الأمثال » ، وهي قصيدة تهذيبية . روى أنها تشتمل على أربعة آلاف حكمة ومثل ؛ ولم يصلنا منها إلا جزء صغير^(١) . واختار أبان بن عبد الحميد اللاحق ، معاصر أبي العتاهية ، نفس القالب (المطابق للمثنوى الفارسي تمام المطابقة) عند ما صاغ للبرامكة أدب المسامرة ، الفارمي ، الهندي ، في شعر عربي ، مثل : كليلة ودمنة بالأبيات^(٢) :

هذا كتاب أدب ومحنه وهو الذي يدعى كليله دمنه

فيه احتيالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند

وشاعر ثالث من ذلك العهد ، هو بشر بن المعتمر المعتزلي (المتوفى ٢١٠ هـ)

الذي زجَّ به هارون في الحبس بعض الوقت لتعاطيه التشيع فهذا وإن نظم على

(١) ديوان : بيروت ١٩١٤ ص ٣٤٦ — ٣٤٨

(٢) أغانى ج ٢٠ ص ٧٣

كله لفظ المؤلف من وحدة القافية^(١) قصيدتيه اللتين قالهما في الفلسفة الطبيعية ، وأشاد
بهما بحكمة الله المتجلية في الطبيعة ، قد استخدم أيضا إلى جانب ذلك — كما تشير
عليه نصوص متفرقة — قالب المزدوج^(٢) . وأقدم من ذلك — بحق — النظم الفلكي
التعليمي الذي أنشأه محمد بن إبراهيم الفزاري ، مخرج كتاب : « السند هند » الذي
اشتهر إذ ذاك ببغداد سنة ١٥٤ هـ . وهو ابن إبراهيم بن حبيب الذي يروى أنه أول
من صنع الأسطرلاب في الإسلام^(٣) . ونظمه التعليمي الذي لم ينقل منه إلا أربعة
من أبيات^(٤) ، من قبيل المزدوج الذي تتألف أدواره من ثلاثة أبيات متحدة القافية
من الرجز . وأسوأ حالا مما ذكرنا ، إثبات أقدم الأمثلة لشعر الموشحات ؛ فإن
معر « الخمسة » المنسوبة إلى أبي نواس — اثنا عشر دوراً كل منها خمسة مصاريع ،
لأربعة الأولى منها متحدة القافية ؛ أما الخامس فهو على قافية أخرى تدور في المصراع
الخامس من كل دور ، على مثال : أأأأأ ، ب ب ب ب أ الخ — لا تكاد تثبت
صحتها^(٥) . بيد أن هناك ميمية^(٦) تترجح صحة نسبتها إلى حماد الراوية (٩٥ — ١٥٥ هـ)
وهي تشتمل على قافية مصرّعة في داخل البيت ، ثم قافية متحدة في جميع الأبيات^(٧) :

خلاف الحلول بتلك الطول وسحب الذبول بذاك المقام

وكذلك في البيتين التاليين . وتقدم مثالا قديماً آخر لهذه « المقطعة » قصيدة

سلم الخاسر ، قالها في مدح الخليفة الهادي (حكم ١٦٩ — ١٧٠ هـ) وهي تبدأ :

موسى المطر [غيث بكر ثم انهمر]

(١) الجاحظ : حيوان ج ٦ ص ٩٢ — ٩٧

(٢) الحياط : الانتصار ص ١٣٤ ؛ الجاحظ : حيوان ج ٦ ص ١٥٥ ؛ التعالي : ثمار القلوب

ج ١ ص ٥١٣

(٣) انظر الفهرست ص ١١٨

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ج ١ ص ٣٣٦

(٥) توجد الخمسة المذكورة في حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ١٢٤ (طبع ١٣٤٧) ،

ويظهر أنها هي نفس الخمسة التي نسبت إلى أبي نواس في El' Suppl. 194a .

(٦) أغاني ج ٥ ص ٢٨

(٧) تشتمل القامة الثانية عشرة للحريري على قصيدة يمثل ذلك التصريح .

وتتألف من سبعة عشر بيتاً كلها من قافية الراء على هذا النمط^(١). وسلم المذكور
كان تلميذاً لبشار بن برد، مقتفياً لأثره^(٢). وليس ثمة داع إلى الشك في الخبر القائل
إن بشاراً أيضاً حاول نظم المزدوجة والموشح.
وربما رجع إلى القرن الثاني أيضاً تاريخ الدوييت أو الرباعي، الذي تتجلى
مصاريعه في القافية ما عدا المصراع الثالث. فهذا القالب الذي لعب — في وقت
متأخر — دوراً عظيماً في الشعر الفارسي، يقرن أيضاً ببشار بن برد؛ إذ روى أنه قال
في بأعة طيور كان يشتري منها الخل، هذا الرباعي^(٣) الخالي — فيما يظهر — من
الإعراب في أواخره:

رباب ربة البيت تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

وإن كان يجوز لنا أن نشك في صحة نسبة ذلك إلى بشار. ومثل هذا يقال
أيضاً في أغنية باللسان الشعبي، يقال إن إبراهيم الموصلي (١٢٥ — ١٨٨ هـ) تغنى
بها في سكره:

أنا جئت من طرق موصل أحمل قلال خمر يا
من شارب الملوك فلا بد من سكر يا^(٤)

وقد ساق ابن خرداذبه هذه الأغنية ليفسر بها نسبة إبراهيم إلى الموصلي
بيد أن أبا الفرج الذي ندين له بالخبر المذكور يعارض بشدة في صحة هذا التفسير^(٥)
هذا، ونحن في حقيقة الأمر لا نكاد نعرف شيئاً عن العربية التي كان يتكلمها
الناس في أواخر القرن الثاني. ويصادف فقط أن نعرف من إحدى القصص الرواية
عن محمد بن منذر (المتوفى ١٩٨ هـ) أنه كان يقال في مكة الإناء برمة، وللغرفة

(١) ابن رشيق: العمدة ج ١ ص ١٢٢.

(٢) أغاني ج ٢١ ص ١١٠.

(٣) المرزباني: موشح ص ٢٤٩، ودون تسمية القائل في ياقوت: إرشاد ج ٦ ص ١٦٥.

(٤) رواها الأغاني باختلاف يسير: ج ٥ ص ١٥٧.

(٥) الأغاني في الموضع السالف

العالية : عُليّة ، إذ كان يقال لها بالبصرة : قدر ، وغرفة . وهذا الشاعر ^(١) الذي أصله من عدن ^(٢) ، والذي يعد من شعراء عصر هارون ، جمع علما كثيرا بشئون اللغة في البصرة ؛ وكان في بادئ أمره متأهلا متنسكا زاهدا على طريقة الأوائل من المعتزلة . ولكنه وضع نفسه في موضع غير مقبول ، لدى الدوائر التي كان يختلط بها ، بقصة غرامه بأحد أبناء الأسرة الثقفية الرفيعة ؛ وصار من رجال المجتمع المعروف بحرية الفكر (الزنادقة) الذين ليست لهم مبادئ يقصدونها . ويروى أنه صب الخبر ليلا في أماكن العبادة ، حتى تطلخت جباه المصلين به عند حضورهم لصلاة الفجر ؛ واضطر أخيرا إلى مغادرة البصرة مهاجرا إلى مكة ، حيث مات بها سنة ١٩٨ هـ . وقد ذكرنا أن سفيان بن عيينة نفسه ، وغيره من المحدّثين ، كانوا يرجعون إليه في أمور اللغة . ويقال إنه ذكر ملاحظته في تسمية الإناء والغرفة عند البصريين والمكيين ، دفاعا عن رجحان كفة البصرة على مكة في اللغة بذكر مثالين يطابق فيهما استعمال البصريين لغة القرآن ^(٣) . أما أن أهل مكة كانوا يستعملون بدل اللفظ العربي الأصيل : غرفة : اللفظ الآرامي الأصل : عُليّة ، فقد أثبتته أيضاً ابن دريد ^(٤) . كذلك يؤيد استعمال المكيين لفظ : برمة ، بدلا من : قدر ، ورود ذلك اللفظ بكثرة في أقوال المحدّثين ، وإن كان يقال في هذا ، أولا ، إن لفظ : برمة ، يستعمل أيضاً في معنى أخص مما ذكر ، وهو المادة التي تعمل منها القدر ^(٥) ، وثانيا ، لفظ قدر معروف بالحجاز كذلك ^(٦) .

(١) انظر فيما يأتي الأغاني ج ١٧ ص ٩ — ٣٠ .

(٢) انظر صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٥٣ .

(٣) انظر الجاحظ : بيان ج ١ ص ٩ .

(٤) انظر الشواهد في Wensinck, Concordance et Indices 1,176

(٥) أغاني ج ٤ ص ١٥٢ ، وهناك موضع ذكره الهمداني ص ١٢١ يسمى : معدن البرام .

(٦) ابن هشام ص ٦٨٣ ؛ الأزرق ص ٤٤٩ .

العربية المولدة

كان من أثر المقام المسيطر الذي أخذه مبدأ « تنقية العربية » في التربية اللغوية للمجتمع العربي ، أن صارت عربية البدو تعد القدوة المثلى ، والمثل الأعلى من جميع الوجوه ؛ وأن احتذاها المثقفون في الكلام الشفوي ، والتحرير الكتابي جميعاً . حقاً لقد أثر اختلاف الأحوال ، ولا سيما الانتقال إلى حضارة المدن ، أثراً غير يسير في اللغة أيضاً ، كما يبدو في اختلاف لغة الأدب في شعر المحدثين في أوائل العصر العباسي ، كشعر بشار وأبي العتاهية وابن الأحنف ، اختلافاً كبيراً من حيث صوغ القوالب ، وتركيب الجمل ، والمادة اللغوية ، وطرق التعبير ، عن لغة شعراء البادية . ولكن عربية الدولة هذه احتفظت بالتصرف الإعرابي ، وبقواعد الإعراب والتصرف احتفاظاً تاماً ، ولم تنزل من حيث بناؤها الحقيقي ، على الرغم من بعض السمات المولدة ، تعد من اللغة الفصحى . وعلى النقيض من ذلك كانت اللغة الدارجة التي كانت تتفاهم بها الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن ، منذ نشوئها في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى ، تعد عربية مولدة في نظر التاريخ اللغوي . وقد أخذت هذه العربية المولدة تكتسب مناطق جديدة بسبب التغييرات السياسية والاقتصادية التي أحدثتها سقوط الدولة العربية ، وإن بقي المجتمع الراق بعيداً عن التأثير بها تأثراً يؤبه له حتى القرن الثالث (التاسع الميلادي) ؛ كما أن الأوساط الأدبية كانت أبعد عن نطاق التأثير بها كذلك . أما اليهود والنصارى بالمشرق ، الذين كانوا يعيشون في جو من التراث الأدبي ، يختلف تماماً عن محيط العالم الإسلامي من حولهم ؛ فقد ظلوا طويلاً دون أن يكون لهم نصيب من الثقافة الإسلامية . ولذلك لم يستخدموا ، لأول عهدهم بالكتابة العربية ، تلك العربية الفصحى ، بل اللغة الدارجة في عصرهم .

ومن هنا كانت الآثار المسيحية — العربية الأولى ، التي ترجع إلى القرن الثاني — الثامن ، ذات قيمة ممتازة أيضا بالنظر إلى تاريخ اللغة العربية ؛ إذ فيها نجد النصوص الأولى للعربية المولدة في صورة متماسكة .

لم يكن للنصارى واليهود ، الخاضعين لسلطان الإسلام بالشرق ، حظ من المثل الثقافي الأعلى للعربية . وقد اتقوا ، من حيث إنهم ذوو أديان نصّ القرآن على حقها من التسامح والحماية ، جماعات دينية في الدولة الإسلامية ذات استقلال ثقافي ، وإدارات خاصة بشؤونهم ، وقوانين مقصورة عليهم ، كما كانوا يقيمون حياة اجتماعية واقتصادية خاصة بهم . وعلى عكس ذلك كانوا يشاركون جيرانهم المسلمين في لغتهم ودارجة . وتلك الخصائص القليلة في مادتهم اللغوية وطرائق تعبيرهم ، إنما نشأت من طبيعة الموضوعات التي يعالجونها ، بحيث لا تقوى على تكوين لهجة يهودية ، أو مسيحية — عربية خاصة . نعم كان يهود المدينة على عهد محمد [صلى الله عليه وسلم] ينطقون لهجة تختلف كثيراً عن لغة السكان الآخرين بالمدينة ؛ بحيث لم تكن مفهومة لهم . فقد روى عن عبد الله بن عتيق أنه كان يرطن باليهودية ^(١) . بيد أن هذه اللهجة ، التي كانت مقصورة على التفاهم الخاص — كان يهود المدينة يستخدمون في شعرهم دائماً لغة الشعر البدوي — قد اختفت تماماً بطردهم من شبه الجزيرة . وعلى الفقيض من ذلك نصارى البدو من العرب ، فهؤلاء يبدو أنهم لم يتميزوا أصلاً في لهجتهم عن الشعراء الوثنيين من أقاربهم في النسب ؛ وإلا لما لقي الأخطان النصراني اعترافاً بأنه شاعر فصيح معتد به . وزيادة على هذا فقد سارعوا بالدخول في الإسلام ، بحيث لم يبق أثر مما ربما كان للهجتهم من خصائص لغوية .

وهذه العربية التي نجدتها في الأدب اليهودي والنصراني في القرون الوسطى ، إنما نشأت من الاستعمال اللغوي عند طوائف اليهود والنصارى خارج الجزيرة العربية ، الذين لا صلة لهم بالبادية وعربيتها ، بل استخدموا منذ البدء العربية المولدة بالدارجة ،

(١) ابن سعد : ج ٢ قسم ١ ص ٦٦ .

التي نشأت من حياة العرب ومخالطتهم للشعوب التي أخضعوها ، فصارت لغة التخاطب والتفاهم ، والتي تتميز — رغم اختلافها فيما بينها بسبب الاختلاف الخلي والاجتماعي — تميزاً واضحاً عن العربية الفصحى بطائفة من السمات والخصائص المشتركة بينها في المادة الصوتية ، وصوغ القوالب ، وتركيب الجمل ، والقواعد النحوية والمادة اللغوية ، وطرائق التعبير . فمادتها الصوتية تشير إلى طابع معين من التيسير والتسهيل ، ويتعلق بهذا حذف الهمز^(١) الذي استفاض في العصر العربي الجاهلي في لهجة الحجازيين^(٢) ، وأخذ في العربية المولدة صورة واسعة ذات أثر واضح في صوغ القوالب . كما يتعلق بهذا أيضاً تغيير حرف الضاد ؛ وهذا الصوت الذي هو في أصله الحرف المطبق القسيم للدال ، خاص بالعربية ، بحيث يسمى العرب^(٣) في أحد الأحاديث المشهورة : الناطقين بالضاد ؛ ويكثر إبداله بغيره من الأصوات على السنة غير العرب ؛ فيكثر بوجه خاص إبداله بالطاء التي هي الحرف المطبق القسيم للطاء ، وهي صعبة النطق كذلك على غير اللسان العربي . وقد روى الجاحظ^(٤) قصة البصرى الذي سمي جاريتة : ظمياء ، بيد أنه كان ينطق : ضمياء ؛ وقرن بذلك خبراً يفيد أن نصر بن سيار ، آخر ولاة الأمويين في خراسان ، نصح الموالي أن يسموا خدمهم بأسماء يستطيعون أن يلفظوها . وهذه التغييرات الصوتية ازدادت على مر القرون . وكما حاول النحاة أن يعالجوها ، ويساعدوا على التحرز منها ؛ فهاهوذا الحريري يحشد في المقامة السادسة والأربعين مجموعة من الألفاظ الظائمية ؛ وفي القرن السابع يؤلف ابن مالك قصيدة تعليمية كتب هو شرحها ، مبيناً فيها فرق ما بين الضادى والظائى من الكلمات . وعلى هاتين السابقتين يعتمد السيوطي فيما كتبه في هذا الموضوع^(٥) . وكما ذكر على القارى^(٦) ينطق أكثر السوريين

(١) كتب في هذا الموضوع أطروحته للدكتوراه G. Weil سنة ١٩٠٥ .

(٢) انظر نولده في تاريخ القرآن ج ٣ ص ٤٢ — ٥١ .

(٣) انظر فيشر في : ZDMG 59, 837 .

(٤) بيان ج ٢ ص ٢ .

(٥) الزهر ج ٢ ص ١٨٠ — ١٨٤ .

(٦) المنح الفكرية — القاهرة ١٣٠٨ — ص ٣١ ، ٣٤ .

بعض المغاربة الضاد مثل الظاء . وقد ساق — زيادة على ذلك — إلى جانب نطقها الأصلي كالدال المفخمة ، كثيرا من صور الإبدال المختلفة ، فمن الناس من ينطقها كالدال ، وغيرهم كالطاء ، وآخرون يومئون إليها بالطاء ؛ ثم يذكر بعد هذا أن بعض الناس ينطقها دالا مفخمة ، وبعضهم ينطقها دالا عادية . وأخيرا ينطقها بعضهم لاما مفخمة ؛ ومن بين جميع هذه الصور ، يكثر نطقها اليوم دالا مفخمة ، وعلى هذا الأساس صورت كتابتها بالحروف اللاتينية . ويبدو أن إبدالها بالدال كان من خصائص النبطية . فقد روى أن زامر هارون الرشيد : برصومه Barsauma — يدل اسمه على أصله الآرامى — المنتمى إلى الطبقات الدنيا من سكان سواد الكوفة^(١) ، كان يقول : أبيض ، بدل : أبيض^(٢) . ويكثر في النصوص اليهودية والنصرانية إبدال الضاد ظاء^(٣) .

وتغيير صوتي آخر يعترضنا في العربية المولدة ، وهو يتعلق بالسين والصاد ؛ ففي العربية القديمة نجد — فعلا — صيفا مضاعفة ، مثل : صراط ، وسراط ، وصديق وسديق الخ . وفي لهجة بلعنبر ، أحد أخاذا تميم ، يكاد يوجد هذا التغيير باطراد إذا جاء بعد السين أحد الحروف الأربعة التالية : ث ، ق ، غ ، خ^(٤) . وقد ذهب متأخرو الفحاة إلى تعميم جواز ذلك التغيير الصوتي بالشرط المذكور^(٥) . وعلى الرغم من ذلك فقد احتفظت بعض النصوص الشعبية في مثل هذه الأحوال بنطق أصلي واحد ؛ مثل استعمال موسى بن ميمون وغيره من المؤلفين اليهود باطراد : س ق ل ،

(١) الأغاني ج ٥ ص ٢٢٧ .

(٢) أغاني ج ٦ ص ١٦٤ .

(٣) انظر شرح سفر التكوين لعلي بن سليمان ، نشره B. Skoss ص ٧٩ ؛ G. Graf Der Sprachgebrauch der ältesten chrsitlich - arabischen Literatur S. 6

(٤) فطرب كما ذكره الصحاح وتاج العروس في مادة : ص دغ ، وفي ابن خلكان ج ٣ ص ٧٣ وانظر الفهرست ص ٦٣ حيث ذكر الصويق بدلا من السويق في لغة عمرو بن تميم ، وورد لفظ الصوق بدلا من السوق في بيت لرغيب بن قيس الغنبري رواه المرزباني في الموشح ص ٢٣ وغير ذلك .

(٥) انظر الفصل للزمخشري وابن يعيش عليه .

بدلاً من صقل ، المستعملة في الفصحى^(١) ؛ كما استعملوا الصاد بدلاً من السين في أحوال لم تتوفر فيها الشروط السالفة ، مثل : صُرم : بدلاً من سُرم^(٢) ؛ ضمناً بدلاً من سنام^(٣) . واللفظ الشعبي : مصالح : القوات المرابطة على الحدود ، أو بعبارة أخرى مفردة وهو : مصالحي : الجندي المرابط على الحدود ، نشأ من ربط شعبي لغوي بين لفظ : مسلحة ، ولفظ : مصالحة^(٤) أي مطلب أو منفعة . وعلى عكس ذلك سميت ضاحية بغداد : صَمَّالُو - وسميت كذلك باسم أسرى الحرب من مدينة صمَّالو من أعمال كليشيا ، وقد أنزلهم هارون الرشيد سنة ١٦٣ هـ بهذه الضاحية - وهي في لسان العامة : صَمَّالُو^(٥) وقد عارض النضر بن شميل (حوالي ١٢٣ - ٢٠٣ هـ) الرأي القائل بأن السين تقع أحياناً موقع الصاد^(٦) ؛ على حين روى عن الزجاج النحوي (المتوفى ٣٢١ هـ) المعروف بحرية رأيه في الاشتقاق^(٧) ، أنه كان يرى جواز إبدال كل من الحرفين بالآخر^(٨) .

والطبيعة الحقيقية للعربية المولدة ، والفرق الخاص الذي يميزها تجاه العربية الفصحى ، إنما يقوم على تغير في تسكوينها يعد ترك التصرف الإعرابي من أماراته الظاهرة . وبهذا نهجت العربية المولدة منهاجاً اجتازته جميع اللغات السامية الأخرى

- (١) Friedlaender Der Sprachgebrauch der Maimonides 1,57
وانظر : اللهجة العربية في عمان وزنجبار تأليف Reinhardt و: ZDMG 49,493
(٢) ابن الأثير : المثل السائر ص ١٠٧ .
(٣) جامع الألفاظ للفاسي ص ٤٧٣ ، وهناك أمثلة أخرى في الكتاب السابق ذكره
تأليف : G. Graf
(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٩ ، وذكره المقدسي ص ٣١ بمعنى رجال المسك على الحدود ، وعبارته : صاحب ربع مصالحة ومسلحة .
(٥) البلاذري ص ١٧٠ (اقرأ صمَّالو بدل صمَّالو) ، كما ذكره ياقوت في معجم البلدان ج ٢ ص ٦٧٠ وج ٣ ص ٤١٦ ، وانظر أيضاً : Sachau, Vom Klosterbuch G
(٦) ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ١١٥ ؛ الحريري : درة ص ١٥ ؛ ابن خلكان ج ٣ ص ٧٢ .
(٧) انظر في هذا : حمزة الأصبهاني : الموازنة ، كما ذكره ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٥٥ ؛ السيوطي : مزهر ج ١ ص ٢٠٦ .
(٨) الخفاجي على الحريري شرح الدرّة ص ٣٣ .

قبل ذلك بكثير . وهذا لا يدل على أن ذلك التطور يرجع إلى أسباب عربية داخلية بحتة ؛ فإن الحقيقة الثابتة من أن التصرف الإعرابي عاش قرونا طويلة في لغة البادية ، ولا يزال ماثلا في بعض بقاياها إلى هذا اليوم ، تنطق بوضوح على خلاف ذلك الاحتمال . بل أقرب من هذا أن نلتبس سبب هذه الظاهرة في أن لهجات تلك الشعوب ، التي أخذت لغة السادة العرب لسانا لها — نتيجة للفتوحات العربية — كانت من النوع التحليلي الذي تنازل عن ظواهر تصرفه ، وضوابط استعماله الكلية كثيرا أو قليلا . ومهما يكن من أمر ، فإننا نرى في مصادرنا ، في ذلك الصدد ، إلى جانب التعبير الخاطيء في الأصوات العربية ، إهمال حالات الإعراب ، وتصريف الأفعال ، أمانة بارزة للغة العربية على لسان غير العرب من سكان الدولة جميعا . وهذا لا يمنع أن العربية قد أخذت في الأقاليم المختلفة صوراً مختلفة ، وأنها كانت في المناطق الآرامية ذات جرس يختلف عنها في فارس ، وفي مصر ، وغيرها من شمال أفريقيا . ولكن هذه الخصائص المحلية أمكن تفاديها بوساطة سلسلة من قوالب التعبير الجديدة ، التي أخذت ، في عربية الدولة ، وبعد ذلك في العربية المولدة ، الصفة النحوية التي كان يأخذها الإعراب في العربية الفصحى . ومن قوالب التعبير المذكورة — مثلا — التجديد في علاقات مواقع الكلمات ؛ إذ أن ترك الإعراب في أواخر الكلم يجعل من المتعذر تمييز الفاعل (إلا إذا كان في صورة ضمير يتميز بصيغته) في آخر الجملة ، أو بعد المفعول فبدلاً من ذلك يجد المفعول المباشر في الجملة الفعلية مكانه الطبيعي بعد الفعل مباشرة ، على حين يتقدم الفاعل إلى مطاع الجملة قبل الفعل ، بينما يتميز المجرور — كما في اللغة الفصيحة — بتقدم الاسم المضاف أو بحرف الجر . ويجوز وضع الفعل اللازم في صدر الجملة ، كما يجوز أن يتبعه مفعول غير مباشر ، وتحتم الجملة بالفاعل . وحتى في الأفعال المتعدية لا يوجد في الترتيب القديم سبب للانتباس إذا كان المفعول ضميراً متصلًا (أكلوني البراغيث) . وعلى الرغم من ذلك كثيرا ما يؤدي تقديم الفاعل إلى اضطراب في الجملة القديمة ، بحيث لم يكن من

النادر أن نجد منذ القرن الثالث خروجاً على الترتيب القديم حتى عند خيرة الكتاب .
فابن قتيبة — مثلاً — في جمل مثل : فلان قال ، يضع الفاعل قبل الفعل هنا وهناك
دون قصر ولا تأكيد^(١) . أما أن الصفة النحوية ، في الإحساس اللغوي الحديث ،
قد صارت موقوفة على علاقات مواضع الكلمات ، لاعلى إعرابها ، مع وجود
الإعراب ، فهذا ما نراه من أن الخلط بين علامات الإعراب كان يعد طابعاً مميزاً
لطريقة التعبير الشعبي . وها هو ذا الجاحظ يذكر الأمثلة التالية نماذج للكلام
الملحون^(٢) : ذهبتُ إلى أبو زيد (بدل : ذهبتُ إلى أبي زيد) ورأيتُ أبو عمرو ،
مكره أخاك لا بطل ، إذا عزَّ أخاكُ فهن . وقد ظهر تبادل علامات الإعراب إلى حد
بعيد في النصوص النصرانية — العربية للقرن الثالث^(٣) : لا يستطيع أحداً ، أو :
لا يستطيع أحدٌ من الناس مثلُ هذا ؛ وفي المتنى وجمع المذكر السالم يغلب النصب
على الرفع تقريباً ، مثل : ويقومون البنين ، يديكُ خلقتاني ويداكُ (!) ضربتاني ،
بدلاً من : خلقتني يداكُ وضربتني يداكُ .

وقد أثر اختلاف ترتيب الكلمات أيضاً في علاقات المطابقة ؛ ففي اللغة الفصحى
يقع الفعل في الجملة الفعلية مفرد الصيغة ، ويطابق الفاعل التالي له ، بشروط معينة ،
في التذكير والتأنيث ؛ وفي الحالة النادرة — فقط — وهي تقدم الفاعل على الفعل ،
يتطابقان أيضاً في العدد . وعلى النقيض من ذلك في العربية المولدة ، التي تميل إلى
بدء الجملة الفعلية بالفعل ، لا يندر تحقق المطابقة الكاملة أيضاً إذا تقدم الفعل^(٤) .

وبإحلال الإعراب ، اضمحلت أيضاً الفروق التي كانت قائمة في العربية الفصحى

(١) انظر مثلاً : عيون الأخبار ج ١ ص ١ ، ١١ ، ١٥ ، ٢٣ س ١٤ ص ٢٥ س ١٥
ص ٢٩ س ١٦ الخ ، وإن كان الترتيب الطبيعي هو السائد عنده .
(٢) بيان ج ١ ص ٦٨ ، وانظر في المثليين المذكورين الميداني - ١٣٤٢ هـ - ج ٢
ص ٢٤٤ أوج ١ ص ٢٠ .

(٣) أخذت الأمثلة التالية من مجموعة في كتاب : G.Graf Der Sprachgebrauch der
ältesten Christlich - arabischen Literatur S 22 ff.

(٤) توجد أمثلة أخرى في الكتاب المذكور .

بين أحوال الإعراب الثلاثة للاسم ، وبين ما ينصرف وما لا ينصرف . ويتجلى ذلك بوضوح في أن صيغتي المثني وجمع المذكر السالم في حالة التعريف قد غلبت على صيغتهما في حالة الإضافة . وقد وجدت قديماً في النصوص النصرانية - العربية صيغ متفرقة مثل : مدبرين الأرض ، أو : سامعين الفاموس (هذا إلى جانب التعبير الصحيح : عاملي الناس^(١)) وهو تعبير سائد في اللهجات الحديثة^(٢) . والتنوين ، من حيث إنه علامة على التنكير ، لا يزال ماثلاً في بعض البقايا فقط ، لاسيما في العبارات الظرفية التي حصل فيها توسع كبير ، مثل : أولاً ؛ أما فيما عدا ذلك فإن الاسم بطبيعته منكر - ما لم يكن علماً ، أو منادى ، أو معيماً بالإضافة إلى اسم ظاهر أو مضمّر - ، على حين يعبر عن التعريف بوساطة الأداة ، بصورة أوسع من العربية القديمة ؛ إذ تدخل أداة التعريف الآن على ألقاب : كل وبعض وغير^(٣) ، في مثل : الحيوانات الغير ناطقة^(٤) ، وفي التراكيب العددية ، مثل : الثلاثة الأثواب^(٥) ، أو : الاثني عشر . وكان أيضاً من أثر ترك الإعراب في أواخر الكلمات أن قامت وسائل أخرى مقام الإعراب ، في حالة ما إذا لم يكف الترتيب الوضعي للكلمات في ذلك ، فإدخال لام الجر على المفعول به^(٦) ، بصورة مقصورة على أحوال خاصة في اللغة الفصحى ، قد لجأت إليه أقدم النصوص النصرانية - العربية في سورية وفلسطين ، بوجه خاص ، إذا تقدم المفعول على الفعل ، ولم يجيء

(١) G. Graf ص ٢٥ في الكتاب السابق ، وانظر أيضاً بحث : A. Müller في دراسة النصوص والاستعمال اللغوي لكتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : SMA 1884 S. 892 (Sitzungsberichte d. Bayer. Akademie) d. Wtsseuschafteu, München)

(٢) انظر مثلاً قواعد العامية المصرية تأليف : شبتابك ، ص ١٤٩ .

(٣) في كل وبعض انظر ص من هذا الكتاب ؛ والغير ينقده الحريري في درة النواص ص ٤٣ ؛ وقد استعمله الدينوري في المجالسة (كما ذكره ابن حجر في لسان الميزان ج ٦ ص ١٣٩) في عبارة : من مالي أو من مال الغير .

(٤) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٦٩ ؛ A. Müller في الموضوع السالف .

(٥) عابه الحريري : درة ص ٩٤ .

(٦) انظر : A. Fischer: Die Aufloesung der Akkusativreaktion des Transitiven Verbes durch li, BVSg W 62

عقبه مباشرة ، نحو : ولي لم يعرفوا^(١) . وكذلك يميز الجرور — كما في العربية القديمة^(٢) — بحروف الجر ، على الأخص : من .

والانتقال من النوع اللغوي التركيبي ، إلى النوع التحليلي ، يتجلى في الفعل في العربية المولدة ، فصيغ المضارع ، قبل كل شيء ، تتحد كلها في النصوص النصرانية — العربية القديمة^(٣) . وفعل الدعاء اختفى بالسكوية تقريباً في الجمل الأصلية ، وصار يعبر عنه (كفعل الأمر في بعض الأحيان) بالفعل الخبرى الواقعى المشير إلى التأدب في الخطاب في نفس الوقت ، حيث يفهم طابعه الطلبى من سياق الكلام^(٤) . كذلك تلعب صيغ الفعل في الجملة الفرعية دوراً فاقد الأهمية ؛ إذ زال الفرق بين الجمل الخبرية ، والجمل الإنشائية ، ونشأت — من جانب آخر — عبارات كثيرة جديدة يستعان بها على تصوير الأزمنة المختلفة لمعانى الحدث الفعلى ؛ فالمستقبل — مثلاً — كثيراً ما يعبر عنه بلفظ : عتيداً ، على حين تؤثر الترجمة العربية للإنجيل التعبير بلفظ : مزع أن ؛ إذا لم تعبر عن ذلك بلفظ : شأنه أن^(٥) . أما معانى الإرادة والرغبة ، والإمكان ، والاستطاعة ، والتكليف ، والوجوب ، فإنها يعبر عنها بشتى العبارات ، فيعبر [على بن سليمان] الفاسى القارى^(٦) في القرن الرابع — العاشر ، عن معنى الإمكان بالألفاظ : جاز ، احتمال ، استطاع ، ومضارعها . وعن معنى الإرادة بالألفاظ : أراد ، طلب ، اشتهى ، ومضارعها الخ على حين يعبر عن الضرورى بلفظ : وجب ومضارعه . وفي النصوص النصرانية يوجد — إلى جانب أراد ومضارعه — : وافقه ، سرّه ، كلاهما للتعبير عن الرغبة . ولفظ : كان مع مضارعه

(١) G. Graf في الكتاب السالف ص ٤٢ .

(٢) انظر : Reckendorf Arab. Syntax

(٣) G. Graf في الكتاب السالف ص ٣٠ .

(٤) A. Müller في الموضوع السابق ؛ وينقد الحريرى هذا النوع من التعبير : درة ص ١١٦

وانظر : 8 Fleischer Beitrage

(٥) كل هذه الأمثلة في المراجع الألمانية المذكورة .

(٦) انظر : شرح سفر التكوين ص ١٤٨ نشر : Skoss

يستعمل في بعض النصوص النصرانية للتعبير عن التكليف والإيجاب ؛ والتعبير :
رجع وفعل ، بمعنى فعل ثانيا ؛ عاد وفعل ، بمعنى كرر الفعل ، على حين أن : عاد ،
في حالة النفي ، تفيد أنه لم يفعل بعد . واحتفظت الجملة الشرطية ، من بين الجمل الفرعية
بصورتها القديمة ، على حين اختلفت الجمل الحالية ، التي لم تعد تتميز عن الجمل الأصلية
بعد تقديم الفاعل في مطلع الكلام ، وحل محلها جملة مقيدة للزمن تربطها روابط حرفية
أو اسمية مختلفة . ويستعمل مترجم الإنجيل : من حيث ، بمعنى : في حالة . وفي حياة
القديسين في القرن الثالث ، كثر استعمال : فيما ، بمعنى : بينما ؛ وإلى هذا يضاف
الاستعمال الثالث : عندما ؛ ولإفادة معنى السببية يوجد لفظ : بأن ، وفي معنى : منذ :
من حين ، وبدلاً من حتى : إلى حين ؛ كما أن اسم الموصول تحول إلى الصيغة
الجامدة في جميع الأحوال ، وهي : اللى ؛ وكانت نتيجة ذلك كثرة مخالفة الجملة الإضافية
(صلة الموصول) لقواعد المطابقة المعتمدة في اللغة الفصحى ، في نصوص كتاب
النصارى واليهود^(١) .

ومهما اختلفت الأمثلة التي ذكرناها — حتى الآن — في تفصيلها فإنها تشترك
جميعاً في أنه عوضاً عن نظام التصريف الكامل النمو مع قواعد إعرابه وتصريفه ،
جدت حالة لغوية بسط فيها التصريف ، وصورت فيها علاقات التركيب بين الألفاظ
للمؤلفة لجملة واحدة — في أغلب الأحوال — بوساطة وسائل ظاهرية ، مثل مواقع
الكلمات ، وترتيبها والاستعانة على تغييرات الحدث بالجملة الموضحة ، وتعديل الجمل ،
وكثرة المترادفات ، وترك التصرف الإعرابي .

هذا والخلط بين علامات الإعراب ، وبين صيغ الأفعال ، لم يكن هو السبب
في هذا التطور اللغوي ، وإنما هو من عوارضه وظواهره التي لفتت — من قبل —
أنظار أقدم النظائر من المسامير بصورة قوية ، بحيث تحمل ملاحظاتهم في هذا السبيل
على اعتقاد أن طريقة التعبير الشعبي إنما ترجع إلى مخالفة الإعراب فحسب . أما أن

(١) كل هذه الأمثلة وغيرها توجد في : G. Graf في الكتاب السابق ذكره .

هذا النوع من الملاحظة الشديدة الصلة بالقواعد النحوية ، وبمبدأ تنقيه اللغة الفاشية عنها ، هو ذو صفحة واحدة فقط ، فهذا ما تدل عليه النصوص النصرانية — العربية ، أو اليهودية — العربية ، التي ترجع قيمتها من الوجهة اللغوية التاريخية ، إلى أنها تعين على متابعة اللهجات الشعبية الحديثة حتى ظهور الأسلوب التحليلي للغة ، في وقت كانت الآداب العربية ، المكتوبة بأقلام المؤلفين المسلمين ، لا تزال في أسلوبها اللغوي ، مليئة بالمثل العليا للعربية الفصحى .

(٦)

العلاقات اللغوية في عصر المأمون

وعقيدة الاعتزال الرسمية

٨٥٠ / ٢٣٥ - ٨١٣ / ١٩٨

ذلك الازدهار العظيم الذي سطع نوره مع حكم هارون ، استمر مطرداً في ظل الخلفاء الثلاثة الذين نالوا من بعده ؛ بل لقد ظل منشور الأعلام حتى أواسط القرن الثالث - التاسع .

وعلى الرغم من أن اضمحلال السلطان في الجانب الغربي للدولة ، الذي بدأ في عصر هارون ، قد بقي متواصلاً في ظل المأمون (حكم ٨١٣/١٩٨ - ٨٣٣/٢١٨) وامتد إلى فارس العظيمة الأهمية من ناحية الخراج والضرائب ؛ فقد نهضت الحياة الثقافية على عهد المأمون بوجه خاص في مختلف النواحي من الشعر ، وعلوم اللغة ، والدين ، والكلام ، وتعاطى الثقافة الهلنستية الشرقية ، نهضة تسوّغ تسمية هذه المرحلة : العصر الذهبي للأدب العربي .

أما أننا أوسع دراية - إلى حد كبير - بالعلاقات اللغوية لأواخر القرن الثاني - الثامن ، والنصف الأول من القرن الثالث - التاسع ، بالإضافة إلى الأزمنة المتقدمة على ذلك ، فهذا ما نحن مدينون به - قبل كل شيء - لسكتب الجاحظ (حوالى ١٦٥ - ٢٥٥ هـ) . هذا الأديب المتمتعى إلى البصرة ، والناشئ في مدرسة الاعتزال بهذه المدينة ، وجه ملاحظته القوية ، ومالكة انتباهه الراسخة ، في أسلوبه الخصب الأفكار المتعدد النواحي ، إلى شتى الظواهر في الحياة اللغوية : وأفاض الكلام

عن ذلك في بحوثه وكتبه التي صنفها في مختلف الموضوعات ، ولا سيما كتابه عن
الفصاحة والبلاغة : كتاب البيان والتبيين ^(١) .

والجاحظ ينتبه أيضاً إلى لغة الأطفال ، مثل : واوًا بمعنى « كلب » ^(٢) وماءما
بمعنى : شاة أو خروف ^(٣) ؛ وهو يحكى أن النبطي المغلاق الذي نشأ في سواد
الكوفة ، وإن تكلم العربية المعروفة ، وكان لفظه متخيراً ومعناه شريفاً ، يعرف
السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي . وكذلك إذا تكلم الخراساني ، وكذلك
إن كان من كتاب الأهواز ، فإنك تعرفه ، مع إعرابه وتخبر ألقاظه في مخرج كلامه .
ويستطيع الحاكية من الناس أن يحكى نطق الأهوازي والخراساني والزنجي والسندي
حتى تجده كأنه أطلع منه ^(٤) . والنبطي القحّ يجعل الزاي سيناً والعين همزة ^(٥) ؛
والصقلبي يجعل الذال المعجمة دالا ^(٦) ؛ والهندي يجعل الجيم زايًا ^(٧) . وقد كان
خالط الأصوات على هذا المنوال معيناً لا ينضب للتسلية والفكاهة . ويحكى الجاحظ
متندراً ، كثيراً من القصص عن التغيرات الفكاهية التي كانت تنشأ من ذلك .
كما ينتبه الجاحظ أيضاً إلى تعدد اللغات ؛ فالعربية والفارسية تختلفان ، فإذا التقتا
في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبها ؛ وقد استثنى من
ذلك أحد القصاص ، وهو موسى الأسواري ، الذي يصفه بأنه كان من أعاجيب
الدنيا ، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه
المشهور به ، فيجلس العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية ، من كتاب
الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ،

(١) يعتمد المؤلف على النسخة المطبوعة بالقاهرة في جزأين ١٣١١ هـ .

(٢) بيان ج ١ ص ٢٩ .

(٣) حيوان ج ٥ ص ٨٩ .

(٤) بيان ج ١ ص ٣١ .

(٥) بيان ج ١ ص ٣٢ .

(٦) بيان ص ٣٣ .

(٧) بيان ص ٣٢ ؛ ويؤخذ مما ذكره في ص ٣٣ س ٨ أن الهندي يجعل الجيم ذالا ،
والشبن سيناً أيضاً .

فلا يدري بأى لسان هو أبين^(١) . وذكر الجاحظ أمثلة لاستعمال الكلمات والعبارات الفارسية في الشعر العربي ؛ فهذا شاعر يتحدث عن : الكافر كوبات ، وهي آلة من آلات الحرب أشبه بالمرزبة ، في أيدي رجال ليست لغتهم لغته^(٢) . ولا يقتصر المعاني الشاعر في مدحته لهارون الرشيد على استعمال لفظ : كَرْد ، بمعنى عنق ، من اللفظ الفارسي : جَرْدَن^(٣) ، بل يقول زيادة على ذلك :

ألى يذوق الدهرَ آبَ سرِّدِ

أى حلف لا يشرب الماء البارد أبداً^(٤) . ومن الخليط اللغوي — بمعنى الكلمة — ضميذة للأسود بن أبي كريمة ، اختلطت فيها الجمل العربية بالفارسية^(٥) ، فإذا قرئنا بهذه الأمثلة ، الجملة الفارسية التي ذكرها الجاحظ في كتاب البخلاء^(٦) ، تجلى لنا وضوح أن الجاحظ كان يفهم الفارسية . وعلى الرغم من ذلك لم يُعِن الجاحظ باللغات الأجنبية لذاتها — نشأ الاهتمام باللغات الأجنبية لذاتها في القرن الرابع الهجري ؛ ففي ذلك القرن ألف ابن الجراح المتوفى ٣٩١ هـ أول كتاب نعرفه في اللغة الفارسية^(٧) . وإنما اقتصر الجاحظ على ملاحظة أن كثيراً من أصوات اللغات الأجنبية ، وعلى لأخص لهجة خوزستان ، لا يصوره الخط العربي ، وأن على سواحل البحر من سياف فارس ناساً كثيراً كلامهم شبيه بالصفير^(٨) . ويكرر في موضع آخر حكاية

(١) بيان ج ١ ص ١٣٩ ، وانظر : Goldziher, Muh. Studien, 162
(٢) بيان ج ١ ص ٦١ ، وفي معنى : كافر كوبات ، انظر تفسير الطبري ، في فهرست الألفاظ اللغوية .

(٣) ورد لفظ : كرد في كثير من الأشعار ، على الأخص في بيت للفرزدق مشهور ،
ديوان ص ٢١٠ ؛ انظر ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٥٢٧ ؛ البطليوسى : اقتضاب ص ٤١٨ ؛
ويستفاد من استعمال هذا اللفظ على هذه الصورة أن من أخذه ظن أن النون في آخر الكلمة :
جردن ، مثل التنوين في العربية .

(٤) بيان ج ١ ص ٦١ س ١٠ .

(٥) بيان ج ١ ص ٦١ س ١٩ — ٢٣ ، ويوجد مثال آخر في معرب الجواليقي ص ٩ .

(٦) ص ٢٤ س ١٧ مع ملاحظات فان فلوتن .

(٧) الفهرست ص ٨٦ س ١٤ .

(٨) بيان ج ١ ص ١٦ س ٢٢ .

عن شاهد عيان يصف مجتمعا من الزوج قام خطيبهم على ما علا من الأرض وتكلم ؛ وهو يشبه حوارهم بالدمدمة والهمهمة^(١) . ومن ناحية أخرى يوجه الجاحظ عناية فائقة إلى الأخطاء الخاصة في التعبير ، مثل لثغة اللسان ، ولكنته وما شابه ذلك من عجز عن تصحيح مخارج الحروف ؛ ويذكر أبيات أبي رمادة الذي طلق زوجته خشية أن تبيته بولد أثلغ^(٢) . وكثيراً ما تبدل السين ثاءً ، والراء غيناً^(٣) ، ويلى ذلك إبدال الراء ظاء ، ثم ذالا ، وأسوأ الوجوه إبدالها ياءً^(٤) . وينطق بعض الناس بدلا من اللام ياء ، وآخرون كافا^(٥) . كما أن بعض الناس لا يستطيع نطق القاف فينطق بدلها طاءً^(٦) . ومثالا لاجتماع لثقتين ذكر الجاحظ شوشى صاحب عبد الله بن خالد الأموى ، إذ كان يجعل كلا من اللام والراء ياءً^(٧) . وعقد الجاحظ فصلا طويلا^(٨) خاصاً بمؤسس مذهب الاعتزال : واصل بن عطاء ، الذى كان لا يحسن نطق الراء ، فكان يتجنب فى مهارة وحذق جميع الكلمات التى تشتمل عليها .

(١) فهرست ص ٢٨ .

(٢) بيان ج ١ ص ٢٦ س ١٥ ؛ ابن قتيبة عيون ج ٤ ص ٧ ، وذكر : زياد ، بدلا من أبي رمادة ؛ وفي استحسان اللثغة الحقيقية واستملاحها انظر : بيان ج ١ ص ٦٢ س ٢٦ ؛ المجمل : طبقات ص ١٩ س ١٨ ؛ قدامة : نقد الشعر ص ٦٩ ؛ أبو نواس : أغاني ج ١٨ ص ١٩٢ ؛ وانظر الرمادى فى ابن خلكان ج ٣ ص ٥٣٥ ، وانظر : Meg ص ٣٣٨ .

(٣) بيان ج ٢ ص ٨ س ١٣ ، وكان ينطق الغين بدلا من الراء ، ابن السراج النحوى المتوفى ٣١٦ هـ كما ذكر ذلك ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٩ . وفى تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١١٩ رواية عن كيفية علاج ابن المنجم من لثغة كانت بلسانه ، ومنها يستفاد أن اللثغة هى تعويض صوت بصوت آخر . فقد كان شعبة مثالا ينطق الطاء بدلا من الثاء ؛ انظر سنن أبي داود ج ٢ ص ١٩٤ (طبع ١٣٤٥ هـ) .

(٤) بيان ج ١ ص ١٧ س ٦ — ١٩ .

(٥) فى الموضع السالف س ٣ .

(٦) بيان ج ١ ص ١٧ س ١ — ٣ ، وأشهر الأمثلة لذلك يقدمه العلوى إبراهيم بن إسماعيل الذى سمى بسبب هذه اللثغة : طباطبا . انظر ابن خلكان ج ١ ص ٧٠ فى ترجمة حفيده أبي القاسم ابن طباطبا أمير العلويين فى مصر المتوفى ٤٣٥ هـ .

(٧) بيان ج ١ ص ١٧ س ٢٣ ، ويقدم مثالا آخر لاجتماع لثقتين ، ابن أبي البغلة الذى كان يجعل الراء غيناً والكاف همزة ، والذى عمل لأجله أبو الحسن بن طباطبا ، المتوفى ٣٢٢ هـ قصيدة لا تحتوى على الراء ولا الكاف . انظر : ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٢٨٥ — ٢٨٩ .

(٨) بيان ج ١ ص ٨ س ١٦ .

ويعالج الجاحظ أسماء عيوب اللسان : فالتمتاع هو الذى يَتمتع لسانه فى التناؤ ؛
والفأفاء الذى يَتمتع لسانه فى الفاء ^(١) . واللقّة ، ومصدرها اللقف ، والوصف : ألف ،
هى أن يدخل الرجل بعض كلامه فى بعض ^(٢) . كما يسوق أيضاً شاهداً على اللجلجة ^(٣)
ويذكر أن الحبسة هى ثقل الكلام على اللسان ^(٤) ؛ وقد استعمل القرآن لفظ :
عقّدة ، فى معنى قريب من هذا ، آية ٢٧ من سورة طه ، أى فى الحبسة التى كان
يقاسمها موسى فى نطقه ^(٥) . ويحدد الجاحظ : اللكنة ، بأن يدخل الرجل بعض
حروف العجم فى حروف العرب ، وتجذب لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول ،
أى التغيير الذى يطرأ على الأصوات العربية فى لسان غير عربى ^(٦) ؛ وهى على ذلك
تتحد أحياناً مع اللثغة أى إبدال حرف عربى بحرف آخر . والنحنحة والسعلة من
لوازم العجز فى البيان ^(٧) ؛ وأخيراً الحكّلة ، وهى نقصان آلة النطق ، وعجز أداة
اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال ؛ أو بعبارة أخرى هى كلام الإنسان فى
حقوق لا يبين ؛ وهى كذلك كلام الحيوانات العجماء دون صوت ، مثل النمل التى
فهم سليمان كلامها ، كما جاء فى القرآن ^(٨) . وقد استهل الجاحظ كلامه عن البيان
والبلاغة بتفصيل أحوال العجز عن التعبير : العي ^(٩) . وفى مكان آخر يسوق جملاً
عسيرة النطق ليحقق تعويد اللسان على الذرابة والمرونة ، مثل البيت :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

- (١) بيان ج ١ ص ١٨ س ١٢ - ٢٠ ؛ انظر المبرد : كامل ص ٣٦٣ س ١ - ٦ ،
٣٦٤ س ٢ ؛ رؤية ص ٥٥ ؛ ياقوت ج ١ ص ٧٧ ؛ أغانى ج ١ ص ٤١٢ ، طبع دار الكتب .
- (٢) بيان ١ ص ٢٠ عن أبى عبيدة ، والكامل فى الموضع السابق .
- (٣) بيان ١ ص ١٩ ، وذكر ابن دريد فى الاشتقاق ص ٢٣٩ س ١٦ ، لفظ اللجلج ،
لقباً على بعض الناس .
- (٤) بيان ١ ص ١٩ س ٥ .
- (٥) بيان ١ ص ١٨ س ٣ - ١٢ .
- (٦) بيان ١ ص ١٩ ، ٣٣ ، ٦٩ ، ويوجد مثال لذلك فى الأغانى ج ١٣ ص ١٥٨ .
- (٧) بيان ١ ص ١٩ .
- (٨) بيان ١ ص ١٩ ؛ حيوان ج ٤ ص ٣ ، ٧ .
- (٩) بيان ١ ص ٢ - ٤ .

الذي لا يستطيع أحد أن ينشده ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتنعم ولا يتلجأج^(١) . وهو يتكلم عن أن بعض أنواع من الربط بين الأصوات لا ترد في العربية^(٢) ، وهي ظاهرة يسميها علماء القواعد بالتنافر ، ويتخذونها وسيلة للتعرف بها على الألفاظ العربية^(٣) .

ومن النفاسة بمكان ، ما ذكره الجاحظ عن اللهجات ، واللغات الخاصة ، وألسنة الحرف والمهن . فهو يبين أن كل مصر يتكلم على لغة من نزل به من العرب^(٤) ، ويذكر أمثلة لفرق ما بين مكة والبصرة في الاستعمال اللغوي . وفي كتابه : البخلاء ، يسوق الجاحظ وصفاً حياً للدوائر الأدبية في البصرة ، حوالي سنة ٢٠٠ هـ ؛ كما يعرض صورة ، غاية في الدقة من الوجهة اللغوية ، لأسلوب المحادثة بالبصرة في ذلك العهد^(٥) . ويعطينا هذا الكتاب نفسه ، في الفصل الذي عقده لرئيس طائفة المتسولين بالبصرة : خالد بن يزيد ، المعروف بخالويه Hâloë^(٦) ، نظرة في رموز المحتملين ؛ فكلمة : مُحْطَرَانِي ، تعبر عن المحتمل الذي يوهم أنه مؤذن من خراسان ، ويتظاهر بأن بابك أمر بقطع لسانه^(٧) . وفي موضع آخر يسوق خطبة^(٨) في أدب المائدة ، ويعلق عليها بشرح عدد من الاصطلاحات التي يعبر بها عن مختلف العادات السيئة عند الأكل . وقد يستطرد أيضاً بذكر بعض القصص عن الملاحين ، مع ذكر اصطلاحات

(١) بيان ١ ص ٢٩ ؛ مسعودي (١٣٤٦ هـ) ج ١ ص ٣٣٠ ؛ الدميري (١٣٤٨ هـ) ج ٢ ص ٢٥٢ ؛ وقد اعتمد علماء البلاغة في عصر متأخر على هذا الشعر للاستشهاد به على تنافر الحروف . وهو مشهور .

(٢) بيان ١ ص ٣١ س ٦ .

(٣) السيوطي : مزهر (١٣٢٥ هـ) ج ١ ص ١٦٠ ؛ وانظر ابن دريد في :

A.Siddiqi, The Allahabad University Studies vol VI Arts' Section (1930)

(٤) بيان ١ ص ٩ س ٢١ .

(٥) انظر : فان فلوتن في مقدمته لهذا الكتاب ص ١١١ .

(٦) انظر ص ٤٧ — ٥٦ فان فلوتن .

(٧) ص ٥٤ من الكتاب المذكور ؛ وبعد ذلك بمائتي عام ، وضع أولئك المختالون الروم

موضع بابك ؛ انظر اليقينة ج ٣ ص ٧٨ في تفسير كلمة : محطر ، أسفل الصحيفة .

(٨) ص ٧١ مع ملاحظات فان فلوتن .

من لغة مهنتهم^(١)؛ كما يتفككه بالطبيب الذي يعبر عن الأمور المعتادة باصطلاحات
فنية، ويسمى البجح المصحوب بالمخاط، باللفظ اليونانى الدخيل: بلغم^(٢).
وعظيم الفائدة — بوجه خاص — ما ذكره الجاحظ عن: الأعراب. فهو يعدّ
من أجلّ المتع أن يستمع المرء إلى حديث الأعراب الفصحاء العقلاء، أو إلى محاضرة
العلماء البلغاء^(٣). ويحثّ على رواية نوادر الأعراب مع إعرابها ومخرج ألفاظها^(٤).
وهذا يدل على أن الإعراب في عصره كان لا يزال حياً على ألسنة البدو الخلّص.
وعلى النقيض من ذلك، ينعت بمخالفة الأسلوب، ومسوخ الصورة حكاية نوادر
العوام، وملح الحشوة والطعام، بالإعراب الكامل، والألفاظ المتخيرة^(٥)؛ إذ أن
هؤلاء الطعام من التجار وسواد الشعب ينطقون عربية حافلة باللحن؛ وغنهم يأخذ
الأجانب كالأنباط والفرس؛ والأعرابي الفصح لا يفهم هذه الرطانة؛ ومتى وجد النحاة
أعرابياً يفهمها بهرجوه ولم يسمعوا منه؛ لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي
تفسد اللغة، وتنقص البيان^(٦). ويذكر الجاحظ أن أسوأ اللحن هو لحن الأعراب
النازلين على طرق السابلة، ويقرب مجامع الأسواق^(٧). ويقول الجاحظ إن أول
لحن سمع بالبادية: هذه عصاتى، بدلا من: عصاى؛ على حين أن أول لحن ظهر
بالعراق هو ما قيل في الأذان: حىّ على الفلاح^(٨). ويسوق الجاحظ — في باب
خاص — مجموعة كبيرة من اللحن المختلف الأنواع^(٩). وكون هذه الأنواع خليطا

- (١) بيان ١ ص ٢١٢ س ١٢ — ١٧، وتوجد بعض اصطلاحات الملاحين أيضاً في حكاية
أبى القاسم: Mez 3 104؛ وفي المستطرف (١٣٥٢ هـ) ج ٢ ص ٢٤٥.
(٢) بيان ٢ ص ٤ س ٢٣؛ وتختلف عن ذلك رواية كتاب المحاسن والأضداد ص ٩
(فانفلوتن) الذى نسب — دون حق — إلى الجاحظ.
(٣) بيان ١ ص ٦٢ س ٥ — ٨.
(٤) بيان ١ ص ٦٢ س ١٤.
(٥) بيان ١ ص ٦٢ س ١٦ — ١٩؛ حيوان ج ٣ ص ١٢.
(٦) بيان ١ ص ٦٧ فما بعدها.
(٧) بيان ١ ص ٦٢ س ٢١.
(٨) بيان ٢ ص ٥ س ٤؛ واللحن في كسر الياء والصواب الفتح.
(٩) بيان ٢ ص ٢ — ٥.

يشتمل على شتى الألوان والأحوال ، من تعسر مخارج الحروف ، إلى المخالفات الشنيعة لقواعد النحو والتصريف ، إلى التساهل في اختيار الألفاظ ، إلى الخروج على الأساليب ، لا يغير كثيراً مما قلناه ، لأنه ، حتى إذا أمكن ترتيب استطراداته ، التي قصد بها إلى جلب انتباه القارئ ، على أي صورة من الترتيب ، فإن جميع ملاحظاته^(١) — بوجه عام — تدل على أنه قسمها — متأثراً بروح عصره تأثراً سطحياً محتماً — حسب الفروق التي كانت قائمة بين الأسلوب الصحيح والأسلوب الخاطيء في صورة الكتابة .

وإلى جانب الطبقات المحلية ، والاجتماعية ، وجدت طبقة أخرى أبرز الجاحظ ذكر خصائصها اللغوية في مواضع مختلفة ؛ إنهم أولئك الذين يولعون بالتنوق والمبالغة في مضاهاة كلام البدو باستعمال لغة متصنعة مستكرهة ؛ وهذا الشذوذ يطلق عليه الجاحظ اصطلاحات فنية كثيرة ، يفهم منها أنها راجعة إلى نوع من التعبير الجدير المفقدهم الجاحظ بحروف الحلق . فالتعجير^(٢) نوع من التعبير كأنما يستخرج من قعر بئر ؛ والتعقيب ، الذي يكاد يكون مرادفاً له ، نوع من التعبير يأخذ فيه الهم صورة القعب^(٣) والتفخيم يصور تأكيد التعبير والتنصيص عليه ؛ وكلتا : التشديق والتشادق ، مأخوذتان من كلمة : شدق ، بمعنى زاوية الهم ، ومعناها التكلم مع اتساع زاوية الهم ، وكانا يستعملان في الأصل تعبيراً متعارفاً ، على سبيل المجاز ، عن البلاغة ، دون معنى آخر من العيوب^(٤) ، ولكنه نقل بعد ذلك إلى التصنع في الكلام الذي يحتمل من الأعراب وحدهم^(٥) . وقد نسب إلى الرسول [صلى الله عليه وسلم] تنبؤه بأن الثرثارين المتشدين المتفهمين أبعده الناس مجالس منه يوم القيامة^(٦) ، كما نسب إليه : إياي

(١) انظر ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢١ .

Bräunlich, Well 43

(٢) انظر :

(٣) ساق الجاحظ شواهد من الشعر على ذلك ، بيان ج ٢ ص ٤ س ١٤ — ١٦ .

(٤) بيان ج ١ ص ٥٢ س ٣ — ١٢ .

(٥) بيان ج ١ ص ٢١ س ١٠ ص ١٠٧ س ٨ ؛ انظر أيضاً Dozy في المادة .

(٦) الترمذى في كتاب البر ، والمواضع المختلفة في : Wensinck, Concordance I, 290

وفي ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ١٥ ؛ المبرد : كامل ص ٣ ؛ القالي ج ٢ ص ٢٩٥ ؛ تاريخ بغداد ج ٤ ص ٦٣ ؛ الرضى : المجازات النبوية ص ١١٨ ؛ كثر العمال ج ٢ ص ١١٤ .

والتشادق . وقد ذكر الجاحظ كلتا الروائيتين فيما اختاره من أحاديث الرسول [صلى الله عليه وسلم] ^(١) ، وساق مثلاً لهذا (التشادق) الرسالة المشهورة التي كتبها يحيى بن يعمر على لسان يزيد بن المهلب إلى الحجاج — كما روى — ، والتي تشتمل على الكلمة الشعرية العالية : عُرْغرة ، أى ذروة الجبل ، وحضيض ، أى سفح الجبل ، وغير ذلك من غريب ألفاظ البدويين ؛ كما ذكر قولاً عجيباً ليحيى بن يعمر ، إذ حكم بين رجل وامرأته ^(٢) . بيد أن النموذج الحق لهذا الأسلوب المتعبر هو شخصية الأسطورة المشهورة عن أبي علقمة ^(٣) ، الذى لم يصلنا شيء ثابت عن أطوار حياته . وقد اقترنت باسمه حكايات جمّة ، جمعت — فى وقت متأخر — فى كتاب خاص ^(٤) . وفيها يذكر — عادة — كيف أنه كان يعبر بعبارة طنّانة عن شئون مبتذلة تافهة ، على حين يكون المخاطب غالباً رجلاً بسيطاً ساذجاً من سواد الشعب ، لا يكاد يفهم مما يقول شيئاً ؛ فإذا كان المخاطب رجلاً ما كرراً ذا ثقافة ، رد عليه بمثل ما أعطاه ^(٥) ؛ ومن هذا المحصول الكثير التداول أخذ الجاحظ قصتين فى كتابه : البيان ^(٦) . على أنه لم يكن مجرد اختيار كلمات الأعراب الغربية هو الذى كان يعطى لغة الحضريين مسحة من النفاسة وعلو القيمة فحسب ، بل لقد كان استعمال الإعراب والتصريف الكاملين — فى خارج المحيط العالمى — يعد كذلك تقبّراً وتشدقاً ، على عهد الجاحظ . وهذا يفهم — ضمناً — من تنبيهه — الذى ذكر آنفاً — إلى ضرورة رواية نوادر الأعراب بالإعراب الكامل . بيد أنه يؤخذ نصّاً من

(١) بيان ١ ص ١٥٩ فما بعدها .

(٢) بيان ١ ص ١٤٢ س ٩ — ٢٢ ، وانظر ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ١٤ ؛ المبرد : كامل ص ٤٤ ؛ ابن الأبارى : نزهة ص ٢١ ؛ تاج العروس ج ٣ ص ٦٢٤ .

(٣) انظر ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٧٢ — ٧٧ ؛ سيوطى ؛ بغية ص ٣٢٥ .

(٤) نوادر أبي علقمة : فهرست ص ٤٣٥ .

(٥) انظر — زيادة على ياقوت فى الموضوع السابق — ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٦٢ ؛

١٦٣ ؛ المحاسن والأضداد المنسوبة للجاحظ ص ١٤ ؛ ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٢١١ (١٣١٦ هـ) .

(٦) بيان ١ ص ٢٤٢ فما بعدها .

الكلمات التي يسوِّغ بها الطابع الذي طبع به كتاب : البخلاء ^(١) ؛ حيث يبين أنه تصنع اللحن ، وكون جملاً مخالفة للنحو ، واستعمل صيغاً للكلمات على خلاف القواعد ، وتنازل عن الإعراب ، كل ذلك مناسبة للموضوع ، إلا إذا حكى كلاماً لسهل بن هارون البخيل المتشدد المتعمر ، أو أمثاله . وهو يصور مثلاً البخيل : محمد ابن أبي مؤمل ، بأنه رجل صاحب تعبير وتفخيم وتشديق وهمز وجزم ^(٢) .

وكما ندرت اللغة الفصيحة — إذ ذاك — بين الطبقات المثقفة ، ازداد الاستياء من كل خروج لغوى على لسان أولئك الذين لم يعودوا متمكنين في الحقيقة من العربية ، بل يتصنعونها حسب ^(٣) . وكثيراً ما سخر الناس من اللحن الذي حكاها الجاحظ ^(٤) عن المتكلم : بشر بن غياث المريسي (المتوفى ٢١٨/٩ هـ) أحد تلاميذ أبي يوسف ، حينما قال : [قضى الله لكم الحوايج] على أحسن الوجوه وأهنؤها ، بدلا من : وأهنئها ، حيث أخطأ في حركة الإعراب ، وإن نطق الهمزة التي حذفها فعلا في لغة الشعب . وقد حمل ذلك اللحن الشاعر الظريف : القاسم التمار ، على إبداء للملاحظة الخبيثة من أنه قال هكذا وفاقا لقول الشاعر :

إنّ سليمى والله يكلؤها ضنّت بشيء ما كان يرزؤها

والأشعار على قافية الهمزة — مالم تكن همزة الممدود — جد نادرة . والأمثلة القليلة من ذلك النوع ، تبدو فيها الصنعة كثيراً أو قليلاً . وفي الفهرست ص ٢٤٢ س ١٢ (طبع الرحمانية) ، حيث عقد فصلاً خاصاً للقصائد المهموزات ، ذكر مع قصيدة ابن هرمة ^(٥) (التي منها البيت الأنف) ، قصيدة همزية أخرى فقط

(١) ص ٤٢ س ٦ — ١٠ ؛ فان فلوتن .

(٢) ص ١٠٢ س ١٢ .

(٣) بيان ج ١ ص ٦٢ س ٢٠ .

(٤) بيان ج ٢ ص ٣ ؛ ابن قتيبة ج ٢ ص ١٥٧ ؛ المحاسن المنسوبة للجاحظ ص ٨ ؛

تاريخ بغداد ج ٧ ص ٥٧ .

(٥) وتم على ميله للفتن قصيدته : المعطلة ، أى التي لا تشتمل على حرف معجم ؛ انظر الأغاني

ج ٤ ص ١٠٦ .

أنه لحفص الأموي^(١) ، أو على رواية أخرى لأبي صعصعة العامري ، على روى : تلاً .
ويوجد من هذه القافية أيضاً قصيدتان لأبي حزام العكلى الذى لمع نجمه حوالى
سنة ١٦٠ هـ ، قال إحداهما فى مدح وزير المهدي : معاوية بن عبيد الله الأشعري ،
على روى : مَحْجُوءَةٌ ، وهى حافلة بالألفاظ القديمة المهجورة ، حتى يعدها النقاد المتأخرون
مثلاً خيفاً للوحشى المتنافر من الأساليب^(٢) ؛ والثانية قصيدة لغوية تعليمية على
روى : أوهُ^(٣) ؛ وعدتها ٢٢ بيتاً ، تحتوى على ٨٠ كلمة مهموزة .

ومثال آخر يرينا كيف يلتقى رجال ، تهذب إحساسهم اللغوى ، وزناً للدقائق
أيضاً فى المسامرة والمحاورة . هاهو ذا على بن الجهم ، المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ، أحد رجال
حاشية المتوكل ، يعتذر من تبكيه فى الانصراف عن جماعة كان يجالسها بالكلمات :
إنه بلغنى شيء وأظننى مأزوراً فى قعودى . وبهذا خف وزنه فى نظر المبرد
(٢١٠ - ٢٨٥ هـ) الذى كان حاضراً إذ ذاك ؛ لأن مأزوراً ، بدل : موزوراً ، أى
آتماً ، إيماء يجوز استعماله على سبيل المجازة للفظ : مأجور ، فحسب^(٤) ؛ كما روى
فما نسب إلى الرسول [صلى الله عليه وسلم] أنه قال للنساء اللاتى جلسن فى انتظار
الجنائز : « ارجعن مأزورات غير مأجورات^(٥) » . فإذا استعمل وحده قيل :
موزور ، فقط^(٦) .

والصورة التى يرسمها الجاحظ للعلاقات اللغوية فى عصره ، يمكن إكمال بعض
خطوطها المتفرقة ، بوساطة روايات أخرى وصلت إلينا . فكون لغة الأعراب لم تزل
بعدُ — كما كانت من قبل — تعدّ النموذج الذى لا يُدرك لكمال الفصاحة ،

(١) انظر ياقوت : لإرشاد ج ٤ ص ١١٥ .

(٢) قدامة : نقد الشعر ص ٦٥ ، وذكره المرزبانى : موشح ص ٣٥٤ .

(٣) انظر : W. Ahlwardt, Sammlungen alter arabischer Dichter I

(٤) انظر فى مثل هذه المجازة : Brockelmann 7. Sem. 5.6 ff

(٥) ابن ماجه : باب ما جاء فى اتباع النساء الجنائز .

(٦) المرزبانى : موشح ص ٣٤٥ ؛ انظر أيضاً الحريرى درة ص ٥٢ ؛ الشهاب الحفاجى

على الدرّة ص ٨٢ ، وانظر : Rescher, ZA 23, 45 f. ؛ ووجد أيضاً لفظ موزور

مقروناً إلى : مأجور ، عند المبرد ص ٧٠٣ س ١٢ .

يقربه إلينا - بأوضح تصوير - مثال اللغوى : لُغْدَة الأصبهاني ، المعاصر
لأبي حنيفة الدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ . فهو يدين بمعارفه اللغوية ، التي لفت بها
الأنظار في بغداد ، لمخالطته للأعراب الذين نزلوا بأصبهان في خدمة محمد بن يحيى
ابن أبان ، ونصبوا خيامهم في رحابه . فقد ألح في سؤالهم عن جميع ما غمض عليه
في كتابات أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي - التي حفظها عن ظهر قلب في صباه - ،
واكتسب بذلك علماً غزيراً ، لم يضارعه فيه أحد بالعراق ^(١) .

يبد أن لغة الأعراب ، أيضاً ، يبدو أنها ، في سبيل تطورها وانتشارها الطبيعي ،
قد ظهرت عليها تجديدات مختلفة في القرن الثالث - التاسع ، كان أصحاب « تنقيحة
اللغة » يحسون بعدم جوازها . وها هو ذا العالم اللغوى البصرى : أبو الفضل الرياشي ،
الذي مات عن ثمانين عاماً تقريباً ، عند استيلاء الثوار من الزنج على البصرة
سنة ٢٥٧ هـ ، يرى أن ينسب تقدم مدرسته البصرية على منافستها الكوفية إلى أن
البصريين أخذوا اللغة عن البدو الخالص حرّشة الصّباب ، وأكلة اليرابيع ، على
حين استمد الكوفيون لغتهم من أنصاف الأعراب من أهل السواد وأصحاب
الكواميخ ، وأكلة الشواريز ^(٢) أى أصحاب المشهيات كالخلل ومجوه ، واللبن الرائب .
ويقدم لنا مثلاً من هذا النوع رجل من حفدة جرير ، هو عمارة بن عقيل .
لقد عاش في سهول البصرة ، وكان يعد عند علماء هذه المدينة حجة ثبناً في أمور اللغة .
وقرأ عليه المبرد أشعار جرير ^(٣) . ولا يندر أن يظهر شاهداً في نقائض جرير والفرزدق .
وعلى الرغم من ذلك فقد كان يجمع لفظ : ريج (من : رِوَح) على أرياح .
واضطر بهذا أبو حاتم السجستاني (المتوفى ٢٤٨ / ٩ هـ) أن يعلمه أن الصواب :

(١) ياقوت : إرشاد ج ٣ ص ٨٢ .

(٢) السيرافي : أخبار النحويين البصريين ص ٩٠ ؛ فهرست ص ٨٦ ؛ ابن الأنباري :
نزهة ص ٢٦٣ .

(٣) انظر مثلاً : الكامل ص ٢٢ .

صروح^(١). كذلك كان يستعمل بدلا من اسم الجمع : خيل ، صيغة الجمع : خيول^(٢) ؛
 ويستعمل لفظ : ابن ، كما لو كانت همزته همزة قطع ثابتة ؛ على حين كان يحذف
 همزة المد في لفظ : الدهناء^(٣) ؛ وقرأ في آية ٤٠ من سورة يس : سابقُ النهار^(٤) ،
 يحذف التنوين ونصب النهار (القراءة الصحيحة : ولا الليلُ سابقُ النهار ، بالإضافة)
 كما قرأ في آية ٨١ من سورة النمل وفي آية ٥٣ من سورة الروم : بهادِ العمى^(٥) بالنصب
 (القراءة بالإضافة) . فهذه ثلاثة أحوال تدل على تراخ في التمكن اللغوي
 — من حيث استعمال التنوين وإهماله — داع إلى التفكير .

وأكثر ما كان يطابق المثل الأعلى ، في نظر النحاة العرب إبّان القرن الثالث
 هي لغة الشعر الرفيع . وشعر أبي تمام (حوالي ١٩٠ — ٢٣١ هـ) ، قبل كل شيء ،
 يمتاز باستواء وانسجام فاقد النظير ؛ وفي الحشد من المطاعن الكثيرة العدد ، التي تعرض
 لها الشاعر ، في حياته وبعد وفاته المبكرة ، لا نكاد نجد مأخذاً عليه من ناحية اللحن .
 وقد لفتَ نظره مرة ، مع الاحتجاج بالنحوى الكوفي : ابن السكيت (المتوفى حوالي
 ٢٤٥ هـ) ، إلى أنه ينبغي أن يقول : شيج ، بدلا من : شجى ؛ ولكنه سرعان
 ما تخلص محتجاً — في يسر — ببيت لأبي الأسود^(٦) . وكان أبو تمام يعاني حُبسة
 تعوق حرية تعبيره ، بيد أن هذا لم يؤثر في أسلوبه . ولما بلغ خصم له من عدم اللياقة
 مبلغاً سمح له بأن يسخر منه ، مشيراً إلى هذه العاهة الخلقية ، لم يره أبو تمام أهلاً للردِّ

- (١) أغاني ج ٢٠ ص ١٨٥ س ٢٤ ؛ ص ١٨٧ س ٢٢ ؛ وقد اعترض الحريري أيضاً على
 أرياح في الدرّة ص ٤٠ ، ودافع الشهاب الخفاجي جرياً على عاداته عنها ص ٦٦ ، مع نقله رواية
 تنسب هذه الصيغة إلى لهجة بني أسد .
- (٢) المبرد : كامل ص ٩٤ .
- (٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ س ٢٣ ؛ وفي نفس الشعر المذكور ، يستعمل
 لفظ : عامة بالتخفيف للضرورة .
- (٤) المبرد : كامل ص ١٤٣ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٢٧ ؛ نزهة الألباء ص ٢٩٦ ؛
 بن جني : المحتسب في الآية ؛ ابن خالويه في الآية ؛ خزانه ج ٤ ص ٥٥٥ .
- (٥) انظر البديع لابن خالويه ص ٩٢ .
- (٦) البطليوسي : اقتضاب ص ١٩٧ فما بعدها ، حيث ساق بيتاً آخر مشتملاً على لفظ
 شجى بالتشديد لأبي دواد الأيادي .

عليه^(١) . والذي يأخذه عليه نقاده هو ميله إلى الأصالة والغوص ، الذي لا يندر أن يسمو عنده إلى مستوى الغريب المهجور ، أو ينحدر إلى مستوى السوق المبتذل ، فيطبع أسلوبه بطابع المتعمل المصنوع . ومن هنا كانت سمات وخصائص راجعة إلى الأسلوب ، تلك التي أتجه إليها النقد الصادر عن تذوق الجمال بوجه خاص^(٢) . فقد أخذت عليه شدة جرأته في الاستعارة ؛ مثل جعله الأعمار المبكرة في الانتهاء ، تنضج قبل نضج التين والعنب^(٣) ؛ ومثل حديثه عن الهموم يكاد يتصدع منها الدهر^(٤) ؛ وعن مشيب الفؤاد^(٥) ؛ وعن ماء الملام^(٦) . وتجديد آخر اصطدم بالرفض ، هو اقتضابه في بعض القصائد^(٧) ؛ فمثلاً تبدأ مراثيته للقائد محمد بن حميد الطوسي — رأى أبو دلف الذي يعدّ حجة في الحكم عليها ، إذ كان قائداً وشاعراً ، أن هذه المراثية تعير من قيلت فيه حياة خالدة^(٨) — بدءاً غير طبيعي بالكلمات :

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر .

كذلك كان فرط ولوع الشاعر بالجناس في شتى صوره مدعاة إلى مآخذ كثيرة^(٩) . وآخرون من النقاد يعيبون عليه^(١٠) أنه استعمل كثيراً من الكلام البغيض ، والغريب المستكره من البدوي ، فكيف به إذا جاء من ابن قرية متأدب مثل : الأَجْفَلِي ، أي الجميع^(١١) ؛ ونقيضه النَّقْرِي ، أي الأفراد . ولما كان يحسب

(١) ابن رشيق : العمدة ١ ص ٧٠ .

(٢) انظر المرزباني : موشح ص ٣٠٣ — ٣٢٩ ، وقد نقل أجزاء كثيرة عن ابن المعتز

(٢٤٧ — ٢٩٦)

(٣) موشح ص ٣٠٨ .

(٤) موشح ص ٣٢٠ .

(٥) موشح ص ٣٢٦ .

(٦) موشح ص ٣٢٣ .

(٧) موشح ص ٣٠٥ س ٣ — ١٠ .

(٨) عبد القادر : خزائن ج ١ ص ١٧٢ .

(٩) موشح ص ٣١٠ .

(١٠) الموشح ٣٠٨ .

(١١) وهذا هو الاسم الوحيد على وزن : أفعلِي ؛ انظر سيديويه ج ٢ ص ٣٤٥ :

نسبه من قبيلة طيء ، لم يكن غريباً أن يجيء في شعره ألفاظ من لهجتها ، مثل :
سدك ، أى حريص مولع بالشئ^(١) ؛ ومثل الاستعمال الخاص بها ، وهو وضع :
موضع : الذى^(٢) ؛ وكذلك صيغة : اطّادت ، التى عدّها ابن الأثير^(٣) عليه
خطأً يبدو أنها صيغة إضافية ترجع إلى لهجة خاصة ، بدلا من صيغة : اتطدت ،
شوقعة ، أى صيغة الافتعال من : وطد .

وعلى حين يحاول الشعر الرفيع ، كما يوجد فى قصائد الأعياد والمناسبات العظيمة ،
أن يقترب من المثل العليا للكمال اللغوى ، تبدو أشعار الفرص والمصادفة أقوى تأثيراً
بلغته الدارجة . فمثلا توجد فى أشعار ابن زينب المراكبى الذى اشتهر فى عهدى
سامون (١٩٨ — ٢١٨ هـ) والمعتمض (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) ، أحوال مثل : بَقِي ،
إشباع كسرة القاف ، بدلا من فتح الياء ؛ و : هُو ، بإشباع الضمة ، بدلا من فتح
واو ؛ والمهناً بتخفيف المهزلة وإشباع الفتحة ، بدلا من : المهناً ، والاستعمال الشعبى
لخص : حرّها^(٤) . وكذلك الجمّاز البصرى الذى كان يحنى كثيراً لبذاءة لسانه ،
يقول فى بيت يهجو به عبد الصمد بن المعدّل المتوفى ٢٤٠ هـ ، هُو ، بإشباع الضمة ،
بدلا من فتح الواو^(٥) . وفى شعر آخر يعامل فعل : قرأ ، على أنه يأتى ، ويصوغ منه
صيغاً مثل : تقرى ، تقرّيت ، وقرّاة^(٦) . كما أن مهجوه ، وهو أيضاً هجاء كبير ،
استعمل أيضاً فى رده عليه : هُو ، بالإشباع أيضاً^(٧) . وفى شعر آخر سُمى المدينة التى
سُمى إليها : البصرة ، بكسر الصاد ، وقد عدّه المبرّد عليه لحناً^(٨) ؛ وهذه الصيغة ،

(١) موشح ص ٣١٧ ، وورد لفظ : سدك فى شعر الأعرج الطائى ، انظر أمالى القالى ص ٢٠٨ .

(٢) انظر الكامل ص ٥٦٤ ، ومن الغريب استعماله أيضاً لفظ : الذ ، بدلا من : الذى ،

موشح ص ٣١٠ .

(٣) المثل السائر ص ١٠ .

(٤) الأغانى ج ٢١ ص ٢٤٧ ، ج ١١ ص ٩٨ .

(٥) أغانى ج ١٢ ص ٦١ ، ج ١٥ ص ٦٢ .

(٦) الأمالى للقالى ج ٣ ص ٤٧ .

(٧) أغانى ج ١٢ ص ٦٢ .

(٨) الموشح للمرزبانى ص ٣٤٦ .

التي هي أصل : بأسورا Bassora الغربية ، قد دحضها أيضاً ابن قتيبة^(١) ، وإن أجاز
نسبة : البصرى ، بكسر الباء . وعلى النقيض من ذلك يعدّ من قبيل الرخصة
الشعرية ، إذا جعل عبد الصمد اسم العلم : رُهم^(٢) ، ممنوعاً من الصرف . نعم يسمح
البصريون ، وفي طليعتهم سيبويه والمبرد^(٣) ، بمعاملة الممنوع من الصرف معاملة
المنصرف لضرورة الشعر ؛ ولكن العكس أيضاً كثير — منذ وقت بعيد — بحيث
لم يقرّ الكوفيون وحدثهم للشعراء بهذه الحرّية في ضرورة الشعر ، بل كذلك كثير
من البصريين^(٤) . واستعمل الحسن بن وهب الكاتب ، الذى لعب دوراً هاماً في
وزارة ابن الزيات (٢٢٥ — ٢٣٣ هـ) ، الفعل المضارع مرفوعاً بعد : أن ، مرتين
في قصيدة من أشعار الفرص^(٥) ؛ وعلى النقيض من ذلك كانت رسائله معنياً فيها
بتجويد الأسلوب ، بحيث جمعت وأخرجت في صورة كتاب .

مثل هذه الأخطاء التي ذكرناها آنفاً ، ظهرت في شعر الفرص والمناسبات لمختم
القرن الثاني — الثامن . وعلى النقيض من ذلك صارت اللغة الدارجة على ألسنة
المتقنين في القرن الثالث — التاسع تتعد بصورة مطردة من النموذج الفصيح .
والملاحظات التي يذكرها الجاحظ تدل على أن المحادثة السليمة الخالية من اللحن
كانت تنتظر فقط من الأعراب الذين ينطقون عربية خالصة ، أو من بلغاء العلماء .

(١) أدب الكاتب ص ٤٥٧ (نشر : Grunert) .

(٢) موشح ص ٣٤٦ .

(٣) انظر المفصل للزحمرى وابن يعين عليه ص ٨١ .

(٤) انظر ابن الأنبارى : لإنصاف ص ٢٠٥ فما بعدها ؛ عبد القادر : خزانة الأدب ج ١
ص ٧١ فما بعدها .

(٥) ابن قتيبة : عيون ج ٤ ص ٣٢ بيت ٧ ، ٨ ؛ وقوله : أن يجي بالإشباع ورد أيضاً
في شعر شبيب ابن البرصاء من عصر عبد الملك . انظر الأغاني ج ١١ ص ٩٥ (وإن كان يصح
روايته بالمجهول) ، كما ورد أيضاً في شعر الجاهلي : عوف بن الأحوص من شعراء المفضليات
(قصيدة رقم ٣٦ بيت ٩) وساق قدامة بيتين دون تسمية قائلهما ، ولا يعلم العصر الذى قيل فيه
(ص ٤٥ س ٢) نقد الشعر : بأن أمسى ؛ وفي ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ٧٤٨ (أن يدري ،

و : بأن يفديك) وانظر أيضاً : Nöldeke Z. Grammatik

(٦) الفهرست ص ١٧٧ .

ووطبيعة الحال كانت ثمة فروق أيضاً في لغة المحادثة ، وفقاً لتقافة المتكلم .
وقديماً ، في عهد المأمون (حكم ١٩٨ — ٢١٨ هـ) ، يبدو أنه لم يكن من النادر أن
يستعمل رجال في مناصب رئيسة جملاً وتراكيب مخالفة للنحو تماماً في صلاتهم
الشفوية والكتابية . فقد روى أن ميمون بن إبراهيم ، كاتب إسحاق بن إبراهيم
المصعبي ، ارتكب في رسالة إلى المأمون هذا الخطأ الشنيع : وهذا المال مالاً يجب
على فلان . فخط المأمون على : « مالا » ووقع بخطه في حاشية الكتاب : أتكتابني
بلحن يا إسحاق ! . فاشتد ذلك عليه وأنب كاتبه . نعم صحح النحوي ابن قادم (المتوفى
٢١٥ هـ) الذي كان حاضراً هذا التعبير ، جاءلاً « مالا » منصوباً على التمييز ،
ولكن ميمونا رأى من الخير له تعلم النحو^(١) . وكذلك روى عن إسحاق بن إبراهيم
المصعبي المذكور ، الذي كان يشغل منصباً هاماً ، إذ كان حاكماً لمدينة بغداد من
سنة ٢١٤ حتى مات سنة ٢٣٥ هـ^(٢) ، أنه اضطر بسبب لحن وقع منه في حضرة
المأمون أن يتعلم^(٣) القواعد على النحوي هشام بن معاوية (المتوفى ٢٠٩ هـ) . كما روى
أيضاً^(٤) أن أحمد بن أبي خالد^(٥) (المتوفى ٢١٠ هـ) أول وزراء المأمون ، الذي كان
يشاد بذكوره^(٦) لحسن خطّه ، قرأ كثيراً من الكلمات في رسالة قراءة محرفة لا يفهم
لها معنى . وقصة أخرى^(٧) تخبر عن كاتب — قيل إنه الفضل بن مروان الذي تولى
وزارة المعتصم من ٢١٨ — ٢٢١ هـ ، أو خلفه ابن شاذي^(٨) — قرأ رسالة على الخليفة ،
ولم يستطع تفسير الجملة : ومُطرنا مطراً كثر منه الكلاً ؛ لأن لفظ الكلاً كان

- (١) الصولى : أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ١٥ ؛ سيوطي : بقية
ص ٥٨ ؛ قلقشندى : صبح الأعشى ج ١ ص ١٧٠ .
(٢) Zambaur, Manuel 129 f. وانظر في حسن تنظيمه للبريد ومعرفة الأخبار
كتاب التاج المنسوب للجاحظ ص ١٧٠ ، وكتاب المحاسن للبيهقي ص ١٥٤ .
(٣) ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٢٥٤ .
(٤) الجوالقي : شرح أدب الكاتب ص ٥١ .
(٥) El I 199
(٦) الفهرست ص ١١ ؛ الصولى : أدب الكتاب ص ٤٥ .
(٧) ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٧ .
(٨) الجوالقي : شرح أدب الكتاب ص ٤٩ فما بعدها ؛ خزانة الأدب ج ١ ص ٢١٥ فما بعدها .

غير معروف له . وفي الحق لقد كان الفضل بن مروان من رجال الإدارة الممتازين ، بيد أنه لم يكن ذا ثقافة عميقة ^(١) . وكون الخليفة المعتصم ، على النقيض من أخيه المأمون ، لم يكن مثقفاً ، أمر مشهور ؛ فقد كان يشعر بكره شديد في صباه للتعليم ، ولم يصل إلى حدق يؤبه له في القراءة والكتابة ^(٢) . وترسم القصة التالية ^(٣) الصورة التي كان يصوره بها الخلف من بعده ؛ فقد أمر يوماً اشناس التركي القيم على السلاح أن يحضر له كلباً للصيد ، ولكنه رده عليه ، لأنه كان به عرج ، فكتب إليه اشناس الأبيات المضطربة التالية :

الكلب أخذت جيد مكسور رجل جبت
رد جيد كما كلب كنت أخذت

فأجابه الخليفة أيضاً بالأبيات المتهافئة :

الكلب كان يعرج يوم الذي به بعثت
لو كان جاء مجبر أجبر رجل كلب أنت

وقد حصل الأتراك منذ عهد المعتصم — بكونهم من كبار رجال الجيش ، وحرس الخليفة الخاص — على نفوذ مطرد النمو في سياسة دولة الخلافة ، ولم يكن هؤلاء الرجال متحلين بثقافة علمية ، كما لم يكن لديهم اهتمام أصلاً بالطموح إلى الأدب . ولم يسجل شذوذاً عن هذا العموم إلا الفتح بن خاقان ^(٤) أحد أبناء الأتراك . لقد نشأ حتى الفكر ، حاد الذهن ، عاقلاً أريباً ، فاسترعى انتباه المعتصم إليه وهو غلام ، وانتظم بعد ذلك في خدمة القصر ، وتمتع بنفوذ عظيم في شئون الدولة ؛ إذ كان مؤمناً ومستشاراً للمتوكل الذي قتل معه سنة ٢٤٧ هـ . وكان واسع الثقافة ، وأمر على بن يحيى المنجم فأشأ له مكتبة عظيمة ، وكان يكثر من دعوة

(١) الفهرست ص ١٨٤ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٤٣ .

(٣) البيهقي : محاسن ص ٤٥٥ .

(٤) انظر الفهرست ص ١٦٩ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ١١٦ — ١٢٤ .

الأعراب والنحاة إليه ، كما حاول هو أيضاً تعاطى الشعر . وكان يرسم للعلماء دراسات في الأدب فيصدرونها باسمه . وجمع له محمد بن حبيب (المتوفى ٢٤٥ هـ) كتابه عن قبائل العرب ^(١) . كما وجه إليه الجاحظ رسالته عن الأتراك ^(٢) . وكذلك وصفه للأدب المتبعة في قصور العباسيين (أخلاق الملوك) أُلّف بتكليف منه ، وإن لم يكن مؤلفه الجاحظ الذي نُشر الكتاب باسمه ، بل محمد بن الحارث الثعلبي ؛ على الأقل نعرف علما بهذا الاسم ، كان من حاشية الفتح ، وألف له مصنفًا يسمي : أخلاق الملوك ^(٣) . وفيما عدا ذلك كان قواد الأتراك الأجراء لا يمتتون في الأعم الأغلب بصلة إلى الثقافة أصلا ؛ كما أسهموا في خفض المستوى اللغوي في دوائر القصور . وبلوغهم مناصب السلطان يبدأ في تاريخ العربية عصر الانحلال .

(١) الفهرست ص ١٥٥ .

(٢) نشرها فان فلوتن في : *Triae Opusculae S. 1 56 1930*

(٣) الفهرست ص ٢١٢ (الثعلبي) ، ويذكر الفهرست ص ١٧٠ في الكتب المنسوبة إلى الفتح بن خاقان ، كتاب اختلاف الملوك . والظاهر أنه تحريف عن كتاب أخلاق الملوك ، الذي عمله ابن الحارث المذكور ، وذكر Flügel لقب محمد بن الحارث : الثعلبي ، بدلا من الثعلبي .

العربية تصير لغة الأدب الفصحى

في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى — التاسع الميلادى

وهذا عهد لم يكد يبلغ قرناً من الزمان ، امتد من وقت رجوع الخليفة المتوكل إلى مذهب أهل السنة المحافظين سنة ٢٣٥ / ٨٤٩ ، إلى مبدأ قيام الحكم العسكرى على يد أمير الأمراء : الرائق ، (سنة ٣٢٤ / ٩٣٦) ؛ ذلك الحكم الذى انتزع من يد الخليفة البقية الباقية من الاستقلال ، وطبع دولته بطابع الانحلال إلى دويلات تزيد على العشر . ولقد رأى ذلك العهد الانحلال المطرد الحلقات ، المتصل الخطوات فى دولة الخلافة التى ازدهرت أعظم ازدهار فى ظل المأمون والمعتصم . لقد أعلن انفصاله واستقلاله إقليم تلو إقليم ، فلم يعد يؤدى الأموال إلى بغداد . ولقد نالت هذه الخسارة من الخلفاء نيلاً أشد وقعاً ، وأسوأ أثراً ، حينما اضطرتهم محاولتهم إعلان سلطانهم إلى بذل الجهود الحربية التى لم يكونوا لها أ كفاء على طول الأمد من الناحية المالية . وقد اشترى المعتصم — فعلاً — كثيراً من عبيد السلاح ، وألف منهم قواته المحاربة . وأ كثر القواد الأتراك الذين كانوا لا يقتصرون على رياسة هؤلاء الأجراء الأجانب ، بل يحملون أيضاً أعباء أجورهم وتديبرها ، سرعان ما اكتسبوا نفوذاً عظيماً فى السياسة ، حتى أذى ذلك أخيراً إلى إنشاء الحكم العسكرى . وبالانحلال السياسى والاقتصادى ، انحط مستوى الثقافة العامة . والنزعة الشئبة المحافظة التى حدت اتجاه السياسة الثقافية لذلك العصر الانقلابى ، تبين أنها أضعف من إيقاف ذلك الانحلال . وكانت نتيجة ذلك أن خسرت العربية فى هذه المرحلة الزمنية من مساحة أرضها ؛ على حين انتشرت الأساليب اللغوية المولدة ، متغلغلة فى أرقى الأوساط .

والعمدة فى الشهادة على انحطاط المستوى العام للثقافة فى القرن الثالث — التاسع

هو أبرز الأدباء الممثلين للتجديد السنّي : ابن قتيبة (٢١٣ — ٢٧٦ هـ) الذي يشكو كثيراً في كتبه من هذه الظاهرة ، والذي تُعنى كتبه بأن تهيبء للكتّاب ، أي القائمين على الخدمة في الدواوين والشؤون المدنية ، في قالب واضح سهل المتناول ، تلك العدة من المعارف الإيجابية التي لا غنى لهم عنها في القيام بأعمالهم . وفي مقدمات تلك الكتب التي كان لها صدى بعيد وأثر عميق ، وصف ، في تصوير قريب ، الضرورات الملحّة في هذا السبيل : ليس لدى الملوك مال للمطامح الثقافية ، ولا يجد العلماء (المحافظون) عوناً من قبلهم ؛ وفي أوساط المجتمع الراق ذهبت حركة الاعتزال بكل إجلال للنزعة السنّية المحافظة — أما أن المعتزلة قد أحيوا العلوم القديمة ، أعنى ذلك التراث العقلي للعصر القديم (الأنتيك) ، فهذا لا يعدّ شيئاً في نظر ابن قتيبة — وعند ابن قتيبة لا يعد من علامّ الثقافة المتنخلة الخاصة أن يتعاطى المرء شيئاً من المنطق أو جانباً من علم الفلك . نعم هو لا ينكر إنكاراً تاماً جهود المعتزلة في ناحية القواعد النحوية ، وشرح الأشعار ، وتفسير القرآن ، ولكن بقدر رفقهم بهم في هذه الناحية اشتدت شكواه من أن المعتزلة جعلوا دراسة القرآن والحديث وأحكام الشريعة في المرتبة الثانية . وقد وصف الجهل المنشور لوائه ، حتى في أرق الأوساط ، بالتاريخ والأنساب . فالقرشيون لا يعرفون كيفية قرابتهم إلى الرسول ، والأشراف مجهولون شجرة أنسابهم . والأمراء من الفرس لا يعرفون تاريخ أسلافهم . وعلى النقيض من ذلك يستطيع حديثو العهد بالنعمة والمناصب الرفيعة أن يدعوا انتسابهم إلى رجال انقرضت أسرهم منذ زمان طويل . وليس الحال بأحسن من ذلك في المعارف الخاصة ؛ فعلى أحسن الفروض نجد الرجل معلباً في فنه الذي اختص به . كما أنه ليست له ثقافة عامة . ومن يستطيع أن ينشد أبياتاً من الشعر يعدّ عالماً ؛ ولا يعرف الكتّاب مطمحاً أسمى من أن يكتب خطأ جميلاً .

وينضم إلى ذلك انحطاط المستوى العام للثقافة اللغوية الذي امتد إلى كتّاب

الدولة ووزرائها، والذي ألف ابن قتيبة كتابه: أدب الكاتب^(١). لعلاجه وكفاحه. وهو كتاب يعلمنا كيف ينبغي للمسلم المتقف في القرن الثالث أن يعبر عن أفكاره بالنطق والكتابة، ويبيّن لنا — بوجه خاص — الأخطاء التي يجب عليه أن يتجنبها. وفي هذا يباشر ابن قتيبة بحوثه — على خلاف الجاحظ — بدقة تحفل بالصغائر. ولئن فقدت توضيحاته وبحوثه المفصلة ذلك الظرف المتوثب الخفيف الروح، الذي يجعل استطرادات الجاحظ أخاذة ساحرة، إنه ليفيدنا بفضل أسلوبه المتعمق الجزل كثيراً من التفاصيل عن الاستعمال اللغوي في عصره، على الرغم من أنه ليس من عادته — بوجه عام — أن يسمي الأسلوب أو القالب الذي يتنقّصه تسمية واضحة. وهو في ذلك، كما أثبتته شارحه البطليوسي، ينصب نفسه محامياً عن مبدأ «تنقية اللغة العربية» المتطرف. والأصمعي — بوجه خاص — عمدة من يحتاج بهم من الرجال؛ وهو لا يحد عن آرائه إلا في أحوال نادرة كما أنه نقل — في موضع من الكتاب — كتاب الديباجة لأبي عبيدة برمته^(٢). والأبواب من ص ٥٨٤ مأخوذة من كتاب المعاني لابن السكيت^(٣) مما جرّ عليه لوم البطليوسي ونقده^(٤). ولا تنقص الكتاب أيضاً صور من الجمع والخلط — لا يعتمد عليها — بين أنظار المدرستين: البصرية والكوفية^(٥) كما لا يتقصه كثير من السهوي^(٦) والتضارب^(٧). بيد أن هذه المعايير

(١) نشره: Gruenert Leiden

(٢) انظر البطليوسي: الاقتضاب ص ١٤٠ — ١٤٢.

(٣) انظر الاقتضاب ص ٢٤٣ س ١٥؛ ص ٢٥٧ س ١؛ ص ٢٦٥ س ١٥.

(٤) اقتضاب ١٧٤، وانظر ص ٢٥٥؛ ٢٥٧.

(٥) اقتضاب ص ١٧١ س ٥؛ ص ١٧٣ س ٢.

(٦) اقتضاب ص ١٠٧ س ٣؛ ١٣٩ س ١٣؛ ١٤١ أسفل؛ ١٤٨ س ١، ١٥٣ س ١

١٦٢ س ٩؛ ١٧٨ س ٦؛ ١٨٢ أسفل؛ ١٨٣ أسفل؛ ١٩٩ س ٨؛ ٢٣٠ س ٩، ١٥؛

٢٣٠؛ ٢٣٥ س ١٠؛ ٢٧٠ س ٢، ١١؛ ص ٢٧٣ س ٢؛ ٢٧٩ س ١٤.

(٧) اقتضاب ص ١٢٣ س ١٢؛ ١٢٧ أسفل؛ ١٣٣ س ٦؛ ١٥٠ س ٨؛ ١٥٤ س ٣؛

١٧٥ أسفل؛ ١٧٦ س ٢، ٨، ١٨؛ ١٧٧ س ١١، ١٦؛ ١٧٨ س ٢؛ ١٨١ س ١٦،

١٩؛ ١٨٢ س ٣؛ ١٨٣ س ١٠، ١٣؛ ١٨٤ س ٣، ١٩؛ ١٨٧ س ٣، ١٠، ٢٠؛

١٨٨ س ١٠؛ ١٨٩ س ٨، ١٢، ١٥؛ ١٩٠ س ٣، ٩؛ ١٩٢ س ١٢، ٢١؛ ١٩٤ =

لا تغض كثيراً من قيمة كتابه ؛ فهو باق أحد الكتب الأساسية الأولى لمبدأ التنفية
للعربية ، ولا يزال يدرس حتى اليوم بعناية واجتهاد ، لغزارة مادته ، في العالم العربي .
وهكذا يحتوي القسم الأول من كتابه ، وهو « كتاب المعرفة ^(١) » في الستة
والخمين باباً التي يشتمل عليها ، على مادة غنية لمعرفة الكنز اللغوي ، وفي ذلك
الذي نف على اختلافات المعاني التي احتملتها بعض الألفاظ إلى القرن الثالث ؛ فمثلاً
الذي يستعمل الناس لفظ : مأمم ، بمعنى المصيبة أو الاجتماع على المصيبة ؛ وليس هذا معناه
من لأصلي ، وإنما هو النساء يجتمعن في الخير والشر ^(٢) ؛ ومثل لفظ : الفء معناه الظل
مطلقاً ، لا ظل ما بعد الظهر كما هو الأصل ^(٣) ؛ ومثل لفظ : الملة ، يستعمل في الخبز ،
وكان معناه الرماد الحار الذي يخبز فيه ^(٤) ؛ ومثل : تنزه ، يستعمل بمعنى ذهب إلى
البساتين ، وكان معناه ابتعد عن الماء والزراعة ^(٥) . ولم يعد يفرق أحد تقريباً بين
آل والسراب ^(٦) ، ولا بين الفقير والمسكين ^(٧) ، ولا بين الأعرابي ، أي البدوي
(وإن عاش في الحضر) والعربي ، أي واحد العرب وإن كان غير بدوي ^(٨) .
ويبقى بعض الضوء أيضاً على الاستعمال اللغوي في القرن الثالث ، تلك التعبيرات
التي يشرح بها ابن قتيبة بعض الألفاظ الفصيحة ؛ فكثيراً ما يستعمل في تفسير أسماء
النباتات العربية القديمة (ص ١٠١ — ١٠٥) ألفاظاً فارسية بمعناها . كذلك يبين

٢٠٥ : ٨ ؛ ٢٠٤ : ١٥ ؛ ٢٠١ : ١٨ ؛ ١٩٦ : ٣ ؛ ١٩٥ : ١٨ ، ١٢ ، ١٠ ، ٤ ؛ ٢٠٦ : ١٠ ؛ ٢٠٧ : ٤ ؛ ٢٠٧ : ١٧ ؛ ٢١٠ : ٤ ، ٧ ، ١١ ؛ ٢١١ : ١ ، ١٠ ، ١٢ ؛ ٢١٢ : ٢ ؛ ٢١٤ : ١ ، ٨ ؛ ٢٢٣ : ٢٢٦ ، أسفل ، ٢٢٦ : ٣ ؛ ٢٢٧ : ٨ ؛ ٢٢٩ : ١٣ ؛ ٢٣٠ : ٩ ؛ ٢٣١ : ٦ ؛ ٢٦٦ : ٦ ؛ ٢٦٦ : أسفل ، ٢٦٧ : ٤ ، ١٢ ، ١٥ .

(١) ص ٢١ — ٢٣٣ .

(٢) ص ٢٤ م

(٣) ص ٢٧ س ١

(٤) ص ٣٨ س ٦

(٥) ص ٣٩ س ١١

(٦) ص ٢٨ س ٨

(٧) ص ٣٥ س ١

(٨) ص ٤٠ س ٦

الباب الذي عقده للكلمات الأجممية في كلام العرب (ص ٥٢٦ — ٥٣٣) إلى آخرها
حد حفلت اللغة الدارجة بالعناصر الفارسية . وأكثر إفادة (في هذا المضمار) التوصل
الثالث الأساسي ، وهو كتاب تقويم اللسان (ص ٣٣٣ — ٤٦٠) بما اشتمل عليه
عليه من طوائف من الكلمات التي يعدّها المترجمون اللغويون من قبيل اللحن أو
الردى . وفي هذا يرتب ابن قتيبة — ترتيباً سطحياً مجتاً — الأحوال المختلفة
الظروف الناشئة من صورة الكتابة بين الصحيح والخطأ ، بحيث إن الأحوال التي
ترجع إلى مجموعات مختلفة من جهة التكوين الصوتي ، والصيغ والقوالب ، والعمل
النحوي ، تضم بعضها إلى بعض دون فرق بينها . فهو يرى من ناحية الصوت أن
إسقاط الهمزة ، أو تحويل ما فاءه همزة من الأفعال إلى ما فاءه واو ، أو ما لأمه همزة
إلى ما لأمه واو أو ياء ؛ كل هذا يؤدي إلى نشوء صيغ وقوالب جديدة معيبة عند
المعنيين بتنقية اللغة . ومن ناحية القوالب والصيغ يذكر ما تشدده العوام وما تخففه
أو العكس ، مثل الياء في آخر الكلمة ، وإبدال فعائل بفعال في جمع الرباعي
والصيغ المخترعة مثل : أخير وأشر ، بدلا من : خير وشر ، وإطراح الفرق المعنوية
بين اسم المرّة : فعلة ، واسم الهميئة : فعلة ؛ وما يضم والعامّة تكسره ، أو يكسر
والعامّة تفتح أو تضمه ، إلى غير ذلك . ويعرض كتاب الأبنية (ص ٤٦٠ — ٥٥١)
نظرة عامة في صيغ الأسماء والأفعال ، إذ يعقد فيه بعد تحديد كل نوع سلسلة من
الأبواب ، يبحث فيها هذه الصيغ ، مرتبة في طبقاتها المعنوية ، ويعقد في ذلك باباً
خاصاً بالحروف ، يعرض فيه ما يتعدى بحرفين ، والأحوال التي يستعمل فيها حرف
مكان آخر ، وتعاور الأفعال اللازمة والمتعدية (ص ٥٣٤ — ٥٥١ الخ) .

ولا يعرج ابن قتيبة في كتبه الأخرى على مسائل اللغة والتربية اللغوية إلا
عرضاً . ففي كتابه : عيون الأخبار ، يعقد لمسألة التعبير الصحيح والخطأ ؛ باباً خاصاً
(باب الإعراب واللحن ج ٢ ص ١٥٥ — ١٦٠) يحتوي — في سياق مختلف
الألوان — على حكم وأشعار في الإشادة باللغة الصحيحة الفصيحة ، والحث على

أجراسة القواعد والنحو ، كما يشتمل على قصص وأمثلة للحن المختلف الأنواع ، ومخالفة
القواعد في قراءة القرآن ، وبعض المفارقات الناشئة من سوء الفهم لاصطلاحات
الحن ، وعقب ذلك تباعاً يذكر ابن قتيبة نماذج من الأسلوب الدقيق (التصادق) ،
من الاستعمال المهجور الغريب من مادة اللغة . وفي كتابه : الشعراء ^(١) ، يتتبع بالتفصيل
الحن المختلفة أخذ على أبي نواس من الحن .

هذا على أن المطالب التي فرضها ابن قتيبة لمراعاة صحة اللغة وسلامتها لم يؤدها
عمل معاصروه على وجه الدقة ، بل هو نفسه قد اصطدم هنا وهناك مع قواعده ، وحتى
أر الشعر الرفيع في عصره لم يف بمطالب مبدأ « تنقية اللغة » ؛ فإن لغة البحترى (حوالى
هـ ٢٠٤ - ٢٨٤ هـ) ، لم تعد من حيث فصاحتها مساوية للغة معاصره السابق عليه
عند قليل ، وابن قتيبة أيضاً : أبي تمام . حقاً إنها لمبالغة حاكمة ، إذا وسمه ابن أبي طاهر ^(٢)
خفة (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ) ، في شعره جوه به ، بأنه : لاحن جاهل ^(٣) ؛ لا سيما وقد
قيل عن هذا الخصم إنه كان عامياً كثير التصحيف ، وإنه أنشد شعراً واحداً فلحن
في بضعة عشر موضعاً منه ^(٤) . وأرجح من هذا وزناً ، أن أحد المعجبين بالشاعر ،
وهو الوزير أبو الفضل بن العميد ، يسلّم أنه تعرض له أخطاء ، وأن في شعره الكسر
والإحالة والحن ^(٥) ؛ وقد استعمل مثلاً : نسيه ^(٦) ، بإشباع الياء بدلاً من فتحها ،
بسبب القافية ، ووضع صيغة المرفوع : مثن ، بدلاً من صيغة المنصوب : مثنياً ،
في البيت :

يا ماحد الفتوح ويا آمله لست امرأ خاب ولا مثن كذب ^(٧)

(١) Liber poesis 516, 7 - 530, 9

(٢) هو مؤلف كتاب: أخبار بغداد ويعرف بابن طيفور (فهرست ص ٢٠٩) . وقد أخرج

جزءاً منه مع ترجمته إلى الألمانية : H. Keller

(٣) المرزباني : موشح ص ٣٣٣ .

(٤) الفهرست ص ٢٠٩ .

(٥) الصاحب بن عباد : الكشف عن مساوي المتنبي (القاهرة ١٣٤٩) ص ٨ .

(٦) في الموضوع السالف ص ٩ س ١ .

(٧) الموشح : ص ٣٣٣ س ١٤ .

كما قال : مساعيك ، بالإشباع ، بدلا من نصب الياء .

ولو أنصف الحسّاد يوماً تأملوا مساعيك هل كانت بغيرك أليقا^(١)

واستعماله لفظ : طلحات^(٢) ، بسكون اللام بدلا من فتحها ، في جمع طلحة ،

يمكن الاعتذار منه — على أسوأ الاحتمالات — برخصة الشعر . وقد حملت

المباحكات وضيق العطن خصومه على أن عدّوا عليه بعض تعبيرات أخرى من

اللحن ، مثل التهافت في مطاع إحدى القصائد :

محل على القاطول أخلق دائره^(٣)

فإذا كان دائراً فكيف يخلق ؟ على أنه لاجرم كان يعنى نفسه في سبيل صحة

اللغة وسلامتها ، كما كان يلقى أشعاره في تصنع وإعجاب بنفسه^(٤) .

وشاعر آخر لم يكن أقل شهرة في هذا العصر ، وهو ابن الرومي (٢٢١ — حوالي

٢٨٣ هـ) يعتذر في قصيدة له من أخطاء لغوية زلقت من قلمه في رسالة كتبها إلى

صديق^(٥) . كما أن أحمد بن المدبر ، الذي كان يتقلد إدارة الأموال في دمشق حوالي

سنة ٢٤٠ هـ ، ثم نقل إلى مثل هذا العمل بمصر سنة ٢٤٧ هـ^(٦) ، ذكر في قصيدة

واحدة لفظ : رضى ، بإشباع الكسرة بدلا من : رضى بفتح الياء ، ورفع المضارع

ثلاث مرات بعد أداة النصب^(٧) .

(١) الموشح ص ٣٣٣ س ١٦ .

(٢) عبد القادر : خزنة الأدب ج ٣ ص ٣٩٤ .

(٣) الموشح ص ٣٣٧ س ١٨ .

(٤) انظر عرض أبي الفرج وتصويره في الأغاني ج ١٨ ص ١٧٣ ؛ وذكره ياقوت : إرشاد

ج ٦ ص ٤٠٤ .

(٥) الصولي : أدب الكتاب ص ١٣٣ .

(٦) انظر في منصب إدارة الأموال بمصر C. H. Becker, Beitrage Zur

Geschichte Aegyptens II 142 - 148, 154 - 161

(٧) الموشح ص ٣٤٩ ؛ أما أن ابن المدبر أرسل بهذه القصيدة إلى ديك الجن الشاعر ،

المتوفى (كما في ابن خلكان ج ١ ص ٥٢٥) سنة ٢٣٥/٦ هـ ، على حين كان ابن المدبر المذكور

والياً لابن طولون على دمشق ، فهذا لا يتأتى ، لأن ابن طولون لم يستول على سورية إلا سنة ٢٦٤ هـ

وكثير الإفادة — بوجه خاص — مثل علي بن محمد الحِماني العلوي^(١) . لقد كان حفيدا لجعفر الصادق ، وابنا لمحمد الديباجة ، الذي دعا لنفسه بالخلافة في مكة سنة ٢٠٠ هـ ؛ بيد أنه غلب على أمره ، وُجِه إلى بغداد ، ثم مات بعد ذلك بقليل في منفاه بخراسان . وعلي بن محمد نشأ بالكوفة في حَيِّ بنِي حَمَّان — ومن هنا نسبته —^(٢) ، ونُصِّب في وقت متأخر نقيباً للأشراف العلويين . ولقد كان من الشعر على عرق ؛ وكثيراً ما تخطر له خواطر جيدة ؛ وكان يبكي قتلى بيته في أبيات مؤثرة ، حتى عدّه بعض الشيعة المتحمسين أشعر شعراء قرنه ؛ بيد أنه لم يتلق دراسة منتظمة في النحو ؛ وكان يستحي ، وهو كبير السن ، أن يسأل غيره ؛ ولهذا وجدت في شعره أخطاء شنيعة ، كما يقول في محيا جميل :

[في وجه ذلك أخاطيظ مسوِّدة] وفي مضاحك هذا الدرّ منشور
فالوجه أن يكون : منشوراً^(٣) . وله شعر آخر^(٤) ، ادّعاه عميد الله بن عبد الله ابن طاهر لنفسه ، يقول فيه :

* أرقّت وما ليل المضام بنأم * فيستعمل صيغة مفعول الرباعي ، المستعملة في اللغة الدارجة ، بدلا من مفعول الثلاثي : مَضِم .

وكان حال اللغة الدارجة أسوأ من ذلك كثيراً . وقد كان لا بد أن ينحط مستواها إذ كان عوام الأتراك هم أصحاب الكلمة في القصر . فقد وصل الأمر أخيراً إلى أن صار الوزير نفسه يتكلم اللغة الدارجة : روى أن إسماعيل بن بلبل ، الذي ولى الوزارة في حكم المعتضد ، من سنة ٢٦٥ — ٢٧٧ هـ قال في أحد المجالس : قد كان أنفي ، بضم الهمزة ، بدلا من : قد كان نفي . وقد أضاف خصمه ابن ثوبان

(١) السعدي ج ٧ ص ٣٣٦ — ٣٤٢ .

(٢) كذلك في البصرة نسب من سكن في حَيِّ بنِي حَمَّان وإن لم يكن منهم ، إليهم ؛ انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٣) الموشح ص ٣٤٦ وهو يجوز أن يكون خيراً تعلق به الجار والمجرور ، والدر مبتدأ .

(٤) الموشح ص ٣٥٦ .

إلى كلامه : في الخُرء ، بصوت غير مسموع ، كما لو كان قد قال : قد كان أنفي
في الخُرء^(١) ؛ وجلب على نفسه بذلك ازدياد كره الوزير إياه . واستعمال صيغة
الرباعي بدلا من صيغة الثلاثي ظاهرة مألوفة في اللغة الدارجة ، بحيث لم يزل
البصريون والكوفيون ، منذ عهد الأصمى وقطرب ، يعالجون دائما موضوع فعلت
وأفعلت^(٢) . وبطبيعة الحال كانت هنا أيضا فروق عظيمة في طريقة التعبير اللغوي
ترجع إلى التريسة ، والنسب ، والمركز الاجتماعي . فرجال ، كاطاهر يمين ، كانوا
لايزالون يلقون باطراد وزناً للغة الفصيحة . وقد كان جدهم طاهر بن الحسين (١٥٩) —
٢٠٧ هـ) خراسانياً ، ولغته الأصلية الفارسية ؛ ويروى أن آخر ما قاله هو : دَرَمَرَج
نيز مَرْدِي قَايَدُ^(٣) (حتى في الموت يجب أن يكون الإنسان رجلاً) . وروى إسحاق
ابن إبراهيم الموصلي ، الذي عُمِّرَ طويلاً (١٥٠ — ٢٣٥ هـ) ، على لسان إسحاق بن
إبراهيم المصعبي ، من رهط طاهر المذكور ، أنه قال بالفارسية في قصيدة له من أخريات
قصائده : * يامرْدُ مَي خَرَه^(٤) * (يارجل اشرب خمرا) . وإلى جانب
هذا تمكن طاهر من العربية تمكناً تاماً باللسان والقلم . وقد اشتهرت بصورة خاصة
رسالته يهنئ المأمون عند دخوله إلى بغداد^(٥) ، وكتاب مطول له حافل بالنصائح
الغالية لابنه عبد الله عند ما نُصِّبَ هذا والياً على ديار بكر^(٦) . ويروى أنه استاء
أشد الاستياء عند ما خاطبه أحد الكتّاب بعبارة سقيمة ملحونة^(٧) . والآن ، بعد
جيلين من ذلك العهد ، كان حفيده محمد بن عبد الله (٢٠٩ — ٢٥٣ هـ) يحتسب
في عداد أعلم الرجال وأوسعهم ثقافة في الدولة . ولما دعاه المتوكل إليه سنة ٢٣٧ هـ

(١) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٣٩ .

(٢) انظر الفهرست في أخبار النحويين واللغويين وأسماء كتبهم في الفنون الثلاثة من المقالة الثانية

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٠٦٣ .

(٤) الأغاني ج ٥ ص ٨٥ .

(٥) الفهرست ص ١٧٠ .

(٦) ذكره الطبري : تاريخ ج ٣ ص ١٠٤٦ — ١٠٦٢ ؛ ابن أبي طاهر : كتاب بغداد

ص ٣٦ ؛ ابن الأثير ج ٦ ص ٢٥٨ .

(٧) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٤ .

من خراسان إلى العراق ، ولأه ولاية مضاعفة ، إذ جعله والياً على الشرطة ببغداد ،
 وقياً على الجزية والخراج ؛ ولما كان نزيهاً في علاقاته ، واثقاً من نفسه ، لبقاً
 في مواقفه ، وإلى ذلك مساعراً حلول الحديث ، فسرعان ما انتهت إليه الكلمة
 في مجتمع القصر . ولقد كان يقيم وزناً للغة المتخيرة ؛ وأخذ مرة حاجبه محمد بن أبي عون
 مازحاً له ، على كثرة استعماله لفظ : قد ، في البيتين التاليين اللذين بعث بهما إليه
 مع أنوار من بستانه وريحان :

قد بعثنا بطيب الريحان خير ما قد جنى من البستان
 قد تحيّرته لخير أمير زانه الله بالتقى والبيان

[حيث وقع على ظهر رقعته :

عون ياعون قد ضللت عن القص د وعميت عن دقيق المعاني
 حشو بيتيك « قد و قد » فإلى كم؟ قدك الله بالحسام اليماني ^(١)

ومع هذا فقد كان محمد بن عبد الله نفسه متوتر العلاقة مع قواعد النحو ، مثد
 في قواعد أسماء العدد ، فهو لم يكن يكتب : ألف درهم واحدة ، فحسب ، بل كان
 يغير الصيغة على هذا الوجه أيضا كلما وقعت عينه على التعمير الصحيح : ألف
 درهم واحد ، في كتاب ، بل وكان كتابه إذا أنكروا ذلك عليه يُغلظ عليهم ويهابونه
 فلا يبتدئونه فيه بشيء ، ولم يستطع إلا ثعلب (٢٠٠ — ٢٩١ هـ) أن يرشده
 — عرضاً — إلى الصواب ، حينما علم بذلك ؛ فقد أخبره الأمير يوماً أن القراء ألف
 كتابه : البهي ، لعبد الله أبيه ، بأمر من طاهر جده ، فدكره ثعلب بكتاب :
 المذكر والمؤنث ، الذي ألفه القراء أيضا لآل طاهر ؛ ولما سأله محمد — دون شعور —
 عن موضوع هذا الكتاب ، تعلم ، بهذه المناسبة ، من ثعلب ، أنه ينبغي أن يقال :
 ألف درهم واحد ^(٢) . وأسوأ من هذا أن أخاه سليمان بن عبد الله — صاحب الشرطة

(١) الموشح ص ٣٤٩ فا بعدها .

(٢) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ١٣٧ .

بيعداد ٢٥٥ — ٢٦٥ هـ — صاغ مثنى لاسم العدد : عشرون ، في شعره :

* وقد مضت لي عشرونان ثنتان ^(١) *

كما أن آخر الناهين من الطاهريين ، وهو الرفيع الثقافة : عميد الله بن عبد الله (٢٣٣ — ٣٠٠ هـ) — كان نابه الذكر في تلحين الأغاني بوجه خاص ^(٢) — جلب لنفسه المؤاخذة على شتى أنواع التساهل في أشعاره ، مثل استعمال : رضى ، بالإشباع بدلا من فتح الياء ^(٣) .

هذا ، فالتربية النحوية ، والإلمام الراسخ باللغة الفصحى ، لم يكونا بعد إذ ذاك حتى في الأوساط الراقية للمجتمع الإسلامى ، أمراً مفهوماً بالبداهة ؛ فقد صار الكلام على طريقة البدو ، أى بالمحافظة على جميع ظواهر الإعراب — الأمر الذى كان يعد فى القرن الثانى منتهى التقريظ لتعبير أحد البلغاء — يعتمد نسجاً على الطراز القديم الذى لايساير روح العصر . ولما زار الخليفة المعتضد مدينة البصرة سنة ٢٨٣ هـ مع وزيره القاسم بن عبد الله ، استقبله أعيان المدينة وجم غفير من الشعب على القوارب والسفن . وقد تقدم إذ ذاك أبو خليفة الجمحى الطاعن فى السن (حوالى ٢٠٥ — ٣٠٥ هـ) ابن أخى العلامة اللغوى : ابن سلام الجمحى ، وتلميذه ، فألقى شكائته بحضرة الخليفة من البلاء الشديد الذى قاسته المدينة من ثورة الزنج ، فى لغة من ذلك الطراز القديم البالى — إذ اعتاد الإعراب منذ صباه ، حتى صار فطرة ثانية له — بحيث دُهِش جميع الحاضرين ^(٤) . كما أثبت أبو خليفة أيضاً أنه لغوى مترمّت ، باعتراضه على استعمال الكلمة الفارسية : هَم ، بمعنى أيضاً ^(٥) . ومع هذا ، فليس أوضح دلالة على تلك الهوة السحيقة ، التى قامت فى حياة الفكر على ممر القرن الثالث — التاسع ،

(١) موشح ص ٣٥٧ .

(٢) أغاني ج ٨ ص ٤٤ — ٥٥ .

(٣) الموشح ص ٣٥٧ .

(٤) السعوى (١٣٤٦ هـ) ص ٣٥٧ .

(٥) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٩٤ .

بين العربية القديمة الفصحى ، والعربية المولدة الآخذة في الانتشار ، من أن النحويين أنفسهم في ختام القرن المذكور ، لم يكونوا يستعملون اللغة الفصحى في مسامراتهم ومحاوراتهم .

فها هو ذا ثعلب (حوالى ٢٠٠ — ٢٩١ هـ) لم يجر في محاضراته على قواعد الإعراب ، إذ كان يدخل المجلس ، فيقوم له تلاميذه ، فيقول لهم : أقعدوا ، بفتح الهمزة ^(١) ، كما في اللهجة الدارجة إذ ذاك ؛ بيد أن العالم المحدث الكبير : ابراهيم الحرابي (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) لم يجد في ذلك شيئاً ^(٢) . ولم يراع ثعلب النحو حتى في رسائله ؛ فقد كان إذا كتب كتاباً إلى بعض إخوانه من أصحاب السلطان لا يخرج عن طبع العامة ^(٣) . وعلى الرغم من ذلك ، كان ثعلب أبرز ممثلى مدرسة الكوفيين في عصره . وكتابه : الفصح ^(٤) ، الذى يحتوى فى ترتيب واضح ، وأسلوب مختصر ، على طائفة كبيرة من قوالب اللغة الفصحى التى كانت تهددها إذ ذاك قوالب أقل منها فصاحة ، أو قوالب من لغة العامة ، هو من أكثر الكتب الأساسية فى مبدأ « تنقية اللغة العربية » تداولاً بين القراء . وكان له تأثير باقى الأثر بعيد الخطر ، بعد قرون طويلة ؛ على الرغم من سوء حكم ابن الأثير عليه ^(٥) . وروى عن نحوى آخر فى هذا العصر ، هو الكوفى محمد بن الحسن الأحول أنه كان لحاناً يستعمل صيغاً من لغة العامة ؛ وقد سمعه نفظويه (٢٤٠ — ٣٢٣ هـ) يقول مثلاً : لم يزلوا بدلاً من : لم يزلوا ^(٦) .

وهذا هو الأخفش الأصغر (حوالى ٢٣٥ — ٣١٥ هـ) الذى اشتهر قبل كل شىء بإخراج كتاب الكامل لأستاذه المبرد ، وكتاب النوادر لأبى زيد ، يستعمل الاسم

(١) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ١٢٩ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٠٦ .

(٣) ياقوت إرشاد ج ٢ ص ١٤٢ .

(٤) نشره : J. Barth ، فى Leipzig 1876

(٥) المثل السائر ص ١٧٥ .

(٦) ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٣١٦ .

المنسوب ، في شعر نظمه ارتحالاً ، كما لو كان غير متمكن من الإعراب^(١) ! وقد فعل
مثلاً ذلك أيضاً — على غير أهبة واستعداد — معاصره المفجّع ، (المتوفى ٣٢٧ هـ) ؛
على حين أنه راعى التنوين في إحدى قصائده الفاخرة مراعاة دقيقة^(٢) .
وبهذا توطد الحد الفاصل ، أيضاً في الأوساط المثقفة — بصورة حاسمة —
بين العربية الفصحى التي صارت منذ ذلك العهد لغة العلم والأدب ، والعربية المولدة
الدارجة ، حوالي نهاية القرن الثالث .

(١) ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٢٢١ .

(٢) ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٣١٩ .

عربية الأدب في القرن الرابع الهجري — العاشر الميلادي

أخذ النمو والانتشار اللغوي، في مجرى القرن الثالث — التاسع، يطارد العربية الفصحى التي نظم النحاة قواعدها، والتي قامت على أساس لغة الأعراب، ويمعس في عزلها باطراد من جميع مناطق اللغة الدارجة. بيد أنها ظلت في الأدب الملكة المتوجة التي أقسم لها يمين الطاعة كل من ادعى إلى الثقافة بسبب أو نسب. لقد منحت كل أثر أدبي ثوبه اللائق به، وإن كانت فروق الأسلوب بين الشعر الرفيع، وأبيات الفرص والمناسبات؛ وبين النثر الفني الممتق، وأدب المسامرة والمحاوره؛ وبين كتابة العلماء، وكتب الأدب الاختصاصي؛ قد صبغت التغيير اللغوي بشق الأصباغ والألوان. بيد أنها مع ذلك كله لم يعد يسمع رنينها في الخطاب الحي. وإن لهجات الأعراب أنفسهم لتعدّ، إلى جانب خلوصها المضاهي للقديم، خشنة غير مهذبة. وعلى الرغم من ذلك فقد تركت — لأنها وحدها كانت ذات قواعد ثابتة، ومعايير مقدّرة — أثراً خفياً في اللفظ المنطوق، وإن كان مختلف الصور بحسب درجة المتكلم من الثقافة، وباختلاف الوسط الذي يتردد فيه اللفظ.

والنتائج، التي ترتبت على النمو اللغوي المذكور بالنسبة للأسلوب، أبرزها قدامة بن جعفر في الحد الزمني الفاصل بين القرنين الثالث والرابع، في كتابه: نقد النثر. إنه يتحدث، لا عن رأى نظريّ فحسب، بل لقد استفاد من التجارب العملية لكتاب لم يزل يتردد في أوساط الخدم الديوانية بدار السلام، ويترقى إلى أن صار كاتب الدولة في إحدى وزارات بغداد، وعرف ما يُنتظر من كاتب جيد الأسلوب، وهو يفرق في الأسلوب بين السخيف الملحون، والجزل الفصيح (ص ١٢٠)؛ فهذا من سمات الطبقات الحصيصة المثقفة من العلماء والحكماء، وذلك من كلام

الرّعاع والعوام ، إلا أن الحكماء ربما استعملته في خطاب من لا يعرف غيره طلباً وإلفهامه ؛ وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز أن يستعمل فيه غيره ، وهو حكاية النوادر والمضحك وألفاظ السخفاء والسفهاء ؛ فإنه متى حكاها الإنسان على غير ما قالوه خرجت عن معنى ما أريد بها ، وبردت عند مستعملها ، وإذا حكاها كما سمعها وعلى لفظ قائلها ، وقعت موقعها وبلغت غاية ما أريد بها (ص ١٢٠ س ٤-٨) .

أما في الصّلات بين الخاصة والعلماء ، والعرب الفصحاء ، والكتاب الأدباء ، فالمقام للأسلوب الجزل ، وهو يُتعلّم بمجالسة الأدباء ، ومعاشرة الخطباء ، وحفظ أشعار العرب ومناقلاتهم ، والختار من رسائل المولدين الأدباء ومكاتباتهم . وللمران على ذلك ينبغى التبكير بتعليم الأولاد كتابة الرسائل ، ورواية أشعار القدماء ، وحفظ القرآن (ص ١٢٠ أسفل الصفحة) .

كذلك يتخذ قدامة موقفاً خاصاً تجاه خلوص اللغة ، واللحن فيها : فهو يرى أن الفصاحة الكاملة ، وصحة الإعراب ، لا تتم إلا لأعرابي بدوي نشأ حيث لا يسمع غير الفصاحة والإصابة ، فيتكلم حسب عادته وسجيّته . نعم قد فقد بعض هؤلاء قوة السيطرة على لغتهم ، فوقعوا في اللحن لقربهم من الحاضرة ، ونزولهم على طريق السابلة ، فسقطت عند أهل اللغة منزلتهم ، ودُبعت ورُفضت لغتهم . أما الأعراب الخُلص فإنهم متى خوطبوا باللحن لم يفهموا . وفيما عدا هؤلاء لا توجد اللغة الفصيحة إلا عند المولدين الذين تأدبوا ونظروا في النحو واللغة ، وأخذوا بهما أنفسهم ، ومرروا عليهما لسانهم حتى صار ذلك عادة لهم . أما لغير هذين النوعين فليس يصح إعراب ، ولهذا كثّر الخطأ في النحو ، وانتشر اللحن ، بحيث أصبح مغتفراً بوجه عام .

نعم يرى قدامة أنه يجب أن يُستعمل اللحن ويُتعمد له عند الرؤساء والملوك الذين يالحنون ولا يعربون ؛ فإن الرئيس والملك لا يجب أن يرى أحداً من تبعائه فوقه ؛ ومتى رأى أن أحداً منهم قد فضله في حال من الأحوال نafسه وعاداه

وأحب أن يضع منه ؛ كما صوّب قداة رأى رجل تكلم في مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون ، فلحن ، فعوتب على ذلك ، فقال : لو كان الإعراب فضلاً لكان أمير المؤمنين إليه أسبق (ص ١٢٤) ؛ كما يذكر أن اللحن قد يستملح من الجوارى والإماء ، وذوات الحداثة من النساء ، لأنه يجري مجرى الغرارة منهن وقلة التجربة . وفيما عدا ذلك يطالب ، إذ كان من المتزمتين من رجال اللغة ، أن يتحرى الكاتب تجنب اللحن ، على الأقل في اللفظ المكتوب ، الذي لا يغتفر فيه اللحن ؛ لأن الطرف يتكرر فيه ، والروية تجول في إصلاحه ؛ وليس كمثل الكلام الملفوظ الذي يجري أكثره على غير روية ولا فكرة (ص ١٢٤ س ٤) .

وقد أضاف قدامة إلى مطالبه النظرية في « نقد النثر » الإرشاد العملي إلى الأسلوب الجزل في كتابه « جواهر الألفاظ ^(١) » . ففي المقدمة (ص ٨٠٢) يبين في لفظ قليل دال ، المطالب التي ينبغي أن تتحقق في الأسلوب الجزل ، ويوضح أقواله بأمثلة أحسن اختيارها .

ولما كان يعيش في عصر شهد النثر المسجوع فيه باكورة ازدهاره ببغداد ^(٢) فقد رأى من الطبيعي أن يستخدم الكاتب النثر السجع من حيث هو أداة من أدوات الأسلوب ، وألقى وزناً راجحاً لكمال الأسلوب من حيث الغالب : ففي الترتيب ينبغي أن تكون الألفاظ متساوية البناء ، متفقة الانتهاء ، سليمة من عيب الاشتباه ، وشين التعسف والاستكراه ، يتوحى في كل جزأين منها متوالين أن يكون لهما جزءان متقابلان : يوافقانها في الوزن ، ويتفقان في مقاطع السجع ، من غير استكراه ولا تعسف ، كقول بعضهم : « حتى عاد تعريضك تصريحاً ، وصار ترريضك تصحيحاً » .

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .

(٢) انظر : Mez die Renaissance des Islames 231

وينبغي أن يتسق البناء والسجع ، أساقفاً فنياً دقيقاً ، كما في الحديث المنسوب إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] أنه قاله لجرير بن عبد الله البجلي (١) :

« خير الماء الشَّيم ، وخير المال الغنم ، وخير المرعى الأراكُ والسَّم ، إذا سقط كان لَحِيناً ، وإذا يَبَسَ كان دَرِيناً ، وإذا أُكِلَ كان لَبِيناً » .

كما ينبغي اعتدال الأوزان ، كما في قولك : « اصبر على حرِّ اللقاء ، ومَضَضِ النزال ، وشدة المِصاع ، ودوام المِراس » . على حين أنه لو قال : على حر الحرب ، ومضض المنازلة ، وشدة الطعن ، ومداومة المراس ، يفقد ذلك التوازن .

وإن كان قدامة لا يكتفى قط بهذه المطالب المتعلقة بالأسلوب السطحي ، بل يعني أيضاً عناية فائقة بالموضوع . فمثله الأعلى هو الانسجام بين القلب والمادة ، وهذا الانسجام يظهر أولاً في صحة التقسيم بحيث يتعاقب التعبير اللغوي تماماً مع مجرى التفكير دون نقص ولا زيادة .

وفوق هذا يفترض هذا الانسجام أن يكون كل مقطع جزءاً من المعنى ، ويستقل في ذاته (توفير تمام الأقسام) ، كما أن الجمل المترادفة تتقابل أيضاً في التفكير (تصحيح المقابلة) ؛ كما في المثال : « أهل الرأي والنصح ، لا يساويهم ذوو الأفن والغش ؛ وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة ، كمن جمع إلى العجز الحياة » .

وكذلك في وسائل التعبير ينصح قدامة ، إلى جانب ما يتصل بالقوالب ، كمرعاة الاشتقاق في الجناس مثلاً ، استخدام ما يتعلق بالمعنى أيضاً ، فيبرز الفكرة إبرازاً جميلاً كالاستعارة ، والمبالغة ، والتمثيل ، وما سُمّاه : إرداف الواحق ، وهو نوع من الكناية فسره بأن تراد من اللفظ دلالة على معنى ، فلا يؤتى باللفظ الخاص بالدلالة على ذلك المعنى بنفسه ، بل بلفظ هو ردفه وتابع له ضرورة ، ليكون ذلك التابع دلالة على المتبوع .

حقاً يحمل النثر الفني في طبيّته دائماً مظنةً تغلب الأسلوب اللفظي على تسلسل

(١) كثر العمال ج ٨ ص ٤٤ ؛ السيوطي : الجامع الصغير ، وهو ينقله عن : غريب الحديث

لابن قتيبة .

الأفكار واتصالها . وقدامة نفسه لم يحتط لذلك ، بل ساعد عليه — من حيث
لا يشعر — على الرغم من شدة حرصه على الانسجام الحقيقي بين الصورة والمادة ،
إذ جعل مكاناً في وسائل الأسلوب لكل من : « العكس » في نظم البناء ، أى صوغ
الألفاظ ، و « تكافؤ » المعانى فى المقابلة والتوازي من جهة اللفظ أيضاً ؛ ففي كلتا
الحالتين يخضع المعنى للفظ ، ويكون موقوفاً عليه ، صادراً عنه ؛ فمثل : اشكر من أنعم
عليك ، يقتضى فى العكس : وأنعم على من شكرك ؛ ويبقى بعد هذا النظر فيما إذا
كان ذلك التعبير ذا معنى مقبول . وقد تتولد أفكار عميقة على هذا النحو ، كما تدل
عليه الجملة التى ذكرها قدامة عن عمرو بن عبيد : اللهم أغنى بالفقر إليك ، ولا تفقرنى
بإلاستغناء عنك .

والأمر كذلك فى حالة « التكافؤ » ، إذ يعين عنصر المقابلة فى الألفاظ مادة
التفكير ، كما فى قوله : كدر الجماعة ، خير من صفو الفرقة ؛ فإن التركيب الأول
بكلا شقيه ؛ يتطلب التركيب الثانى بكلا شقيه أيضاً . وهذه الجملة تفيد — على سبيل
الاتفاق — معنى مقبولاً ، ولكن الأمثلة الأخرى التى ساقها قدامة تدل على مبلغ
المسخ غير الطبيعى للأفكار ، الذى تؤدى إليه هذه الوسائل اللفظية ، إذا رفعت
إلى مرتبة المبدأ والمذهب فى الأساليب .

فمثلاً تستدعى صورة الممدوح الذى يحصد بسيفه من يكفر نعمه ، عكس هذه
الصورة ، أى أن يزرع بنعمه من يشكره : إنما هو مالك وسيفك ، فازرع بهذا
من شكرك ، واحصد بهذا من كفرك .

وهنا تظهر الخطوات الأولى لذلك التطور الذى جعل النثر العربى المسجوع
يتحول إلى تلاعب لاطائل تحته بالألفاظ الجوفاء ، ينمى تورمه وانتفاخه كل فكرة
طبيعية نمواً غير طبيعى ، ويهوى بها أخيراً إلى الفناء .

وعلى أثر هذه المقدمة يسوق قدامة فنونا وألوانا من المترادفات العربية ، على
أنها مادة الكتاب الأساسية ، تجمع فى ترتيب عملى تلك الألفاظ التى يجوز لصاحب
الأسلوب الجيد أن يستخدمها .

على أن وضع الكنز اللغوى فى ترتيب عملى لم يكن فكرة مبتكرة ، ولا سنة جديدة ؛ فمنذ القرن الثانى — الثامن ، وضع كثير من العلماء شتى الموضوعات لعلم المفردات ، وجمعوا الكنوز اللغوية الخاصة فى مجموعات متفرقة . ولكن موازنة بين كتاب قدامة ، وبين المترادفات الناصحة تمام النضج إبان القرن الثالث ، فى « كتاب الألفاظ ^(١) » لابن السكيت الكوفى ، تدل ، مع التوافق التام المتجلى فى تشابه المادة وتوافق الغرض ، على فروق عميقة الصدى على الرغم من ذلك .

فابن السكيت يجمع فى طائفة من الموضوعات — يبدو أنه لم يمل عليه اختيارها نظره إلى الحاجة العملية لاستعمالها — ذلك الكنز اللغوى الخاص من لغة الأعراب البدويين ، ويذكر فى ذلك كثيرا من العبارات الغربية ، النادرة ، الخارجة عن دائرة الاستعمال ، مع كثرة استشهاده على ذلك ، إلى جانب الشعر القديم ، بأدب الأراجيز . على حين أن قدامة الذى يعرف الضرورات العملية حق معرفتها ، يقتصر على الكنز اللغوى العام بالمستوى الذى يحتاج إليه الكاتب الإدارى فى القسم الأعظم من رسائله الرسمية ، ويختار الموضوعات التى تتفق عناوينها المختلفة مع ذلك الغرض طبقاً لذلك . يضاف إلى هذا انتقائه فى كل موضوع ألفاظاً وعبارات مطابقة للمقاييس الشديدة المتزمتة فى مذهبه اللغوى المتطرف .

وبينما يعرض ابن السكيت مجموعة زاخرة بماء الحياة ، ومادة دسمة قوية من لهجات الأعراب الحية ، حتى فى باب الفحش والسباب ، ويستمد من نبع لغوى معين ، أجرت سلساله فرص الخواطر وانفعال مختلف المؤثرات ؛ إذا بنا لا نجد عند قدامة لفظاً بعيداً ، ولا استعمالاً غريباً ؛ بل كلمة نائية غير شريفة ، أو عبارة مستهجنة غير متخيرة ، ولا متنخلة . بل عملياً واقعياً ينظم قدامة فى سلك كل عنوان ما يصح ويحسن فى نظره من الألفاظ والعبارات ، واضحة مستنيرة بعضها إلى جانب بعض ، مع الاختصار فى سياق الشواهد والمصادر وكثيراً ما يعرض فى ذلك أسجاعاً مزدوجة

(١) أخرج فى صورة كتاب : « تهذيب الألفاظ » للتبريزى ، بيروت ١٨٩٦ — ١٨٩٨ .

الكيمياء يقتصر المراجع على استخدام اللفظ الذي يحتاج إليه ، بل ليجد كذلك لفظاً آخر ينتظم معه في قرآن .

ولم يكن قدامة — أيضاً — أول من كتب مترادفات عربية لسد حاجات الكاتب العملية ؛ فهو ينقد في عبارة مختصرة من المقدمة ، كتاباً على هذا الطراز يبدو أنه ظهر قبل ذلك بقليل . ويستطيع القارئ بسهولة — وإن لم يصرح بما يعنى — أن يعرف في ذلك « كتاب الألفاظ الكتابية ^(١) » لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني . ففي الباب الأول من ذلك الكتاب توجد جميع الأمثلة التي نقدها قدامة في مقدمة كتابه . وفوق هذا يظهر في كلا الكتابين ، وفي الترتيب الاختياري الذي سلكاه ، توافق بعيد المدى ، بحيث إنه لا بد أن يكون أحدهما متوقفاً على الآخر ، إذا لم نركن إلى افتراض أنهما جميعاً يتبعان نظاماً واحداً لكتاب مشترك بينهما ، على الرغم من أنهما لا يتساويان في الحجم ، وأنهما أيضاً في الموضوعات المتشابهة التي يعرضان لها ^(٢) قد اختارا عناوين تختلف تماما في مدلول ألفاظها .

ويظهر أن الهمداني كان معاصراً لقدامة أكبر سناً منه ؛ إذ كان كاتباً ^(٣) لسكر بن عبد العزيز بن أبي دلف ^(٤) الذي مات في طبرستان ٢٨٥ هـ . وكانت وفاته في سنة ٣٢٧ هـ . وكتاب الألفاظ الكتابية لم يبق على صورته الأصلية ، بل تبدو فيه زيادات ترجع إلى النحوي ابن خالويه ^(٥) (المتوفى ٣٧٠ هـ) ، ولكن لا على أنها تجديد أو تميم للكتاب ، بل مجرد تعقيبات ^(٦) وتصحيحات ^(٧) .

(١) بيروت ١٨٨٥ .

(٢) عارض قدامة : جواهر الألفاظ ص ٢٧ — ٤٥ بالألفاظ الهمداني ص ٥ — ٢٢ ؛ وقدامة ص ٥٢ — ٨٣ بالهمداني ص ٢٨ — ٤٦ وقدامة ٣٦٢ — ٣٦٨ بالهمداني ٢٤٥ — ٢٥٦ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٨٥ .

(٤) الفهرست ص ١٩٧ .

(٥) هكذا في ترجمته التي كتبت في نسخة بيروت مع ملاحظة أنه قيل أيضاً غير ذلك .

(٦) مثل ص ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ من الألفاظ الكتابية .

(٧) انظر الألفاظ ص ٢٠٣ س ١ — ٤ ؛ ص ٢٠٦ س ٦ — ١٤ ؛ ٢٦٧ س ٨ — ١٤ .

(٨) انظر الألفاظ ص ١٠٢ ، ١٠٤ ، ٢٧٥ .

ويؤخذ من المقدمة أن الباعث للمؤلف إلى تأليف كتابه هو أنه وجد من المتأخرين في الكتابة قوماً أخطأهم الاتساع في الكلام ، فهم متعلقون في مخاطبتهم وكتبهم باللفظة الغريبة ، والحرف الشاذ ، ليميزوا بذلك من العامة ، ويرتفعوا عند الأغبياء عن طبقة الحشو ؛ ووجد آخرين قد توجهوا بعض التوجه ، وعلواً عن هذه الطبقة ، غير أنهم يمزجون ألفاظاً سيرة قد حفظوها من ألفاظ كتاب الرسائل ، بألفاظ كثيرة سخيفة من ألفاظ العامة ، استعانة بها ، وضرورة إليها ، لخفة بضاعتهم . ولمساعدة كلتا الطائفتين جمع طائفة من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس ، السليمة من التععير ، المحمولة على الاستعارة والتلويح ، الجارية على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة ، دون مذاهب المتشدين والمتفاحين ، من المتأدين والمؤدبين المتكلفين .

وهو يريد بهذا أن يرسم نماذج من كتب الرسائل وأفواه الرجال ، وعرصات الدواوين ، ومحافل الرؤساء ؛ أى صوراً تحتذى لا في كتابة الرسائل الخاصة فحسب ، كالتهنائي والتعازي والبشارة ، والوعد والوعيد ، والاحتجاج والاختصار ، والتذكيرة ، والإنذار ، والاعتذار ؛ بل كذلك في كتابة الرسائل الرسمية والوثائق ؛ ما لم يكن موضوعها ذا طابع فني خاص .

وكتابت « قدامة » يحتوى أيضاً كتاب الهمذاني ، في أبوابه الستة والستين ، والثلاثمائة ، على عبارات الأدب الجزل بصورة تجمع في كل باب ما يتصل بناحية معنوية معينة من المترادفات ، وصيغ الاستعارة ، والأمثال . ونُثرت الشواهد في الكتاب باقتصاد . وأحياناً تساق حكمة مثالية لعظيم ، أو آية من القرآن ، أو حديث للرسول [صلى الله عليه وسلم] . والنصوص النحوية جدّ نادرة . وقد يجذر من عبارة مستكرهة بقوله : لا يقال ^(١) ؛ أو قوله مثلاً ^(٢) : كاد يفعل

(١) مثل ص : ٢١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٦٤ .

(٢) ص ٢٢٣ .

ذلك ، وكاد أن يفعل لغة ضعيفة ؛ أوقوله مثلاً^(١) : « أغلفة السيف » غير مستعمل ؛
وينبغي أن يميز المرء بين الإفراط والتفريط^(٢) .

أما أن كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني قد جمع أصنى لآلىء الإنشاء
في صفحات قليلة ، فقد صرح بذلك الصحاح بن عبّاد ، الذي كان هو نفسه أحد
كبار الكتاب في القرن الرابع ؛ ولكن أدعى إلى الدهشة ذلك اللوم الذي عقب به
على ذلك المدح : لقد جمع شذور العربية الجزلة في أوراق يسيرة ، فأضاعها في أفواه
صبيان المكاتب ، ورفع عن المتأدبين تعب الدروس ، والحفظ الكثير ، والمطالعة
الكثيرة الدائمة^(٣) .

وهذا الحكم ، على لسان خير ، يبين كيف أنه سرعان ما تحول النثر الفني
إلى بريق لفظي أجوف في القرن الرابع — العاشر . فليكن كتاب الهمداني قد قدم
للكتّاب ، السطحين الساذجين التفكير ، المادة اللازمة لتعبيرهم ؛ فإن سبب الانحطاط
لم يكن راجعاً إليه ، بل إلى اتجاه الذوق الأدبي في ذلك العصر ، ذلك الاتجاه
الذي أعلى مرتبة القلب على المادة ، لمجرد الإعجاب برونق اللفظ ولمعانه .

على أن هذا التلذذ الذوقي باللغة ، من حيث جرس الألفاظ ورينها ، ووزن لحنها
الموسيقى ، كان دأباً وديناً للعرب منذ عهد سحيق . ففياً قبل الإسلام كان للخطيب
إلى جانب الشاعر مقام عظيم ، إذ كان صاحب الكلمة العليا في القبيلة ، ولم يكن
من النادر أن يستخدم النثر المسجوع^(٤) . وقد كان السجع يرفع القوَّرات الانفعالية
لدى الكهان القدماء فوق مستوى اللغة العادية ؛ كما كان أداة الأسلوب التي ميزت
القرآن من ناحية الصورة ، من حيث هو كلام الله ، عن كلام الناس .
وكانت نتيجة كلتا الحالتين أن منع الأتقياء من استعماله حلية في كلام الناس .

(١) ص ١٢١ .

(٢) ص ١٤٠ وانظر : دوزى في المادة ؛ وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٨١ .

(٣) انظر ترجمة الهمداني في مطلع كتاب الألفاظ الكتابية ؛ بيروت ١٨٨٥ .

(٤) انظر : Pedersen : E1, 2, 995 .

ولكن ، كما يحوط النغمة الرئيسة السائدة في الموسيقى إيقاع دائم متنقل ، بين أنصاف الأصوات وأرباعها ، مع ما في ذلك من تعاقب مختلف الأوزان والألحان ، وتنوع نغمات الختام ، إلى غير ذلك من الترددات والتعقيدات ؛ وكما يملأ الوشى والخلى من النقش الزخرفي ، الصادر عن حرية الرسام وذوقه المقتن ، لوحات الرسم في العمارة الهندسية الخاضعة لقوانين دقيقة الخطوط ؛ كذلك وجد مثل الجمال الأعلى في الكلام المنثور أعلى درجات كماله في النثر الفني ، الذي يصور السجع فيه النقاط الثابتة الهادئة محفوفة بالترصيعات وتساقق الألحان ، واللعب بالألفاظ ، وفواصل الكلام وأجزائه المختلفة .

ولهذا علت كلمة النثر المسجوع تدريجاً على الرغم من كل الشبه والمعارضات الدينية ، وانعقد له إكليل النصر في كافة العالم الإسلامي في القرن الرابع — العاشر . ومنذ ذلك العهد لم يتنازل عن السجع كتاب نثرى يريد أن يدعى بحق من الأسلوب الفني .

وبهذا صار التعبير اللاشعوري الذي كان يوحى به التأثير النفسي العميق ، تعبيراً إرادياً محضاً ، تصوغه الصنعة والفن الرفيق . وهنا كان الأدباء الخصبو الذهن ، الذين ملكوا زمام فنيهم ، وحذقوا صنعتهم ، يصقلون ويقومون تقاف السجع لنثرهم عن تعمد وقصد .

وهذه الكتب المختصرة ، مثل كتاب الهمداني ، كانت تقدم لهم في ذلك أجلّ الخدمات .

العربية ولهجات البدو

في القرن الرابع الهجري — العاشر الميلادي

أعلن مبدأ « تنقية اللغة العربية » ، منذ أول ظهوره في مختتم القرن الأول — السابع ، لغة الأعراب مثلاً أعلى ، يجدر بالمسلم المثقف أن يتخذة قدوة وإماماً . وكانت لهجات الأعراب ، حتى أواسط القرن الثالث — التاسع ، هي النبع القراح الخالد ، الذي يستقى منه النحاة وعلماء اللغة معارفهم عن العربية الفصحى .

وبنفس المستوى الذي نضحت به طرق التعبير في العربية المولدة بين الطبقات الوسطى والدينيا على لغة المجتمع الرفيع ، تغير نظر المثقفين إلى لهجات البدو من الأعراب . بالاحتذاء التام لغة البدو ، الذي كان حتى مختتم القرن الثاني ، أسمى مطامح الحضريين المثقفين ، صار على ممر القرن الثالث نوعاً من التقعير الذي يختلف باختلاف الأحوال ، بين أن يكون مطلوباً ، أو داعياً إلى السخرية ، أو غير لائق .

وهكذا صارت العربية الفصحى ، في بداية القرن الرابع — العاشر ، لغة الكتابة قطعت جميع أشواط نموّها وتكوّينها ، ولم تعد قابلة لزيادة من النموّ الحى . قد غدت نموذجية مثالية ، وتغلب إشعاع الجمال الفنى في قواها على الفاقة الخشنة ، والعراء المستكبره ، في لهجات الأعراب المعاصرين .

حقاً لقد كانت لغة البدو إذ ذاك أيضاً في مستوى من الخلوص والنصاعة لاتدانيه لغة الزراع والحضريين ، لاسيما إذ كانت ألسنتهم لا تزال محتفظة بمظاهر الإعراب والتصرف القديمة . بيد أنه في كل مكان كثر فيه اختلاط البدو بغيرهم من طبقات السكان ، وكذلك عند تحولهم بوجه خاص إلى الإقامة والاستقرار ، وبهذا إلى

الاتصال الذي لاغنى عنه بالسكان الزراع الذين كانوا يجدونهم أية سلكوا؛ فقدت ان لغتهم من صفائها وخلوصها فقداناً كبيراً .

وإلى أي حد كانت الأحوال متشابكة معقدة ؟ هذا ما يكشف عنه بيان الهمداني (المتوفى ٣٣٤ هـ) عن العلاقات اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية حوالي نهاية القرن الثالث^(١) . فهنا كانت اللغة الحميرية الأصلية لا تزال تمعن في الاختفاء أمام عربية الشمال . ويقول الهمداني^(٢) إن اللغة الحميرية القحّة المتعقدة كانت سائدة بعد في المنطقة الممتدة من حقل قتّاب (عند يريم الحالية) إلى ذمار . وقد كانت هذه هي المنطقة المحيطة بظفار عاصمة دولة الحميريين القديمة . أما في العاصمة الجديدة للإقليم وهي : صنعاء ، ففي أهلها بقايا من العربية المحضة ، ونبذ من كلام حمير (ص ١٣٥ س ٢٥) . ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات ، لكل بقعة منها لغة ؛ لأنها كانت مدينة هامة إذ ذاك أيضاً . وعلى النقيض من ذلك يقع غربي صنعاء مركز ثان للغة الحميرية الخالصة (الحميرية المحضة ص ١٣٦ س ١) يمتد بين شبام أقيان عبر سلسلة جبال المصانع حتى جبل : تُخلى .

وكذلك كانت الحميرية كثيرة في منطقة : خيوان ، الواقعة بعيداً نحو الشمال من صنعاء إلى ناحية صَعْدَة (ص ١٣٥ س ١٥) التي كانت تسود فيها عربية الشمال . وفيما عدا هذا اختلطت الألسنة الأصلية بعربية الشمال شتى وجوه الاختلاط ، إذا لم تكن قد قضى عليها تماماً من قبل الداخلين .

وقد ضاعف من عناء الهمداني وتعبه في تصوير هذه الأخطاط من اللهجات أنه لم يكن يرى فقط أن لغة الكتابة هي القدوة والمثال ، بل كان يرى فوق ذلك أنها تصور اللغة الأصلية الخالصة البعيدة عن التغيير والتبديل ، والتي تفرعت منها تدريجاً الألسنة واللهجات التي كانت سائدة في عصره بالفساد والتحريف .

وعلى هذا النحو وحده يتضح كيف استطاع أن يفترض (ص ١٣٥ س ٢٥)

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٣٤ — ١٣٦ .

(٢) ص ١٣٥ س ٤ وفي كلمة : المتعقدة انظر الفهرس اللغوي الذي عمله : دى غوبه للكتاب .

أن صنعاء كانت فيهم بقايا من العربية المحضة ، أو أن يلاحظ أن أهل عدن لغتهم رديئة (ص ١٣٤ س ٢٤) ، وأن في بعضهم نوكا وحمافة إلا من تأدب منهم . ولا نستطيع أن نستنتج من مثل هذا الأسلوب في ملاحظة علاقات اللهجات إلا أن الهمداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو ، ويحكم عليها من حيث الفصاحة والقنمة من وجهة نظر واحدة ، هي مطابقتها أو مخالفتها للقواعد .

وهو ينظر بعد هذا ، هل هي معقدة صعبة الفهم على من خرج عن محيطها ؟ وهكذا نراه لا يفترض أن للهجتين : المهرية والشحرية ، أساساً من لغة أخرى ، بل يتعد من عربة الشمال إلى حد يتعذر معه التفاهم ؛ بل يصور سكان الشحر والأساء على أنهم قوم لا ينطقون نطقاً فصيحاً ، والمهريين على أنهم عثم يشاكلون العجم . ولا يذكر أكثر من ذلك عن لهجات حضرموت ، فهو يكتفي بأنهم ليسوا بفصحاء ، وربما كان فيهم الفصيح ، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف (ص ١٣٤ س ١٨)

وهو يعدّ فصيحة أيضاً لتلك اللهجات التي يتكلم بها في سرّو مذحج ، ومأرب وبيحان ، وحريب ؛ ففي هذه المناطق الواقعة على طريق العطور والتجارة ، التي كانت تمتد من مأرب عاصمة الدولة السبئية القديمة نحو الشمال الشرقي ، كانت اللغة الرديئة - مرة نادراً (ص ١٣٤ س ١٩) .

وكانت فصيحة أيضاً لهجة للمنطقة بين مأرب وذمار ، التي يحددها الهمداني على الصورة التالية : جبل إسبيل الواقع في الشمال الشرقي من ذمار ، وإقليم كومان المتاخم له من الشمال الشرقي أيضاً ، وإقليم الحداء المجاور له ، وجبل دقّار الواقع في منطقة مأرب ، وأخيراً منطقة « قائفة » التي تعد من منطقة « مراد » (١٣٥ س ٥) . وسكان كومان حميريون في الأصل ، ولكنهم صاروا على عهد الهمداني من قبيلة مذحج^(١) ؛ مما يدل على أن خلوص اللغة لا يرجع إلى الدم والنسب .

(١) انظر الهمداني ص ٩٢ س ٢٢ (وأصلهم حميرى وهم يتمذحجون اليوم) .

ويعد الهمداني أيضاً فيمن يتكلمون بفصاحة أقساماً من منطقة همدان^(١) وتمتد إلى الشمال الشرقي من صنعاء ومأرب حتى نجران ، وما جاور هذه الأقسام أيضاً ، حيث تسكن قبائل بلحارث في الرحبة ؛ على حين أن صنّاف بالجوف الأعلى دون ذلك في الفصاحة (ص ١٣٥ س ٢٠) .

كذلك يعد من الفصحاء سفيان بن أرحب ، وهو شعب من همدان ، على الرغم من أنهم يتخذون : أم ، بدلاً من : أل ، أداة للتعريف^(٢) . ويستعملون المثنى بالألف في جميع الحالات^(٣) .

و بنو حرب ، فخذ من همدان في بلد : وادعة ، وهم أهل إمالة في جميع كلامهم ؛ على حين أن بني عمهم^(٤) بنى سعد أفصح .

على أن المنطقة العظمى التي تغلب فيها الفصاحة تبدأ في الشمال من حدود اليمن الحقيقية عند وادعة ، وتمتد عبر سلسلة السروات على الساحل إلى غربي شبه الجزيرة .

وقد ذكر الهمداني في ص ١٣٦ س ٣ من القبائل التي تسكن هذه المنطقة التي يخرقها طريق القوافل ، بعض أفخاذ من مذحج (جنّب وزبيد) ، وقضاعة (سنحان ونهد) وأزد شنوأة (بنى أسامة^(٣) وعنز) ، ثم من خثعم^(٥) ، وهلال وعاصر بن ربيعة ؛ ثم بعد هذا مرة أخرى فصائل من الأزدي (الحجر^(٦) ودؤس

(١) يؤخذ من ص ١٣٥ س ١٩ أن هؤلاء هم : عذر ، مطرة ، نهم ، صرهبه ؛ ذبيان ، وهو مخالف لما ذكره في ص ١٢ من نفس الصفحة . وانظر في هذه القبائل : J. Schleifer, EI II 302 B .

(٢) يعد هذا من خصائص لغة اليمن : انظر ابن يعيش على المفصل ص ١٢٢٠ ؛ العيني ج ١ ص ٤٦٥ ؛ ووردت أيضاً في مسند أحمد ج ٥ ص ٣٤٣ في الحديث : ليس من امبر امصيام في امسفر « (وفي البخاري : بأداة التعريف المعتادة أى الألف واللام) ؛ ويسمى آخرون لغة حير ، وهي التسمية المشهورة .

(٣) ذكر ابن جني أن هذه لغة بلحارث ؛ انظر : O. Rescher, ZA 23 S. 23

(٤) انظر الهمداني ص ٩٠ س ١ .

(٥) انظر الهمداني ص ١٣٤ س ٢١ (ويجرون في كلامهم ويحذفون)

(٦) انظر ص ١١٩ س ٧ .

وغامد ويشكر) ، ثم من فهم فثقيف فبحيلة ، وأخيراً طائفة يسميها بنى علي .
ولكنه ينبه بوجه خاص إلى أن المجموعات التي تسكن سفوح الجبال الغربية من
هذه القبائل (تجاه تهامة) أقل فصاحة ممن يعيشون في أعلى الجبال . وكما أثر جوار
تهامة تأثيراً سيئاً في فصاحة اللغة في هذه المناطق ، أثر أيضاً نفس التأثير في إقليم
الجوف ، كما يرى الهمداني (ص ١٣٥ س ٢١) إذ يقول إن سكان الجوف فصحاء
إلا من خالطهم من جيرة لهم تهاميين .

أما أن أهل تهامة ينطقون عربية رديئة فهذا ما يستفاد بوضوح من ملاحظته
(ص ١٣٥ س ١٠) ، حيث يقول إن بلد الأشعر وعك وحكم (من بنى سعد العشيرة)
من بطن تهامة لا بأس بلغتهم إلا من سكن منهم القرى^(١) ، وكما يقول في ص ١٣٤
س ٢٥ ، يوجد قبيلتان أخريان في جوار الأشعريين ، هم بنو واقد ، الذين يعدون
من ثقيف^(٢) ، وبنو مجيد الحميريون في الأصل^(٣) ، وهما فصيحتان أيضاً .

كذلك في ناحية صعدة توجد العربية الفصيحة فقط عند بنى خولان الذين
يخيمون في السهل ، على حين أن بنى قبيلتهم الساكنين بالمنخفض (العَوْر) غُتَم
غير فصحاء (ص ١٣٦ س ٢) .

ويصف الهمداني لهجات أخرى بأنها غير فصيحة ، كاللهجات الجارية بين ذمار
وصنعاء (١٣٥ س ٢٤) . ولهجة السكاسك التابعين لكندة .

ويعد وسطاً في الفصاحة ، وإلى الأكنة أقرب ، لهجات بعض بقاع تقع
في المنطقة الجبلية ألهان وأنيس ، (غربيّ ذمار) ؛ وإلى الأكنة أقرب أيضاً
ما جاور ذلك في جبال حَرّاز ، وإن كان بينها ما هو متوسط بين الفصاحة والأكنة ؛
على أن بينها أيضاً ما هو أدخل في الحميرية المتعددة ، لا سيما في القبائل الساكنة
بمنطقة جبال الحُضُور .

(١) كرر الهمداني في ص ١٣٥ س ١٨ أن « الأشعر وعك وبعض حكم ... فصحاء » .

(٢) ص ٥٣ س ٢٥ .

(٣) ص ٥٣ س ٢٠ .

وعن الجحداب الذين يدخلون ضمن القبائل الأخيرة يقول الهمداني في ص ١٠٦
س ١٨ إن أصلهم حميري : والجحداب من حمير وقد يتهمدون .

وأبعد من ذلك نحو الشمال ، في همدان ، كما يقول الهمداني في ص ١٣٥ س ١٢
هناك إلى جانب عُذْر ، وهِنَوْم ، وَحَجُور الفصحاء ، يوجد عُتْم أيضاً مثل بعض
قُدَم ، وبعض الجَبَر . كذلك في النجد من همدان ، تسود عربية مخلوطة بحميرية
في سهلي البَوْنِ وَآخِشَب (١) .

أما ظاهر همدان ، النجدى ، أى النواحي الواقعة على الأطراف من الهضبة ،
فلغتها فصيححة .

ولهجة جُبْلان ، في المنطقة الجبلية الواقعة جنوبى جبال : أَلْهَان ، عسيرة الفهم ،
فيها تعقد ، على حين أن لهجة يَحْصِب (٢) ورَعَيْن المتصلتين بجُبْلان من جهة المشرق
أفصح من جُبْلان (ص ١٣٥ س ٢) ، على الرغم من أن الأخيرين ، وهم رَعَيْن ،
حميريون في الأصل (٣) .

وكذلك شأن العلاقات اللغوية في منطقة السكّالاع في الجنوب (ص ١٣٤
س ٢٦) : ففي نجدتها فصاحة عالية ، مع عُسْرَة من اللسان الحميرى (أى من أثر
البقايا اللغوية الحميرية فيما يظهر) . وفي سرانها أى أعاليها (المناطق الجبلية) تعقد .
وتسود اللهجة الحميرية تماماً في المناطق الواقعة بالداخل من النواحي الجبلية الوعرة
من سَرَوِ حمير ، لا سيما بين من ينتمون — دون حق — (٤) إلى جمعة بن كعب
من هوازن التى هى من عرب الشمال ، ومساكنهم في منطقة الجبال الجنوبية المرتفعة
على الطريق من عدن إلى صنعاء . ويقول الهمداني في وصف لهجتهم : ليسوا بفصحاء

(١) انظر في اختلاط سكانه : الهمداني ص ١١١ س ٩ .

(٢) كتبها Müller : يخضب بالضاد المعجمة ، انظر : ملاحظاته ص ١٠١ س ١ من
كتاب الهمداني .

(٣) همداني ص ١٠١ س ٢٣ (حيث يقول : وجميع مخلاف رعين لا يسكنه إلا آل ذى رعين الخ)

(٤) انظر الهمداني ص ٩٠ س ١ .

وفي كلامهم شيء من التحمير ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون : يابن مَعَمَّ
في : يابن العمّ ، و : سَمَعُ في : اسْمَعُ (ص ١٣٤ س ٢١) .

وأبعد من ذلك إلى الجنوب ، توجد لهجة أفصح ، في الحج ، وأبين^(١) ،
ودثينة ؛ والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم .

ويصف الهمداني لهجة السكاسك الساكنين بجوار مدينة جند ، بأنها متوسطة
(ص ١٣٤ س ٢٦) .

ولهجات جیشان الواقعة جنوبي اليمن ، وما جاورها من بقاع ، حميرية ، مثل
لهجة السرو (ص ١٣٥ س ١) .

وأخيراً في المعافر — في منطقة : تعزّ الحالية — ينطقون في سافتها لهجة فيها
عُتْمَة ، وفي عليها أفصح من ذلك (ص ١٣٤ س ٢٥ ، وانظر ص ٩٩ س ١٧) .

أما عن اللهجات التي يتكلم بها خارج اليمن ، فيكتفي الهمداني (ص ١٣٦ س ٨)
بملاحظة عامة : وأما العروض ففيها الفصاحة ما خلا قراها ، وكذلك الحجاز فنجد
السفلى فإلى الشام وإلى ديار مضر وإلى ديار ربيعة ، فيها الفصاحة إلا في قراها .

ثم ختم ذلك بقوله : فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون التبعض والتقنين
(أي دون التفصيل بذكر الخصائص الخاصة) .

هذا ، بيد أنه لم تكن مراعاة هذا التنوع للحياة اللغوية المتجلى في اللهجات هي
العامل الوحيد الذي حمل المثقفين ، منذ القرن الرابع — العاشر ، على تغيير نظرهم
إلى لغة الأعراب ؛ بل لقد كان أدعى إلى ذلك التطور هذه الحقيقة الثابتة ، من أنه
قد حل في ذلك العهد ، محل النشاط في الجمع والوصف الذي كان يقوم به علماء
اللغة التدامي ، علم للغة منظم تنظيماً فلسفياً زاد الباحثين قوة وثقة من أنفسهم .
فهذه البداهة المطلقة التي كان القرن الثاني — الثامن ، يعتمد بها كل أعرابي
فصيح على أنه قاض لغوي غير منازع ، وكان ينبغى لحكمه ، ويمثل لنطقه ،

قد تركت مكانا للروية والنظر العلمي ، الذي لم يعد — كما كان في القرن الثالث —
يكتفى بأن يعترض على صيغ واستعمالات متفرقة من لغة الأعراب ؛ بل أخذ يبحث
في نقد وتمحيص عن وجه معقول للتضاد بين لغة الأعراب وقواعد النحو .

وقد كان ابن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ) يختلط كثيراً في سنى شبابه — إذ كان
لا يزال يعيش في الموصل — بأعرابي من بنى عقيل ، هو محمد بن العساف الشجرى
الذى نالت سلامة عربيته موقعاً كبيراً من ابن جنى ، وعمل معه دراسات
في اللغة ^(١) . وعلى الرغم من ذلك فقد خصص ابن جنى في كتابه : الخصائص ، باباً
مستقلاً لأغلاط الأعراب ^(٢) ؛ ذهب فيه بالاتفاق مع أستاذه أبى على الفارسي
(٢٨٨ — ٣٣٧ هـ) إلى أن الأعراب قد يقعون في اللحن لأنهم ليست لهم أصول
يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها ، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون
به ، فرموا استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد .

وها هو ذا مثلاً ينظر إلى الكلمات : حَلَّات السويق ، بدلا من : حَلَّيت ،
ورثأت زوجى ، بدلا من : رثيت ، ولبَّأت بالحج ، بدلا من لبَّيت ، واستلَّمت
الحجر ، بدلا من : استلمت ، فلا يقدر أنها لهجات خاصة أو لغات ذات نصيب
من الصحة قل أو أكثر ، وقصارى أمرها أن يتساءل : هل يجوز للكاتب البليغ
استعمالها ؟ ولكنه يعدُّها — ببساطة — من الغلط ، لأنها تتصادم مع أصول
الصيغ والقوالب .

وبما أن لفظ : مصيبة يرجع أصله إلى : ص وب ، فمن الغلط إذاً جمعه على :
مصائب ، بدلا من مصاوب ، وإن انتشرت هذه الصيغة المقيسة على صحائف خطأ
في استعمال الأعراب اللغوى .

(١) انظر ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ١٥ — ٢٩ ؛ المشابح الحفاجى : شرح الدرر

ص ١٤٨ س ٥ — ١٢ .

(٢) ذكره السيوطى في المزهر ج ٢ ص ٢٠٨ — ٣١٠ .

وعلى عكس ذلك يمدّ : أمثلة ، جمعاً قياسياً صحيحاً للفظ : مسيل ، أى مجرى الماء ، لأنه لا يرى أنه مشتق من سال (س ي ل) ، بل من : مسل ، بمعنى : سال أيضاً .

لذلك يرى الميم فى : معين ، أى ماء جار ، أصلية ، لأنه فى نظره ليس من : العين ، بل من قولهم : أمعن له يحقه إذا طاع له به ، فكذلك الماء إذا جرى من العين فقد أمعن بنفسه وأطاع بها .

هذا وكون النزاع فى هذه الأمثلة راجعاً فى الأغلب إلى أصل الكلمة واشتقاقها لم يأت من ابن جنى عرضاً واتفاقاً ؛ فقد كان لابن جنى فى هذا الموضوع بالذات ، من حيث هو مؤسس مبدأ الاشتقاق الكبير ، رأى علمى ثابت . ولم يكن يدور بخله أن يتنازل عنه ضحيةً لاستعمالات غير المثقفين من الأعراب .

وعلى النقيض من ذلك ما وصل إلينا فى ذلك التوجع الشعرى الذى قاله عمار الكلبى يشكو من غرور النحاة وجرأتهم ^(١) :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذى ابتدعوا
إن قلت قافية بكرةً يكون بها	بيت خلاف الذى قاسوه أو ذرعوا
قالوا : لحت وهذا ليس منتصبا	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرّضوا بين عبد الله من مُحق	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتملوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طُبِعوا
ما كان قولى مشروحا لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأنّ أرضى أرض لا تُشبّ بها	نار الجوس ولا تُبنى بها البيع

ويروى أن قائل هذه الأبيات استعمل لفظ : مزعوج ، وجر بذلك على نفسه طمن النحاة الذين لا يميزون إلا : مُرْعَج . وهذا من الأحوال التى استعمل فيها مفعول التلاثل غلطاً بدلا من مفعول الرباعى ، مثل : مأثور ، بمعنى مختار ، ومتعوب

(١) ياقوت : لإرشاد ج ٥ ص ٢٦ .

بمعنى متعَب^(١) ، ومفسود ، بمعنى مفسد ، ومبغوض بمعنى مبغض .

والحالة الآنفه الذكر ذات فائدة خاصة من حيث دلالتها على أن التجديدات التي لا يزال يجري استعمالها في اللهجات الحديثة لم تقتصر على المدن ، بل ظهرت كذلك عند البدويين من الأعراب .

ومثل هذا الموقف المرتاب ، وتلك النظرة الفاقدة إزاء عريية البدويين ، ظهرت عند الأزهرى صاحب المعجم (المتوفى ٣٧٠ هـ) . لقد امتحن بالإسار عندما عارض القرامطة الحج بالهبيير^(٢) ، وكان ذلك عند رجوعه من الحج سنة ٣١٢ هـ ، وكان العرب الذين وقع أسيراً في أيديهم من قبيلة هوازن وفيهم جماعة من أسد وتيمم ، وقد ظل عندهم دهرًا طويلًا ، وصحبهم في مشتاهم ومصيفهم . وفي مقدمة معجمه « التهذيب » اعترف بأن مخالطته لهم عادت على كتابه بفائدة عظيمة ، ولكنه قرن إلى ذلك أنهم كانوا يتكلمون بطبايعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يكون في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش^(٣) .

هذا ، فمن كان يقصد إلى البدويين فإنما كان يفعل ذلك قصدًا إلى لغتهم ؛ وهكذا عاش صاحب « التهذيب » الأشهر : الأزهرى ، في القرن الرابع — العاشر الميلادى ، زمنًا طويلًا بين قبائل ربيعة ومضر^(٤) . ولا فرق في هذا بين ما تلقاه من الأعراب إذ ذاك ؛ ماداموا محتفظين بأساليب البداوة ؛ فقد حصل الخارزنجي (المتوفى ٤٠٨ هـ) على معارفه اللغوية الواسعة التي لفت بها الأنظار إليه في بغداد ، من الأعراب الذين نصبوا خيامهم بين طوس وبُست^(٥) .

(١) وردت هذه الصيغة أيضاً في النصوص النصرانية — العربية ؛ انظر : Graf

Sprachgebrauch 87

(٢) والهبيير زرود في طريق مكة كانت عنده وقعة ابن أبي القرمطى بالحاج سنة ٣١٢ هـ .

(٣) انظر تهذيب اللغة (كتب عنه : Zetterstéu, M 014,7) وياقوت : إرشاد

ج ٦ ص ٢٩٩ ؛ وابن خلكان ج ٢ ص ٣١٦ ؛ وانظر أيضاً كلام الأزهرى عن : السليقية ،

في تاج العروس ج ٦ ص ٣٨٣ س ٣٠ .

(٤) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٥) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٦٥ .

وذاك الحكم الناقد على لهجات الأعراب يرجع - قبل كل شيء - إلى أن الطبقات الوسطى من المجتمع في القرن الرابع - العاشر ، لم تعد تحوط البداوة بذلك الإطار البديع من الكلف والشغف ، والإعجاب العاطفي الشعري ، الذي كان لا يزال ، إبان القرن الثالث ، يرى في أبناء الصحراء الأحرار صوراً مجسّمة للرجولة الحقّة وجميع فضائل الإنسانية ، ومُثلاً علياً للوفاء والشرف ، والسخاء وكرم الضيافة . وحروب القرامطة الرهيبة ، التي زعزعت الدولة منذ ٢٧٧ / ٨٩٩ ، وخرّبت أقاليم برمتها ، وأشلت حركة التجارة والمعاملة ، وأعملت السلب والنهب في قوافل الحجيج ، وبلغت أخيراً في سنة ٣١٧ / ٩٣٠ ، باختطافها الحجر الأسود من حرم الكعبة الحرام بمكة ، منتهى قسوتها وفظاظتها التي اقشعر لهولها كل مسلم ؛ كل ذلك ألقى على البداوة ضوءاً آخر ، فعرضها في صورة قطعان من اللصوص الجشعين الخونة ، الناقضين للعهود ، الغلاظ الأكبّاد ، غير المثقفين ولا المهذّبين ؛ وسرعان ما غير الرأي العام نظرتة إليهم .

وقد ساق هذا جنباً إلى جنب تغير في حكم الشعور بالجمال ، والذوق الفني . ففي أيام الجاحظ كان يعدّ من أنفس المتع الاستماع إلى الأعراب الفصحاء ؛ أما في أواخر القرن الثالث - التاسع ، فيقرر ابن بسّام (حوالي ٢٣٠ - ٣٠٢ هـ) في أبيات يمتدح بها النحو ، أنه كثيراً ما سمع من الأعراب ألفاظاً مستكرهة قبيحة^(١) . ومن المعاييب التي يطعن بها صاحب بن عباد في المتنبي ، أنه يحرص على تعاطي التفاسيح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة ، حتى كأنه وليد خباء ، أو غدي باللبن ، ولم يطقاً الحضر ، ولم يعرف المدر^(٢) .

ومع ذلك فلم يكن من رأى ابن عباد أن شاعراً أيّاً كان يستطيع أن يبرز في الشعر دون إحاطة بغريب اللغة . فقد سجّل أبو حيان التوحيدى في رسالته^(٣) ،

(١) ياقوت : لإرشاد ج ٥ ص ٣٢٥ ؛ ابن رشيق : العمدة ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) ابن عباد : الكشف عن مساوي المتنبي (القاهرة ١٣٤٩) ص ١٤ .

(٣) ياقوت : لإرشاد ج ٢ ص ٣٠١ .

التي كتبها في تحقير ابن عمّاد وابن العميد ، موقفاً أنكر فيه على أحد الشعراء أن يتجرأ على قول الشعر وهو يجهل كثيراً من الغريب ، ثم سرد عليه - سائلاً - طائفة كبيرة من الكلمات النادرة المهجورة من لغة الأعراب ، كان يفخر الصاحب المعتد بنفسه إذ يحيط بمعرفتها ، فسأله عن الهَبْلَع^(١) ، وهو اللَّقْمُ الأَكُولُ والعَسَلَطُ^(٢) ، وهو اللبن الخائر الثخين ؛ والجَلَعَلَع^(٣) ، وهو القنفذ وقيل الجعل والقَهْقَب ، بتخفيف الباء أو تشديدها ، وهو الضخم المسنن ، أو الطويل الرغيب والبادنجان ؛ والقَهْبَلِس^(٤) ، وهو المرأة الضخمة ؛ والخَزَعِمَلَة ، وهي الباطل والقُدَعِمَلَة ، وهي المرأة القصيرة الخسيسة ؛ والقَرْمُوط^(٥) ، وهي ثمرة الغضى والجِرْفاس ، وهو الرجل الضخم الشديد ؛ واللَّثُوس ، وهو الرجل الذوّاق ؛ والنَعَثَل وهو الشيخ الأحمق ؛ والطَّرْبَال^(٦) ، وهو كل بناء عال .

ثم سأله عن الفرق بين العَرَم وهو الدَّسَم وبقية القدر ؛ والرَّدَم ، وهو السد والخذم ، وهو القطع ؛ والحرم ، وهو فصم الخرزة ونحوها ؛ والقضم ، وهو أكل الشيء اليابس ؛ والحضم ، وهو القطع ؛ والفضخ ، وهو كسر الشيء الأجوف ؛ والرضخ وهو كسر مثل الحصى أو النوى . والقضم وهو الكسر من غير فصل ؛ والقضم ، وهو كسر الشيء مع فصله ؛ والعَبَنَقَس وهو الرجل جدّته لأبويه أعجميتان ؛ والقَلَنَقَس^(٧)

(١) جرير : النقائض قصيدة رقم ١٠١ بيت ٤٥ .

(٢) أبو زيد : اللبأ واللبن ص ١٤٤ س ٥ .

(٣) نقل صاحب تاج العروس شرح هذه الكلمة عن ابن عباد .

(٤) انظر تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٣٧٣ .

(٥) في النسخ المتداولة ، كما في النسخة الخطية : العرموط ، وقد ذكر البستاني في محيط المحيط ص ١٤٧١ أنها صيغة شعبية لفظ : عرموط ، وهو اللص القوي والمارد الصعلوك ، ولكنه غير ظاهر هنا ، ويرى فيه صرغليوث لفظ القرموص مشيراً إلى كتاب الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ٤٦ ؛ ولكن هذا فيما يظهر تحريف مطبوع عن : قرموص ، وهو عش للحمام وعند ابن الأعرابي : قرموط ، بمعنى الحجر الذي يضع فيه الجعل بيضه .

(٦) في النسخة المطبوعة : الطربال بالياء ، وهو غلط . وطربال ورد في شعر جرير :

ديوان ص ٤٧٠ س ٣ ، وورد في شعر دكين الراجز ؛ انظر تاج العروس ج ٧ ص ٤١٦ ؛

انظر معاجم اللغة وانظر الاصلحوى ص ١٢٤ س ٧ .

(٧) في النسخة المطبوعة : والعننكس بالعين المهملة ؛ ولكن انظر في التضاد بين العبارتين

الذكوريتين ابن السكيت : الألفاظ ص ٤٨٠ والمعاجم .

أوهو الرجل أبوه مولى وأمه عربية ، والخيتعور^(١) وهو الخداع الخاتل ؛ واليستعور^(٢) وهو الباطل .

ثم سأله عن : الشُّعُوف ، وهو قمة الجبل ؛ والخُدْرُوف ، وهو لعبة للأطفال (كالنحلة) ؛ والخازون^(٣) وهو دابة تكون في الرمث ؛ والقنندر^(٤) ، وهو القبيح المنظر ؛ والجمعيل ، وهو الذي يجمع كل شيء ، وعن غير ذلك من الألفاظ البدوية التي طرحت من الاستعمال . ولكن الصاحب لم يمثل في أسئلته مبدأ « تنقية اللغة العربية » المتطرف ، الذي لا يقيم وزناً إلا للمادة اللغوية الموجودة في شعر البدويين من الأعراب ، بل نظر إلى استعمال ألفاظ الأعراب ، على أنه معضلة من معضلات الأسلوب . وربما كان استيعابه للألفاظ اللغوية المستعملة خارج محيط الاستعمال البدوي الخالص ، هو سبب الطعن^(٥) في معجمه اللغوي ذي السبعة الأجزاء : المحيط — الذي ألفه مع آخرين فيما يظهر — بأنه غزير المادة وإن كان فقير الشواهد . وما يدل على أن مبدأ « تنقية اللغة » كان بعيداً عن دائرة اهتمامه ، تلك الحقيقة الثابتة ، من أنه كان يسامر بلغة اللصوص والدجالين (مناكاة بنى ساسان) أبادلف الخزرجي ، الذي كان أيضاً شاعراً أفقاً جالس طريق ، وقدم للوزير قصيدة (القصيدة الساسانية) يصف فيها حياة الأقباقين والدجالين وسعيهم ، مع استعمال اصطلاحاتهم ورموزهم في استفاضة وتوسع^(٦) .

(١) في النسخة المطبوعة : الخيتعور ، بالثاء المثلثة وهو غلط ، وورد لفظ خيتعور مثلاً في ديوان هنديل ص ١٢٩ س ١ ؛ وفي الأغاني ج ١٥ ص ٨٥ في بيت مصنوع على آكل المرار .
(٢) ورد في شعر عروة بن الورد ؛ انظر الديوان نشر : Noldeke قصيدة ١ بيت ١٠ .
(٣) هذا اللفظ مأخوذ من المربانية ، فسره الدميري بأنه دود في جوف أنوبة حجرية يوجد في سواحل البحار وشطوط الأنهار ؛ والظاهر أن هذا المعنى كان غريباً على البدويين .
(٤) ورد هذا اللفظ في شعر أبي النجم ؛ انظر تاج العروس ج ٣ ص ٥٠٤ ، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٢٤٦ (دون تسمية الفائل) ؛ وفي النسخة الخطية القنندر بالفاء قبل الف ، وقد رأى مخرج الكتاب أنه محرف عن قنندر بالدال ، والصواب : قنندر بالراء كما ذكر .
(٥) حاجي خليفة : كشف الظنون (ستانبول) ١٩٠١ ج ، ص ٣٩٦ .

(٦) نحو مائتي بيت من الشعر ذكرها الثعالبي في اليمامة ج ٣ ص ١٧٦ ؛ وانظر في هذا : Goldziher, Muh. Studien 2, 165, Mez, Renaissance des Islames 238

ولكن على حين يرى ابن عبّاد معرفة غريب اللغة أمراً لا مناص منه ، يرى أبو حيان في تعقيبه على الموقف الذي صوره آنفاً^(١) ، أن أحداً لا يهتم بمثل هذه الألفاظ غير ابن فارس ، أستاذ ابن العميد ، وأن الشاعر لا يصنع بمثل هذه الألفاظ شيئاً . وماذا بين الشاعر وهذا الضرب من الألفاظ ؟ الشاعر يطلب لفظاً حراً ، ومعنى بديعاً ، ونظماً حلواً ، وكلمة رشيقة ، ومثلاً سهلاً ، ووزناً مقبولاً .

فالسهولة والرشاقة ، والصقل والانتقاء ، هي المطالب التي تتوخى في الأسلوب البليغ . وهذه الأمور تعد معايير في النثر كما في الشعر ، أي في جميع النتاج اللغوي الفنى لذلك العصر الإسلامى الأوسط ؛ وهي مع الإبداع والأصالة الفكرية من حيث المعنى والخيال ، تعبر ذلك النتاج الأدبى للقرن المذكور طابعاً عقلياً يتجه إلى الغوص والتعمق .

وهكذا يصبح الشعر الرفيع ضرباً من بلاغة التعبير يقترب من النثر ، وعلى العكس يكتسب النثر المسجوع صبغة شعرية فنية . وبينما كان يفرق من قبل تفريقاً واضحاً بين الشاعر والنثر ، صارت القاعدة أن الكاتب البليغ يعرف كيف يتصرف في التعبير بين الخطاب المنظوم والخطاب المنثور .

ولا يوجد بين كبار رجال النثر فى القرن الرابع ، من لم يقرض أيضاً الشعر الرشيق ، والنظم الأنيق : الخوارزمى ، البديع الهمداني ، ابن العميد ، الصاحب ابن عباد ، المهلبى ، الإسكافى ... الخ .

وإلى أى حد رسخ الشعور والإحساس بشدة القرابة ، وقوة الرابطة ، بين النثر والشعر ؟ هذا ما يتصدى لبياناه كتاب « الصناعتين » لإبى هلال العسكري ، الذى يعالج كلا الأسلوبين جميعاً فى النتاج الأدبى .

(١) يافوت : إرشاد ٢ ص ٣٠٢ الخ .

« العربية » واللغة المولدة

في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

آذن انحلال الدولة العباسية نهائياً إلى أكثر من عشر دويلات مستقلة سنة ٣٢٤/٩٣٦؛ بابتداء عهد جديد للعربية المولدة .

فاكتساب التحرر الجديد من سلطان بغداد ، لم يظهر أثره في السياسة والاقتصاد ، في كل إقليم ، فحسب ؛ بل كان كذلك بعيد الأثر في الدائرة اللغوية . وقد انضمت لهجات كل إقليم ، بعضها إلى بعض ، وتألقت مجموعات من اللهجات تمتاز كل منها عن الأخرى امتيازاً يختلف ، قوة وضعفاً ، باشتراكها في كيفية خاصة من الأصوات ، والصيغ ، وقواعد التركيب ، والمادة اللغوية .

وهذه اللهجات الإقليمية ، في العراق ، وما بين النهرين ، وسورية ، وفلسطين ، ومصر ، وشمال أفريقية ، وأسبانيا ؛ نضحت على لغة المثقفين ، وأكسبتها في كل إقليم لوناً محلياً ذا طابع خاص ؛ بحيث أقدم « المقدسي » في كتاب رحلته المكتوب سنة ٣٤٥/٩٨٥ ، وفي وصفه للعالم الإسلامي إذ ذاك ، على محاولة تمييز كل إقليم ، من الوجهة اللغوية ، بذكر التعبيرات المحلية الخاصة به .

وبهذا كان كتابه ، الذي يصور ذروة الأدب الجغرافي للعصر الإسلامي الأوسط ، كنزاً لتاريخ العربية المولدة ، ندين له ببيانات نفيسة القيمة ، لاسيما بالنظر إلى جغرافية الكلمات .

ومن ناحية أخرى بقي مقام العربية الفصحى ، من حيث هي لغة الأدب الوحيدة في العالم الإسلامي ، ثابتاً غير منازع ، نظراً لبقاء وحدة الثقافة في الدولة كاملة غير منقوصة ؛ بل لقد ازداد انتشار هذه العربية الفصحى عن ذي قبل ؛ لأن جميع الأقاليم

أخذت تُسهم في إقامة صرح الأدب العربي بنشاط أعظم من الأوقات التي كان أدب العراق يحتلّ فيها المحلّ الأول .

لم تضع حدود الأقاليم حواجز وفواصل في سبيل الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء . فالقالى (٢٨٨ - ٣٥٦ هـ) الذى نشأ في أرمينية ، وتأدب ببغداد ، علم وأنتج في أسبانيا . والحوارزى (المتوفى ٣٨٣ هـ) غادر وطنه إلى العراق ؛ وخدم سيف الدولة في حلب ؛ والبلعمى في بخارى ؛ والميكالى في نيسابور ؛ والشار في سجستان ؛ والصاحب في أصفهان ؛ وعضد الدولة في شيراز ؛ وختم حياة مغامراته في نيسابور . ومثل ذلك طوف بديع الزمان الهمداني في خراسان ؛ وسجستان ؛ وأفغانستان ؛ قبل أن يستوطن هراة ، حيث توفى بها سنة ٣٩٨ هـ عن نحو أربعين عاماً (٢) .

وتقدم لنا مثالا آخر حياة المتنبي ، التي كان مجالها بين العراق ، وسورية ، ومصر ، وفارس .

ومثل هذه الحياة في التجوال والمغامرات لم يكن أمرا غير مألوف ؛ بل كان هو القاعدة المطردة . وهو يبين إلى أى مدى تشابهت إذ ذاك في جميع البلدان نظم الحياة الأدبية وشروطها . فقد طوّفت طبقة كبيرة من الأدباء الجوالين في محيط العالم الإسلامى من قطب إلى قطب ، وكفلت بذلك نشاطاً دائماً في تبادل الأفكار والمذاهب ؛ وحفظ هذا للغة الأدب طابعها الفصيح ؛ كما جعلها أيضاً لغة العلم والثقافة في الإسلام ، التي كانت تفهم أيضا خارج المحيط العربى .

هذا ، وقد ساعد على اتساع دائرة نفوذ العربية ، أنها صارت لغة فصحي في درجة ثابتة كاملة الحلقات ، ولم يعد لها تأثير حتى متبادل مع لهجة الأعراب . فلم يعد من المستطاع أن ينشأ المرء ويتعرع في بيئة لغوية حية ؛ بل كان عليه أن يتعلمها كما يتعلم لغة ميتة دائرة .

(١) الثعالبي : بقيقة ج ٤ ص ١٢٣ فما بعدها .

(٢) الكتاب المذكور ج ٤ ص ١٦٨ فما بعدها .

وتشير إلى وجهة نظر الدوائر الإسلامية إذ ذاك حول هذه المسألة دعوى المقدسي : أن أسمى درجات العربية كان في فارس ، أمى في أرض غير عربية اللغة ، لأن الناس هناك كانوا يبذلون اجتهادا عظيما في دراستها .

وفي ذلك العهد كان يعد فصيحاً من سلم من الخطأ في مراعاة الإعراب والتصريف ، ولاحظ قواعد العربية في صوغ الأفعال والأسماء ، وتجنب العبارات الدارجة في اختيار الألفاظ . وإذا فقد صارت الفصاحة وسلامة اللغة أمراً محصوراً في الثقافة المكتسبة ؛ ومن هنا غدت حدقا فنياً يحسنه المرء على تفاوت كبير في المراتب والدرجات .

وكان لا يعد إذ ذاك من اللحن اللغوى إلا الاصطدام الشنيع مع قواعد النحو ؛ فلم يعد ينشأ اللحن من الاختلاف بين الاستعمال اللغوى القديم والحديث في مجارى التعبير الحى .

وكثير من التصادم مع روح العربية الفصحى القديمة يواجهنا عند جميع المنشئين في أوائل العصر الإسلامى الأوسط ، لأن صلب الأسلوب فى لغتهم قد صار فعلا من العربية المولدة .

وحتى لغة المتنبي (٣٠٣ — ٣٥٤ هـ) التى تأثرت تأثراً قويا بمثل لهجات الأعراب — قضى الشاعر ما يزيد على سنتين وهو صبي من سنة ٣١٣ إلى ٣١٥ هـ فى قبيلة كلب فى أرض السماوة^(١) — تحمل سمات من العربية المولدة .

فهو يتحدث عن رُكْب الإبل^(٢) ، فيجمعها على صيغة : ركباتها ، بدلا من صيغة التثنية : ركبتيها . وهذا لا يصح توجيهه ، كما ذهب إليه الواحدى ، بالإشارة إلى آية ٤ من سورة التحريم : [إن تتوبا إلى الله فقد صغت] قلوبكما ؛ ولا إلى البيت الذى يتكرر الاستشهاد به كثيرا : ظهرهما مثل ظهور الترسين^(٣) . إذ أن

(١) Blachère El III 844

(٢) انظر ابن الأثير : المثل السائر ص ١١

(٣) انظر فهارس الشواهد لفيشمر .

التثنية في هاتين الحالتين مفهومة من تثنية الضمير المضاف إليه ، أو من الاسم المثني المضاف إليه^(١) . بل هو اتجاه إلى الظاهرة الملحوظة اليوم في كثير من اللهجات العربية ، وهي مطاردة الجمع للمثنى وتغلبه عليه .

وشبيه بهذا استعمال لفظ الجمع : أيدي ، بل وجمع الجمع : أيادي^(٢) ، في مكان المثني . ففي عهد الصفدي^(٣) (٦٩٤ - ٥٧٧٤) كانت جمهرة علماء اللغة تكتب في رسائلها الخاصة : المملوك يقبل الأيادي الكريمة ؛ وكان الإحساس اللغوي عند الصفدي تجاه المثني ضعيفا بحيث عدّ وضع لفظ : الأيدي ، بدلا من : الأيادي ، في ذلك التعبير الخاطيء ، وسيلة كافية لتصحيحه ، ووضعه في قالب فصيح .

ومن العربية المولدة - عدا ما ذكر - عند المتنبى ، استعماله فعل المطاوعة : انهوى ، بمعنى هوى وسقط^(٤) ؛ وتعديته فعل : بعث ، بالباء وإلى جميعا : [فأجرك الإله على عليل] بعثت إلى المسيح به طيبيا^(٥)

واستعماله لفظ : رؤيا بمعنى الحلم ، بدلا من الرؤية ، بمعنى النظر^(٦) ، يرجع إلى أن علامات التأنيث ، كالتاء والألف المقصورة ، والممدودة ، قد اختلطت ، كما في الكلام الدارج في اللهجات الحديثة .

والظاهر أن هذه الظاهرة بدت مبكرة في هذين اللفظين : رؤيا ورؤية^(٧) ،

(١) انظر الشواهد والأمثلة التي ذكرها : Reckendorf Arab Syntax S, 138
(٢) يراد من الأيادي ، في اللغة العربية القديمة غالبا : النعم والحسنات . وانظر : Nöldeke, NBSS 114 Anm 4.

(٣) انظر العاملي : كشكول (٥١٢٨٨) ص ٢١٥ .

(٤) شرح الديوان للواحدى (Diet) ص ٤٦٤ وانظر : الحفاجي : شرح درة الغواص ص ٦٣ وانظر : Fleischer I 173

(٥) من القصيدة ص ٩٩ في شرح الديوان ج ١ (طبع بولاق ١٢٨٧ هـ) ؛ وانظر الحريري : درة الغواص ص ٢١ .

(٦) مطلع القصيدة ص ٤١٥ من شرح الديوان ج ١ ؛ وانظر الحريري : درة ص ٩٥ .

(٧) بل ساق ابن برى (المتوفى ٥٨٢) بيتا للراعي ، ذكره الشهاب الحفاجي في شرح درة الغواص ص ١٤٢ :

فكبير للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفسا كان قبيل يلومها
انظر الموضع المذكور .

ففسرو القرآن من أهل السنة يعدون لفظ : رؤيا ، في آية ٦٠ من سورة الإسراء ،
بمعنى المشاهدة الحقيقية ، عن نظر في العلانية ، لا بمعنى الحلم^(١) .

ويقرن الشاعر أن الناصبة بالفعل المضارع المرفوع ، كآخرين ممن سبقه^(٢) ؛
كذلك يصوغ أفعال التفضيل من أسماء الألوان^(٣) : لأنت أسود في عيني من الظلم .
أما استعماله أفعال التفضيل من الرباعي حيث قال : أذهب للغيظ^(٤) ، فقد وجد
ما يشبهه في القرآن والشعر القديم^(٥) ؛ وإن طالب المتزمتون في اللغة بتغيير ذلك إلى
أشد ذهابا للغيظ ، لزيادة الإيضاح والبيان .

وفي مثل هذه الأحوال لا يتيسر الفصل في إرجاع الأمر إلى الاستعمال اللغوي
للعربية المولدة ، أو إلى رخصة الشعر جرياً على طريقة شعراء اللغة القديمة .
وهكذا يتكرر في شعر المتنبي ما عابه النحاة القدامى ، وإن قاله الكميث ،
وأجازه ثعلب ، وهو استعمال : أبرق^(٦) ، (بمعنى التهديد المجازي) ، واستعمال
لفظ : ذو ، مع الضمير ، بمعنى النفس^(٧) ، له شبهة في بيت الكميث^(٨) ،
كما في النثر أيضاً^(٩) .

وإدخال أداة الاستثناء : إلا ، على الضمير المتصل^(١٠) ، هو وإن كان لم يرد

(١) انظر الواحدى في شرح ديوان المتنبي ص ٢٤١ (نشر Diet) ، وانظر كتب التفسير
في الآية المذكورة .

(٢) انظر : Diet في المرح المذكور ص ٥٠٣ وملاحظته ص ٧١ .

(٣) انظر : Diet ص ٥٢ ، والحريرى : درة الغواص ص ٣١ ؛ خزنة الأدب ج ٣ ص ٤٨١
و ص ٤٨٤ — ٤٨٦ .

(٤) شرح الديوان للواحدى ص ٣٣ .

(٥) انظر : Fleicher, Beitrage 4, 249 - 252, Reckendorf Syntax, S. 95 Anm. 1

(٦) انظر ص ١٧ من شرح الواحدى المذكور .

(٧) ذواتها ، في مطلع القصيدة ص ١٥٧ من شرح العكبرى على الديوان ج ١ .

(٨) انظر ابن يعيش ص ٣٥٥ و ص ٦٣ .

(صحن الخزرجية مرهفات أبان ذوى أرومتها ذووها)

وقد نسب هذا البيت إلى كعب بن زهير — دون حق — في أشعار الحماسة وفي ابن يعيش أيضاً .

(٩) انظر البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٢ ص ٧ (نشر دى غويه) .

(١٠) إلاك ص ١٣٢ شرح الديوان للعكبرى ج ٢ ؛ وانظر الحريرى : درة ص ١١٠ .

في الشعر القديم ، فإن القراء (المتوفى ٢٠٧ هـ) وضع يده على بيت استشهد به على ذلك (١) .

والجمع الشاذ : آخاء (٢) ، أى إخوة ، المصوغ على مثال آباء ، كان معروفاً عند يونس (٣) ، أستاذ سيوييه .

والجمع غير القياسي : رؤس (٤) ، بدلا من رؤوس ، استشهد عليه الواحدى ببيت ، هو وإن نسبه خطأ لأمريء القيس (٥) ، فإنه أقدم من المتنبي على كل حال

كذلك ترخيم اسم العلم : عمرو بن حابس ، إلى عمرو بن حاب ، في غير النداء (٦) ليس أمراً عادماً النظير (٧) وإذا استعمل المتنبي لفظ : حليل (٨) ، في الشعر ، بدلا من لفظ حال ، بالتشديد ، الثقيل في الاستعمال الشعري ، فإنه يلجأ فيه إلى رخصة الشعر التي كان يلجأ إليها الشعراء في مختتم القرن الأول (٩) .

والأمثلة التي ذكرت أخيراً تنقلنا إلى الحالات التي يتجلى فيها أسلوب الشاعر الخاص في اختيار الألفاظ وصوغ الكلام . ويتعلق بهذا إثارة أسماء الإشارة : ذا ؛ ذى ؛ هذا ؛ هذى ؛ بدلا من : هو والذى ، وإغراقه في ذلك حتى ذكر في بيت

(١) خزانة الأدب ج ٢ ص ٤٠٦ .

(٢) انظر ابن عباد : الكشف عن مساوى المتنبي ص ١٦ ، وابن رشيق : العمدة ج ٢ ص ٢٠٥ (وفي الديوان شرح الواحدى : كل آباءه ، بدلا من : كل آخائه) وفي شرح المكبرى على الأصل .

(٣) انظر تاج العروس ج ١٠ ص ١١ .

(٤) انظر شرح الواحدى ص ٩٥ .

(٥) انظر الملحق ص ٢٨ (آلورد) .

(٦) شرح الواحدى المذكور ص ٥٩٢ .

(٧) انظر خزانة الأدب ج ١ ص ٣٨١ .

(٨) انظر شرح الواحدى ص ١٧٩ ، وابن الأثير : المثل السائر ص ١٨٤ .

(٩) استعمل قعنب بن أم صاحب لفظ : ضنوا (مختارات ابن الشجرى ص ٨) ؛ والمجاج لفظ : أظلل (أرجوزة رقم ٢٩) ؛ وانظر نوادر أبى زيد ص ٤٣ ؛ سيوييه ج ١ ص ١٠ (١٣١٦ هـ) ؛ الموشح ص ٩٤ ؛ ويوجد مثل في النثر عند القالى : أمالى ج ١ ص ٢٥٩ (الطبعة الثانية) ، وآخر في حديث ؛ انظر البكرى : لآلى ص ٥٧٦) .

واحد إلى جانب ذا ، ذلك اللفظ المهجور تماما ، وهو : اللذ ، بدل الذي ^(١) ؛
واللفظ الدارج : هو بالإشباع بدلا من فتح الواو ^(٢) .

وفي مطلع القصيدة السادسة والخمسين ، الذي كثر حوله الجدل :

أُحَادُ أم سُدَّاسُ فِي أَحَادٍ لَيْسَلْتُنَا المَنوطة بالتنادي

أخذ عليه ^(٣) — بحق — استعماله لفظ : أحاد ، التقسيمي — مثلا : جاءوا

أحاد أي متفرقين — وسداس أيضاً ، بدلا من اسم العدد المحض : واحدة ، وست .
يضاف إلى هذا أن هذه الصيغة إنما جرى بها الاستعمال في أسماء العدد الأربعة
الأولى ، وإن أجاز الكميّ لنفسه لفظ : عشر ^(٤) . وفي نفس البيت عدّ لفظ :
لَيْسَلَةً خطأ من حيث الصيغة والدلالة ؛ إذ الصواب يقتضي : لَيْسَلِيَّةً ^(٥) ؛ ثم إنه وإن
كان لفظ : دويهيّة معناه الداهية العظيمة ، فلا يقتضي هذا استعمال كل تصغير بمعنى
التعظيم . ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أيضا أن حذف أداة الاستفهام في هذا البيت
من ظواهر العربية المولدة .

كذلك خاصّة أخرى من خصائص أسلوب المتنبي ، وهي تأليفه للجمل والألفاظ
على وجه اختياري إرادى متصنع للغاية ، تعد أمارة على طابع العربية المولدة في حقيقة
أسلوبه اللغوي . وفي الواقع يناسب العربية المولدة — لفقدانها الإعراب — نوع
ثابت مصنوع من التأليف . وعلى النقيض من ذلك تأليف الكلام في اللغة الفصحى
القديمة ، فهو فيها حرّ وإن لم يخل من تقييد — بعض الأمثلة على فساد التأليف
وفها النقد حقها من التشهير ^(٦) — . أما الاختيار الذي يؤلف المتنبي نظمه على مقتضاه
سقيما مضطربا ، فيتجلّى فيه عجزه عن التعبير الموافق لروح العربية القديمة ؛ مثل تقديم

(١) ابن رشيق : عمدة ج ٢ ص ٥٧ س ٦ .

(٢) انظر الديوان ص ٢٠١ (نشر : Diet) .

(٣) انظر شرح الواحدي والعكبري على المصطلح المذكور ، والحري في درة الغواص ص ١٤٨ .

(٤) انظر الأغاني ج ١٣ ص ١٢٥ ؛ ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٥٩١ .

(٥) انظر : Fleischer, Beiträge 4, S, 241

(٦) انظر المبرد : كامل ص ١٨ ؛ المرزباني : موشح ١٠٢ — ١٠٤ ؛ سيبويه ج ١ ص ٩

(Derenburg)

المسند إليه في الجملة الفعلية ، فهو ظاهرة خاصة بالعربية المولدة ، كذلك إضافة ضمير الإسناد المتصل إلى الجملة الفعلية أيضاً دون حصر ولا تأكيد ، كما^(١) في البيت المشهور^(٢) .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
وعلى الرغم من ذلك كله ، لم تسترغ هذه الظواهر المخالفة للفصحى في شعر المتنبي انتباه معاصريه كثيراً ، بله الإحساس بأنها من اللحن . ويدل على ذلك جدل صاحب بن عباد في الرسالة التي كتبها في تحقير المتنبي : الكشف عن مساوي شعر المتنبي^(٣) . وقد كان صاحب بن عباد دعا الشاعر إلى زيارته بالرى ، حينما جاء إلى شيراز سنة ٣٥٤ هـ ، ولكن الشاعر الأبيّ النفس لم يره أهلاً لذلك ، فانتقم صاحب لنفسه في رسالته المذكورة من أجل هذه الإهانة .

والرسالة في صورة خطاب إلى خبير بالشعر طلب إلى صاحب أن يعرب — كتابة — عن رأيه النقدي في وضع المتنبي عن مستواه الرفيع . وهو يتظاهر بإبعاد نفسه عن مظنة التحامل في الحكم — وأي عالم لا يهفو ، وأي صارم لا ينبو ، وأي جواد لا يكيبو — وأنه لا ينبغي إلا حقه في تعليل حكمه ، وهو حق تمسك به محتدياً حدو الوزير العظيم : أبي الفضل بن العميد ، الذي ساق صاحب رأيه الحرّ في البحتری وأبي تمام ؛ ثم ذكر صاحب أن الدعوى الخاطئة ، من أن علماء اللغة وحدهم هم الإخصائيون الذين يحدقون النقد ، دعوى على غير أساس ، مشيراً إلى

(١) ص ٢٠٠ في شرح العكبري ج ١ و ص ٥٣٣ في شرح الواحدي الآنف .

(٢) أكثر ما أخذه المؤلف على شعر المتنبي تبع فيه رأى النحاة البصريين ، وهم الذين يقصدهم دائماً بوصف المترمين في اللغة ، ولكن المتنبي قد عرف بمتابعة الكوفيين ، وهم يعتمدون كل ما ورد عن العرب بوجه من الوجوه . وقد عرف أنهم أوسع رواية من البصريين ؛ على أن كثيراً مما أخذه المؤلف على المتنبي ورد في بعض القراءات القرآنية ، فضلاً عن النصوص العربية .

(٣) طبع في القاهرة (١٣٤٩ هـ) واشتمل الجزء الأول من القيمة للتحالي على مضمون الكتاب المذكور (انظر ص ١٠٥) .

اختيارات ابن الخياط التي جمعها دون ذرة من الذوق الأدبي^(١) . وبعد أن أزال
الصاحب بهذه المقدمة الطويلة ، التي تعدل ثلث هذه الرسالة القصيرة ، هيمية القارئ
ورهبته تجاه الفن الرفيع ، وأعدّه في مهارة وحذق للجرأة على نقد الشعراء ، خلص
أخيراً إلى موضوعه ، بادئاً بماخذه على أبيات متفرقة للمتنبى (ص ١١ — ٢٦)
دون جرى على نظام ثابت .

وهو يتهمه كثيراً بالسرقة ، ويرميه بفساد الحس ، وسوء أدب النفس^(٢) في
رثيته لأُمّ سيف الدولة ، ويسخر من تعقيد أسلوبه وعسرفهمه ، بحيث لا يعد أسلوب
إلى يزيد البسطامي المشهور بالتعقيد شيئاً إليه^(٣) .

كما يغمز إلى أشعاره الحكيمية التي حظيت بإعجاب الكثيرين (ص ١٦ س ١١)
ويحط من قيمة عدد من أفخم مطالعه ، ويهزأ من ثقة الشاعر بنفسه ، ويتندر بأسلوبه ،
حيث لا يتورّع ابن عباد أيضاً عن إساءات لفهم مقصودة عن خبث ونكايه .

وفي هذا يجد الصاحب في لوازم المتنبى وخصائص لغته مدعاة قوية للهزء والسخرية
مثل ميل المتنبى إلى تكرير اللفظ ، وولعه بتديد طرق التعبير — ذكر في بيتين
سنة عشر وصفاً متتاليات^(٤) — والتعسف في الاطراد^(٥) ، والتفاسح بالألفاظ النافرة
والكلمات الشاذة ، مثل كلمة : التوراب ، بدلا من التراب (ص ١٤ س ٦) ، وكلمة :
جَفَخَتْ^(٦) ، أي فخرت (ص ٢٥ س ١٦) .

بيد أنه ، على الرغم من أنه لم يدع فرصة تمرّ دون النيل من الشاعر والسخرية

(١) كان أستاذ الصاحب بن عباد ومات ٥٣٢٠ هـ؛ انظر الفهرست ص ١٢١ ؛ ياقوت :
ارشاد ج ٦ ص ٢٨٣ .

(٢) انظر في هذه المرتبة : العمدة لابن رشيق ج ٢ ص ١٢٤ ؛ ابن الأثير : المثل السائر ص ٤٩٦ .

(٣) انظر الرسالة الحاقمية (نسر البستاني بيروت ١٩٣١) .

(٤) انظر في التكرار العمدة لابن رشيق ج ٢ ص ٥٩ فما بعدها ، وفي التديد العمدة

أضاح ج ٢ ص ٢٤ فما بعدها ، وانظر ابن الأثير المثل السائر ص ١٨١ ، ١٨٣ .

(٥) انظر ابن رشيق : العمدة ج ٢ ص ٦٨ .

(٦) انظر ابن الأثير : المثل السائر ص ٩٨ .

منه ، بل وعدّ حرية الشعر عليه خطأ فاحشاً ، لم يوجه إليه تهمة اللحن في اللغة أصلاً ، مع أن في الأبيات التي ساقها كثيراً من الأمثلة على اللحن في الاستعمال اللغوي .
وحتى في هذا البيت :

أحاد أم سداس في أحاد لُيَلتُنَا المفوطة بالتنادى

الذي يدعو لحنه إلى النقد دعاء صريحاً ، لم يعلق الصاحب (ص ٢٠) إلا بأنه من عيون قصائده التي تحيّر الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمع من الحساب ما لا يدرك إلا بالأرتماطيقي وبالاعداد الموضوعية للموسيقى ، وتصور كلام الحُكَل ، وورطانة الزط .
وكذلك في البيت :

أطعنك طوع الدهر يا ابن ابن يوسف لشهوتنا والحاسدو لك بالرغم
اقتصر على تخطئة التركيب : الحاسدو لك .

وفي تعرضه للناحية اللغوية لا يتناول إلا ما تعلق بالأسلوب ؛ فهو يجد كلمة :
جبرين (ص ٢٠ س ١) ، بدلا من جبريل^(١) ، التي يستعملها المتنبي لضرورة الشعر ،
غريبة بغيضة ؛ كما يرى (ص ١٩ س ١٥) أن حذف كلمة : الدُّنَا ، جمع دنيا ،
في شعر المتنبي ، خير من ذكرها ، ويتساءل في سخرية من البيت :

شديد البعد من شرب الشَّمول تَرْبُج^(٢) الهند أو طلع النخيل

هل استهلال الأبيات أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله : ترنج ، أفصح ؟ .

وهذا التساهل والتجاهل التام الذي يبدو من ابن عباد تجاه اللحن اللغوي في شعر المتنبي ، هو ظاهرة عامة للموقف الذي أخذه الأدباء في أوائل العصر الإسلامي الأوسط من مسألة الفصاحة وسلامة اللغة ؛ فبين الحين والآخر يتذكر أحد علماء اللغة ، على ضوء معارفه عن أدب القواعد القديمة ، أن هذا التركيب أو ذاك خاطئ في قانون اللغة الفصحى البدوية ؛ ولكن مثل هذه الملاحظات تأخذ تدريجياً

(١) انظر في هذه الصيغة وما شاكلها (إسرائيلين ، إسرائيلين ، إسماعيلين الخ) القائل : أمالي

ج ٢ ص ٤٤ (طبع دار الكتب) .

(٢) ترنج لغة في : أترج ، انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٠١ (نشر : Grünert)

في الندرة عند أدب الشروح ، حيث يأخذ تفسير الشعراء هنا طابع الذوق الأدبي الذي لم يكن يصدر في حكمه — بعد — عن القواعد والنحو ، بل عن مقاييس الأسلوب بوجه خاص .

وكذلك من نتائج ذلك الطابع الصناعي الفني للغة الأدب ، احتياج مصنفات الشعر الرفيع ، والنثر الفني البديع — في ذلك العصر — إلى الشرح والتفسير ، حتى انتشرت لدى الرأي العام فكرة أنه كلما تعسر فهم الأثر الأدبي الفني ، رجع وزنه وعلا قدره .

والمتنبى لم يكن يقتصر على إنشاد شعره فحسب ، بل كان يشفع ذلك أيضا بالشرح والتوضيح . ومن رواه ابن جنى السالف الذكر ، الذي يروى أن الشاعر كان يلقى وزناً كبيراً لحكمه ، بحيث كان يحيل سائله في مختلف الأحوال عليه . وقد ذكر من الأمثلة على ذلك^(١) ما ورد في شعر المتنبى من تصغير لفظ : إنسان ، على : أنيسيان^(٢) ؛ وقوله^(٣) :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا

بنصب المضارع — في ظاهر الكلام — بعد : لم الجازمة^(٤) .

ومهما يكن من أمر ، فمن الثابت أن ابن جنى كتب شرحين لديوان المتنبى^(٥) ، أحدهما وهو : الفسر لشرح ديوان أبي الطيب ، مقصور في جملته على شرح معاني

(١) ياقوت : لإرشاد ج ٥ ص ٢٥ .

(٢) انظر تاج العروس ج ٤ ص ١٠٢ .

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٥٦٣ ؛ وذكره الدميري : حياة الحيوان ج ١ ص ٤٦١ (١٣٤٧هـ)

(٤) في هذه الضرورة الشعرية التي جرى استعمالها في كثير من شعر الأوائل (الأعمشى قصيدة ١٧ بيت ٢٠ ؛ العجاج رقم ٥١ بيت ١٠ وغير ذلك ، انظر فهارس الشواهد لفيشر ص ٢٥٢) يحمل على أنه أبدال الألف من نون التوكيد الحفيفة في حالة الوقف . نعم يزعم اللحياني (ابن الأنباري : نزهة ص ٢٣٦) أن نصب المضارع بعد لم ، لهجة من لهجات العرب ، وروى قراءة شاذة في : ألم نشرح لك صدرك ؛ بفتح الفعل بعد لم ! ولكن ابن جنى في المختصب رفض هذه القراءة ولم يسوغها .

(٥) الفهرست ص ١٢٨ .

الألفاظ ، على حين يُعنى الآخر ، كما يعبر عن ذلك عنوانه : معاني أبيات المتنبي ، بما يحتويه شعره من أفكار .

ولم يكن ابن جنى على الرغم من ذلك — إذا أخذنا بحكم الواحدى فى مقدمته لشرح ديوان المتنبي ، المكتوب ٤٦٢ هـ — أباعدتها فى تقريب فهم الأشعار الحديثة للقارىء . إذ يفترض شرح مثل هذه الأشعار — زيادة على الدراية العميقة باللغة والموضوع — تدوقاً لفنون الأدب ، وإحساساً بالجمال الفنى ، وحكماً ثابتاً صحيحاً . على حين أن ملكة ابن جنى كانت ذات وجهة واحدة ، هى دائرة علم اللغة . ولذلك كان يرى عمله ينحصر فى توضيح العبارات التى يستعملها الشاعر ، وبيان عملها النحوى . وهو يرخى العنان فى ذلك كثيراً لنزوعه إلى بسط دقائق النحو العربى ، بحيث يشتمل شرحه على القسم الأعظم من النوارد اللغوية التى جمعها أبو زيد ، وعالج المسائل التى أثارها سيبويه .

وقد أورد كتابه لشرح الظواهر اللغوية النادرة (الغريب) نحو عشرين ألفاً من الشواهد (يحتوى ديوان المتنبي بأمله على ٥٤٠٠ بيت) ؛ كما حفل بمجموعة كبيرة من الأفاصيص المقفلة التى لا تساعد أدنى مساعدة على فهم شعر المتنبي . وعلى الرغم من ذلك ينقص ابن جنى الفهم العميق ، والنفاذ فى دائرة المعانى . فمثلاً يتحدث المتنبي ، فى ذلك الأسلوب التصويرى المألوف فى شعر الغزل ، عن مطر الدموع الذى يسكبه الحب المغرم ، إذا أظهرت الحسنة المتدلة المتجافية أسنانها البراقة عند الابتسام :

تبلّ خدىّ كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها

فيفسر ابن جنى هذا المطر بريق الحبيبة الذى يتطاير من فمها إذا ضحكت (١) .

وهذا العجز عن الإحساس والشعور بمقاصد الشعر ومراميه يزيد من نجس شرحه وخفة وزنه ، إذا لاحظنا أن مثل هذا الديوان الموسوم بطابع البلاغة القوى ، يتوقف

(١) انظر ابن الأثير : المثل السائر ص ٢٢٩ .

هضمه ، والنفاذ إلى عالم تفكير شاعره ، على الفهم الذي لا يتيسر بسهولة لاستعاراته
ومجازاته وأخيلته الكثيرة ، التي تحجب أفكاره أكثر مما تكشف عنها الغطاء .
ومن هنا أيضاً يتجنب شرح ابن جنى ، اللاصق بمفردات الألفاظ ، جانب
المعاني ، وتقدم الأفكار والابتكار فيها ، والبناء الداخلي للشعر . وبهذا يغفل الطابع
الخاص الذي يميز الشعر العربي المحدث تمييزاً أساسياً عن شعر الأعراب . ففي هذا
الأخير ربما جازا اكتفاء الشارح بتفسير بعض المفردات ، وعبارات الكلام ، وتوضيح
غرض الشاعر ومرماه بذكر ألفاظ دالة مختصرة ، مثل : مدح ، هجاء ، فخر ،
أو نحو ذلك . أما في شعر المحدثين ، ولا سيما شعر المتنبي — بوجه خاص — فإن
بناء الشعر وتكوينه الداخلي يلعب دوراً عظيماً ، بحيث لا يجوز إغفاله في
الشرح والتفسير .

فما يدل على أن القصيدة بتامها كانت ماثلة أمام نظر المتنبي ، من حيث هي
وحدة تامة الأجزاء عند الشروع في إنشائها ، ما يروى من أنه كان إذا نظم قصيدة
يتغنى بأبياتها بيتاً بيتاً ، وكلما توقف مرة بدأ يتغنى من أول القصيدة ؛ وكان يبذل
جهداً كبيراً في الانتقال من جزء إلى آخر .

وقد اشتهرت بعض قصائده لإبداعه ، وابتكاره في أبيات مطالعها ؛ على حين
حظيت بعض قصائده الأخرى بالإعجاب بمحذقه في أبيات خواتيمها . ولكن الإلمام
بمثل هذه الدقائق لم يكن من فن ابن جنى ولا طبيعته .

ولم يغفل النقاد عن تبيان عيوب شرحه ؛ فقد حمل عليه معاصره ابن فورج^(١)
حملة شعواء في كتابين يطابق عنوانهما موضوعهما : الفتح على أبي الفتح ؛ والتجني
على ابن جنى ؛ ولم يتورع في ذلك ، كما يشير إليه نص من كتاب الفتح^(٢) ، عن

(١) ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٤ ؛ سيوطي : بنية ص ٣٩ ؛ وانظر : أحمد الحق : فريدة
العصر ص ٧١٥ — ٧١٨ ؛ وتسميته : ابن فورج ، التي ذكرها ياقوت ، هي في الظاهر صيغة
أخرى إلى جانب : ابن فورك .

(٢) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ١٢٥ .

طعنه بتهم تخدش الشرف . ويشهد له الواحدى ، الذي قرأ الكتابين^(١) ، بأنه
— غالباً — محق في وجهة النظر الصحيح .

كذلك كتب أبو حيان التوحيدى (المتوفى ٤٠٠ هـ) ردّاً عليه بعنوان :
الرد على ابن جنى في شعر المتنبي^(٢) .

كما أن الشريف المرتضى (٣٥٥ — ٤٣٦ هـ) نقيب الأشراف العلوى الذائع
الشهرة ، اشترك في النزاع بكتابه : تتبع الأبيات التي تكلم عليها ابن جنى^(٣) .

وآخر أيضاً ، هو أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، صنّف للبويهى
بهاء الدولة (حكم ٣٧٩ — ٤٠٣ هـ) تهذيباً لشرح ابن جنى الكبير في قالب
مصحح مختصر^(٤) .

وأغلب الظن أن ابن وكيع (المتوفى ٣٩٣ هـ) قد حمل أيضاً على ابن جنى ،
في كتابه : المنصف ، الذي عالج فيه مسألة ابتكار المتنبي ومتابعته لمن سبقه ، مع نقد
وتحقيق ؛ لأن ابن جنى ألف ما يسمى : كتاب النقد على ابن وكيع في شعر المتنبي
وتخطئته^(٥) .

وعلى كل حال يبدو أن ابن جنى احتفظ بأسلوب الشرح الذي اختاره ، على
الرغم من جميع النقد الذي وجه إليه بسببه ؛ إذ أنه ألف كتاباً خاصاً في شرح بيت
واحد نظمه عضد الدولة البويهى ؛ وألف أيضاً في العقد الأخير من حياته شرحاً
لأربع مرثيات من شعر تلميذه : الشريف الرضى (٣٥٩ — ٤٠٦ هـ) عنوانه :
تفسير العلويات ، في أربعة أجزاء ، لكل مرثية جزء^(٦) .

(١) ديوان المتنبي ، بشرح الواحدى (نشر : Dieterici) ص ٣ .

(٢) ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٣٨١ .

(٣) انظر ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ١٧٤ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ج ٤ ص ٢٢٤ ،

وقد عرف هذا الكتاب فذكره بعنوان : الرد على ابن جنى في شرح ديوان المتنبي . وانظر

السكرتورى : كشف الحجب ص ٩٧ .

(٤) وقد أخذت عنه ترجمة المتنبي المستفيضة في خزنة الأدب ج ١ ص ٣٨٢ — ٣٨٩ .

(٥) ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٣١ .

(٦) ياقوت : في الموضع السالف .

هذا الطابع ، العلمى — الأدبى ، للشعر الفنى ، الذى جعل ذلك الشعر وقفاً ،
أو حقاً ممتازاً لشردمة قليلة من عليّة المثقفين الضليعين ، ازداد قوة على قوته فى القرن
التالى ؛ بحيث قرن أبو العلاء المعرى بعض دواوينه بالشرح والتفسير ، تيسيراً لفهمها
على القارىء .

فأشعار شبابه فى سقط الزند ، التى تنم على تأثر قوى بالمتنبى ، والتى صيغت
فى أسلوب حافل بالأخيلة والمجازات ، احتاجت إلى شرح سقط الزند .
كذلك النثر المسجوع فى كتابه : الفصول والغايات ، الذى أنشأه فى سن
المتأخرة كما يظهر ، والذى قال فيه الرحالة الفارسى : ناصرى خسرو (٣٩٤ —
٤٥٢/٣ هـ) حينما زار الشاعر سنة ٤٣٩ هـ : إنه بقى غير مفهوم فى القسم الأعظم منه
حتى لتلاميذ الأستاذ أنفسهم .

ظهور اللغة الدارجة في أشعار

القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

يحمل شعر الفرص والمناسبات طابع العربية المولدة ، بمقدار أعظم وأظهر كثيراً من الشعر الفنى الرفيع ؛ كما تعرض مادة غزيرة ، من الشواهد على ذلك ، المختارات المشهورة من أشعار القرن الرابع ، التى تشتمل عليها يتيمة الدهر للشعالي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) .

ويقدم الفصل المعقود لابن الحجاج (المتوفى سنة ٣٩١ هـ) تصويراً خاصاً بجم الفوائد^(١) .

هذا الشاعر الموهوب ، وإن كان زَمير الخلق والمروءة ، والذي ينتمى إلى أسرة رفيعة من ذوى الجاه والمناصب ، والذي شغل منصب « المحتسب » ببغداد رداً من الدهر فى ظل بختيار البويهى (حكم ٣٥٦ - ٣٦٧ هـ) ، ولكنه آثر أخيراً أن يبتزّ الأموال ، بأهاجيه وملحه ، من ذوى المناصب والرتب ؛ هذا الشاعر يعد أنبه ممثلى أسلوب الجون والسخف .

وهذه وجهة فنية تحلّت من جميع القيود المفروضة على صناعة الفن التقليدى ، واختارت - على معارضة متعمدة للشعر الرفيع - الأسلوب المبتذل الدارج ، بما فيه من ضعة ، وبداعة ، وقذر ، ووضر .

وفى معارضته لوسائل الأسلوب القديم ، يدعى ابن حجاج النبوة فى السخف ، ويطلب إلى معشر السخفاء أن يؤمنوا بالمعجزات التى لا تجارى فى آياته العارية من الحياء^(٢) .

(١) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢١١ - ٢٧٠ .

(٢) اليتيمة ج ٢ ص ٢١٢ فما بعدها .

وقد طابق الموضوع المبثذل الدارج أسلوب مبتذل دارج ؛ إذ تتجنب الناحية اللفظية من ذلك الشعر الماجن - في الأعم الأغلب - كل مختار دقيق من العبارات الجارية في الأسلوب الرفيع مادام هو لا يعارضه ولا يجاريه - ومادام لا يعارض وسائل الأسلوب في الشعر القديم - وهو يولع بدلا من هذا باستخدام لغة العامّة ، متنزلا إلى لهجات الشحاذين ، والعيّارين ، والخلديين ، والمكدين ، ببغداد^(١) .

ويرجع إلى هذا الدخيل من لغة بغداد الدارجة ، ما يكثر في أشعاره من الألفاظ الفارسية ، مثل : ^(٢) قلق (ص ٢٤٦ س ١٦) وهو طائر ؛ والفصيح : لقلق ؛ وهو لفظ دارج ، وأخذ استعماله^(٣) على المتنبي^(٤) : [يصيح الحصى فيها صياح اللقالق] ؛ وجُلنار^(٥) وهو الرّمان (ص ٢٦١ س ١) ؛ بلور - في الفارسية الحديثة : بلُر - (ص ٢٤٣ س ١٩) ؛ دَوْرُق - في الفارسية الحديثة : دُورَه - (ص ٢٤٦ س ١٥) ؛ نمكسود^(٦) : اللحم المملح (ص ٢٥٢ س ١) ؛ سَكَبَاج^(٧) : لحم مطبوخ على طريقة خاصة (ص ٢٢٠ س ١) ؛ وفي البيت (ص ٢٤٩ س ١٠) وردت الكلمات : دِكْشَاب أي ليلة أمس ؛ ودُوغَبَاج ، أي اللبن الحامض ؛ وزِيرَبَاج ، أي مرق اللحم .

(١) العيار : الذكي الكثير التطواف ، وأطلق على الدجال الواسع الخيلة . والخلدی : نسبة إلى حي في بغداد ، اشتهر بكثرة أهل الخيل على الارتاق . والمكدي من السكدي وهي شدة الدهر ، ويراد به أيضاً الفقراء المتسولون .

(٢) ترجع أرقام الصفحات المذكورة إلى يتيمة الدهر (طبع دمشق ١٣٠١ هـ) .

(٣) ابن الأثير : المثل السائر ص ١٠٨ .

(٤) شرح العكبري على الديوان ص ٤٨٩ (بولاق) .

(٥) في الفارسية الحديثة : جلنار ، بسكون اللام وتسمى به النساء أيضاً ، وكان اسم أم بشار ابن برد جلنار (انظر الأغاني ج ٢٠ ص ٧٤) .

(٦) يرد هذا اللفظ كثيراً في كتاب المقدسي : أحسن التقاسيم ، انظر المعجم الجغرافي في هذا اللفظ : Dozy

(٧) في الفارسية الحديثة : سكبيا ؛ وسكباجة كثير في كلام الجاحظ ، وذكر في تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٥٩ س ١٧ ، والأغاني ج ١٠ ص ١٢٥ س ٧ ، وورد كتاب في الأطبحة بعنوان : كتاب السكباجة لحظلة وآخر لعبيد الله بن أبي طاهر ، انظر الفهرست ، وورد لفظ سكباج لقباً ؛ تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٥٧ .

وتسكثّر العبارات الفارسية بوجه خاص في قصيدته في غزل المذكر (ص ٢٦٤) س ٧ — ١٥) التي يسوق فيها حواراه مع غلام أعجمي .

وفي ص ٢٤٨ س ١٩ ، يستعمل لفظ : هَمْ ، بمعنى أيضاً ، الذي عابه أبو خليفة — من قبل — في القرن الثالث ، والذي أنكر استعماله — من بعد — كل من الحريري (المتوفى ٥١٦ هـ) في درة الغواص^(١) ، ثم الطيب المشهور بالتقير الذي كتبه عن مصر ، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف (٥٥٧ — ٦٢٩ هـ) في كتاب الذيل الذي ألفه تعقيباً على فصيح ثعلب^(٢) .

ويدل على أن ابن حجاج كان يحسن الفارسية لفظ : خَرَ كُوش (ص ٢٣٥ س ١) الذي معناه في الفارسية : أرنب ، وشبهه به في الشعر كلباً سلوكياً سريع العدو . كذلك مادة الألفاظ العربية عند هذا الشاعر ، كثيراً ما يستمدّها من لهجة بغداد الدارجة : (سَيِّ ، راسمال ، شوّش أي أزعج) . وهي غنية بالتعبيرات الدارجة على الأخص في غزل المذكر ، مثل الكلمة المولدة : سُرْم ، بمعنى الدبر ، والصيغة الشعبية لها صُرْم ؛ وقد تجنب الكتاب الملتزمون للدقة ، بسبب ذلك ، مرادف هذه الكلمة ، وهو : الصرم ، بمعنى الهجر . وأخذ ابن الأثير^(٣) على المتنبي استعماله هذا اللفظ الفصيح الذي لا يقل وروده في الشعر القديم .

ويعبّر الشاعر في ص ٢١٢ س ١٤ عن تحقيره لمبدأ « تنقية اللغة » تعبيراً حاداً عنيفاً .

وهو وإن استعمل لغة الكتابة أيضاً ، فقد اشتملت أشعاره الهزلية — بوجه خاص — على سمات مولّدة قوية : فقد ترك الهمز إلى حد بعيد (ص ٢٢١ س ١٧ بَرِي بدلاً من : بَرِيء ؛ ص ٢٦٨ س ٢٠ قرآن بدلاً من : قرآن ؛ ص ٢٣٩

(١) ص ١٨٣ .

(٢) انظر الزهر للسيوطي ج ١ ص ١٨٠ .

(٣) المثل السائر ص ١٠٧ س ١٠ .

س ٤ أظأ بدلا من : أظأ ، الخ) ؛ كما ترك حركات أواخر الكلمات في أحوال
مثل : (ص ٢٣٧ س ٧ رُوِي بدلا من : رُوِي ؛ ص ٢٣٠ بَقِي ، بدلا من :
بَقِي) ؛ وأهمل تشديد ياء النسبة باطراد في القافية ؛ (مثل ص ٢٢٠ أسفل) ؛
واستعمل لفظ : مع ، ساكن العين باطراد بدلا من فتحها ، واستعمل هو وهي بالإشباع
باطراد بدلا من فتح الواو والياء (ص ٢٣٨ س ١ ؛ ص ٢٤٩ أسفل ؛ ص ٢١٤ س ٢) .
ومن مخالفة القواعد استعماله المؤنث على : غضبانه ^(١) ، بدلا من : غضبي .

ويدل على قلق في قواعد الإعراب والتصريف استعماله : الوصي ، بالإشباع
بدلا من تشديد الياء ونصبها ؛ واستعماله : لا بدّ أن تحكي ، أيضاً بإشباع الياء بدلا
من فتحها (انظر ص ٢٢١ س ١٥ ؛ ص ٢٤٩ أسفل ؛ ص ٢٦٥ س ١٨) ، ومثل :
أو ترني بدلا من أو تراني .

ولقد شهد كذلك غربي العالم الإسلامي في القرن الرابع تحرراً من النماذج
والقوانين المتوارثة ، التي أقرها العرف الأدبي في ميدان الشعر .

بيد أنه في الوقت الذي اتجهت فيه حركة التحرر المذكورة في الشرق إلى الموضوع
بوجه خاص ، واستنفدت قوتها في خيث التصوير للرذيلة والسقوط ، واستخدام
أساليب المعارضة في تحقير رفيع الخلال ، وكريم الخصال ، عمد الشعر الأسباني العربي
باختراع « الموشح » إلى إبداع قالب فني أعلن ثورة في الأسلوب على العروض القديم
حقاً لقد ظهر من قبل بالشرق في باكورة العصر العباسي شعر الأدوار من المزدوجة
والخمسة ؛ ولكن هذا لم يختلف عن قالب الشعر القديم اختلافا هاما إلا من
حيث الربط بين اثنين أو أكثر من أنصاف الأبيات — وغالباً من بحر الرجز —
بقافية واحدة ، لتكوين دور واحد (أأ ، ب ب ، ج ج ، الخ) ، أو من حيث
التأليف بين جميع مصاريع كل دور بواسطة قافية خاصة به ، مع تقفية المصراع

(١) ثبت أنها لغة لبني أسد .

الأخير من كل دور إلى نهاية الشعر بقافية مشتركة بين جميع أدوار القصيدة (أأأ)،
ب ب أ ، ج ج أ ، الخ) .

كذلك ما يشبه الأدوار الشعرية من تأليف أنصاف الأبيات على صورة التصريح
أى توحيد القافية بين المصراعين ، لم تشذ في أوزانها عن طريقة العروض القديم .
وقد كان أقدم شعر الأدوار في أسبانيا — على سبيل الحدس — يجول أيضا
في دائرة بجزء العروض الأولى ؛ ولكنه حطم بعد ذلك أسوارها .

وعلى تقرير ابن بسام^(١) ، أنشأ قديما أحد الشعراء في سُدّة الأموي الأسباني
عبد الله بن محمد (حكم ٢٧٥ — ٣٠٠ هـ) ، واسمه محمد بن محمود المقبري الضير^(٢)
موشحات في القوالب المستحدثة [عبارته : وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن
أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة] وهذا لا يكاد يفهم منه إلا أن الموشحات
قد أخذت هذه الثروة المتنوعة القوالب من حيث العروض في القرن الثالث الهجري ،
تلك الثروة التي ظهر إلى جانبها الشعر القديم ، بأوزانه الستة عشر ، فقيرا
موحد النغمات .

بيد أن ابن بسام قد عدّ الأب الحقيقي لهذا الفن الجديد عبادة بن ماء السماء
(المتوفى ٤٢٢ أو ٤١٩ هـ) الذي أبدع فناً ثابت الدعائم ، وابتكر — على الأخص —
أسلوب « التضمير » الذي فسره ابن بسام بأنه يعتمد فيه على مواضع الوقف في المراكز
والظاهر أن مراده بهذا هو الموشحات ذات الأقفال ، التي تتكون من أدوار ،
كل دور منها ذو أبيات مجزأة ، توحد صدورها قافية ، وتوحد أعجازها قافية أخرى ؛
مع استقلال كل دور عن الآخر في قوافي صدورهم وأعجازهم ، ثم يهتم كل دور بالثقل ؛
وهذا الأخير تتحد قوافيه السائدة في جميع القصيدة .

وفي الحق تدل موشحتنا عبادة ، اللتان ساقهما الكتبي ، على عناية فائقة بإبداع

(١) ذكره ابن شاعر الكتبي في : فوات الوفيات (١٢٩٩ هـ) ج ١ ص ١٩٩ .

(٢) انظر : M. Hartmann, Das arabische Strophengedicht I Das Muwaschah, S. 69

القالب ؛ وكنموذج لذلك نذكر الدور الثاني من الموشح الثاني ، مع قفله :

رشيقة المعاطف	كالغصن في القوام
شُهْدِيَّة المَرَشَف	كالدر في النظام
دِعْصِيَّة الروادف	والخصر ذوانهضام

جِوَالَةُ القِلَادَةِ مَحْلُولَةٌ عَقْدُ الإِزَارِ

حَسَنَهَا أَبْدَعَ مِنْ حَسَنِ ذِيَّكَ الْغَزَالِ أ كَحْلِ الْمَدْمَعِ

فالأجزاء الستة الأولى تؤلف الدور ؛ وما بعد ذلك هو القفل الذى يشتمل على القوافى المكررة فى جميع الموشحة ، وكل دور تقفى أجزاءه تقفية خاصة كما ذكرنا . فالموشحة المذكورة تتألف من ستة أدوار ؛ مطلع الدور الأول :

لله ذات حسن مليحة الحيمًا

ومطلع الثالث : ليلىة الذوائب ووجهها نهار

ومطلع الرابع : سفرجل النهود فى مرمر الصدور

ومطلع الخامس : عفيفة الذبول نقيه الثياب

ويتحد الجزء الأول من القفل مع أجزاء الدور فى الوزن فقط ، أى لافى القافية ، على حين تختلف بقية الأجزاء عنها فى الوزن والقافية ، ولا تتحد أجزاء القفل بعضها مع بعض ، ولكنها تتحد مع أجزاء بقية الأقفال فى الموشحة كلها ، كما ذكر ، أى أن كل جزء يتحد مع الجزء المقابل له ، فقفل الدور الثالث مثلاً كما يلي :

ناديت وافؤاده من غادة ذات اقتدار

لحظها أقطع من حد مصقول النصال فى الفتى الأشجع

وقفل الدور الأخير :

فى النوم لى شراده وحكمها حكم اقتدار

كلما أمتع منها ، فإن طيف الخيال زارنى أهجع

والقفل الأخير من الموشحة ، وهو الذى يسمى : الخَرْجَة ، هو القمّة التى تتجه الموشحة كلها إليها ؛ ولذلك يحسب حسابها من أول الشروع فيها ؛ فجميع الأدوار الأولى عليها أن تتجمع من شتات انتباه السامع لتوجهه إلى القفل الأخير . وهذا عليه أن يرضى تطلع السامع وتشوّفه بمفاجأة معنوية ولفظية تشبع ميوله ، وتقمع فضوله ؛ كما يؤخذ معنى ذلك من : « دار الطراز » لابن سناء الملك ، ففي القفل الأخير من هذه الموشحة ، تؤثر هذه الكلمات الأخيرة أعظم التأثير :

... فإن طيف الخيال زارنى أهجع

وفى هذه الموشحة ، كما فى كل موشحة تامة ، تقدم ، على جميع الأدوار ، قفل مماثل لجميع الأقفال ، ويسمى : مطلع الموشحة :

حبّ المها عباده من كل بسّام السّوار

فمر يطلع من حسن آفاق الكمال حسنه الأبدع

هذا الفن المتنخلّ الدقيق من التقفية والتسميط ، الذى يضفر أجزاء متباعدة من الموشحة ويدخلها بعضها فى بعض ، ويطلع جميع الموشحة بأسمى طابع من الكمال الفنى الناضج ، ربما كان هو المعنى « بالتضفير » الذى يُعدّ « عبادة بن ماء السماء » أبا عذرتة .

كذلك الموسيقى التى كانت تلحنّ لهذه الموشحات — كل الموشحات كان هدفها الغناء — كان عليها أن تراعى هذا التنوع والافتنان ، وأن تأخذ أيضاً طابع التعقيد الحافل بالكمال الفنى .

ولم يكن هذا التكوين العروضى البديع ، المعتمد فى بناء هيكله على قواعد غريبة على الشعر البدوى الفصيح ، ولا ذلك الفن الغنى المتنخل فى التقفية والتصريع ، ولا تلك الموسيقى الرفيعة المعقدة ، هى كل الخصائص التى ميّزت بين الموشحات ، والشعر الفنى القديم . بل كذلك يحملنا القالب اللغوى لهذا الفن الجديد على ملاحظة التحرر أيضاً من القيود الأولى .

فعلى رأى ابن سناء الملك^(١)، ينبغي أن تكون «الخرجة» — فيما عدا المديح لأنها تتضمن اسم الممدوح في هذه الحالة — بعيدة عن أسلوب السخف الحجاجي (نسبة إلى ابن حجاج الماجن الذى ذكر آنفاً) ، وأن تكون صيغتها على قالب ابن قُزَمان ، أى فى أسلوب ملحون مجرد من الإعراب ، كما يحسن أن تشمل على عبارات دخيلة أمجمية اللغة^(٢).

نعم لم يكن من السهل ، مع ذلك التغيير الشديد الذى أحدثته ترك الإعراب فى مواد الألفاظ ، صوغ عبارات من اللغة الشعبية تصلح لذلك النظام العروضى العسير ، الذى يعتمد على مقاييس الحركات ، ولا يتحمل التطويل الزائد ، ولا المقاطع المغلقة غالباً ؛ وعلى ابن سناء الملك أن يدعى لأن الخرجة فى أحوال كثيرة لا بد أن تكون فى أسلوب نحوى فصيح ، بل هذا هو المستفيض الغالب فيما بقى من الموشحات .

أما أن رأى ابن سناء الملك فى ضرورة صوغ «الخرجة» باللغة الشعبية الدارجة لم يكن مجرد نظرية مفترضة ، بل حقيقة عملية ، فهذا ما لا تنحصر الدلالة عليه فيما ورد من الموشحات الجارية على ذلك ؛ بل ما تدل عليه النماذج الواردة فى ديوان يهودا هاليفنى (المتوفى ١١٤١ م) ، والتي تستعمل العبارات العربية والأسبانية القديمة مختلطاً بعضها ببعض على سواء ؛ كما تدل على ذلك قبل كل شىء موشحات ابن قُزَمان (المتوفى ٥٥٥ هـ) التى صيغ كل ما وصل إلينا منها باللغة الدارجة .

ذلك أن محاولة نظم «الزجل» أى الموشحة الشعبية الأسلوب ، إنما أمكن التجاسر عليها بعد أن تقدمت الموشحات الفصيحة باقتباس عبارات وجمل مبتذلة من لغة الشعب ، وهيات بذلك الصيغ والقوالب فى لغة العامة للاندماج فى أوزان الموشحة . على أنه يتراءى أن هذا المزج والتقريب بين لغة الكتابة الفصيحة ، واللغة الدارجة العامة ، فى الاستعمال الفنى ، بقى مقصوراً على الأندلس ؛ على الرغم من أن

(١) انظر تلخيص أقواله فى كتاب M. Hartmann السالف الذكر ص ٩٩ فما بعدها .

(٢) ص ١٠١ من الكتاب المذكور .

أسلوب الموشحة قد شق مجالا لاحتدائه وتقليده خارج الأندلس ، في شمال أفريقيا ،
ومصر ، وسورية ، وما بين النهرين .

أمّا لماذا لم ينفذ إلى العراق ؟ فربما رجع ذلك إلى أن الموسيقى الفارسية هنا
كانت أسبق إلى التغافل والاستيطان ، إذ أن الموشحة ترتبط بالموسيقى العربية أشد
الارتباط ، وحتى يومنا هذا تكون الموشحة جزءاً أساسياً لا يستهان به في محيط
الموسيقى العربية^(١) .

(١) يشتمل كتاب الأغاني المصرية لمحمود حمدي البوقاق على ٥٠٠ صوت منها ١٣٤
موشحة قصيرة ، القاهرة ١٣٦٦ / ١٩٠٨ .

وصف المقدسي للعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي

إبان القرن الرابع الهجري — العاشر الميلادي

كتاب : أحسن التقاسيم ، في معرفة الأقاليم ، الذي أكمله أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي^(١) سنة ٣٧٥/٩٥٥ ، والذي يعد أنضج نتاج للعصر الإسلامي الأوسط في دائرة وصف الدول والبلدان ، لا يحتوي على طائفة صالحة من الأخبار عن الأمور اللغوية فحسب ، بل هو في نفس الوقت عظيم الفائدة من حيث أسلوبه الخاص .

فكما بلغ المؤلف الذروة في كلا مقصديه على سواء : من حيث استيعاب النظرة ، وقوة الملاحظة تجاه البلدان والشعوب ؛ ومن حيث الإحساس الدقيق ، والذوق المرهف ، أمام الأسلوب الأدبي ، والتعبير اللغوي ، عرف أيضاً كيف يوفق بين مطالب الكتابة في الناحية العلمية الخاصة ، ومذاهب الأسلوب الأدبي الرفيع .

ويدل استخدامه ذلك التعبير البلاغي : التقسيم — يعبر لفظ التقسيم في اصطلاح البلاغة عن استيفاء أقسام المعنى المراد بيانه — على توفر الميل الأدبي عند المقدسي ، كما يدل على ولعه بالثر المسجوع ، الذي لم يقتصر على استعماله في المقدمة ، بل أعطاه في مواضع كثيرة من صلب الكتاب .

ولشدة تعلقه بالسجع لا يندر أن يؤثر عبارات متنخلة متخيرة ، مثل استعماله لفظ : أثم ، بمعنى خطيئة ، مريداً به الحجر ، ٤١٠ س ٥ ؛ ولفظ : دقال ، أي قلاع ، نغى السفن (ص ٤٥٩ س ١٥) .

كما حُبب إليه محلية عبارته بالاعتباس القرآني ، مثل : من كل فج عميق

(١) « كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » نشره M. J. De Goeje للمرة الثانية سنة ١٩٠٦ (المكتبة الجغرافية العربية ٤) .

(ص ٢٧٨ س ٧ سورة الحج ، آية ٢٧) ؛ وما يدريك (ص ٣٧٨ س ٤) ،
وغير ذلك .

وأحياناً يضمن عبارات أدبية من الذاكرة ، مثل تعبيره عن قصان الدروع
القديمة التي رآها في تيماء ، والتي بطل استعمالها في أزياء السلاح لعهده ، بالدروع
الداوودية (ص ٢٥٣ س ٤) .

وبحكم اعتياده على ملاحظة الفروق بين مختلف البلدان الإسلامية في الكلام ،
والأصوات ، واللغة ، لم يقتصر على ذكر قائمة من العبارات المحلية (ص ٣٠ س ١٥ ؛
— ٣٢ س ٣) بل أكد أيضاً أنه سيتكلم في وصف كل إقليم بلسانه ، وينظر
على طريقتيه ، ويضرب من أمثاله ، فإذا تكلم في غير الأقاليم — من أجزاء
الكتاب — تكلم بلغة الشام لأنها إقليمه الذي به نشأ^(١) .

ومما يدل على أن مراده من لغة الأقاليم التي يتكلم بها لغة المثقفين لا لغة الشعب
الدارجة ، دعواه أن أصح العربية يتكلم بها في المشرق ، أى في الإقليم اللغوي
الفارسي ، لأنهم يتكلمونها تكلفاً ، ويتعلمونها تلقفاً ؛ (ص ٣٢ س ٨) .

ومن هذه الناحية كان ذلك الكتاب كنزاً ثميناً من الوجهة اللغوية . فهو يذكر
(ص ٩٦ س ١١ — ٩٧ س ٢) أن أصح العربية في جزيرة العرب عند هذيل ،
ثم في قسمة نجد ، ثم أخيراً بقية الحجاز ، على حين يصف لغة بلاد السواحل
(الأحقاف) بأن لسانهم (وحش)^(٢) .

وفي مدينة الثغر : سُحار ، تسود اللغة الفارسية ، في التجارة والمعاملة . كذلك
الثغران : جدة وعدن ، أكثر أهلها فارس ، بيد أن العربية هي لغة الكتابة والتفاهم .
ويذكر المقدسي قبيلة من العرب في الطرف الحميري لا يفهم كلامهم (الحميري) .

(١) ص ٣٢ س ٤ .

(٢) « وحش » عبارة يولع المقدسي بكثرة استعمالها ، انظر دى غويه في الفهرست
اللغوي للكتاب .

ومن خصائص لهجة عدن التزام المثنى في جميع الأحوال : يدينه ورجلينه ، مع الجمع بين النون والإضافة ، وجعلهم الجيم كافا ، أو جيا غير معطشة^(١) ، وساق مثلاً ذلك الحديث الذي يقولون فيه بدل لفظ : رجس ، رِكْس^(٢) .

وهو يصف عربية العراق (ص ١٢٨ س ٧ - ٩) بأنها حسنة فاسدة ، والظاهر أن مراده أنها حسنة الوقع في الأذن وإن لم تطابق قواعد النحو ؛ بل هو يعد لهجة بغداد أجمل اللهجات العربية وأحسنها لسانا ، على الرغم من اعترافه في موضع آخر بأنه طالما استحيى من اللحن اللغوي على لسان قاضي القضاة ببغداد ، دون أن يرى أحد في ذلك عيباً^(٣) .

ولهجة الكوفة أصح نسبياً لقربهم من البادية وبعدهم عن النبط ، أماضرة الكوفة القديمة : البصرة ، فإنها منذ استيلاء الزنج عليها سنة ٢٥٧ هـ تأخرت كثيراً ، بحيث لم يرها المقدسي أهلاً لعدّها في هذا السياق أصلاً ؛ فهو يقتصر على ملاحظة أن اللهجة العربية في البطائح (المستنقعات بين البصرة وواسط) ركيكة قبيحة (ص ٣٢ س ٩ ؛ ٣٤ س ١٦) ؛ ولا شك أن هذا نشأ من اختلاط السكان هناك بين قبائل عربية ، وأنباط . وأخلاف السكان الآراميين القدامى ، وأمشاج الزط الذين أسكنهم الحجاج هناك^(٤) ، وأخيراً العدد الذي لا يحصى من الزنج ؛ وهو يقول عن سكان البطائح باختصار : ليس لهم لسان ولا عقل .

ومثل عربية العراق ، كذلك عربية إقليم ما بين النهرين في حكم المقدسي (ص ١٤٦ س ٢ - ٣) حسنة ، أي حسنة الجرس في السمع ، وإن لم تكن سليمة من جهة النحو ؛ وعلى كل حال فهي من هذه الوجهة أصح من لغة سورية ، لأن سكان ما بين النهرين عرب بدو في الأعم الأغلب ، كما تدل على ذلك أسماء

(١) انظر في هذا : Marçais, El I, 1090

(٢) انظر البخاري في كتاب الوضوء ولفظ رجس في Wensinck, Concordance

(٣) ص ١٨٣ س ٥ ، وعبارته : كنت إذا حضرت مجلس قاضي القضاة ببغداد أخجل من كثرة ما يلحن ولا يرون ذلك عيباً .

(٤) انظر : El, IV 1337

مناطقها : ديار بكر ، ديار ربيعة ، ديار مضر ؛ وهو يمتدح على الخصوص لهجة الموصل بأنها أحسن لهجاتها ؛ كما تمتاز صيدااء بين مناطق سورية ، بأنها (أوحش) لهجاتها (ص ٣٤ س ١٥) .

وعلى الرغم من أن لغة أهل الذمة بمصر (أى المسيحيين) هي القبطية (ص ٢٠٣ س ٥) ، فإن لغة البلاد هي العربية ، وإن كانت لهجة يصفها المقدسى بالركاكة والرخاوة (أى الإهمال من جهة النحو) ، لأن السكان اتكلموا على لسانهم فلم يتكلموا الأدب ، والكتاب الذين يتمتعون بهذه الثقافة ، يختارون من النصارى (ص ١٨٣ س ٥) .

وأخيراً يجد المقدسى لهجة المغرب شديدة الاختلاف عن عربية البلدان الإسلامية الأخرى ، منغلقة عسيرة الفهم ، أما البربرية فلا يستطيع فهمها أصلاً ، (ص ٢٤٣ س ١٠) .

وعظيمة الفائدة — بوجه خاص — تلك القائمة ، المشار إليها آنفاً ، من الاستعمالات المحلية ؛ فهي تشمل على مترادفات من أوصاف الأشخاص والأشياء التي يحتاج إليها المسافر ، وتبادر إلى ذهنه : أنواع السفن ، وأوصاف رجالها ، ومفردات خاصة بالملاحة ، واصطلاحات جغرافية ، وألغاز المكس ورجاله ، والمقاييس والموازين والخنانات والفنادق والعييد والخدم ، والمراتب المختلفة ، والأسواق والمتاجر ، والتجار والبضائع ، والأقمشة والثياب ، وأدوات النعال ، والأوعية ، والنباتات ، والحيوانات الأليفة — يضاف إلى ذلك قائمة تشمل على ٤٩ صنفاً من أجناس التمر ، و ٢٤ نوعاً من سمك دجلة الذي يجلب إلى سوق البصرة (ص ١٣٠ ملحوظة P) — والصيادين ورطاتهم ، وعجلات الري والسقي ، والقنوات ومجارى المياه ، وأخيراً اصطلاحات الإدارة والحكم .

نعم هو لا يحدد في ذلك مناطق استعمال كل تعبير ، بيد أن مواضع أخرى من كتابه ، وورود الكلمات في مظان أخرى ، واشتقاقها اللغوى ، أو بعض التقييدات التي توجد عند كتاب آخرين ، كل ذلك يساعد أحياناً على ذلك التحديد .

وهكذا يبيّن فهرست أسماء السفن في حكاية أبي القاسم بن المطهر^(١) مثلاً، أن
كثير أسماء السفن الخمسة والثلاثين التي عدّها المقدسي^(٢) كانت تستعمل في العراق
- وإن لم يلزم من ذلك اختصاص العراق بها - : جاسوس : سفينة التفطيش ؛
بَطِيَّة : سفينة من خشب البلوط الهندي لاتوثق ألواحها بالمسامير بل بألياف الفخار ؛
بَرْب : قارب حربي صغير ؛ طيَّار : قارب سريع للتجديف خاصة ببغداد والعراق ؛
بَنْدِي : قارب حربي ؛ كما يذكر لفظ : قارب ، المنتشر استعماله في المغرب .
ويبدو أن من خصائص العراق أيضاً لفظ : زورق^(٣) ، قارب ؛ ومِعْبَر (معدية)
ومن المستعمل في البلدان الواقعة على المحيط الهندي : بَيْرَجِه : سفينة لصوص
بِحْر ؛ دُونِيَج : سفينة ذات قلع واحد تسير على السواحل ؛ ومما يدخل هنا أيضاً
بِشْكُولِيَّة^(٤) وزَنْبُوق Sambuk في حالة ما إذا جعل ذلك بدلا من
بَنْبُوق^(٥) (ص ٣٢ س ٢) .

ومما يختص بالبحر الأبيض : بَنْدِي : مركب بيزنطي لنقل الجنود ؛ شينا
سفينة بيزنطية كثيرة القلاع (Galeere)

وللتعبير عن محرك السفينة (الدفة) تعدّ كلمة : سُكَّان ، أصيلة الموطن بالعراق
صححة وجودها في اللغة المندعية (Mandaeisch^(٦)) واللغة الأكادية في صيغة :
بُكَّان ؛ وقد استعمله طرفة بن العبد (١٧ - ٢٨) في سفينة بنهر دجلة ؛

(١) Alulkàsım ein bagdader Sittenbild, hrsg. von A. Mez, (١)
Heidelberg 1902

(٢) جمعت المواد المتصلة بهذه الكلمات في أطروحة الدكتوراه التي قدمها في مدينة (بن)
الألمانية : Kindermann : Schiff im Arabisshen, Zwickau 1934

(٣) ورد هذا اللفظ في شعر ذي الرمة قصيدة رقم ٢٠ بيت ١٥ والزيفان ٣ بيت ١٥
رؤبة ٢٧ بيت ٣٠ و ٤١ و ٦٥ .

(٤) فسرها دي غويه في فهرست ألفاظ الكتاب بسفينة لصوص البحر ، على أنها مأخوذة
من : شنجول : لص في الفارسية .

(٥) انظر : Kindermann في الأطروحة المشار إليها .

(٦) Johannesbuch 152 I Lidsbarski

والفرزدق (ص ٨٦٨ ديوان) في وصف السفن في الخليج الفارسي (١).

أما في المغرب (٢) فيستعملون في ذلك لفظ رَجُل ، وربما كان ذلك أيضاً في سورية

وللتعبير عن الملاح يستعمل في سورية لفظ : نوتى ، كما ذكره الجوهري ، وهذا

مأخوذ عن اليونانية ، على حين أن لفظ : ملاح ، الذى يرجع أخيراً إلى السومري

ربما كان خاصاً بالعراق .

ويعبر العراقيون عن السير إلى أسفل النهر : شبالا ، وإلى أعلى النهر : زِقافاً (٣)

وقد ذكر المقدسى الاصطلاحين في وصفه للعراق ولغته .

كذلك لفظ قَلَس ، المأخوذ عن اليونانية ، بمعنى جبل السفينة ، الذى ذكره

المقدسى إلى جانب لفظ : جبل ، كان مستعملاً في العراق بشهادة ابن دريد (٥).

وتسمى الريح المساعدة في العراق : شَرْتَه (٦) ؛ وفي غيرها (ربما في سورية ؟)

طارُوس .

وعظيمة هي الفروق في دائرة أسماء المقاييس والموازن والنقد ؛ فمثلاً لفظ : مِرْ

(Mine) معروف في جميع المحيط الإسلامي بمعنى رطلين ، إلا في مكة حيث يستعمل

لفظ : رطل (ص ٩٩ س ٤) ؛ كذلك يستعمل في مكة بدلاً من لفظ : قنطار

لفظ : بهار ، ويزن ثلاثمائة رطل (ص ٩٩ س ٩) . وأصغر النقد في كل مكان عادة

لفظ : حبة ، واسمها في عمان : طَسُوَه (٧) . وهو دليل على اتصال هذا الإقليم بالدولة

الساسانية من الناحية الاقتصادية . فكلمة : تاسوك في الفارسية الوسطى ، وتاسوك

في الفارسية الحديثة ، وطشوج ، في العربية ، تعبر عادة — بحسب الأصل — عن

(١) ذكرت مظان أخرى في : Fraenkel Fremdwörter 222

(٢) ذكر Dozy شواهد مستخرجة من رحلة ابن جبیر ص ٣٢١ س ٥ والشرح المغربي

لشعر مسلم بن الوليد ص ١٢ س ١٩ .

(٣) انظر السعوى ج ١ ص ٢٨٢ طبع باريس ، يوافق ج ١ ص ٧٨ س ٧ (طبع

القاهرة ١٣٤٦ هـ) .

(٤) انظر حكاية أبي القاسم السالفة الذكر ص ١٠٨ س ١ ، وكلا اللفظين مأخوذ عن الآرامية

(٥) انظر : A. Siddipi, Jbn Duraid 737 وانظر النسبتين : القلاس والقولسى

(٦) انظر فهرس العاظ الكتاب وحكاية أبي القاسم .

(٧) هذا ما يؤخذ من ص ٩٩ س ١٤ ومن عطفه طسوج على حبة في ص ٣١ س ٣ .

مع الدائق ، وبهذا عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الدينار ، ثم عن جزء
ريّة من الأرض يمكن سقيه بربع من الماء . وأخيراً عبّر به عن الناحية ، لأنها تصور
وهي وحدة من وحدات التنظيم الإداري .

وذكر المقدسي من وسائل السقي والريّ إلى جانب لفظ : دولاب (الساقية
وعجلة الماء) الفارسي ، ولفظ : حنّانة ، العربي ، لفظ زرنوق بمعنى البئر ، وهو لفظ
نسب إلى الآرامية^(١) ولا يزال حياً إلى اليوم عند أهل نجد^(٢) . وفي خوزستان
سوى السواقي : نواعير ، جمع ناعورة أو ناعور ؛ وهذا اللفظ الآرامي الأصل^(٣) ، كان
كثير معروف في المغرب ، بحيث وجد المقدسي من اللازم التعبير عنه بلفظ : دوايب
ص ٤١١ س ١١) .

ومن الألفاظ الدالة على سكان الريف ، في مقابلة كل من سكان البادية وسكان
الحضر ، يظهر أن لفظ : قرياتي^(٤) من ألفاظ اللهجة السورية ، ولفظ سوادى من
من ألفاظ العراق^(٥) ، كلفظ : رُستاقى ، نسبة إلى : رُستاق ، من البهلوية رُستاك^(٦) .
ومن الألفاظ الدالة على السنور ، ثبت استعمال لفظ هرّ ، اسماً مؤنثاً في العربية
أر قديمة ؛ ولفظ : دمة ، المأخوذ من : دِمَت ، الحبشية ، يبدو أنه كان مستعملاً
عند جنوبي الجزيرة^(٧) . ولفظ : قطة كلفظ : قَطُس ، يبدو رجوعه إلى اللغة
لدولة لصرية ، وهو منتشر في سورية ومصر وشمال أفريقية . ولفظ : سنور ، مستفيض
سوى لغة الكتابة القديمة بالعراق^(٨) .

عن (١) انظر : Fraenkel, Fremdwörter 134 واختلط هذا اللفظ على Mez في
Renaissance ص ٤٢٤ بلظ : زرزور .

(٢) Bräunlich, The Well in Ancient Arabia

(٣) Fraenkel في الكتاب السابق ص ١٣٤ و Mez في Renaissance 424

(٤) وهي نسبة عامية إلى قرية ذكرها المقدسي في ص ١٧٣ س ٦ ، انظر دي غويه في فهرس
الألفاظ . واستعمل الجاحظ لفظ : قروي في البيان ج ١ ص ٦٨ س ٢٧ و ج ٢ ص ٤ س ٢٧

(٥) انظر : حكاية أبي القاسم ص ١٠٧ س ٨ .

(٦) لسان الرستاق ص ٤٧١ س ١١ هي لغة السهل من كرمان .

(٧) انظر دوزى في المادة .

(٨) انظر كلمات أخرى بمعنى القطة في الدميري تحت كلمة : سنور .

وفي أسبانيا يسمى عنقود العنب : كرمة ، ويستعمل المقدسي كثيراً جمعه على :
كرمات — وقد أثبت « دى غويه » أنه مغربي في فهرس الألفاظ — في وصفه
للأندلس . وفي المشرق يستعمل بدلا من ذلك لفظ : دالية ، المأخوذ من الآرامية .
وفي موضع آخر (ص ٣٣٥ س ٦) نستفيد عرضاً أن الحديقة تسمى بالأندلس :
مُنية ؛ وهناك أيضاً ينبه إلى أن لفظ : إقليم ، يدل في أسبانيا على المنطقة الريفية .
وفي أحوال أخرى يدل الاختلاف اللغوي على اختلاف الثقافة وتضادها بين
سكان البادية ، وسكان الحضر المستقرين ، ذلك التضاد الذي بلغ من البعد بحيث
تصور اللهجات البدوية إلى اليوم وحدة لغوية مستقلة .

فمثلا لفظ : أنافي ، أي حجارة الموقد ، لفظ بدوي ، على حين لفظ : موقدة ،
الذي لم يذكره الجوهري ، مستعمل عند سكان الحضر . زيادة على ذلك يستعمل
المقدسي (ص ٣٦٤ س ١٣) لفظ : ديكندان ، (الأنافي أيضاً) الفارسي ، في وصف
بناء سد يأجوج ومأجوج ، لإعارة هذا الوصف صبغة محلية .

ويبدو أنه يقصد إلى تنوع الكلام وتجميله أكثر مما يرمى إلى التلوين بالصبغة
المحلية ، في ذكر التعبيرات المختلفة عن : الخصى ؛ فلفظ : خصي ، القديم الجاف ،
قد خفف إلى لفظ : خادم ؛ ولما كانت التربية كثيراً من صنعة الأخصياء ، فقد
خوطبوا تادباً بالألفاظ : معلم ، أستاذ ، شيخ . وهكذا يتحدث المقدسي
(ص ٢٤٢ س ١٣) مع « غريب » الخادم عن أمر الخدم ، ويوجه الخطاب إليه
بلفظ : المعلم ، ثم استعمل هذه الألفاظ أيضاً في غير الخطاب بمعنى « الخصى » .
وأحياناً يتعاطى المقدسي ألفاظاً خارجة عن محيط اللغة العربية ، كما في التعبير
عن مجامع الأبنية التي لا تقتصر على تقديم أماكن لراحة المسافرين الأجانب — على وجه
الخصوص — ومحطات لرحالهم ، بل تشمل أيضاً ، كما هو الحال في كبار الفنادق
الحالية ، على مخازن ومتاجر ومصانع ، وتقرن بين صفة دار الضيافة وصفة السوق العامة ؛
وفي هذا يعد لفظ : فندق ، المأخوذ من : بانديكيون اليونانية ، من خصائص سورية

ومصر وشمال أفريقية ، أى منطقة نفوذ الدولة البيزنطية ؛ مثل لفظ : خان فى فارس ؛ ولفظ : تيم فيما بين النهرين ، الذى يستعمله المقدسى كثيراً فى وصفها ، وإلى هذا يستخدم أيضاً اللفظ العربى : دار التجار^(١) .

وإذا كان المقدسى يستعمل زيادة على ذلك للدلالة على ساحات السوق لفظ : قيصرية ، فربما جاز لنا أن نرى فى هذا اللفظ أثر اللهجة السورية ، لأنه راجع إلى أصل يونانى كان جارياً فى تلك البلاد التى خضعت سالفاً للسلطان البيزنطى^(٢) .

وفى التعبير عن استحکامات الأبنية ، يبدو أن لفظ : حصن ، مقصور على جزيرة العرب وسورية وفلسطين ، على حين كان لفظ : قلعة ، يتردد فى محيط أوسع انتشاراً ، وعلى الأخص فى شمال أفريقية وأسبانيا ؛ ويطابقه فى المنطقة اللغوية الإيرانية لفظ : كلات^(٣) ؛ وفى خراسان وما وراء النهرين تسمى القلعة التى توجد فى كل مدينة تقريباً : قهنذر^(٤) ، ومعناه الأصلى : الحصن القديم .

يبد أن عناية المقدسى اللغوية لم تقتصر على العربية ، بل تمتد إلى جميع اللغات التى يجرى الكلام بها فى إيران لذلك العهد^(٥) . وكلامه صريح فى أنه كان يفهم الفارسية إلى حد كبير حتى إنه كان يستطيع أن يحكم على لهجاتها بحسب مكاتبتها من قانون لغة الكتابة .

فهو يسم لهجة نيسابور (ص ٣٣٤) بأنها فصيحة مفهومة غير أنهم يكسرون أوائل الكلم (علامة الفعل الأولى : ب) مثل ييشو ، أى كُن ، ويزيدون السين بلا فائدة مثل : بگفتستى .

(١) وعلى عكس ذلك يدل لفظ : خاقاه على « الدبر » فى كرمان ، انظر دى غويه فى فهرس الألفاظ .

(٢) انظر : Streck El 2 706

(٣) انظر فى هذا اللفظ : El

(٤) انظر فى لفظ : قهنذر ، المغرب للجواليتى ص ١٢٢ س ٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٤

س ٢١٠ ؛ تاج المروس فى المادة ، وهو يطابق فى المغرب لفظ : قصبه ، انظر : El2 . 838

(٥) انظر ص ٣٣٤ س ٧ ؛ ٣٢٦ س ١ ؛ ٣٦٨ س ٩ — ١١ ؛ ٣٩٨ س ٧ — ١٠ ؛

٤١٨ س ١ — ١١ ؛ ٤٨٢ س ٩ .

ويعد لهجتي طوس و نسا قريبتين إلى لهجة نيسابور ، بل أحسن لسانا ؛ كذلك لسان بُسْت حسنة ، ولهجة سجستان فيها تحامل وخصوصة يخرجون الكلام من صدورهم ويجهرون فيه ؛ على حين أن لسان مرو ومرو روز له مهابة وعظمة ، غير أن فيه تحاملا وطولا ومدا في أواخر الكلم ، كذلك لهجة بلخ حسنة إلا أن فيها كلمات تستقبح .

وغاية في القسوة حكمه على لسان هراة (الوحش) ، وهنا يحكى قصة عن بعض ملوك خراسان إذ جمع رجالا من خمس كور خراسان الأساسية ، فلما حضروا تكلموا جميعاً ، فقال عن السجستاني : هذا لسان يصلح للقتال ، والنيسابورى يصلح للتقاضى ، والمروزي يصلح للوزارة ، والبلخي يصلح للرسالة (لكتابة الرسائل) ، أما لسان هراة فيصلح للكنيف .

وتشبه اللهجة المروزية لهجة سرخس وأبيورد ؛ وبين المروزية والمروية لهجة جَرَجستان (جَرَج الشار) ؛ وبين المروزية والبلخية لهجة جوزجان . وأخيراً تشبه البلخية لهجتا طخارستان وباميان ، إلا أن هاتين منغلقتان عسیرتا الفهم . أما لغة خوارزم فهي لا تفهم أصلاً . وقد لفت نظره في اللهجة البخارية تكرار كلمات من الحشو الذي لا طائل تحته ؛ مثل : يكي ، أداة للتفكير ، إلى جانب حرف : ي (ياء التنكير) أو : دانستی ، هل تعلم ؟ . ولكنها لغة البلاط (درية) ؛ لأن بخارى كانت عاصمة الصفريين .

وفي السمرقندية لاحظ المقدسى صوتاً بين الكاف والقاف ، والظاهر أنه نوع من الجيم ؛ وعدم لهجات الهيطل لغة الشاش أحسنها . والصغدية تشبه لغة القرويين في بخارى ؛ وهنا يستطرد ملاحظاً أن الناس في كل إقليم من الأقاليم التي ذكرها يتكلمون في الريف (الرساتيق) بلسان مغاير للهجة الحضرم .

وفي اللهجتين المتقاربتين : لهجتي قومس وجرجان ، اللتين يصفهما بالحلاوة ، يستعملون علامة الفعل الأولى : ه ، بدلا من : ب ، مثل : ها كُن : افعَل .
ونستفيد في موضع آخر (ص ٣٦٩ س ٤) أن العالم عندهم يسمى : معلماً ،

وأن : لوك ، معناه جيّد . وقريب إلى ذلك لسان طبرستان الذي يقول المقدسي إن فيه محجمة . أما الديلمية فهي ذات صبغة مخالفة لما تقدم منغلقة عسيرة الفهم . ولقت نظره في الجيلانية حرف الخاء ؛ والخززية عسيرة الفهم ؛ ولهجة الرّي تستعمل علامة الفعل الأولى : رَ ، رَادِه ، رَاكُنْ ؛ وفي همدان يقولون : وآتم . وفي لهجة قزوین يستعمل حرف القاف ، ويقولون للجيد : نَجْحُ . والأصفهانية لهجة (وحشة) فيها مد . ووصف المقدسي حالة اللغة (في ص ٤١٨ س ١ - ١١) في خوزستان فقال إنهم يمزجون بين العربية والفارسية إذ يحسنون اللغتين على سواء ، وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية حتى ينتقلوا إلى العربية . والكرمانية (ص ٤٧١ س ١١-١٢) تشبه الخراسانية ، وهي سهلة الفهم على النقيض من البلوصية التي تشبه لغة السند . ثم يصف لغة مكران (ص ٤٨٢ س ٩) بأنها (وحشة) .

وجدير بالملاحظة أن المقدسي يسوق حديثاً مذهيباً يصرح بروح العداء للفرس : «أبغض الكلام إلى الله الفارسية ، وكلام الشياطين الخوزية ، وكلام أهل النار البخارية ، وكلام أهل الجنة العربية»^(١) . وهذا الخبر الذي كشف النقاد المسلمون^(٢) عن شدة الجراءة في وضعه ، تعلمه المقدسي في رامهرمز حيث كانت اللغة الخوزية ، التي لا صلة لها بالعربية ولا بالفارسية ، لا تزال مستعملة على ألسنة السكان .

كذلك نستفيد طرفاً من أسماء الأعلام المعتاد استعمالها في فارس (ص ٣٩٨ س ٤ - ٦) . ففي الرّي يقولون بدلا من : علي ، حسن ، احمد : علكا ، مسكا ، حمكا ، للتمليح . وفي همدان يقولون بدلا من : أحمد ، محمد ، عائشة : أحمدلا ، محمدلا ، عيشلا ؛ فيضيف الأولون مقطع : - كا ، والآخرون مقطع : - لا ، إلى الأسماء . وفي ساوة يضيفون مقطع : آن ، أبو العباسان ، حسنان ، جعفران . وفي كرمان

(١) ص ٤١٨ س ٦ - ١١ ؛ انظر ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٩٩ ، ويوجد حديث في كنز العمال ج ٢ ص ١٨٤ يحرم استعمال الفارسية في الحج .
(٢) انظر ابن حبان (ذكره ابن حجر في الموضوع السابق) ، والذهبي : ميزان الاعتدال ، وابن حجر : لسان ، تحت : إسماعيل بن زياد .

أحب الكنى : أبو جعفر ؛ أما في أصفهان فهو : أبو مسلم ؛ وأخيراً في قزوين :
أبو الحسين .

هذا ، وإن ذلك الطلاء البلاغى ، والافتنان في أنواع الأساليب التى حلّى بها
المقدسى كتابه ، لا يمكن أن يخدع النظر عن أن لغته في جوهرها من العربية المولدة .
فهو لا يُعنى كثيراً بالترفة بين المقصور والمدود ، وهو يسوق في قافية السجع
(ص ١٥١) مع لفظ : دنيا ، الكلمتين : لأوى (بدلا من لأواء) وأميا ، الذى
هو بدوره جمع مولد للفظ : ماء^(١) ؛ ومثل (ص ٤٤ س ١٤) لفظ : كرا ، بدلا
من : كراء .

ووردت عنده صيغة « تفاعل » من رأى : تريا . وهو يصوغ (ص ٢٢٥
س ٧ ، ١٢) جمعا للفظ : مأجن : على مواجين ؛ وللفظ : أذاة ، ضرر (ص ٢٠٢
س ٣) على : أذايات .

ومن المولد استعماله لفظ : أخير (ص ٣٤ س ١٧) بدلا من : خير^(٢) . ومن
الاستعمال الشعبى الدارج معاملته التركيب الإضافى معاملة اللفظ المفرد ، وصوغه
النسبة إليه على هذا الأساس (ص ٢٠٣ س ٤) كان شفعويا أبو عمر يا (أى شافى
المذهب يقرأ على طريقة أبى عمرو^(٣) .

وكثيراً ما يستعمل أوصافاً مختومة بمقطع : — آنى ، مثل : بلغانى
(ص ٤٧٩ س ٩) ، ذنبانى ، كالذيل (ص ٤٠٣ س ١٨) ، طولانى ، طويل
(ص ٤٨٧ س ٣) .

وهو يستعمل لفظ : منبوت : ، بمعنى مُنبت (ص ١٨٣ س ١٩) وداخل ،

(١) انظر : Nöldeke NBSS 168

(٢) Fleischer Beiträge 4, 248

(٣) يقصد أبى الطيب بن غلبون (المتوفى ٣٨٩ هـ) ، انظر : تاريخ القرآن لنولدكه ،

مكان : أدخل ؛ ويستعمل مضارع المعلوم : يزن ، يحد ، يقد ، وربما أيضاً : يقف ،
بمعنى مضارع الجهول .

وهو يقول (ص ٤٥٠ تعليق) : أدخلوا به ، أى دخلوا به ، وهو تعبير خطأ
الحريري^(١) .

وهو يعمدنى خطب باللام أو إلى ، فى حديثه عن الأمير الذى يتم له الاعتراف
بالولاية بإلقاء الخطبة .

وإلى جانب استعماله لفظ : خاصّة ، عند التخصيص ، يستعمل أيضاً لفظ :
وبخاصّة ، وبخاصية .

وجدير بالملاحظة من تعبيرات الاستعانة بالأداة على تحديد الغرض استعماله :
برسم ، بمعنى : لأجل (ص ١٨٨ تعليق ٢) .

ومن الاستعمال الشعبى الدارج استعماله : ترى ، بمعنى : فإذا ، فيكون
(ص ٣٦٤ س ٩) .

وهو يستعمل أحياناً : ما ، بمعنى أى شىء .

وهو يجرى على قواعد الإعراب والتصريف بوجه عام ، وإن دلّ تعبيره
(ص ٣٥٨ س ٥) وتراهم . . . حزبان ، بدلا من : حزبين ؛ وربما أيضاً
(ص ٣٧٧ س ٨) شبه ثوران ، بدلا من : ثورين — فى كلتا الحالتين تظهر موافقة
السجع — على أن الشعور الحى عنده إزاء الإعراب غير قوى .

ومن العربية المولدة قبل كل شىء المادّة اللغوية . ذلك أن وصف البلدان
والشعوب الإسلامية ليس من السهل اليسير بوسائط اللغة العربية القديمة . فتتأجج
الصناعة ، ومحاصيل الزراعة ، والمهن ، والحرف ، والظواهر المختلفة المتنوعة للحياة
اليومية ، ينبغى التعبير عنها بالمصطلحات المتعارفة ؛ وفى هذا تلعب اللغة الفارسية دوراً
عظيماً . على أنه هناك أيضاً ، حيث لا توجد أسباب واقعية ، يحبب إليه أن يستخدم

ألفاظاً وعبارات مولدة . ومن أمثال هذه الألفاظ القريبة إليه : على كل حال ؛ بليد ، بمعنى قدر (من الفارسية الحديثة : بليد) ، بلاذه ، قذارة ؛ عَنِين ، غلبة ، بمعنى العصبية .

ومن المعروف أن النسخة التي نشرها دي غويه De Goeje تعتمد على مخطوطتين متغايرتين ، تقدمان صورتين مختلفتين للكتاب . فكثيراً ما تقدم إحداها صيغة شعبية ، على حين تذكر الأخرى صيغة فصيحة مكانها . وفي مثل هذه الأحوال عمد الناشر غالباً — طبقاً للسنة المتبعة في القرن الماضي — إلى اختيار الصيغة الفصيحة في النص ، والتنبيه إلى الأخرى في التعليق ، وإن ذكرها أيضاً في الكشف لألفاظ الكتاب .

على أنه لا يقتصر الأمر على احتمال تسرب عبارات شعبية إلى النص بسبب تساهل الكتاب — وهذا ينطبق أيضاً بصفة أساسية على جميع النصوص التي لا تتناول بالعبارة الدقيقة في الرواية المدرسية ، ولذلك كانت ضحية لإهمال الكتاب وتساهلهم — بل قد حصل العكس أيضاً ، حيث عمد الكتاب أحياناً إلى تصحيح عبارات دارجة في النص من تلقاء أنفسهم .

فمثلاً (ص ١٢٥ س ٢) كتب أحد الكتاب على هامش النسخة : B معلقاً على الجمع الدارج : الأقسام (وضع دي غويه : الأفواه اعتماداً على نسخة : C) ملاحظته الاستنكارية : لا يصدق أن المؤلف يقع في مثل هذا الخطأ الشنيع .

فلو وجدت نسخة أخرى مشهورة ، أخذت عن نسخة : B تلك ، لربما قرأنا فيها العبارة الصحيحة : الأفواه ، بعد التصحيح بناء على التعليق المذكور .

وفي مكان آخر (ص ٣٩٤ س ٣) سأقت — على عكس ما سبق — نسخة : C أقسام (أو بعبارة أخرى على سبيل التصحيح : أقسام) ؛ ولنولدكه NBSS168 (Neue Bemerkungen zur semitischen Sprachwissenschaft) كل الحق

إذا ذكر هذا الجمع : الأقسام ، من خصائص المقدسى .

كذلك يوجد (ص ٣٠٤ س ١٣) في نسخة : B الحقايب ، وفي نسخة : C الحقيبات ، و (ص ٤٠ س ١٥) أو (٢٣٨ س ٤) الجميلة في : B ، والمهيعة في : C ، على حين تقدم كلتا النسختين (ص ٤٨١ س ١٠) الصيغة الملهونة : يهوعلون .
أما مسألة : كيف كتب المقدسي نفسه في حقيقة الأمر ، فلا يمكن الحكم فيها بصفة عامة . بل لا بد في كل حالة خاصة من الفحص الدقيق . وعلى حين يلقى المقدسي وزناً للأسلوب المجرّد المتنخل ، ويكتب فوق هذا في نثر مسجوع ، يتخلى كتاب فنيون آخرون ، في قمة العصر الإسلامي الأوسط ، عن كل طلاء بلاغي ، ويستخدمون في كتبهم لغة تعد من العربية المولّدة ، لا من حيث قوالها الداخلية فحسب ، بل كذلك من حيث مادتها اللغوية وعباراتها الخاصة كذلك .

وقد حفظ هؤلاء الكتاب من الانزلاق في الشعبية الدارجة بالكلية ، أنهم كانوا لا يزالون يعيشون في جو التراث الحى للثقافة الإسلامية ، والتربية اللغوية . فبوساطة المدرسة والمدارس التي أحاطتهم علماء بالعربية القديمة وأعلامها الأوائل ، وبسبب اعتمادهم في علومهم الخاصة على أسلافهم أيضاً من الوجهة اللغوية ، نجدهم محصّنين قليلاً أو كثيراً بسياج من قوانين النحو ، يراعون قواعدها ولو إلى حد معلوم يختلف باختلاف الأشخاص .

وهكذا نجد مثلاً المادة اللغوية التي يستعملها ابن النديم في كتابه الفهرست^(١) ، الذي ألفه سنة ٣٧٧ ، مولّدة في الكثير الغالب : أسباب (ص ٥٣ س ١٦) بمعنى أقارب^(٢) ؛ طنز (ص ٨٦ س ١٠) بمعنى مزاح^(٣) ؛ طيّب (ص ٤٤ س ١٢) بمعنى : ذكى ، واستعمله الجاحظ أيضاً من قبل^(٤) ؛ حكاية بمعنى :

(١) أخرجه فلوجل في ليزج ١٨٧١ م .
(٢) توجد أمثلة أخرى لذلك الاستعمال في ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ١٣٦ س ٤ ج ٢ ص ٣١٠ س ٦ وغيرها ؛ تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٨٤ س ٢١ وغيرها ؛ أغاني ج ٢٠ ص ١٥٣ س ١٣ وغيرها .
(٣) قال الجوهرى عن ذلك : معرب أو مولد ، وانظر جولدزهر JRAS 1912 816
(٤) انظر البخلاء للجاحظ (نشر فان فلوتن وملاحظته على ذلك ص VIII)

خبر^(١) . سائر ، بمعنى جميع^(٢) ، وهو منتقد عند المتزمتمين اللغويين .

وهو يستعمل أيضاً صيغاً مولدة مثل : حِلَاب ، جمع حَلْبَة (ص ١١٣ س ٢٨) ،
ومثل ما ذكر ابن خالويه^(٣) أنه مأخوذ من رطانة صبيان الكتاب : حواميم
(ص ٢٦ س ١٤) بدلا من آل حاميم ؛ ومثل النسبة على : جسماني وروحاني
(١٠ س ٢٣) وهولاني ، أي مادي (ص ١٠ س ٧) وصنعاوي أي كيميائي
(٣٥١ س ١٨) وكثير من الألفاظ الدخيلة .

وهو لا يكتفي بصوغ لفظ : أولا ، على الظرفية ، بل يصوغ منه أيضاً مؤنثا
على : أولة ؛ وهو ما عده الحريري^(٤) (حوالي سنة ٥٠٠) خطأ لغويا شنيعا على
السنة العوام .

ومن الشعبي أيضاً هذا التعبير : رجع يفعل (ص ٣٣١ س ٤) بمعنى كرر الفعل .
وقوله : وستة سورى ، أي وستة كتب سورية ، لم يطابق بين الوصف والموصوف ،
كما في اللهجات الحديثة في الوقت الحاضر^(٥) .

وكثيراً ما يفصل بين المضاف والمضاف إليه بلفظ معطوف على المضاف ، مثل :
(ص ٧٧ س ٨) أسماء وأخبار جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن خلط
المذهبين^(٦) ، بدلا من الصحيح : أسماء جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن
خلط المذهبين وأخبارهم . وكما في هذا المثال المذكور : علماء النحويين واللغويين ،

(١) انظر ماكدونالد في : EI II 221

(٢) انظر الحريري : درة الغوام ص ٣ .

(٣) كتاب ليس ، حكاة المزهج ١ ص ١٠٨ .

(٤) درة الغوام ص ١٢٦ ، وانظر : Fleischer Beiträge 9. 139

(٥) انظر : قواعد اللغة المصرية العامة تأليف : Spitta Bey ص ٣٩٨ .

(٦) ورد مثل ذلك نادراً في الشعر القديم ، انظر الأعشى قصيدة ٢٠ بيت ٤٩ .

أما اليوم فهو كثير الاستعمال .

بجده يحذف في مواضع مختلفة أداة التعريف من اللفظ المضاف لوصفه : مشايخ
البصريين (ص ٢٨ س ١٤) أو علماء البصريين (ص ٥٤ س ٢٣) .

وهذا التركيب : في يوم الأحد ، ربيع الأول على سبيل الإضافة الخ له نماذج
قديمة ، وإن لم تجد اعترافاً من النحاة ؛ وهي جارية باطراد في الاستعمال الحديث .

كذلك من الشعبي استعمال المجرور بدلا من المرفوع ، مثل (ص ٣٢٩ س ٣)
كونين ، بدلا من : كونان ؛ ونسختين ، بدلا من نسختان (ص ٢٧٤ س ٢٦ ؛
٢٧٥ س ٥ ؛ ٢٧٦ س ٦) .

اللغة العربية في عهد السلجوقيين

لم تكد تعمّر قرنين من الزمان مرحلة « عربية الأدب الفصحى » في أوائل العصر الإسلامي الأوسط ، تلك المرحلة التي بدأت في الثلث الأول من القرن الرابع — العاشر ، مع الانحلال النهائي للدولة العباسية ، والتي نشرت لواء عربية الأدب فوق كافة ربوع العالم الإسلامي ، شعاراً موحداً ، ورباطاً وثيقاً .

ذلك أن الغارات التي نشطت منذ بداية القرن الرابع — العاشر ، فيما وراء النهرين ، والتي أشعل نيرانها السلجوقيون ، بعد أن دخلوا في المحيط الإسلامي لمبضع عشرات السنين من قبل ، مقبلين من أبعد نقطة في حدوده الشمالية — الشرقية ، لم تؤد تلك الغارات من الناحية السياسية فقط إلى إنشاء دولة مدت ظلها ، مع الدول التي خلقتها بحكم التوارث الإقطاعي ، على مناطق مترامية الأطراف في آسيا الوسطى والصغرى حتى أواسط القرن السابع — الثالث عشر ، في مدة وحيزة ؛ بل لقد أحدثت أيضاً تغييرات أساسية في ناحية الإدارة والاقتصاد .

فباستيلاء السلجوقيين على الحكم وصل الأتراك ، الذين ينتمون إلى أواسط آسيا ، والذين اعتنقوا الإسلام فيما وراء النهرين وخراسان ، إلى الرياسة والسلطان ؛ فاتخذوا دولة السامانيين ونظمها نموذجاً لهم ، وصارت الفارسية على عهد السلجوقيين لغة سُدّة الملك ، والسفارات الرسمية ، والسياسة ، والأدب والشعر ؛ وأخذت تنافس العربية من خراسان إلى داخل سورية .

وقد كُتِب بهذه اللغة كل من كتابي : سياسة نامه ، الذي ألّفه الوزير نظام الملك سنة ٤٨٤ هـ ليقدمه إلى سيده : ملك شاه ؛ والنثر المسبوك ، الذي ألّفه الغزالي لمحمود ، خلف ملك شاه .

وإذا نسب إلى ابن محمود هذا ، السلطان محمود (حكم ٥١١ — ٥٢٨ هـ) أنه كان جيد الدراية بالعربية^(١) ، فلا يقصد من ذلك إلا أنه تلقى تعليماً مؤسساً ، لأن العربية قد حفظت مكانتها الفذة من حيث هي لغة القرآن ، والعبادة ، والفقهاء القانوني ؛ ووجدت من أثر السياسة الدينية الشديدة المحافظة ، التي سار عليها السلجوقيون ، عناية أكثر من أى عهد سابق .

نعم طالما تمتع العلماء والكتّاب والشعراء ورجال الفنون من قبل ذلك بالحظوة عند الأمراء ، فعادت هذه الحماية الأدبية على تلاميذهم أيضاً عن طريق مباشر ؛ ولكن الأمراء السلجوقيين هم الذين ربطوا تشجيعهم ومؤازرتهم لرجال العلم بالتكليف الرسمي ، والإسناد العملي .

ولما كانوا مقتنعين بأن بقاء سلطانهم ، وأمان دولتهم ، متوقف على طائفة من القضاة ، ورجال الإدارة ، راسخة القدم في المذهب السني المحافظ ، لا جرم أسس السلاطين والوزراء والولاة وكبار أصحاب المناصب في الدولة ، منذ أواسط القرن الخامس — الحادى عشر ، مدارس قام فيها العلماء المقربون (وأحياناً كبار القضاة) على تخرّيج النشء المطلوب ، لإدارة الضرائب والدخل والخروج ، ورعاية الفقه والقوانين . وقد كان من أثر التحديد العملي لهدف طبيعة التعليم المذكور ، أن صار الفقه القانوني مركز الدائرة في منهاج التعليم بالضرورة . أما دراسة النحو ، فلم تكن لها إلا دلالة علم اللغة المقدس : *sacra philologia* ، وكان هدفها تعريف التلاميذ باللغة الفصحى .

وتسمح لنا بنظرة في طريقة هذا التعليم كتب أبى زكريا التبريزي (١٠٣٠/٤٢١ — ١١٠٩/٥٠٢) ، الذي ظل عشرات من السنين أستاذاً للعربية في مدرسة الدولة الأولى : المدرسة النظامية ببغداد ، التي أسست سنة ٤٥٩ هـ لعقبيه الشافعي أبى إسحاق الشيرازي .

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٥١٩ (١٢٩٩ هـ) .

فهو يذكّر في مقدمة أشهر كتبه : شرح ديوان الحماسة ، كيف اهتدى إلى التفكير في شرح هذا النص . وهو يصدر في هذه المقدمة عن الرأي المحافظ المشهور : من أن أشرف العلوم كلها علم الكتاب والسنة ؛ ولا يصح حقيقة معرفتهما إلا بعلم الإعراب ، الدالّ على الخطأ من الصواب ؛ وعلم اللغة الموضحة عن حقيقة العبارات ، المفصحة عن المجاز والاستعارات ؛ وعلم الأشعار . وهو يسوق ، للتنبيه على قيمة الشعر ، الحديث المروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكماً »^(١) ؛ ويذكر أيضاً خبراً عن ابن عباس أنه لم يفسر آية من كتاب الله عز وجل إلا نزع فيها بيتاً من الشعر^(٢) .

وقد ساقه ذلك إلى أشهر المختارات من أشعار العرب : حماسة أبي تمام ، الفصيحة التي تناولها كثير من الشراح . وهو أيضاً كان قد شرحها شرحاً مستوفى ، غير أنه وجد أن أكثر تلاميذه يطلبون شرحاً يفسر الأشعار بيتاً بيتاً ، ليسهل عليهم معرفة ما يشكل في كل بيت منه ؛ وهكذا عقد عزمه على شرح المختارات مرة أخرى ، وهو يريد في ذلك أن يبين اشتقاق أسماء الشعراء ، ثم يفسر الأشعار بيتاً بيتاً على الولاء ، مع شرح الغريب ، والإعراب ، والمعنى ؛ وذكّر اختلاف آراء الشراح السابقين في المواضع التي اختلفوا فيها ، وإيراد الأخبار ، أي الأسباب والدواعي التي دعت إلى إنشاء الشعر .

وتبين مقدمة التبريزي المشار إليها أن طلاب العلم ، في أول مدارس الدولة العليا ، لم يكونوا بحالة تسمح لهم بفهم الأشعار الفصيحة دون شرح أوّلى .

(١) الترمذى : أدب ، وانظر مراجع الحديث في ابن حجر : فتح الباري ح ١٠ ص ٤٤٦ ؛ كثر العيال ج ٢ ص ١١٧ .

(٢) ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١٢١ س ٢ ؛ ويتعلق بذلك خبر الخارجي نافع بن الأزرق عن ابن عباس ، المتضمن أسئلة عن مواضع من القرآن ، وتفسير ابن عباس لها ، مستشهداً على تفسيره بأقوال من شعر العرب . وقد وردت هذه الرواية على صور مختلفة كثيراً ؛ انظر المبرد : كامل ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ؛ جهرة أشعار العرب ؛ السيوطي : إتقان ص ٢٨١ — ٣٠٩ وغير ذلك .

وشرح التبريزي ، الذي أريد به أن يسد هذه الحاجة ، والذي احتفظ بمكانته ، من حيث إنه عون مريح على قراءة هذا الديوان ، حتى يومنا هذا ، إنما هو مجموعة تضم ، في مهارة وحذق ، نتائج الجهود التي بذلها علماء اللغة القدامى .
فمثلا فقه لغة الأعلام لشعراء الديوان مأخوذ برمته من مختصر ابن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ) المختص بهذا الموضوع : المبهج في أسماء شعراء ديوان الحماسة ^(١) ، دون تسمية ذلك المصدر .

كما يظهر أن الأخبار عن الحوادث التي هيأت الدواعي الخاصة لإنشاء الأشعار ، ترجع بصورة عامة إلى شرح أبي رياش ^(٢) .

وكذلك شرح التبريزي للمعلقات لا يزيد زيادة تذكر على خلاصة بحوث علماء اللغة في القرن الرابع - العاشر ، كما يتبين ذلك من موازنته بشرح ديوان الحماسة الأسبق منه ؛ ولكنه يمتاز أيضاً باختصاره وشموله .

ومما يتسوق مع هذه الطريقة المتجهة أتجاهاً كلياً إلى سدّ حاجات التعليم ، أن التبريزي قد تناول كلا من كتاب الألفاظ ، وإصلاح المنطق لابن السكيت بالدراسة الجديدة الدقيقة : التهذيب ، حيث أكمل النصوص ، وذكر أسماء الشعراء ، وشرح الغامض من أبيات الشواهد لفظاً ومعنى ^(٣) .

وخلف التبريزي في المدرسة النظامية زميله ، وسليل وطنه ، من مدينة استرأباد : علي بن أبي زيد (المتوفى ٥١٦ هـ) ^(٤) .

(١) طبع بالقاهرة ١٣٤٨ هـ .

(٢) انظر في : أبي رياش ، ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٧٤ فما بعدها ، وشرحه لديوان الحماسة ذكر في خزنة الأدب عدة مرات .

(٣) كانت لغة التبريزي الأصلية الفارسية بلهجة أذربيجان ؛ انظر القصة المروية في ذلك عند السمعي : أنساب ١١٠ ب ، وذكرها ياقوت في الإرشاد ج ١ ص ١٧٣ ؛ ونقل ياقوت في معجم البلدان عن التبريزي أنه كان ينطق : تبريز ، بكسر التاء ؛ وليس معنى هذا أنها تنطق كذلك في الفارسية ، وإنما هو تعريب منه لذلك اللفظ ، لأن المترمتين اللغويين لا يعترفون باسم على وزن تفعيل بالفتح .

(٤) انظر : نزهة الألباء ص ٤٤٨ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٤١٥ - ٤٢٠ ؛ السيوطي : بغية ص ٣٥١ .

وتدل نسبه التي عرف بها : الفصيحي ، على وجهته وهدفه العلمى ؛ وهو يدين بهذه النسبة لولعه بكتاب الفصيحي ثعلب ؛ الذى كان يحفظه ويكثر من دراسته . ولما كان مجاهراً بنزعته الشيعية ، لا يدارى فيها ولا يوارى ، فقد اضطر إلى النزول عن التدريس بالمدرسة النظامية لأبى منصور الجواليقى (٤٦٦ — ٥٣٩ هـ) الذى تسامت عقيدته السنيّة على كل مظنة .

وقد عُنى الجواليقى — على النقيض من أستاذه التبريزى — عناية خاصة بمتن اللغة العربية . وكتاب المعرّب^(١) ، من بين مؤلفاته ، يعدّ مختصراً — مريحاً — لأعمال أجيال سالفه من الباحثين ، ولكنه لا يكاد يحتوى على رأى جديد^(٢) . كما أن شرحه على كتاب : أدب الكاتب لابن قتيبة^(٣) ، مجهود جد متواضع ، يتلاشى أمام الأعين ، إذا وازناه قبل كل شيء بالشرح النفيس القيمة للنقاد البطيوسى^(٤) . والصورة التي يقدمها التبريزى لأخطاط مستوى الثقافة اللغوية في بغداد إبّان القرن الخامس — الحادى عشر ، تجد ما يؤيدها ويكملها في كتاب عن اللحن اللغوى على أسنة الطبقات المثقفة : درّة الغواص ، فى أوهام الخواص ، الذى ألفه معاصر للتبريزى ، هو الحريرى ، صاحب المقامات المشهور (المتوفى سنة ١١٢٢/٥١٦) . وكما يؤذن به العنوان لا يعنى الكتاب المذكور بالأخطاء اللغوية الجارية على لسان الجماهير العامة من الشعب ، التى كان يوجد إذ ذاك عدد كبير من المؤلفات فيها ، بل بأخطاء الطبقات الرفيعة ، أى الأوساط التى كان الحريرى نفسه ينتمى إليها بأصله ومرتبته .

(١) نشره إدوارد سخاو فى ليبرج سنة ١٨٦٧ م ، عن مخطوط فى ليدن ؛ وأكمل شبتابك بعض ما فيه من السقط بوساطة مخطوطين فى دار الكتب المصرية (ZDMG 33 208 - 224) وتوجد نسخة ناقصة من الأول والآخر فى ميونيخ ؛ فهرست جلازر ١٢٣ .
(٢) انظر العرب ص ٢٦ س ١١ .
(٣) طبع بالقاهرة ١٣٥٠ هـ .
(٤) نشره : Thorbecke فى ليبرج ١٨٧١ ؛ وتشتمل طبعة الجوائب باستانبول على شرح المشهاب الخفاجى على درة الغواص أيضاً .

فقد كان الحريري صاحب الأخبار بالبصرة ، كما أن أباه لم يكن من الأغنياء
فحسب ، بل كان كذلك رجلاً ذا ثقافة خاصة^(١) ، بحيث اهتم بأن يتلقى ابنه العلم
على أشهر نحاة البصرة لذلك العهد : الفضل بن محمد القصباني^(٢) .

والحريري يمثل مبدأ « تنقية اللغة العربية » المتزمت ، والأخطاء التي يثيرها في
درة الغواص ، هي في أغلب الحالات نفس الأخطاء التي لاحظها ابن قتيبة قبل ذلك
بقرنين ونصف في كتابه : أدب الكتاب ؛ محليات تسربت تدريجاً إلى
لغة المتقنين .

بيد أن أعظم من تلك الأحوال إفادة ، ما ذكره الحريري من الأخطاء التي
وقع فيها معاصروه من شدة حرصهم على سلامة التعبير ، فلم يصيبوا القصد ، لتلاشي
الشعور اللغوي ، والذوق العربي السليم عندهم ، تجاه طبيعة اللغة الفصيحة .

وهكذا نراهم يستعملون مثلاً الإعراب ، في حالة سرد الألفاظ دون تركيب جُملي ؛
فهم يعدون : واحداً ، اثنان ، ثلاثة الخ (ص ١٧١) بالإعراب ؛ مع أن الإعراب
إنما يصح في حالة التركيب ، وفي سياق الجملة ؛ ولهذا تستغنى مجاميع الحروف المذكورة
في أوائل السور عن كل إعراب ، ولا تقبل الجمع ؛ فمثل صيغة : حواميم ، بمعنى
السور المبدوءة بحاميم ، إنما هي مسخ وضع بدلا من : آل حاميم ، أو ذوات حاميم .

ومن الترتيب الخالي من الإعراب : بين بين ، صباح مساء ؛ وهما ليسا منصوبين
على الظرفية ، وإنما ختما بالفتحة مراعاة لجمال الصوت . ولكن معاصري الحريري
يقولون بدلا من التعبير الأول : بين البين (ص ٦٣) ، على حين يستبدلون من
الثاني خطأ : صباح مساء ، على الإضافة أيضاً .

(١) يؤخذ هذا من درة الغواص ص ٧٩ س ١ .

(٢) ذكره الحريري في درة الغواص ، ص ٣١ ، ٤٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ؛ ويؤخذ
من نزهة الألباء لابن الأنباري ص ٤٢٥ (انظر ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ١٤٣ والسيوطي :
بغية ص ٣٧٣) أنه مات في السادس من صفر ٤٤٤ هـ ؛ فإذا صح هذا فلا بد أن يكون ميلاد
الحريري متقدماً على ما ذكر بعشر سنوات على الأقل .

ويدل على اضطرابهم وعدم تمكنهم في استعمال الإعراب ملاحظه الحريري
من أنهم يخلطون بين : بكم ثوبك مصبوغا ، و بكم ثوبك مصبوغ : فالأول سؤال
عن ثمن الثوب ، والثاني سؤال عن ثمن الصباغة ؛ والفرق بينهما مثل الفرق بين :
في داري زيد قائماً ، أي زيد في داري وهو قائم ؛ وفي داري زيد قائم ، أي زيد
قائم في داري (١) .

كذلك تلاشى عندهم الشعور بالفرق بين المضارع المرفوع والمنصوب والمجزوم ؛
ولذلك استعملوا في أمر الغائب صيغة المضارع المرفوع : يعتمد ، بدلا من
الصحيح : ليعتمد .

وكذلك لم تعد لهم ألفة بصيغة المضارع المؤنث للمخاطب والغائب في حالة الجمع ،
التي استعويض عنها في اللغة الدارجة بصيغة المذكر ، والتي امتازت في اللغة الفصيحة
بنون النسوة ، مثل : يكتبن وتكتبن ، إزاء المذكر : يكتبون وتكتبون ، فعملوا
إلى التفرقة بين الجنسين بمجرد التاء أول الفعل في حالة جمع المؤنث الغائب (تكتبن)
ظفاً منهم أن التاء هي علامة التأنيث في صيغ المضارع .

وعلى عهد الحريري كان التنوين قد أهمل في اللغة الدارجة منذ زمن طويل ،
ولهذا كان خطأ المثقفين في استعماله غير قليل . فقد صاغوا مثلاً : دنياً ، أي عالماً
(ص ٧٠) ، وهو استعمال غلط ؛ ومن العجيب أن ابن بري دافع عنه ، كما تسرب
إلى الحديث في نصوص البخاري (٢) ، على الرغم من أن أكثر النحاة قد أدركوا
الوجه الصحيح من أن « دنيا » على أنه وصف لمؤنث أدنى غلبت عليه الاسمية ،
لا يقبل التنوين أيضاً في حالة التنكير .

وزيادة على ذلك ، اختلطت في العربية المولدة علامات التأنيث ، من التاء
والألفين المقصورة والمدودة ، وهذا يوضح أن معاصري الحريري غيروا لفظ : عزلاء

(١) انظر الحفاجي على درة الغواص ، س ٢٤٧ س ١

(٢) القسطلاني ج ١ ص ٥٦ .

بمعنى فم المزايدة ، إلى عَزَلَة (ص ١٦٦) ، واختفى تدريجاً أيضاً الفرق بين ألف القطع وألف الوصل ، ونشأ من ذلك أن وقع بعض المثقفين في أخطاء من هذا النوع .
وينحى الحريري بشدة اللاتمة (ص ١١٨) على صيغة : ابنت ، بكسر الباء مع همزة الوصل ، وهي خلط بين صيغتي : بنت وابنة .

وأجرى حكم الفعل المعتل الياء على الفعل المضعف في اللغة الدارجة ؛ ولهذا بالغ معاصرو الحريري في إجراء الفعل المضعف مجرى السالم ، فقالوا : سارره ، بدلا من : ساره (ص ٨٥) ؛ كما صاغوا من أفعال معتلة أوزاناً على قياس الفعل الصحيح ، مثل : مَشَوْرَة ، بدلا من مَشَوْرَة (ص ٢١) ، وكما في اسمي المفعول : مبيوع ، بدلا من : مبيع ، ومصوون ، بدلا من : مصون (ص ٥٩) .

كذلك لم تتوفر لديهم الخبرة باستعمال فعلى المدح والذم : نعم وبئس ، لعدم جريانها في اللغة الشعبية ، ففي اللغة الفصيحة يتطلب كلا الفعلين إلى جانب الاسم المسند إليه المدح أو الذم ، اسما مرفوعاً آخر يعين موضوع الجملة برمتها : نعم الرجل زيد ، بمعنى : أي رجل جدير بالمدح هو زيد ، أما : نعم الرجل ، فقط ، فهو مدح لمبهم بلام الجنس ، محتاج إلى التمييز . وإذا قيل : نعم ما فعلت ، فهو كذلك محتاج إلى تمييز المفعول ؛ وعلى هذا خطأ الحريري ما يقوله معاصروه ، مثل : نعم من مدحت ، وبئس من ذممت ^(١) .

وكان اسم الموصول القديم في اللغة الشعبية قد تحول إلى الصيغة الجامدة : اللى ؛ واستعمل أيضاً في تصدرر الجمل المصدرية ، مثل : أن فعل كذا ؛ ولهذا استعمل المثقفون على عهد الحريري صيغة اسم الموصول القديم أيضاً : الذى ، متصدررة الجملة المصدرية ، فقالوا مثلاً : الحمد لله الذى كان كذا ، أى : أن كان كذا (ص ١٦٢) .

ومن المشهور في قواعد النحو أن الفعل المسند إلى المنى والجمع الظاهرين الواقعين

(١) انظر شرح درة الغواص للشهاب الخفاجي ص ١٨٨ وانظر : Nöldeke NBSS 219

بعد الفعل ، يلزم حالة الإفراد ، ولكن اللغة الشعبية طابقت هنا أيضاً بين الفعل والفاعل (كما في لغة أكلوني البراغيث) ، وعلى هذا طابق معاصرو الحريري أيضاً بينهما (ص ١٠٨) .

كما عاملوا لفظي : كلا وكلتا معاملة المثنى ، فأخبروا عنهما بصيغة المثنى ، وقالوا : كلا الرجلين خرجا ، وكلتا المرأتين خرجتا ، مع أن الفصيح : خرج وخرجت ؛ وإن ورد الاستعمالان في شعر الفرزدق^(١) ، ديوان ص ٣٤ بيت ١ (درة ص ١٠٣) . وعلى حين تقع في الأمثلة التي ذكرنا أخطاء ناشئة من شدة الحرص على سلامة اللغة ، وموافقة القواعد ، تدل أخطاء أخرى أثارها الحريري أيضاً على مبلغ ضعف شعور المثقفين ، وقلة خبرتهم بالعربية الفصيحة .

فهم لم يعودوا يلاحظون أن أسماء الآلات تتميز بالميم المكسورة في أول الكلمة عن أسماء الأمكنة والأزمنة ؛ ولذلك يستعملون مثلاً لفظ : مَرَّوْحَة ، لافي معنى الموضع الكثير الريح ، بل في معنى ما يروِّح به (ص ١٥٦) . كما لم يفرقوا بين الاسم الدالّ على المرّة الواحدة وهو : فَعْلَة بفتح الفاء ، والاسم الدال على هيئة الحدث وهو : فِعْلَة بكسر الفاء ، والاسم الدال على القلّة ، وهو : فَعْلَة بضم الفاء (ص ١٧١) .

وأهملوا جمع القلّة ، فقالوا مثلاً : ثلاثة شهور ، بدلا من : ثلاثة أشهر (ص ١٦٣) . واستعملوا في صيغة الاستفهام لفظي : أو ، وأم ، دون فرق ولا تمييز ، على حين أن الفصيحة تستعمل : أو ، في الاستفهام عن أحد الشئيين ، مثل : أزيد عندك أو عمر ؟ بمعنى هل أحد هذين عندك ؟ وتستعمل : أم ، في الاستفهام عن التعمين ، نحو : أزيد عندك أم عمرو ؟ بمعنى قد علمت أن أحدهما عندك ، ولكن أيهما الذي عندك ؟ (ص ١٩٥) .

(١) وقد اجتمعا في قوله :

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد أقبلنا وكلا أنفيهما راني
وانظر الخفاجي على الدرّة ص ١٤٧ .

كما لم يفرقوا بين : نعم و نَبَى ، فيضعون كلا منهما موضع الآخر ؛ وموضع نعم هو جواب الاستخبار المجرد من النفي ، وموضع بلى هو جواب الاستخبار عن النفي ؛ ولهذا وقعت في جواب قوله تعالى : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » (آية ١٧١ من سورة الأعراف) ؛ قال ابن عباس : لو أنهم قالوا : نعم لكفروا ، (ص ١٩١) .

وأخيراً يمكن التنبيه إلى الأحوال التي لم يلاحظ فيها معاصرو الحريرى قواعد حذف علامة التأنيث وإثباتها . فقد صاغوا قوالب مثل : امرأة شكورة و صبورة ، على حين أن هذه التاء إنما تدخل في اللغة الفصيحة على وزن : فعول بمعنى مفعول ، لا بمعنى فاعل (ص ١١٢) ؛ ومثل هذا قولهم جُبَّة خَلقة ، والصواب جُبَّة خلق ، لأن العرب ساوت فيه بين نعت المذكر والمؤنث (ص ١٦٣) . وكما قالوا ضَبَعَة ، (ص ٧٤) و رِخْلَة وهى الأنتى من ولد الضأن ، والصواب : ضبع و رِخْل ، لأنهما لا يكونان إلا مؤنثين .

ويفكر الحريرى جمع : جوالق على : جوالقات ، وصوابه : جواليق ؛ والجوالق الغرارة . (ص ١٩٠) ؛ على أن جمع المؤنث السالم قد انتشر انتشاراً واسعاً ، على حساب جمع التكسير ، المفرد المذكر ، بحيث ذكر الحريرى عدداً كبيراً من الشواذ في ذلك الباب : جمع حمام ؛ خيال ، جواب ، مكتوب ، مقام ، مَصَّام ، إوان ، وهو حديدة تكون مع الرائض ، وبوان بكسر الباء وضمها وهو عمود في الخباء ؛ وجمع أسماء الشهور : شعبان ، شوال ، المحرم ؛ والألفاظ الأجممية : ساباط ، سراق ، إيوان ، هاوُن ، سِجِلٌّ ؛ كما في جمع تصغير المفرد المذكر مثل : دريهمات و بُوَيَّيات .

وهذه الحرب التي حمل الحريرى لواءها في درة الفواص ، لم تحتمد تجاه أخطاء متفرقة من الحماقات اللغوية ، أو الاستعمالات الشعبية ، بل هى موجهة إلى الروح اللغوية السائدة في العصر الأوسط على الإطلاق .

وهو يمثل مذهب اللغويين البصريين المتطرف المتزمت في « تنقية اللغة العربية » ؛ فهو يتطلب مثلاً أن يقال : جاء القوم بأجمعهم ، بضم الميم ، على أنه

جمع للفظ : جمع ؛ على حين يجوز ابن قتيبة^(١) وابن السكيت ، إلى جانب هذا ، أن يقال : بأجمعهم ، بفتح الميم ، على أنه لفظ : أجمع ، المستعمل في التأكيد^(٢) .
وهو يقصر استعمال لفظ : ندى ، على : ندى المرأة ، على الرغم من ورود هذا اللفظ للرجل أيضاً ، حتى في الحديث^(٣) .

وفي تأريخ الأيام يعطى الطريقة المتبعة (ص ٧٥) : في عددهم أيام الشهر ، بأن يقولوا : لأول يوم من الشهر ، مستهل الشهر ، لعشرين خلت من شهر كذا ؛ سالكا في التاريخ مذهب المتزمتين القدماء^(٤) كما ذكره أبو علي الفارسي في تذكرته : وعلى هذا يقال في أول الشهر : أول يوم من شهر كذا ، أو غرة شهر كذا ؛ واليوم الثاني : ليلتين خلتا ؛ واليوم الثالث إلى العاشر : لثلاث ليال خلون ، لأربع ليال خلون الخ ؛ واليوم الحادي عشر إلى الخامس عشر : لإحدى عشرة ليلة خلت الخ ، واليوم الخامس عشر : منتصف شهر كذا ؛ واليوم السادس عشر إلى اليوم العشرين : لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر كذا الخ ؛ واليوم الحادي والعشرين إلى الثامن والعشرين : لعشر ليال بقيت من شهر كذا الخ ؛ واليوم التاسع والعشرين لليلتين بقيتا من شهر كذا ؛ واليوم الثلاثين : سلخ شهر كذا^(٥) .

ويتمسك الحريري ، في النظرية المتعلقة بلفظي : من ومنذ ، بمذهب سيبويه ، الذي يخصص الأولى بابتداء المكان ، والثانية بابتداء الزمان . ولم تقتصر معارضة ذلك على الكوفيين ، بل عارضه أيضاً بعض العلماء من صفوف البصريين ، كالمبرد^(٦) .

-
- (١) أدب الكاتب ص ٤٤٣ .
(٢) إصلاح المنطق ج ١ ص ٢١٢ .
(٣) انظر الشهاب الحفاجي على درة الغواص ، وانظر : Nöldeke. NBSS 121
(٤) انظر أدب السكتاب للصولي ص ١٨٠ فما بعدها .
(٥) هذا الترمتم في التعبير لا يعول عليه أكثر العلماء ؛ انظر الشهاب الحفاجي على الدرّة ص ١١٤ - ١١٧ .
(٦) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ص ١٦٣ فما بعدها .

وفي مسألة الألفاظ الأجممية ، يمثل الحريري الرأي القائل بوجوب ضغط اللفظ الأجممي في قالب عربي ، وطبعه على ذلك النحو بالطابع العربي .

وعلى هذا يجب أن يقال : شَطْرَج بكسر الشين ، بدلا من فتحها ، ودستور بضم الدال بدلا من فتحها ، وسِرْدَاب بكسر السين بدلا من فتحها ، وهاوُن بضم الواو بدلا من فتحها (ص ١٣١ ، ١٠١ ، ٤٩ ، ١٧٧) ولكنها قوالب بقيت غريبة في الاستعمال الحثي ، لأنها لديه غير مألوفة ، ولجراتها — في بعض الأحيان — على تحويل المعنى والدلالة كما في تغيير اسم المدينة المعروفة : سامراء ، إلى : سُرْمَن رأى (ص ١٨٠) .

كما تمسك الحريري بمذهب البصريين في النسبة ، من وجوب النسبة إلى صيغة المفرد ، ما لم تكن صيغة الجمع علما (ص ٥٣) على الرغم من ورود صيغ قديمة ، مثل : الأنصاري .

وجدد التنبيه — الذي لم يجد فتيلًا — إلى منع النسب إلى مجموع صيغة التركيب الإضافي وما شاكلة ، فلا يقال : رامهرمزي ودارقطني ، بل رامي وداري (ص ١٥٣) أما تصحيحه تصغير مختار على : مخيّر ، وتخطئته مخيتر ، فهو ضرب من ضروب التزمّت البالغ أقصى درجات التطرف ، ومثلها كثير في أوزان التصغير^(١) . وفي كل هذا ، لم يخل الحريري من الترجيح الاختياري ، بل التصحيح الخاطيء تماما في بعض الأحيان .

فهو يذهب (ص ٩٩) — مع ابن قتيبة^(٢) — إلى أن لفظ : بَصْر ، بضم الصاد ، خاص بروية البصيرة ، وأبصر ، خاص بروية العين ؛ على حين أن في آية (١١) من سورة القصص : « فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ » ، أي رأته بالعين . وهو يرى أن لفظ : ركاب : أي موكب السلطان مثلا ، خطأ ، لأنه يرى أن الركاب اسم يختص بالإبل (ص ١٣٠) ، ولكنه أخطأ في ذلك ، لأن معنى

(١) انظر نزهة الألباء ص ٢٠٠ .

(٢) أدب السكاتب ص ٣٨٠ .

الركاب هنا هو آلة الركوب المعلقة في السرج ، ويستعمل في كل من الفارسية والتركية أيضاً ، كالعربية ، كناية عن سير الملك ، تأدبا مع الملوك^(١) وهو يريد تفسير لفظ : زوج ، بأنه أحد الزوجين ، المرأة أو الرجل ، ويخطئ إطلاقه على مجموع الاثنين أيضاً (ص ١٨٥) وهو خطأ لأن الاستعمال الثاني أيضاً معروف قديماً وحديثاً .

ولفظ : قَيْنَة : معناه في لغة العرب الجارية المغنية بوجه خاص ، والأمة بوجه عام ؛ وإذا قصره الحريري على التفسير الأخير ، مزيفاً الأول (ص ١٩٧) فهو يتابع في ذلك أبا عمرو بن العلاء^(٢) ، الذي ربط هذا اللفظ بكلمتي : قين ، أي حداد ، وقان القين الحديد ، سواء ، ووجد معنى : الأمة ، بذلك أنسب ، لما فيه من معنى الخدمة والامتهان .

وينتقد الحريري (ص ١٢٩) مع ثعلب^(٣) : ركض الحصان بمعنى جرى ، مفسراً معناه بضرب الحصان بالرجلين لكي يسرع . وهذا خطأ لأن الفاعل ورد لازماً بمعنى جرى ، ومتعدياً بالمعنى الذي ذكره .

وهو يفرق — بحق — بين : بَشارة بفتح الباء ، وبِشارة بكسرها ، وبُشارة بضمها ، فهي بالفتح الجمال والحُسْنُ ، وبالكسر ما بشرت به من بشرى ، وبالضم حق ما يعطى على البشارة بالكسر ؛ أما قوله : إن البِشارة بالكسر لا تستعمل إلا في الخير ، فيرد عليه بأنها تستعمل في الشر مجازاً ، مثل قوله تعالى : « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (آية ٢٤ من سورة الانشقاق) .

أراد الحريري أن ينفخ من روحه في العربية القديمة الفصيحة ، ليعبثها إلى الحياة من جديد ؛ بيد أن القوة السكامنة ، والنشاط المتجدد في حياة اللغة الشعبية الدارجة الحية ، كان أقوى من كل مبادئ المتزمتين وتعاليمهم .

(١) انظر الشهاب الحفاجي ص ١٧٣ ؛ وانظر : El III 251

(٢) انظر في هذا : Geyer : Zwei Gedichte (SWA 192,3) 2,61

(٣) فصيح ثعلب ص ٩ س ٢ (نشر : Barth)

نعم ، بل لقد انزلق الحريري نفسه في التيار ، فلم يندر عنده اللحن والخروج على القواعد التي قررها في « الدرّة » .

فبدلاً من لفظ : أول ، بضم اللام ، تعثر قلبه فكتب : أولاً^(١) ، اللفظ الذي خطأه (في ١٢٦)

وعلى النقيض من تعاليمه (ص ١٨٢) ، استعمل لفظ : حساب ، بمعنى : حسابان^(٢) .

وهو يعلم (ص ١٢٩) أن فعل : سقط في يده ، فعل غير شخصي ملازم للبناء للمجهول ، ومع ذلك يكتب في مقاماته (ص ٣٩٦ س ٣) سقط الفتى في يده . وهو يؤكد في الدرّة (ص ٩٥) أنه لا يجوز صوغ الرباعي المضعف من أسماء العدد ، بل الثلاثي فقط مع أنه يقول في مقاماته : فتربع صاحب ميمنته في نظمه ، وتسبع صاحب ميسرته على رنمه ؛ فخالف نفسه .

وهو يبنه في كلامه (ص ٤٣) إلى أن لفظ كافة لا يعرف باللام ولا بالإضافة ، وأنه لا بد من تنكيهه ونصبه على الحال ، حتى وإن قال ذلك ابن قريعة القاضي (المتوفى ٣٦٧) ؛ ومع ذلك يقول هو في موضع آخر (ص ١٧٦) : اتفق كافة أهل الملل .

وهو يزعم أن وزن : افعلاً ، يقال فيما تمكن واستقر وثبت واستمر ؛ أما إذا كان اللون عرض بسبب يزول ومعنى يحول فيقال فيه : افعال ، مثل اصفاراً واحماراً . ولكن هذه الدعوى غير معروفة ؛ على حين أنه نفسه يقول في المقامة الحرامية : فازورت مقلته واحمرت وجنتاه ؛ وقال في موضع آخر : اسود العيش الأبيض .

وهو يحذر من سوء استعمال علامات التأنيث ، ولكنه يقول (ص ٥٥ س ٤) : غزالة ، بمعنى ظبية .

(١) درة ص ٧٦ س ١٤ .

(٢) انظر الحفاجي ص ٢٣٣ س ٣ .

وبهذا يقدم الحريري البرهان على أن الملاحظات العميقة ، والتعليمات الدقيقة لمذهب المزمتمين الذي يمثله في الدرّة ، لم تكن — عملياً — مستطاعة التنفيذ . هذا ، بيد أن كلام من المتاج الأدبي اللامع ، كمقامات الحريري ؛ والملاحظات الدقيقة ، البعيدة الغوص على الأخطاء اللغوية ، عند المثقفين ، كدرّة الغواص ، لم تستطع أن تقف التطور اللغوي في سبيله التي سلكها .

فلا ذلك الانحلال المطرد في الدول الإسلامية ، ولا الاضطرابات الداخلية في دولة السلاجقيين ، ولا تلك الحروب العنيفة المحتدمة في وجه الصليبيين (١٠٩٥ — ١٢٩١ م) ، ولا الدويلات التي قامت بالشرق ، كانت تسمح بتهيئة الجو الصالح ، والبيئة الموائمة للعناية بالتراث الأدبي التليد .

حقاً لقد لقيت كتابة الحريري عن اللحن اللغوي في دوائر الطبقات الخاصة ، اهتماماً كبيراً عند صدورها ، وأثارت حلقات من النزاع المستعر الذي تجاذبه عدد من مشاهير اللغويين في القرن السادس — الثاني عشر . بيد أن كتب مناقشاتهم ومنازعاتهم إن دلّت على شيء ، فإنما تدل على مبلغ ضعف الإحساس اللغوي العام ، وفي دوائر اللغويين الإخصائيين بوجه خاص ؛ كما تدل على مدى ضعف ملكة النقد والتمحيص عندهم ، بحيث لم يعودوا يستطيعون إدراك الفروق الأساسية بين العربية الفصيحة ، والعربية المولّدة ، فاتجهوا إلى الاعتراف بألفاظ ، وقوالب ، وتعبيرات مولدة ، بل شعبية دارجة أحياناً ، على أنها صحيحة في العربية الفصيحة ، مادام قد ثبت ورودها في كتابة القرون الثلاثة الإسلامية الأولى ؛ وهم حملوا — من أجل ذلك — على ترمّت الحريري حملة شعواء ، واختلفوا فيما بينهم على أي الظواهر اللغوية التي غلطها الحريري يمكن تصحيحها وتسويغها ؟

وهكذا كتب صاحب الحواشي على الصّحاح ، المصري المشهور : ابن برّي (٤٩٩ — ٥٨٢ هـ) تعليقات برهن فيها على صحة عدد كبير من العبارات التي خطأها الحريري ، وعدّها ابن وطنه الشهاب الخفاجي (حوال ٩٧٩ — ١٠٦٩ هـ) بعد

حوالى خمسمائة عام ، متأثراً بمذهبه ، جديرةً بإدماجها في شرحه على درّة الغواص (١) .
وهذه التعليقات تنمّ على ضعف وتخاذل كبير في ملكة النقد والحكم الصحيح ؛
فمثلاً لا يستطيع ابن برى أن ينكر أن مادة : ش وش ، غريبة على العربية ، وأنها
من خصائص اللغة المولّدة (٢) ؛ بيد أنه يصحح عربيتها ، اعتماداً على أن الليث
صرح بذلك (٣) .

كما حاول أن يحو الفرق الواضح بين عبارتي : مخوف ، أى حصل الخوف منه ،
ومخيف ، أى مولّد للخوف ، بأنه في حالة قولنا : الطريق مخوف لا بد من تقدير
مفعول محذوف ، تقديره : أخاف الطريق زيذا الهلاك ، وإذا قلنا الطريق مخيف ،
فالطريق ليس هو المخوف منه في المعنى ، وإنما المخوف منه في المعنى هو الهلاك
والعطب ، واستنتج من ذلك أن مآل المعنيين واحد ، وكلا التعبيرين صحيح (٤) .

وكذلك الأمر في حجّية الحديث في شئون اللغة ، فكون الحديث غير حجة
في أمور اللغة ، لعدم التعبد بلفظه ، حقيقة كان في وسع كل عالم باللغة ، حتى في هذا
العصر المتأخر ، أن يكون على علم منها ؛ ولكن ابن برى لا يكتفى باتخاذ الحديث
مصدراً للغة ، بل يعوّل في ذلك أيضاً على الروايات التي ثبت ضعفها ، حيث آثر
الأخذ بالرواية : « بُعِثْتُ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ » بدلا من الرواية المستفيضة « بُعِثْتُ
إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ » ، أى إلى العرب والعجم ، واستدل بذلك على صحة التعبير
الأول في المعنى المذكور (٥) .

أما ما كان يفهمه ابن برى من مبدأ « تنقية اللغة العربية » فيدل على ذلك
كتابه : « أغلاط الضعفاء من أهل الفقه من أقطار مختلفة » (٦) ، وهو عبارة عن

(١) انظر الشرح المذكور ص ٦٣ س ١١ ، ص ٧٣ س ١١ ، ص ٩٨ س ١٧ .
(٢) انظر في تسريها من الآرامية :

(٣) خفاجي ص ٦٢ س ١٧ .

(٤) خفاجي ص ٢٤٨ س ٣ .

(٥) خفاجي ص ٢١٩ ، وانظر في الحديث : مسلم كتاب المساجد .

(٦) نشره : Ch. Torrey في Nöldeke-Festschrift, Orientalische Studien I.

ثبت جاف لنحو مائة حالة من الاستعمالات اللغوية المنتشرة بين الفقهاء التي يبدلها ابن برى بعبارات يعدها فصيحة ، دون شرح ولا تعليل . ويوجد بينها بعض الأحوال المعروفة من كتب علماء اللغة المتشددين على أنها أخطاء مشهورة : مثل حذف همزة المد في كلمة : ولاء ، أى السيادة على الرقيق (ص ٢١٨ س ٣) ، ومثل معاملة الفعل المهموز اللام على نمط المعتل اللام (ص ٢١٥ س ٣) : بِدَايَة ، بدلا من : بُدَاة ؛ (ص ٢١٥ س ٦) مِيضَاتٌ ، بدلا من مِيضَاءٌ ؛ ومثل إبدال حرف بحرف دون مسوغ ، مثل (ص ٢١٩ س ١٢) مَزْدَغَةٌ ، بدلا من : مِصْدَغَةٌ ؛ ومثل (ص ٢١٩ س ٤) نَخَاصٌ ، بدلا من : نَخَاسٌ ، تاجر الرقيق ؛ و : ص ٢١٩ س ٣ : هَدَّرٌ ، أسرع ، بدلا من حَدَّرٌ ؛ و ص ٢١٩ س ٢ : بَشِيمَةٌ ، بدلا من : مَشِيمَةٌ ، محل الولد ؛ و ص ٢١٩ س ١٢ : دَشِيشٌ ، أى الدقيق الخشن ، بدلا من : جَشِيشٌ ^(١) . ومثل الخلط بين : قسم بكسر القاف بمعنى : حصة ونصيب ، وبين قسم بفتح القاف بمعنى المصدر أى التقسيم ؛ ثم الأحوال الكثيرة التي استعملت فيها صيغ مولدة ، مثل : مُصَلَّاةٌ ، بدلا من : مُصَلَّى (ص ٢٢٠ س ١٤) ، ومثل : أُجِنَّةٌ ، بمعنى حدائق (ص ٢١٦ س ٢) وأَصْعٌ جمعاً لصاع بدلا من أَصْوَعٌ (ص ٢١٨ س ٧) ومثل : حَزْرَاتٌ بسكون الزاى ، بدلا من فتنحها ، بمعنى خيار المال (ص ٢١٧ س ٢) ؛ ثم أحوال مثل : جذعة بسكون الذال بدلا من فتنحها ، بمعنى الحَمَل الصغير (ص ٢١٧ س ٣) وبكرة بتحرريك الكاف بدلا من تسكينها ، بمعنى العجلة التي يدور عليها حبل البئر (ص ٢١٦ س ٤) ومثل : شَوْرَةٌ العروسة ، بدلا من : شَوَارٌ العروس (ص ٢٢٠ س ١٤) .

وفى الأفعال يهتم بوجه خاص بالخلط فى تصريف الفعل ، ولا سيما فى أسماء الفاعل والمفعول ، واستعمال المجهول خطأ ^(٢) .

كما اهتم اهتماما خاصاً بالألفاظ الأعجمية التي ينظر إليها ابن برى بنظرة المتزمتين اللغويين ، فهو يطلب : صابوره ، وهو ما تثقل به السفن من متاع ، بدلا من :

(١) انظر : R. Mielck, Terminologie und Technologie der Müller- und Bäcker im islamischen Mittelalter 37

(٢) كثر العمال ج ٢ ص ٣٠٢ .

سابوره ، من الكلمة اللاتينية : Saburra ومعناها الرمل ؛ ويطلب : قدس ، ويجمع على أقداس ، ومعناه السطل ، بدلا من الكلمة ، اليونانية الأصل بنفس المعنى : قادوس ؛ ويطلب : جِصّ ، بدلا من : جِبْس ؛ ويطلب : زَنْبِيل بكسر الزاي بدلا من : زَبِيل ، أو زَنْبِيل ، بفتحها ؛ ويطلب : مَرَوْرُود بتخفيف الراء الثانية بدلا من تشديدها ، وهي كلمة معربة عن : مَرَوْرود ، ناحية من فارس ؛ ومرو اسم نهر . ويطلب جمع اللفظ القبطي : قُمْس ، على : قوامسة ، بدلا من قامسة ، خالطاً في ذلك بين الكلمة القبطية المذكورة بمعنى نائب البطرك ، وبين الكلمة اللاتينية الأصل : قُومِس ، وهي تسمية كانت تطلق بالأندلس على رئيس الطوائف المسيحية .

كما التبس عليه (ص ٢٢٠ س ٦) لفظ : بَعُوث ، الوارد في كتاب منسوب إلى الخليفة عمر^(١) ، بمعنى عيد الفصح عند المسيحيين ، فطلب تصحيحه على : بَعُوث ، بالغين المعجمة . ولفظ : بَعُوث يرجع إلى السريانية ، ومعناه فيها بحسب الأصل : صلاة ، ولا يدل فيها بوجه عام على مطلق التغني بالدعاء ، بل معناه عند المسيحيين للمكانين ، أغنية خاصة^(٢) .

كذلك في تفسير الغريب الوارد في الحديث ، لا يصادف ابن بري دائماً كثير من التوفيق ؛ نعم هو يفرق تفرقة صحيحة بين لفظي : باسور وناصور (ص ٢٢٠ س ٨) ، وهما تعبيران وردا في مجاميع السنة مختلفين مختلفين^(٣) ؛ ولكنه يخطيء حيث يصحح (ص ٢١٩ س ١٤) لفظ : أرض بَوْر^(٤) ، بفتح الباء ؛ لأن ضم الباء الذي يخطئه هو ، يؤيده اللفظ السرياني : بُوْرَا ، الذي أخذ منه اللفظ العربي .

(١) كنز العمال ج ٢ ص ٣٠٢

G. Graf, ZS7, 240 und 244

(٢) انظر :

(٣) انظر البخاري : تقصير الصلاة ، حيث ذكر : بواسير ، على الوجه الصحيح . وسنن

أبي داود : صلاة ؛ وابن ماجه : إقامة الصلاة ، حيث ورد على عكس ذلك : ناسور .

(٤) لم يقتصر ورود هذا اللفظ على الحديث المذكور في لسان الميزان ج ٣ ص ٤٢٦ ، كما

ذكره العقيلي ، بل ورد كذلك في مواضع أخرى ، مثل كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى

أكيذر صاحب دومة الجندل ؛ ابن سعد ج ١٢ ص ٣٦ س ٢١ .

هذا ، وقد كتب أيضاً تعليقات في مناقشة « درة الغواص » ابن ظفر^(١) ، الذي توفي في « حماة » بعد مغامرات كثيرة سنة ٥٦٧ أو ٥٦٨^(٢) ، والذي كتب أيضاً شرحين على مقامات الحريري .

وعلى نفس الطريقة أيضاً كتب العالم اللغوي البغدادي : ابن الخشاب (المتوفى ٥٦٧ هـ) نقداً على الدرّة ، ووقع من أجل ذلك في نزاع مع « ابن بري » الذي كتب كتاباً في الردّ عليه^(٣) . والظاهر أن ذلك الاختلاف حول تصحيح بعض العبارات التي خطّها الحريري .

وأخيراً تلاشى الإحساس اللغوي تجاه سلامة اللغة كل التلاشي ، حتى عد بعض النحاة ظواهر لغوية مولدة ، من اللغة الصحيحة الفصيحة ، لمجرد أنها وردت — عرضاً — في حديث ينسب على أي وجه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

فقد أراد بعضهم أن يصحح العبارة التي وردت في شعر رؤبة (قطعة رقم ٢١ آلورد) : كاد أن يفعل ، بدلا من الفصيحة : كاد يفعل ، اعتماداً على أنها وردت في الخبر : كاد الفقر أن يكون كفراً^(٤) ، على أن أبا البركات بن الأنباري (٥١٣ — ٥٧٧ هـ) قد ردّ على ذلك بأن « هذا الحديث إن صح — لم يرد هذا الحديث في المجموع الصحيحة — فزيادة : أن ، من كلام الراوي لا من كلامه عليه السلام ، لأنه صلوات الله عليه أفصح من نطق بالضاد »^(٥) .

وعلى الرغم من هذا فقد لقي الرأي القائل بحجية الحديث في أمور اللغة تأييداً مطرداً . ويقال إن أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة^(٦)

(١) انظر ياقوت : لإرشاد ج ٧ ص ١٠٣ ؛ حاجي خليفة ج ١ ص ٤٨٤ (١٣١٠ هـ) وقد ظن أنه شخصان لاشخص واحد .

(٢) كذا ذكره ابن العماد الأصفهاني الذي كان من معارفه . أما التاريخ الذي ذكره ياقوت في الإرشاد ج ٧ ص ١٠٢ والذي يذكر في مواضع أخرى وهو ٥٦٥ ، فهو لا يكاد يصدق ، لأنه قد ثبت أن ابن ظفر ظل يمارس التعليم والاقراء حتى سنة ٥٦٦ هـ ، وانظر : ZDMG 42, 626 .

(٣) انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٥ .

(٤) السيوطي : الجامع الصغير ، وانظر ابن الديبع : تمييز الطيب من الخبيث ص ١١٤ ، (طبع ١٢٤٧ هـ) وفيه أحاديث أخرى تشمل على ذلك التعبير .

(٥) لمناصف ص ٢٣٤ (نشر : Weil) .

(٦) انظر ابن الضائع في شرح الجمل ، كما هو مذكور في خزنة الأدب ج ١ ص ٥٥ س ١٢ .

ذى هو النحوى : ابن جروف^(١) ، الأندلسى ، الذى اختلّ فى آخر عمره ، ومات فى
يضاً حلب فى أوائل القرن السابع الهجرى ، والذى نال شرحه على : « الكتاب »
لسيبويه ، و « الجمل » للزجاج ، حظوة كبيرة .

وتبعه فى ذلك أشهر نحاة القرن السابع : ابن مالك ؛ وقد كان عظيم الاعتداد
والاهتمام بالحديث ، حتى إنه عاون « اليونينى » على تصحيح نسخة من البخارى ،
وألف مصنفًا خاصًا فى تفسير بعض النصوص الصعبة من الحديث^(٢) . وهو يرى أن
القرآن هو أوثق المصادر وأصحها فى أمور اللغة ، وتجيء أحاديث الرسول (صلى الله
عليه وسلم) بعد ذلك مباشرة فى المرتبة الثانية ؛ على حين أن كلام البدويين من
الأعراب فى المرتبة الثالثة^(٣) . وقد أدى به هذا إلى تصحيح تعبير مثل : أكلونى
البراغيث ، لمجرد أنه ورد مثله فى حديث رواه البخارى ومسلم ، وصيغته : « يتعاقبون
فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار^(٤) » .

وتوسع الاسترابادى ، الذى كتب حوالى سنة ٦٨٣ هـ شرحه على متن الكافية
لابن الحاجب^(٥) ، فى صحة الاستشهاد فى أمور اللغة أيضاً حتى بأهل البيت . وبهذا
طراً على طبيعة العربية تحول حاسم .

وهكذا لم تعد عربية الأدب فى العصر الإسلامى الأوسط منذ مختتم القرن
الهجرى الثالث ، لساناً طبيعياً لطائفة لغوية من الشعوب ، بل لقد تحولت إلى لغة
أقامت قواعد النحو ومبادئها أساساً لتكوينها الحقيقى ، وطابعها الداخلى . ولم تعد

(١) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٩٠٠ ؛ السيوطى : بغية ص ٣٥٤ ؛ ياقوت : إرشاد
ج ٥ ص ٤٢٠ . وتختلف الروايات فى هذه المراجع اختلافاً كبيراً .

(٢) انظر : ZDMG 92 81 f .

(٣) الكتبى : فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٨٨ (طبع ١٢٩٩ هـ) ؛ السيوطى : بغية ص ٥٥ ؛

المقرئ ج ١ ص ٦٠٨ .

(٤) البخارى : مواقيت الصلاة ، التوحيد ؛ مسلم : مساجد ؛ مالك : موطأ (زرقانى ج ١

ص ٣٠٨) ؛ النسائى : الصلاة ؛ وفى البخارى : بدء الخلق ، ورد التعبير الفصيح : الملائكة
يتعاقبون الخ ؛ وأظهر من ذلك نص الموطأ (زرقانى ج ١ ص ٣٠٩) إن لله ملائكة يتعاقبون الخ .

(٥) انظر : خزنة الأدب ج ١ ص ٤ وفى ترجمته انظر الخزانة أيضاً ج ١ ص ١٢ — ١٤

العناية بسلامة اللغة من حيث ظواهر الإعراب والتصريف ، التي ضعف إحساس الكتّاب بها ، أهم من العناية بحشد طائفة من العبارات القديمة ، والاستعمالات العربية الغريبة ، التي تقحم إقحاما ولكن دون اقتصار على حدود استعمالها البدوي القديم . وقد كان مبلغ تمسك الكاتب باللغة الصحيحة ، ووقوفه عند مبدأ تنقية اللغة ، يختلف إما باختلاف الموضوع الذي يتناوله ، أو باختلاف الثقافة اللغوية التي حصل عليها ؛ وفي بعض الأحيان كانت لهجة وطنه الذي نشأ فيه تلعب دوراً هاماً في تحديد تعبيره .

وكما أخذت الرابطة التي كانت تربط بين جميع البلدان الإسلامية من ناحية الثقافة والعلم ، تضطرب عراها ، وتضعف أواصرها ، بسبب الحروب المتتالية ، ازدياد الانحلال والانحطاط في المستوى اللغوي والثقافي العام ، واستقل كل إقليم بثقافة خاصة ، ولهجة لغوية محلية .

وتقرير ابن الصلاح (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ) من أن كثيراً من شيوخ عصره لا يدرون ما يروون ، ولا يضبطون ما في كتبهم ضبطاً يصلح لأن يعتمد عليه في ثبوتها ، لا ينطبق على المحدثين فحسب ، بل على جميع العلماء في عصر السلجوقيين بوجه عام^(١) .

وإزاء هذا التحول الكبير لم يكن من المستغرب أن تتكاثر الأخطاء واللحن في قواعد العربية الفصيحة ، وأن تنضح اللهجات المولدة بقوة أشد من ذي قبل على لغة الأدب ، وأن تأخذ هذه اللغة في كل إقليم طابعها المحلي .

وهكذا يجري الفارس العربي المشهور : أسامة بن منقذ (٤٨٨ / ١٠٩٥ - ٥٨٤ / ١١٨٨) على الحدود والقوالب العربية المتوارثة في أشعاره ؛ بيد أنه في الحديث عن ذكرياته ، ومغامراته التي شهدتها في حياته — تردد مجرى حياته في

(١) انظر عبارة ابن الصلاح المذكورة بنهاها في شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (على هامش القسطلاني ج ١ ص ٢٠) .

المرحلة الكثيرة الزعاع والقلقل المحدودة باستيلاء الصليبيين على بيت المقدس سنة ١٠٩٩/٤٩٢ واسترجاع صلاح الدين لها سنة ١١٨٨/٥٨٣ — يخرج عن قيود اللغة الأدبية ، فيكتب في أسلوب عربي طبيعي بسيط ، يبدو فيه كثير من الطابع العام المتعارف اليوم في اللغة العربية — السورية .

وحتى النحوى ابن يعيش (١١٥٨/٥٥٣ — ١٢٤٥/٦٤٣) يتنازل في شرحه المفصل عن التظاهر بالأدب ، فيكتب في أسلوب عادى ركيك .

وفي تراجم الأطباء التي كتبها معاصره المتأخر عنه قليلا : ابن أبى أصيبعة^(١) . (١٢٠٣/٦٠٠ — ١٢٧٠/٦٦٨) نستفيد معرفة لغة المسامرة والحديث التي كانت سائدة بالقاهرة بين الطبقات المثقفة لذلك العهد .

وفي ذلك تقدم لغة كل كاتب في ذلك العصر المتأخر ، مشا كلها الخاصة ؛ ولا بد من محاولات كثيرة لكشف النقاب عن جميع هذه التفاصيل .

(١) انظر : Aug - Muller) über Text - und Sprachgebrauch von Ibn abi Usaibias Geschichte der ärzte, in SMA 1884, 853 - 977

عود على بدء

جاء السيل المغولى ، الذى أصاب فى الصميم بلداناً كان لها التصدر فى قيادة ركب الثقافة والمدنية فى العالم الإسلامى ، والذى اكتسح خلافة بغداد (١٢٥٦/١٢٥٨) فأكمل حلقة اختتام لمرحلة الانحلال فى تاريخ اللغة العربية ، أى المرحلة التى بدأت بقيام دولة السلجوقيين ؛ وبهذا تقطعت الخيوط الأخيرة من الثقافة التليدة المتوارثة فى الأقاليم التى تغلغل فيها المغول . وما ظهر بعد ذلك فى تلك الأقاليم من حركات تتجه إلى النهوض على استحياء ، لم تكن له صلة مباشرة بالقديم الغابر .

وقد برزت « مصر » إلى المكان الأول بين بلدان العالم الإسلامى منذ ذلك العهد ؛ فقد نجت من عاصفة المغول ، وصارت — تحت إمرة سلاطين المماليك بعد رد الصليبيين على أعقابهم — أولى دول الإسلام العظمى .

ذلك أن الثراء الواسع العريض ، الذى قام بمصر على أساس التجارة الهندية الواسعة المدى ، فى القرنين الثامن والتاسع (الرابع عشر والخامس عشر) ، قد هيا الأسباب الضرورية لنشاط الحياة العقلية ، وساعد على إنشاء نهضة أدبية فى مصر وسورية ، تميزت — من الوجهة اللغوية — بظهور التعبيرات المحلية المصرية .

ولقد دامت هذه النهضة قرنين من الزمان ، ولكن كشف البرتغاليين طريق البحر إلى شرق الهند كان من أثره المباشر خرق امتياز مصر التجارى ، والقضاء على ذلك الثراء العظيم . وبهذا فقدت مصر سلطانها المسيطر ، واستولى العثمانيون عليها فى سنة ١٥١٧/٩٢٣

وعلى غرار مصر ، خضعت كل البلدان الناطقة بالضاد ، على وجه التقريب — ما عدا مراکش — ، من قبل أو من بعد ، لسلطان العثمانيين .

وتشمل المرحلة التي بدأت بذلك العهد ، ممتدةً إلى آخر القرن التاسع عشر الميلادي ، أحلك قرون التاريخ العربي ، لا من الوجهة السياسية فحسب ، بل من الوجهة اللغوية كذلك .

وعلى النقيض من هذا تبدو المرحلة الحديثة ، التي تلت ذلك ، نيرة مشرقة مشمولة بالنور التاريخي الساطع . وتبدأ هذه المرحلة الأخيرة بجملة « نابليون » على مصر سنة ١٧٩٨ م ، مقترنة بشعار تنظيم نفسها ، وترتيب أمرها ، تجاه العالم الغربي . فإدخال النظم الغربية الذي بدأ على يد « محمد علي » وإقامة المدارس والمعاهد على النمط الأوربي ، وتغذيتها بالعلماء الأوربيين ، وإرسال الشباب المصري إلى الجامعات الأوربية ، وتأسيس مطبعة للدولة ، وإصدار صحيفة رسمية ، وإنشاء مكاتب للترجمة تقوم على تعريب عدد لا يحصى من المؤلفات الأوربية في شتى أنواع العلوم والفنون ، تيسيراً لتناولها في العالم العربي ؛ كل ذلك عاد على اللغة العربية — في مصر بادىء ذي بدء — بأثار بعيدة المدى في التأثير .

وما يشهد بذلك تلك الألفاظ الدخيلة من اللغات الأوربية : أولاً من الفرنسية والإيطالية ، وأخيراً من الإنجليزية .

وقد أدت كثرة ذلك الغريب ، المهذد لـلكيان العربية ، إلى قيام حركة مضادة ، تدعو إلى استحضار الماضي العظيم ، وإحياء تليد الحضارة والثقافة من التراث القديم . وقد أعلنت تلك الحركة عن نفسها ببعث لغوى جديد ؛ فطبع منذ ذلك العهد ما لا يحصى من كتب الأدب العربي في جميع العصور بالقاهرة وغيرها ، وأدى الاشتغال بالآثار الأدبية من مخلفات العصور الغابرة إلى نشوء حركة « التنقية اللغوية » نشأة جديدة أخرى .

ولم يقف الأمر عند نشر المؤلفات الكثيرة في النحو العربي وما إليه من المعاجم العديدة الأجزاء ، بل اشتدت العناية أيضاً بالبحث في مسائل الاستعمال اللغوى ، وصواب التعبير . وقد استعويض فعلا عن كثير من الألفاظ الغريبة ، بصيغ عربية حديثة .

ومن أعمال المجمعين العلميين في القاهرة ودمشق إيجاد ألفاظ مناسبة للعدد الوفير من المدلولات ، لاسيما في دائرة الشئون الهندسية ، والآلية ، والطبية ، والكيميائية ، والطبيعية ، وغيرها مما أنشأته الحضارة الغربية الحديثة .

وهذا الكفاح في وجه « الغريب » يدور في الأعم الأغلب حول مذاهب الاستعمال اللغوى ، وتوفير المادة اللغوية المولدة ، وتيسير النقل المجازى ، ومسألة اوضع الحديث .

على أنه لا يتعرض بمساس للنقل الغربى في الأمور العملية ، واقتباس الأشياء والمدلولات الغربية الأصل . فمثلا الحقيقة الثابتة من أن الشرق مدين للغرب بالسيارة ، لا يحوها استعمال هذا اللفظ الفصيح : سيارة ، ومعناه الأصلي : قافلة ، بدلا من : أوتوموبيل .

وأهم من ذلك أن حركة « تنقية اللغة » تقصر نقدها غالباً على ظواهر وسائل التعبير ، على حين أن بواطن القوالب العربية معرضة لتأثير القوالب الأوربية ، المتغلغل خفياً دون انقطاع . فالمصرى الحديث الذى يستعمل هذا التعبير : (تحية) قلبية ، في موضع : Cordial ، heartily ، herzlich ، يعترف بالتأثير الغربى من وجهة مضاعفة : فهو يصوغ على نموذج أوربى ، من اسم عربى ، بوساطة نسبة عربية ، وصفاً لا يجوز حسب القواعد العربية الفصيحة صوغه من أسماء الأعضاء الجسمية ؛ كما أنه من ناحية أخرى يخالف مذهب لفته التى تعدُّ القلب مركز العقل والشجاعة ، فينسب إليه مشاعر وإحساسات تنسبها العربية الأصيلة إلى الكبد أو الضلوع أو الأحشاء .

ومثل هذه الترجمة المعنوية ، التى هى العادة المتبعة في عربية الصحافة بوجه خاص ، تُقرب الشقة بين العربية الحديثة ، وبين اللغات الأوربية الراقية تقريباً بيئناً ، بحيث قد يتأتى في المستقبل عدُّها عضواً في الرابطة اللغوية الأوربية بالمعنى الذى قصد إليه : تروبتسكوى Trubetzkoy .

بيد أن الآثار البعيدة العمق ، التي تركها الغرب في العربية الحديثة ، لا تقتصر على العربية الفصيحة ، بل كذلك اللهجات المحلية آخذة في التغير البطيء المتواصل الخطى بوساطة التأثير بالغرب . فقد كان من أثر انكماش الأمية أن تغلغت لغة الكتابة الحديثة بقواعدها ، ومفرداتها ، في دوائر كانت لا تعرف من قبل سوى العامية ، كما تعمل الصحافة عملها أيضاً في ذلك الاتجاه .

ومما يوحد الألسنة وينفي الفروق اللغوية ، التجنيد في الخدمة العسكرية ، إذ يجمع الرجال من المناطق اللغوية المختلفة في حياة واحدة .

وأبعد من ذلك أثراً ما تقوم به في هذا السبيل مسارح السمر الشعبي ، التي تقدم الأغاني والمقطوعات الفنية .

ومما يعمل على الانسجام وتقريب الألسنة بوجه خاص : المذيع ، والحاكي ، والخيالة (السينما) الناطقة .

ولما كانت مصر قد تقدمت خطوات فسيحة في ميادين النقل الآلي والفني المشار إليها ، فقد يكون متيسراً أن تصبح لغة التحدث القاهرية هي المثل الأعلى للعالم العربي خارج مصر في نواحي النطق الصوتي ، والتعبير السائد ، والمادة اللغوية ؛ وأن يعيد التاريخ ثانية لمصر تلك المكانة التي حققت لها التصدر في طليعة البلدان الناطقة بالضاد على عهد المماليك في القرنين السابع والثامن (الثالث عشر والرابع عشر) .

وقد ظهر أخيراً أثر آخر من آثار التأثير بالغرب ، حيث علت أصوات في دوائر بعض دعاة الإصلاح في مصر ، تنحي بالنقد على العربية الفصيحة نفسها ، وتتحدث عن صبغ التعليم اللغوي بصبغة جديدة ، توأم قواعد التربية اللغوية الحديثة .

وقد كان لزاماً على العربية الفصيحة أن تقضى على تلك الحركة ، لا لأن انتصارها قد لا يبقى أثراً للنحو العربي ، بل لما هو أهم من ذلك ، وهو أن الحركة المذكورة تراعى اللهجة المحلية رعاية قوية يتعسر أو يتعذر معها استخدام اللغة الجديدة

رباطاً عاماً لكل البلدان الناطقة بالعربية . وبهذا يمتد الإشكال ، ويخرج من الدوائر اللغوية الضيقة إلى دوائر الثقافة الإسلامية عامة .

وإن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية ، وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي ، رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية .

ولقد برهن جبروت التراث العربي التالذ الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر .

وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطيء الدلائل ، فستحتفظ أيضاً بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ، ما بقيت هناك مدنية إسلامية .

ملحق

مادة: لحن، ومشتقاتها

يتطلب معنى اللحن اللغوي أن يكون الصواب متقدما عليه . وكلاهما يمكن حصوله وتصوره إذا تجاوز التفكير في اللغة خطوات نشأتها الأولى . بيد أن مثل هذا التفكير والتأمل في نشوء اللغة كان بعيدا كل البعد عن عرب البادية قبل الإسلام .

حقا كان لهم ذوق مرهف ، وإحساس ناضج كل النضج بجمال اللفظ المنطوق : سواء في الخطاب البسيط المؤلف ، أم في النثر الفني المسجوع وغير المسجوع ، أم في الكلام الموزون المنظوم . كما عرفوا أيضا تلك العوائق الحسية والنفسية التي تعترض النطق ، وتؤثر في المنطق ، فيعبي^(١) الخطيب أو يرتج عليه .

ولاحظوا كذلك عيوب اللسان كاللقة ، والرتة^(٢) ، واللجلجة ، والحبسة ؛ بل لاحظوا أيضا خصائص من اللهجات واللغات الخاصة^(٣) ؛ ولكنهم لم يعرفوا كنهها للخطأ في القواعد والخروج على النحو .

وهذا اللفظ القديم : اللحن ، الذي يطلقه علماء اللغة والنحو اصطلاحا على : الخطأ في اللغة ، إنما اكتسب هذا المدلول نتيجة لاتفاق عرفي على تغيير معناه الأصلي في وقت متأخر .

والمدلول الأصلي للفظ : لحن ، بفتح الحاء ، هو : مال ؛ وتفسر المعاجم دون ذكر الشاهد : لحن إلى ، بمعنى : مال إلى^(٤) . ومن هنا تدل مشتقات هذه المادة

(١) انظر مثلا الفضليات قصيدة رقم ٩١ بيت ٢٣ ؛ الخطيئة : ديوان ص ٧٧ س ١٩ .

(٢) انظر التسمية بالأرت مثلا (الجمهرة لابن دريد ص ٢٢٧ س ١٥) .

(٣) انظر الكامل للمبرد ص ٣٦٤ (نشر : Wright) .

(٤) قرن الزمخشري في كتابه : الفائق ج ٢ ص ٢٢١ لحن إلى لحد بمعنى ضل ؛ ومسألة تعلق

المادتين مع : لحظ ، بمعنى أصلي واحد ، ترجع إلى مبحث الاشتقاق الأكبر .

على معان تتميز بالإشارة إلى الميل والتحول عن الهيئة المألوفة . وهذا لا يعني أن الحالة المألوفة هي الصواب ، وأن الميل والتحول عنها يؤدي إلى الانحراف والخطأ ؛ كما لا يعني أن المقصود هو التحول إلى الصواب والحق .

وعلى هذا فمعنى : لِحْنٌ على وزن : فَطِنٌ ، سريع الميل والالتفات ، أى حَوْلٌ قَلْبٌ ، وهذا معناه الفطن الأريب ؛ وهكذا يصف لبيد مثلاً (قصيدة رقم ١٣ بيت ٣ ؛ ص ٦١ نشر الخالدي) وليدا يمانيا مَرِنًا على الكتابة :

متعوِّدٌ لِحْنٌ يعيد بكفِّه قلماً على عُسْبٍ ذَبَكَنْ وبان

وفعل : لحن بكسر الحاء يفسر على ذلك بمعنى : فطن ؛ ومصدره : اللحن بفتح الحاء ، كما في بيت قعنب بن أم صاحب^(١) الذي عاش في عهد الوليد بن الملك :

[عَمَسْتُ عَنْهُمْ وَمَا ظَنِّي مَخَافَتَهُمْ] وسوف يعرفهم ذو اللب واللحن^(٢)

وقد روى أيضاً^(٣) أن اللحن بسكون الحاء مصدر لحن بفتحها ، ورد بمعنى الإصابة والفتنة كذلك .

وأفعل التفضيل : ألحن ، ورد في حديث مستفيض روى في كل مجاميع السنة^(٤) يحث المؤمنين على الصدق والحق إذا تقاضوا إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) : «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، وَإِن كُمْ تَحْتَضِمُونَ إِلَيَّ ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحِجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» .

ولما كان معنى اللحن في هذا المثال الأخير متحققاً في أن يكون أحد الخصمين أعرف بالباس حالته حلة من البلاغة المُنقعة — في بعض الروايات بدلا من : لعل بعضهم

(١) انظر التبريزي : شرح الحماسة ص ٦٣٦ (نشر : Freitag) .

(٢) الصولي : أدب الكتاب ص ١٣٢ ؛ والظاهر أن هذا البيت من الأبيات التي رواها

ابن الشجري لقعنب المذكور في مختاراته ص ٧ — ٩ .

(٣) انظر القالي : أمالي ج ١ ص ٥ س ١ .

(٤) مالك : الموطأ ، كتاب الأفضية (الزرقاني على الموطأ ج ٣ ص ١٧٩ ؛ البخاري : كتاب

الأحكام) (وانظر فنسك : فهارس الأحاديث ج ٢ ص ٣٧) .

أن يكون ألحن : لعل بعضكم أن يكون أبلغ^(١) — فقد استعمل لفظ : اللحن ، بسكون الحاء ، في معنى : التعبير بصورة مخالفة للمألوف بوجه عام ، ويدخل في ذلك الغناء ، بمعنى أن اللحن غالباً هو النغمة^(٢) المخالفة للمألوف في أصوات الغناء .

ويمكن استعمال اللحن مجازاً أيضاً في هديل الحمام وغنائه^(٣) . فقد قال شاعر بدوى من شعراء القرن الثاني : هو جهم بن خلف^(٤) ، في أبيات له^(٥) :

تغنّت عليه بلحن لها يهيج للصبّ ماقد مضى
وقال في مكان آخر^(٦) :

مألوفة الألحان مطراب الضحى تبكي بشجو دائم وتوجّع

وفي قصيدة نسبت إلى جحدر ، أحد لصوص العرب ومعاصر الحجاج ، قال في حمامتين^(٧) :

تجاوبتا بلحن أعجميّ على غصنين من غرب وبان
ومثل هذا المعنى ورد أيضاً في البيت الذي لم يسم قائله^(٨) :

باتا على غصن بان في ذرى فنن يرددان لحوناً ذات ألوان

(١) البخاري : كتاب المظالم (وانظر فنسك في المرجع السابق) .
(٢) وهذا هو المقصود دائماً في الأغاني لأبي الفرج . وإلى جانب ألحان ولحون ذكر الزمخشري أيضاً في أساس البلاغة : ملاحن ، في صيغ الجمع . ولإطلاق اللحن على النغمة مستفيض في اللهجة اليهودية — العربية ، ويرد كثيراً في ديوان يهودا هاليفي . وفي النصوص النصرانية — العربية معناه نوع خاص من الغناء الديني . انظر : G. Graf ZS 9, 245 .
(٣) هكذا البكري في اللآلئ ص ٢١ س ٢ خلافاً لأبي على القالي ج ١ ص ٥ حيث يريد أن يفهم ألحان الحمام بالافات على أن اللحن هو اللغة .
(٤) الفهرست ص ٧٠ .
(٥) الحافظ : كتاب الحيوان ج ٣ ص ٦١ .
(٦) ابن الشجري : حماسة ص ١٧١ .
(٧) القالي : أمالي ج ١ ص ٢٨٢ ؛ السيوطي : شرح شواهد المعنى ص ١٤٠ نقلا عن ابن عساكر : تاريخ دمشق ؛ الدميري ج ٢ ص ٤٥١ ؛ عبد القادر : خزائن ج ٤ ص ٤٨٤ نقلا عن كتاب اللصوص للسكري ؛ معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢١١ .
(٨) القالي : أمالي ج ١ ص ٦ ؛ ابن الأنباري : كتاب الأضداد ص ٢١٠ ؛ تاج العروس ج ٩ ص ٣٣١ ؛ وذكر القالي مثالين آخرين لهذا المعنى .

أما أن لفظ : لاحق ، على صيغة اسم الفاعل ، استعمل أيضا بمعنى : حسن الصوت ، فيدل عليه المثل المعروف : «ألحن من الجرادتين» : أى أحسن صوتاً وغناء . والجرادتان كانتا قينتين لمعاوية بن بكر العمليقي ، سيد العالقة في سالف الدهر . وكذلك المثل الآخر : «ألحن من قينتي يزيد»^(١) ، والمراد بهما حياطة وسلامة ، مغنيتا يزيد بن عبد الملك اللتان قيل فيهما إنهما كانتا ألحن من رُئي في الإسلام من قيان النساء .

ويتصل بهذا المعنى فعل : لَحَّنَ بالتشديد ، أى رَتَّلَ بالنغم القرآن مثلاً ، حيث نهى المحافظون عن ذلك^(٢) .

وأخيراً صار لفظ : تلحين (وجمعه : تلاحين) أى طريقة الغناء ، أو النغمة الرئيسية ، اصطلاحاً من اصطلاحات الموسيقى^(٣) .

ويقصد من اللحن أيضاً : النطق على أسلوب مخالف للمألوف ، كما يراد به طريقة التعبير بوجه عام . وفي هذا المعنى يقول ذو الرمة^(٤) :

* في لحنه عن لغات العُرب تعجيم *

ويقول عبيد بن أيوب ، أحد لصوص العرب في القرن الثاني للهجرة ، في الغول :

أرنت بلحن بعد لحن [وأوقدت حوالى نيراناً تلوح وترهر^(٥)]

(١) مجمع الأمثال للميداني (٥١٣٤٢) ج ٢ ص ١٨٤ — ١٨٦ .

(٢) انظر مسند الدارمي : فضائل القرآن .

(٣) انظر : Dozy, Supplément في المادة . وقد استعمل شاعر من عهد المأمون

فعل : لحن في تقسيم أصوات الغناء ، وهو محمد بن حازم الباهلي (أغاني ج ١٢ ص ١٥٨) ، كما ذكره ابن قتيبة : عيون ج ٣ ص ١٠٩ ، وبهذا المعنى ورد أيضاً في رواية ساقها الزجاجي في أماليه ص ٤٩ س ٢ ؛ كما ذكره أيضاً الهمداني في وصف جزيرة العرب ص ٢٠٣ س ٧ بمعنى تقسيم النساء أصوات الأغاني التي ينحن بها على الموق الح .

(٤) ديوان قصيدة ٧٥ بيت ٤٤ .

(٥) الجاحظ : حيوان ج ٦ ص ٥٠ ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٤٩٣ ؛ الباقلاقي :

إنجاز القرآن ص ٤٤ ؛ السيوطي شرح شواهد المغني ص ١٠٧ ؛ خزائن الأدب ج ٣ ص ٢١٣ ؛ واستعمله الفرزدق في عواء الكلب (أمالي المرتضى ج ٤ ص ٢٩) وفي مكانه بالديوان : نبيح

بدلاً من : لحن .

وفي بيت لم يسمّ قائله^(١) :

وقوم لهم لحن سوى لحن قومنا وشكل وبيت الله لسنا نشا كله

ويتصل بذلك القول المأثور : « هذا ليس من لحنى ولا من لحن قومى » ،
ومعناه تقريبا : ليس هذا من شأنى ولا من طريقي^(٢) .

وهذا المعنى : طريقة التعبير ، ورد في كثير من الأحاديث ، وإن كان من الصعب التحقق من قدمها وصحتها . فقد روى أن أبا ميسرة عمرو بن شرحبيل (المتوفى ٦٣ هـ) أحد الصحابة المتأخرين ، استعمل هذا التعبير : لحن اليمن^(٣) . ورأى كل من الأصمعي وأبي زيد لفظ : لحن ، مرادفاً للفظ : لغة^(٤) ؛ وعلى ذلك فعنى : لحن ، نطق بلغته الخاصة^(٥) .

وبهذا فسّرت ثلاثة أقوال نسبت إلى الخليفة عمر الأكبر ، وإن كان يظهر ضعف نسبتها إليه ، وهى : (١) تعلموا الفرائض والسنن واللحن^(٦) . (٢) تعلموا اللحن في القرآن^(٧) . (٣) أئبى أقرؤنا وإنا نرغب عن كثير من لحنه^(٨) . على أن الغالب استعمال اللحن في معنى الطريقة غير المألوفة في التعبير ، بوجه من الوجوه : فقد يقصد من ذلك أن تريد الشيء فتورّى عنه بقول آخر . وهذا

(١) تاج العروس في المادة .

(٢) القالى : ذيل الأملى ص ٣٩ ؛ وذكره الزخمرى في الأساس ؛ وكلاهما على أنه من كلام أبي المهدي أو أبي مهدية الأعرابي أحد من يروى عنهم الأصمعي (ابن قتيبة : معارف ص ٢٧١)
(٣) القالى : أملى ج ١ ص ٥ (وانظر الفائق للزخمرى ج ٢ ص ٢٢٢ ، فقد ذكر بدلا من ميسرة : أبا ميسرة) .

(٤) القالى : أملى ج ١ ص ٥ ؛ الفائق ج ٢ ص ٢٢٢ ؛ وروى صاحب تاج العروس أن هذا اللفظ بالمعنى المذكور خاص بلهجة بني كلاب .

(٥) القالى ج ١ ص ٦ ؛ ابن دريد : الملاحن ص ٧ (القاهرة ١٣٤٧ هـ) .

(٦) القالى ج ١ ص ٥ وفي الأساس والفائق والنهاية لابن الأثير في المادة .

(٧) ابن الأثير : النهاية ج ٤ ص ٥٦ (١٣٢٢ هـ) .

(٨) الفائق ج ٢ ص ٢٢٢ ؛ ابن الأثير ج ٤ ص ٥٧ .

المعنى يبرز بوضوح في بيت من قصيدة قالها القتال الكلابي ، الذي عاش في عهد مروان بن الحكم ، يلوم قومه لتخلفهم عن مساعدته :
ولقد لحت لكم لكيما تفهموا ووحيت^(١) وحيماً ليس بالمرتاب^(٢)
وفي مثال ثان لهذا التعبير يقول مالك بن أسماء صهر الحجاج بن يوسف في جارية
تغنى بها :

منطق صائب وتلحن أحياناً وخيز الحديث ما كان لحنا^(٣)
ولما اشتهر لفظ اللحن في الاستعمال المتأخر بالمعنيين : الخطأ اللغوي ، والغناء ،
وهم الجاحظ فظن أن الشاعر أراد أنها تلحن في الكلام أى تخطيء ، وأن اللحن
في الكلام مما يستحسن من النساء^(٤) .

نعم قد نبهه إلى وهمه العالم المشهور بين رجال القصور : علي بن يحيى المنجم
(المتوفى ٢٧٥ هـ) ، ولكنه لم يستطع إصلاح ما كتبه في كتابه البيان والتبيين
بعد أن سار في الآفاق وانتشر أيماً انتشار^(٥) .

(١) استعمال الثلاثي : وحى ، بدلا من الرباعي : أوحى ، ورد في قراءات شاذة ، مثل :
وحى إلى ، بدلا من : أوحى إلى (آية ١ من سورة الجن) ، ومعناه الأصلي يؤخذ من آية ١١
في سورة مريم : « فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا » أى أشار إليهم . ومن هذا المعنى
يتفرع المعنيان الآخريان : (١) الوحي الشرعي الذي ينزل على الرسول في صور مختلفة (ويتصل
بما ذكره في دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ١١٨١ من أن أصله في العبرية والآرامية بمعنى
السرعة ، وفي الحبشية بمعنى المعرفة) (٢) الرسم ، الكتابة ، الخبر .

(٢) القالي : أمالي ج ١ ص ٤ ، والبكري في اللآلئ ج ١ ص ١٣ (كما ذكره أيضاً ابن
حجر في الإصابة ج ٣ ص ٩٤ طبع القاهرة ١٣٢٨ هـ) ؛ الصولي : أدب الكتاب ص ١٣٠ ؛
تاج العروس ج ٩ ص ٣٣١ ؛ ابن الانباري : الأضداد ص ٢٠٩ ؛ ورواه الزمخشري في الكشف
ص ٣٧ ، ومحج الدين في شرح شواهد الكشف ص ٤٢ : لكيما تعرفوا . ومن رواه دون
تسمية فائله روى الشطر الثاني : واللحن يعرفه ذوو الأبواب . وانظر الميداني ج ٢ ص ١٨٥ والمرضى :
أمالي ج ١ ص ١١ .

(٣) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٩٢ ؛ ابن قتيبة : عيون ج ١ في المقدمة ؛ الشعر والشعراء
ص ٤٩٢ ؛ ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٤٢ .

(٤) البيان ج ١ ص ٦٢ .

(٥) الأغانى ج ١٦ ص ٤٣ (ونقله عنه تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٤ ؛ البكري : اللآلئ
ج ١ ص ١٧) وله رواية مساوقة عن المرزباني في أمالي المرضى ج ١ ص ١٢ ؛ ياقوت : إرشاد
ج ٦ ص ٦٥ ؛ السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ١٩٠ .

ونظراً لذلك التأثير البعيد الذي كان لكتب الجاحظ في الأجيال من بعده ، لم يكن غريباً أن يؤخذ تفسيره الخاطئ بالقبول في أوساط مختلفة ؛ كما فعل ذلك ابن قتيبة في « عيون الأخبار ^(١) » ، وهو كتاب نال من الخطوة مالا يكاد يقل عن كتاب البيان والتبيين ، وأسهم أيضاً في إذاعة ذلك التفسير .

نعم لم تخرس المعارضة دونه بين حين وآخر ، كما أملى ابن دريد (المتوفى ٣٢١ هـ) على تلاميذه تصحيحاً مدعوماً بالحجة للتفسير الذي ذكره الجاحظ ^(٢) ؛ وكما فعل مثل ذلك في جيل آخر بعد ابن دريد أبو بكر الصولي ^(٣) (المتوفى ٣٣٦ هـ) .

وذكر ابن الأنباري (المتوفى ٣٢٧ هـ) — الذي يتفق شرحه للفظ اللحن مع شرح ابن الأعرابي (المتوفى ٢٣١ هـ) الذي يصفه بالصواب — أن مذهب ابن قتيبة من أن العرب تستحسن اللحن في كلام النساء غير صحيح ، إذ أن العرب لم تنزل تستقبح اللحن من النساء كما تستقبحه من الرجال ؛ ثم عضد ذلك بشواهد في طيب حديث الصواب ^(٤) .

بيد أن ذلك التفسير الخاطئ لم يكن من السهل تلاشيه ؛ فقد ذكره قدامة بن جعفر ^(٥) ، وإن فهم من كلامه أنه يأخذ به لعدم انضاح تفسير آخر في نظره ^(٦) ؛ ويؤخذ من كلامه أيضاً عدم ارتياعه إلى أن الخطأ في كلام النساء يعد جميلاً .

وفي ختام القرن الرابع (العاشر) استطاع أحد حوارى الجاحظ وهو أبو حيّان

(١) انظر مقدمة عيون الأخبار .

(٢) الميداني ج ٢ ص ١٨٥ عن حمزة الأصبهاني . وفي مقدمة كتاب الملاحن يذكر ابن دريد

التفسير الصحيح دون تعرض للجاحظ .

(٣) أدب الكتاب ص ١٣٠ .

(٤) الأضداد لابن الأنباري ص ٢١٠ (القاهرة ١٣٢٥ هـ) وتجد مواضع من حديث

الصواب في البيان للجاحظ ج ١ ص ١٠٩ ؛ ابن قتيبة : عيون ج ٤ ص ٨١ — ٨٤ ؛ الحصري :

زهر الآداب (على هامش العقد ١٣١٦ هـ) ج ١ ص ١٣ ؛ ابن الشجري : حماسه ص ١٩٥ ؛

المرتضى : أمالي ج ٢ ص ١٥٧ وغير ذلك .

(٥) نقد النثر ص ١٢٤ — ١٢٥ (القاهرة ١٩٣٣) .

(٦) انظر قدامة في الموضوع السابق . وهو يروى البيت : وخير الحديث . ولكن روى

أيضاً : وأحلى الحديث ، كما عند الجاحظ وابن قتيبة الخ .

التوحيدى أن يحاول تسويغ حمل اللحن في هذا البيت على المعنى الذى ذكره الجاحظ ، أى الخطأ فى الكلام ، وإن لم ينف أيضاً احتمال تفسيره بالرمز والإشارة^(١) .
وابتداءً من القرن الخامس درج الناس على فهم التفسير الصحيح للبيت ، أى الرمز والإشارة^(٢) .

وورد هذا المعنى فى النثر فى خبر عن غزوة الخندق . فقد أرسل النبي [صلى الله عليه وسلم] سعد بن معاذ وسعد بن عباد وغيرهما إلى بنى قريظة ليتبينوا ما إذا كانت قريظة تريد أن تنكث عهدا معها ، وقال لهم : « فإن كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرقه^(٣) » ، فلما رجع الرسل ذكروا للرسول [صلى الله عليه وسلم] لفظى : « عضل والقارة » وهما قبيلتان غدرتا بأصحاب النبي [صلى الله عليه وسلم] من قبل ، فعلم النبي [صلى الله عليه وسلم] من ذلك أن قريظة نكثت العهد .

واشتهر أيضاً على أنه مثال للحن بمعنى اللغز والتورية ، ما جاء فى رسالة أرسلها أحد الأعراب فى يوم الوقيط ، وهو يوم من أيام العرب فى عهد فتنة عثمان ، إلى قومه يمحذروهم من الغزو^(٤) .

وأخيراً ، يتصل بهذا ما جاء فى آية ٣٠ من سورة محمد [عليه السلام] ، وهو الموضع الوحيد الذى ورد فيه لفظ اللحن فى القرآن ؛ وفى هذه الآية ، التى نزلت بعد غزوة بدر بقليل ، يقول الله سبحانه عن المنافقين : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيَئِهِمْ »

(١) ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٦٦ .

(٢) المرتضى ، البكرى ، الميدانى ، الزمخشري فى المواضع المذكورة آنفاً ؛ وانظر ابن رشيق فى العمدة ج ١ ص ٢١٠ ؛ ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢١ ؛ البلوى : ألف باء ج ١ ص ٤٤ وغير ذلك .

(٣) ابن هشام ص ٦٧٥ ؛ الروض الأنف ج ٢ ص ١٩٠ ؛ الواقدى : ص ١٩٧ ؛ المبرد :

كامل ص ٦٣٢ .

(٤) نقائص جرير والفرزدق ج ١ ص ٣٠٥ ؛ وذو كر ابن دريد رواية أخرى فى الملاحن ص ٤ ، ونقلها القالى فى الأمالى ج ١ ص ٦ (وعنه البكرى فى اللآلى ص ٢١) والمرتضى ج ١ ص ١٢ ؛ وتوجد الكلمات التى ذكرها ابن دريد والقالى فى معانى الشعر للأشعثاندى ص ٥٧ .

وَلْتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ . ولا يوجد أفصح ولا أبلغ ، ولا أنصح ولا أبين في إصابة الحز من ذلك التعبير : لحن القول ، في وصف طريقة التعبير المعسولة التي لا يبدو في ظاهر جرسها سوء ، والتي يرمز بها أعداء محمد [صلى الله عليه وسلم] إلى معان يفهما إخوانهم في الرياء والنفاق .

ويتعلق بهذا السياق أيضاً فعل : لآحن (وهو مرادف لفعل : فآطن ^(١)) ، أى أظهر له ذكاه وفطنته ، ولا سيما بتعاطى التورية والإلغاز : كما في بيت الطرماح ، قصيدة ٤٧ بيت ٥ ^(٢) :

وَأدَّتْ إِلَى الْقَوْلِ عَنْهُنَّ زَوَلَةٌ تَلآحِنُ أَوْ تَرْنُو لِقَوْلِ الْمَلآحِنِ

وعلى حين يراد من اللحن بالمعنى الأخير ، أى التورية والتعمية كما في الأمثلة الأخيرة ، الرمز إلى السامع بغير ما يفهم من صريح الكلام ، يستعمل اللحن أيضاً ، في أحوال أخرى ، بمعنى ما يقصد إليه المتكلم نفسه من معنى يقصده ولا يتبين من ظاهر اللفظ ، كما في حالة استعمال الألفاظ المشتركة في معان غير متبادرة منها .

وقد ظن كثيرون إذا أقسموا يمينا على شىء أنهم يرضون ضمائرهم بالقصد إلى معنى غير ما يفهمه السامع ؛ فإذا حلف إنسان : ما سألت فلانا حاجة قط ، قصدوا في أنفسهم من لفظ : حاجة ، أمراً معينا .

وقد ذكر ابن دريد في كتابه : الملاحن ^(٣) ، مجموعة من مثل هذه الألفاظ المحتملة لمعان مختلفة ، مع ملاحظته على ذلك أن من يضطر إلى اليمين يستطيع استخدامها لينقذ نفسه من كيد المتسلط ، ويسلم مع ذلك من غضب القوى الجبار . وقد أمكنه أن يجمع من هذه الألفاظ نحو أربعائة كلمة من كلمات الحيل في القسم ، من بين العدد الدثر من الألفاظ المشتركة في العربية .

(١) الزنجشمرى : أساس ج ٢ ص ٢٢٢ ، فسر : يلاحن الناس بقوله : يفاطنهم ويجاهلهم بفطنته ودهائه .

(٢) ديوان نشر كرنكو .

(٣) نصره : H. Thorbecke سنة ١٨٨٢ في هايد لبرج ، وطبع في القاهرة ١٣٤٧ هـ .

وتنقل خطوات قليلة لفظ : لحن ، من معنى التضليل والتعمية ، إلى معنى الخطأ في التعبير : لحن بفتح الحاء ، أخطأ في الكلام ؛ لحن بالتشديد ، عدّه لاحناً ، عد عليه لحناً ؛ لحن وحنّانة وحنّة ، كثير اللحن .

وإلى هذا اسم الفاعل : لاحن ، في قولهم : قدح لاحن ، أى ليس بصافي الصوت عند الإفاضة ، وقوس لاحنة عند الإنباض ، أى عند شد وترها للرمى ^(١) .

وهذا المعنى ، أى الخطأ في الكلام ، يبدو في العهد الإسلامى في غير عربية البدو بصورة قوية — لم يعق هذا الاستعمال عن الانفراد في التعبير إلا استعمال اللحن بمعنى الغناء أيضاً — بحيث تورط ابن الأعرابى النحوى الكوفى (١٥٠ — ٢٣١ هـ) إذ ساقه اطراد ذلك الاستعمال إلى اعتقاد أن : لحن معناه أخطأ في الكلام ، أو فطن وأصاب الصواب ، وأنه على ذلك من قبيل الأضداد ^(٢) .

وهذا الرأى المنحرف يتفق مع مذهب ذلك الكوفى العجيب الذى يذهب مثلاً إلى جواز إبدال الضاد بالظاء حسب الرغبة والاختيار ^(٣) ، والذي ينكر فضل أبى عبيدة والأصمعى في تحقيق اللغة وجمعها ^(٤) ، والذي يعدّ شعر أبى نواس وغيره من المحدثين كالريحان يُشم ويذوّى فيرمى به ^(٥) .

ويظهر في باب اللحن من كتاب الأضداد لابن الأنبارى ^(٦) (المتوفى ٣٢٧ هـ) ما أدى إليه هذا التفسير الذى مسخ معنى ذلك اللفظ : اللحن ، في تفسير التعبيرات المتفرقة .

(١) انظر الأساس للزمخشرى في الموضع السابق .

(٢) كتب أخيراً في طبيعة الأضداد في اللغة العربية هـ كفلر في تقديمه لكتاب الأضداد لقطرب (المتوفى ٢٠٦ هـ) الذى نشره أخيراً : وقطرب لا يذهب إلى أن كلمة لحن من قبيل الأضداد كما فعل ابن الأعرابى .

(٣) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٩٩ (١٢٩٩ هـ) .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٨٢ .

(٥) المرزبانى : موشح ص ٢٤٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥ ؛ وكان ابن الأعرابى متعصباً على أبى تمام بوجه خاص (موشح ص ٣٠٤ ، ٣٢٩) ، ولهذا ينكر عليه ابن الأثير كل حق في الكلام فيما يتصل بالذوق الأدبى (المثل السائر ص ٤٩٠) .

(٦) الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٠٧ — ٢١٤ (القاهرة ١٣٢٥ هـ) .

ومن الأمثلة لذلك ما ذكره ابن الأعرابي في شرح البيت المذكور آنفاً
لمالك بن أسماء :

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحناً
إذ قال : منطق قاصد للصواب وإن لم يصب ، وتصيب وتفطن أحياناً ، وخير
الحديث ما كان إصابة وفطنة .

وهذا التأويل المتهافت يجد شبيهه في تفسير ابن الأعرابي أيضاً لبيت من شعر
امرئ القيس في معلقته (١)

هذا ولا يزال ينقصنا بعد كل دليل يبين متى تم نقل لفظ اللحن إلى معنى الخطأ
في الكلام . وأغلب الظن أنه استعمل لأول مرة بهذا المعنى عند ما تنبه العرب
بعد اختلاطهم بالأعاجم إلى فرق ما بين التعبير الصحيح والتعبير المملحون . وكثير من
هؤلاء لم يكونوا يستطيعون إخراج حروف الخلق والإطباق بالدقة المعروفة في العربية
من مخارجها ، فاستعاضوا عنها بحروف أخف على ألسنتهم وأسهل على طباعهم .
وكان من أثر هذا إلى جانب الثراء العظيم في مادة اللغة العربية ، أن نشأ من
التحريف واختلاط الكلمات مالا مناص عنه في التفاهم العادي .

فإذا قال أجمي مثلاً : أهلّ ، الذي معناه ظهر أو فرح ، بدلا من : أحلّ ، بمعنى
أجاز وأذن ؛ أو : أرب ، الذي معناه الحاجة أو العقل ، بدلا من : عرب جمع عربي ؛
أو : سار ، الذي معناه ذهب ، بدلا من : صار بمعنى : تحول ؛ أو : دلّ الذي معناه
هدى ، بدلا من : ضل ، بمعنى غوى وحار ؛ أو : ترك ، الذي معناه : ودع وأبقى
بدلا من : طرق ، بمعنى دق على الباب ليلاً ، لم يكن من السهل على العربي أن يتابع
كلامه بالفهم الصحيح ؛ وكان لا بد أن يؤدي ذلك إلى إدراك العربي معنى الخطأ
اللغوي ، والخلط في التعبير .

وليكن هناك من الفرص قبل الإسلام أيضاً ما يسمح باختلاط العرب بغيرهم

من الأعاجم في المناسبات المختلفة؛ فإن الهجرة العربية الكبرى التي تمت في القرن الأول للإسلام، وهيأت الفرصة العظمى لاحتكاك العرب بالأعاجم، واصطدام لغتهم باللغات الأخرى، هي التي يعول عليها بالنسبة لما ترتب عليها من آثار جماعية غير فردية. وقد كانت نتائج ذلك ما لا حظناه في الأبواب المتقدمة، وما قرناه من قيام مبدأ « تنقية اللغة العربية » في أواخر القرن الأول للهجرة (السابع الميلادي).

ومن آثار نشأة ذلك المبدأ المتزمت إطلاق لفظ اللحن على الخطأ اللغوي، كما ورد مثلاً في شعر رؤبة، ويحيى بن نوفل.

وقد يجوز أن نضيف هنا إلى هذين الشاهدين بيتاً للحكم بن عبدل الأسدي^(١)، وكان هذا الشاعر موالياً لوالى البصرة الأموي: عبد الملك بن بشر بن مروان (حكم البصرة في سنتي ١٠٢ — ١٠٣ هـ)^(٢)، وكانت بينه وبين حاجب الأمير ملاحاة وخصومة، فأراد أن يحمل الأمير على إقالته من منصبه وقال يهجوهُ:

ليت الأمير أطاعني فشفيته من كل من يكفي القصيد ويلحن^(٣)
هذا البيت إلى البيتين المشار إليهما من قبل، يبدو أنه أقدم الشواهد على استعمال كلمة: لحن، في معنى الخطأ اللغوي.

(١) انظر الأغاني ج ٢ ص ١٤٨ — ١٥٩.

(٢) Zambaur, S. 40

(٣) الجاحظ: حيوان ج ١ ص ١١٨.

فهرس الأعلام

الأرقام المذكورة بعد حرف (ت) تبين مواضع الأعلام من التعليق في أسفل الصفحات
« حرف الهمزة »

- آكل المرار ، حجر بن معاوية بن ثور وهو كندة ؛ ت : ص ١٦٥ س ٢
آلورد W. - Ahlward ؛ ت : ص ٢٧ س ١ ، ٨ ص ٢٩ س ٤ ص ٣٠ س ٣
ص ٣٨ س ٧ ، ص ٤٢ س ١١ ص ٤٨ س ٢ ص ٨٩ س ٥ ص ٩١ س ٣
ص ٩٢ س ٧ ص ١٢١ س ٣ ص ١٧٢ س ٧
أبان بن عبد الحميد ، أبو يحيى اللاحقي ؛ ص ٩٤ س ٥ ص ٩٦ س ١٤
أبان بن الوليد البجلي ؛ ص ٣٨ س ٥ ؛ ت : ص ٣٨ س ٣
أبان بن الوليد بن عقبة ؛ ت : ص ٣٨ س ٨
إبراهيم بن أدحم ؛ ت : ص ٧٠ س ٦
إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحرابي ؛ ص ٦٥ س ١١ ص ٦٦ س ٢ ص ١٤١ س ٧ ؛
ت : ص ٥ س ٧
إبراهيم بن اسماعيل العلوي بن طباطبا ؛ ت : ص ١١٤ س ١٣
إبراهيم بن حبيب ؛ ص ٩٧ س ٥
إبراهيم بن السري الزجاج = الزجاج
إبراهيم بن سيابة = ابن سيابة
إبراهيم بن عثمان ، قاضي واسط ؛ ص ٦٦ س ١٠
إبراهيم بن علي = أبو إسحاق الشيرازي الفقيه الشافعي
إبراهيم بن علي بن تميم الحصري = الحصري
إبراهيم بن محمد البيهقي = البيهقي
إبراهيم بن محمد بن عرفه ، نفظويه = نفظويه
إبراهيم الموصلي ؛ ص ٩٣ س ١١ ص ٩٤ س ١ ص ٩٨ س ١٢ ، ١٦
إبراهيم بن هرمة = ابن هرمة الشاعر
إبراهيم بن هشام بن اسماعيل ؛ ص ٣٧ س ٦
إبرمان A. Ebermann ؛ ت : ص ١٦ س ١١

ابن أبي إسحاق ، عبد الله ، الحضرمي النحوي ؛ ص ٤٧ س ٣ ، ١١ ، ١٦ ص ٤٨

س ٢ ؛ ت : ص ٤٧ س ٨ ص ٦٤ س ٨

ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم : ص ٢٢٩ س ٧ ؛ ت : ص ١٠٧ س ٢ ، ٨

ص ٢٢٩ س ٢

ابن أبي البغل ، أبو القاسم أحمد بن يحيى ؛ ت : ص ١١٤ س ١٦

ابن أبي سنة المغني : ص ٨٨ س ١٥

ابن أبي شبة المغني : ص ٨٨ س ١٦

ابن أبي طاهر = أحمد بن طيفور : ص ١٣٥ س ١٠ ؛ ت : ص ١٣٥ س ٢

ص ١٣٨ س ٦

ابن أبي القرمطي ؛ ت : ص ١٦٢ س ٣

ابن أبي الوفاء ، أبو محمد عقيل بن أبي الوفاء محمد ، محي الدين القرشي ؛

ت : ص ٨٠ س ٧

ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد بن الحسين ؛ ت : ص ٦٥ س ٣ ص ٧٩ س ٤

ابن الأثير المؤرخ ، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، عز الدين ؛

ت : ص ٣٠ س ٤ ، ٩

ابن الأثير الأديب ، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو الفتح :

ص ١٢٥ س ٣ ص ١٤١ س ١٤ ص ١٨٤ س ١٥ ؛ ت : ص ١١ س ٢

ص ٧١ س ٣ ، ٧ ص ٩١ س ٩ ص ٩٢ س ٨ ص ١٠٤ س ٣ ص ١٣٨ س ٧

ص ١٦٩ س ٢ ص ١٧٢ س ١٠ ص ١٧٥ س ٣ ، ٦ ، ٨ ص ١٧٨ س ١

ص ١٨٣ س ٥ ص ٢٤٤ س ٨

ابن الأخرم ، أستاذ الحاكم الأصغر : ص ٨٠ س ١

ابن الأعرابي ، محمد بن زياد النحوي الكوفي : ص ٧٥ س ٧ ص ٨٨ س ٧ ،

١٢ ، ١٥ ص ٨٩ س ٣ ص ٩٠ س ٢١ ، ٢٣ ص ٩١ س ٣ ص ٢٤١ س ٩

ص ٢٤٤ س ٨ ص ٢٤٥ س ١ ؛ ت : ص ١٦٤ س ٩ ص ٢٤٤ س ٤ ، ٧

ابن الأنباري = أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله

ابن الأنباري = أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار

ابن بري ، عبد الله بن بري بن عبد الجبار المصري : ص ٢١٤ س ١٦ ص ٢٢٢

ص ٢١ س ٢٢٣ س ٣ ، ١٣ ، ١٨ ص ٢٢٤ س ٢ ، ٢١ ص ٢٢٥ س ١٤

ص ٢٢٦ س ٤ ؛ ت : ص ١٧٠ س ١٠

ابن بسام ، علي بن محمد بن نصر ، أبو الحسن : ص ١٦٣ س ١٥ ص ١٨٦
س ١٦ ، ١٤ ، ٧

ابن ثوابة ، محمد بن أحمد ، أبو عبد الله : ص ١٣٧ س ١٩

ابن جبير ، محمد بن أحمد ، أبو الحسن ؛ ت : ص ١٩٦ س ٢

ابن الجراح ، محمد بن داود : ص ١١٣ س ١٢

ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد ، أبو الخير ؛ ت : ص ٤٨ س ٤
ص ٧٣ س ٣ ص ٧٨ س ١٥

ابن جنى ، أبو الفتح عثمان بن جنى : ص ١٦٠ س ٤ ، ٦ ، ٧ ص ١٦١ س ٨

ص ١٧٧ س ٩ ، ١٥ ص ١٧٨ س ٣ ، ٧ ، ١٥ ، ٢٠ ص ١٧٩ س ٣ ، ١٧ ، ١٧

١٩ ، ٢٠ ص ١٨٠ س ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ص ٢١١ س ٤ ؛

ت : ص ١٣ س ٣ ص ٣٢ س ٣ ، ٦ ص ٣٣ س ١ ص ٤٧ س ٢ ص ٧٨

س ١٠ ص ٨٠ س ٨ ص ١٢٣ س ٨ ص ١٥٦ س ٧ ص ١٧٧ س ٨ ص ١٨٠ س ٤

ابن الحاجب النحوى ، عثمان بن عمر ، أبو بكر : ص ٢٢٧ س ١٣

ابن حبان ، محمد بن أحمد بن حبان البستي ؛ ت : ص ٨٤ س ٤ ص ٢٠١ س ٣

ابن حجاج ، الحسين بن أحمد بن حجاج ، الشاعر البغدادي : ص ١٨٢ س ٨ ، ١٨

ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، شهاب الدين ؛ ت : ص ١٢ س ٥

ص ٢١ س ٥ ص ٢٣ س ٣ ص ٢٤ س ٦ ص ٢٥ س ٢ ، ٦ ص ٢٧ س ١٣

ص ٣٠ س ١٥ ص ٣٣ س ٤ ص ٥٣ س ١٤ ، ١٥ ص ٥٤ س ٢ ص ٥٧

س ٢ ص ٥٨ س ٦ ص ٥٩ س ٢ ص ٦٤ س ٦ ص ٦٦ س ٨ ، ١١ ، ١٤

ص ٦٧ س ١ ص ٦٩ س ٦ ، ٨ ، ١٠ ص ٧١ س ١١ ص ٧٢ س ١٠ ص ٧٣

س ٣ ، ٦ ، ١١ ص ٧٦ س ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ص ٧٧ س ٢ ، ٩ ص ٧٩

س ١ ، ٩ ص ٨٠ س ٦ ص ٨٣ س ١٠ ص ٨٤ س ٤ ص ٩٢ س ٤ ص ١٠٧

س ٦ ص ١٨٠ س ٣ ص ٢٠١ س ١ ، ٣ ، ٤ ص ٢١٠ س ١

ابن خالويه ، الحسين بن أحمد بن خالويه ، أبو عبد الله : ص ٦٠ س ٩ ص ١٤٩

س ١٦ ص ٢٠٦ س ٣ ؛ ت : ص ٢٩ س ١ ص ٣٢ س ٣ ، ٦ ص ٣٣ س ١

ص ٦٠ س ٢ ، ٦ ص ٧١ س ٧ ص ١٢٣ س ٨ ، ٩

ابن خرداذبه ، عبيد الله بن أحمد ، أبو القاسم : ص ٩٨ س ١٦

ابن خروف ، علي بن محمد ، النحوى : ص ٢٢٧ س ١

ابن الحشاش ، عبد الله بن أحمد ، البغدادي : ص ٢٢٦ س ٣
ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ؛ ت : ص ٢٤ س ١ ص ٢٧ س ٤
ص ٢٨ س ١٠ ، ٥ ص ٣٣ س ٢ ص ٣٥ س ٢ ص ٥٦ س ٣ ص ٦٥ س ٧
ص ٦٧ س ٩ ص ٧٠ س ٢ ص ٧٥ س ٢ ص ٨٥ س ٢ ص ٨٦ س ٧
ص ٨٩ س ٤ ص ٩١ س ١ ص ١٠٣ س ٥ ص ١٠٤ س ١٠ ص ١١٤
ص ١٣٦ س ١٠ ص ١٦٢ س ٥ ص ١٧٧ س ٣ ص ٢٠٩
س ١ ص ٢٤٤ س ٥

ابن الحياط ، محمد بن احمد بن منصور ، أبو بكر : ص ١٧٥ س ١
ابن درستويه ، عبيد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ، أبو عبد الله : ص ٦٠ س ٨
ابن دريد ، أبو بكر ، محمد بن الحسن : ص ٩٩ س ١٣ ص ١٩٦ س ٩ ص ٢٤١
ص ٧٠٥ ص ٢٤٣ س ١٦ ؛ ت : ص ١٦ س ٩ ص ٤٠ س ٤ ص ٤٣ س ١٣
ص ١١٥ س ٤ ص ١٩٦ س ٧ ص ٢٣٥ س ٢ ص ٢٣٩ س ٨ ص ٢٤١
س ٢ ص ٢٤٢ س ٩ ، ٧

ابن الديبع ، عمرو بن علي بن محمد الزبيدي ؛ ت : ص ٢١ س ٦ ، ٧ ص ٢٢٦ س ٥
ابن رسته ، احمد بن عمر ، أبو علي ؛ ت : ص ٢٤ س ٣
ابن رشيق ، أبو علي ، الحسن بن علي ؛ ت : ص ٣٦ س ١٠ ص ٤١ س ٢
ص ٥٨ س ١ ص ٩٠ ص ٩٨ س ١ ص ١٦٣ س ١ ص ٣٠ ، ١ ص ١٧٢ س ٢ ص ١٧٣
س ١ ص ١٧٥ س ٣ ، ٥ ، ٧ ص ٢٤٢ س ٢

ابن الرومي ، علي بن العباس : ص ١٣٦ س ١٠
ابن زينب المراكبي ، عبد الله بن اسماعيل : ص ١٢٥ س ٨
ابن الزيات ، محمد بن عبد الملك : ص ١٢٦ س ٨
ابن السراج ، محمد بن السري البغدادي النحوي ؛ ت : ص ١١٤ س ٦

ابن سعد ، محمد بن سعد ، كاتب الواقدي : ص ٧٧ س ٩ ؛ ت : ص ٢٣ س ٦ ، ٥
ص ٢٥ س ١ ص ٢٧ س ١٢ ص ٥٣ س ٧ ص ٦٦ س ٨ ص ٧٢ س ٨
ص ٧٣ س ٢ ص ٧٤ س ٣ ، ٥ ص ٧٦ س ٩ ، ١٠ ص ٧٨ س ١٥ ص ٨٠
س ٦ ص ٨٤ س ٣ ص ١٠١ س ١ ص ٢١٠ س ٣ ص ٢٢٥ س ٦

ابن السكيت ، يعقوب ، الكوفي : ص ٨٥ س ٨ ص ١٢٣ س ١٢ ص ١٣٢
س ١٣ ص ١٤٨ س ١٦ ، ٧ ، ٥ ص ٢١١ س ١٣ ص ٢١٨ س ١ ؛
ت : ص ١٦٤ س ٤ ، ٤ ص ١٦٥ س ٧

ابن سلام ، محمد بن سلام ، الجمحي : ص ١٤٠ س ١٤ ص ١٨٨ س ٥ ص ١٨٩
س ١ ، ٩ ، ١١ : ت : ص ١١ س ١ ص ٢٨ س ٩ ص ٤٦ س ٤ ص ٤٧
س ١ ، ٢ ، ٧ ص ٤٨ س ١ ص ٥٣ س ٤ ص ٦٢ س ٦ ص ٦٤ س ٩
ص ١١٤ س ٣

ابن سناء الملك ، هبة الله بن جعفر

ابن سيرين ، محمد : ص ٧٢ س ١

ابن سيابة ، إبراهيم : ص ٩٣ س ١٧

ابن شاذي وزير المعتصم : ص ١٢٧ س ١٦

ابن شاكر الكتبي ، محمد : ص ١٨٦ س ٢١ : ت : ص ١٨٦ س ١ ص ٢٢٧ س ٤

ابن الشجري ، هبة الله بن علي : ت : ص ٣٦ س ٤ ص ٤٣ س ٥ ص ٦٨ س ٨

ص ١٧٢ س ١١ ص ٢٣٦ س ٣ ص ٢٣٧ س ١٠ ص ٢٤١ س ١١

ابن شوكر السندي : ص ٦٩ س ٣ ، ٥

ابن الصلاح ، عثمان بن عمرو بن عثمان ، تقي الدين : ص ٢٢٨ س ١٢ :

ت : ص ٢٢٨ س ١

ابن الضائع ، علي بن محمد بن علي : ت : ص ٢٢٦ س ٨

ابن الطبري المصري : ص ٧٧ س ٢

ابن الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي : ت : ص ٧٧ س ١

ابن طيفور ، أحمد = ابن أبي طاهر

ابن طولون ، أحمد : ت : ص ١٣٦ س ١١

ابن ظفر ، محمد بن عبد الله : ص ٢٢٥ س ١٩ : ت : ص ٢٢٦ س ٣

ابن عباد = صاحب بن عباد

ابن عباس ، عبد الله : ص ٢١٠ س ٧ ص ٢١٧ س ٤ : ت : ص ٢١٠ س ٤

ابن عبد البر ، يوسف بن علي بن محمد : ت : ص ٢٥ س ٢

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه : ت : ص ١١٩ س ٧

ابن عدى ، الهيثم : ص ٧٩ س ١٠

ابن العماد ، عبد الحمى بن احمد بن محمد بن العماد الحنبلي : ت : ص ٢٢٦ س ١

ابن العميد ، محمد بن الحسين ، أبو الفضل : ص ١٣٥ س ١٤ ص ١٦٤ س ١

ص ١٦٦ س ٣ ، ١٦ ص ١٧٤ س ١٥

ابن عساكر ، على بن الحسن بن هبة الله ، أبو القاسم ؛ ت : ص ٢٣٧ س ١٢

ابن فارس ، أحمد : ص ٦٥ س ١٣ ص ١٦٦ س ٣

ابن فورجة ، محمد بن أحمد : ص ١٧٩ س ١٨ ؛ ت ١٧٩ س ٢ ، ٣

ابن فورك = ابن فورجه

ابن قادم النحوى ، محمد بن عبد الله ، أبو جعفر : ص ١٢٧ س ٧

ابن قتيبة الدينورى ، عبد الله بن مسلم : ص ٢٣ س ١ ، ٧ ص ٧٥ س ٧ ص

٩١ س ٤ ص ١٠٦ س ٢ ص ١٢٦ س ١ ص ١٣١ س ١ ، ٩ ، ١٠ ص ١٣٢

س ١ ، ٤ ص ١٣٣ س ١٤ ص ١٣٤ س ٥ ، ٢٠ ص ١٣٥ س ٣ ، ٦ ص ٢١٢

س ٩ ص ٢١٣ س ٥ ص ٢١٨ س ١ ص ٢١٩ س ١٨ ص ٢٤١ س ٣ ،

٩ ؛ ت : ص ١٠ س ١ ، ٢ ص ١٣ س ٣ ص ١٥ س ١٤ ، ١٦ ص ١٦ س

١ ، ٦ ، ١٥ ص ١٧ س ٥ ، ٧ ص ٢١ س ٤ ص ٢٣ س ١ ، ٧ ص ٢٤ س ١

ص ٢٥ س ٤ ص ٢٧ س ١ ، ٥ ص ٢٨ س ٥ ص ٢٩ س ١ ص ٣٠ س ٨

ص ٣١ س ٣ ص ٣٣ س ٢ ص ٣٤ س ١١ ص ٣٥ س ١ ص ٣٨ س ١٠ ص ٤٢

س ٢ ، ٧ ص ٤٧ س ٧ ص ٥١ س ١٢ ، ٥ ص ٥٣ س ٦ ص ٥٩ س ١ ، ٤

ص ٦٠ س ٩ ص ٦٤ س ١٢ ص ٦٦ س ١٣ ص ٦٧ س ٣ ، ٤ ، ٨ ص ٦٨

س ٣ ، ٥ ص ٧٠ س ١ ، ٧ ص ٧٣ س ٥ ، ٩ ص ٧٤ س ١٣ ص ٧٥ س ١٠

ص ٨١ س ٤ ص ٨٢ س ٦ ص ٨٤ س ١ ص ٨٦ س ٩ ص ٨٩ س ١ ص ٩١

س ٣ ص ٩٢ س ٢ ص ٩٣ س ٣ ص ١١٣ س ٥ ص ١١٤ س ٢ ص ١١٨

س ٧ ص ١١٩ س ٢ ، ٦ ص ١٢٠ س ٤ ص ١٢٦ س ٦ ص ١٢٧ س ٩

ص ١٤٦ س ٢ ص ١٧٣ س ٤ ص ١٧٦ س ٣ ص ٢٣٨ س ٥ ، ٩ ص ٢٣٩

س ٣ ص ٢٤١ س ١٠ ، ١٥

ابن القرية ، أيوب بن يزيد ؛ ت : ص ٢٨ س ٤

ابن قريعة القاضي ، محمد بن عبد الرحمن : ص ٢٢١ س ١٣

ابن قزمان ، محمد بن عبد الملك : ص ١٨٩ س ١٥

ابن الفطى ، على بن يوسف بن إبراهيم ؛ ت : ص ٨٤ س ١٠

ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب : ص ٤٦ س ٩ ص ٨١ س ٦ ؛ ت : ص ٢٣ س ١

ابن كناسة ، أبو محمد عبد الله بن يحيى : ص ٤١ س ١٠

ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد ؛ ت : ص ١٢١ س ٥ ص ٢٢٥ س ٣

- ابن مالك النجوى ، جمال الدين محمد بن عبد الله : ص ١٠٢ س ١٨ ص ٢٢٧ س ٤
ابن المديني ، علي بن عبد الله بن جعفر : ص ٧٥ س ١٣ ص ٧٦ س ١٥
ابن المعتز ، عبد الله ؛ ت : ص ١٢٤ س ٢
ابن مفرغ ، يزيد بن ربيعة الحميري : ص ١٥ س ١٣ ص ١٦ س ٥ ص ٢٤ س ٤ ؛
ت : ص ٢٣ س ٢
ابن المقفع ، عبد الله : ص ٥٢ س ٤ ص ٥٥ س ٤ ، ٧ ، ٩ ، ١٩ ، ص ٥٦ س ١٤ ،
١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ص ٥٧ س ٧ ، ٩ ، ١٤ ، ص ٥٨ س ٤ ، ١٣ ،
ص ٦٠ س ١
ابن منذر ، محمد : ص ٧٤ س ٥ ص ٩٤ س ١٣ ص ٩٨ س ٢٠ ؛ ت : ص ١٥ س ١٠
ص ٨٤ س ٧
ابن النجم ، علي بن يحيى : ص ١٢٨ س ٢٠ ص ٢٤٠ س ٧ ؛ ت : ص ١١٤ س ٨
ابن ميادة ، الرماح بن أبرد ، أبو شراحيل أو شرجيل : ص ٢٦ س ٨ ، ٥
ابن النديم ، محمد بن إسحاق ، صاحب الفهرست : ص ٦٣ س ٥ ص ٨٩ س ١٧
ص ٢٠٥ س ١٦ ؛ ت : ص ٧٩ س ٧
ابن هرمة ، إبراهيم : ص ١٢٠ س ١٨
ابن هشام ، عبد الملك ؛ ت : ص ٢٣ س ٤ ص ٤٢ س ١٠ ص ٩٩ س ٦ ص ٢٤٢ س ٥
ابن وكيع : ص ١٨٠ س ١٠
ابن يعيش ، يعيش بن علي بن يعيش الحلبي النجوى : ص ٢٢٩ س ٥ ؛ ت : ص ٤٨
س ٨ ص ٧١ س ٣ ص ٨١ س ٢ ص ٩١ س ٨ ص ١٠٣ س ٨ ص ١٢٦ س ٣
ص ١٥٦ س ٤ ص ١٧١ س ١١ ، ١٣
أبو الأبيض العنسي : ص ٨٢ س ٧
أبو إسحاق الشيرازي الفقيه الشافعي ، إبراهيم بن علي : ص ٢٠٩ س ٢٢
أبو الأسود الدؤلي ، ظالم بن عمرو بن جندل : ص ١١ س ٢١ ص ١٢٣ س ١٤ ؛ ت :
ص ١١ س ٣
أبو أيوب الطنافسي : ص ٧٦ س ٦
أبو البركات ابن الأباري ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله : ص ٢٢٦ س ٢ ؛ ت :
ص ١١ س ١ ص ١٦ س ٩٠ ، ٥ ص ٢٨ س ٩ ص ٣٢ س ٢٠ ، ١ ص ٤٤ س ٧
ص ٦١ س ٣ ص ٦٢ س ٢ ص ٦٥ س ٥ ص ٧٣ س ٨ ص ٧٥ س ٢ ص ٨١

س ٢ ص ٨٦ س ٦ ص ١٠٤ س ١٠ ص ١١٩ س ٣ ص ١٢٢ س ٢ ص ١٢٦
س ٤ ص ١٧٧ س ٧ ص ٢١٣ س ٣ ص ٢١٨ س ٧ ص ٢٣٧ س ١٤ ص ٢٤١
س ٩ ص ٢٤٤ س ١٠

أبو بكر ابن الأنباري ، محمد بن القاسم بن بشار : ص ٢٤١ س ٨ ص ٢٤٤ س ١٥
أبو بكر الخوارزمي ، محمد بن العباس : ص ١٦٦ س ١٦ ص ١٦٨ س ٥
أبو بكر ابن دريد ، محمد بن الحسن بن دريد
أبو بكر الصديق ، عبد الله بن عتيق أبي قحافة : ص ٢٥ س ٤

أبو بكر الصولي ، محمد بن يحيى : ص ٢٤١ س ٧ ؛ ت : ص ٦٦ س ١٣ ص ٦٩
س ١٢ ص ٧٠ س ٩ ص ٧٢ س ٦ ص ٧٨ س ٧ ص ٨٦ س ١ ص ٦٠ ص ٩٣
س ٥ ص ١٢٧ س ١ ص ٨٠ ص ١٣٦ س ٦ ص ٢١٨ س ٤ ص ٢٣٦ س ٢

أبو بكر بن علي الصنهاجي ، ت : ص ٢٠ س ٨
أبو بكره نفيح بن سمية = نفيح بن سمية

أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي : ص ٨٢ س ٦ ص ١٢٣ س ٩ ، ١٤ ، ١٦ ص ١٣٥
س ١٠ ص ١٧٤ س ١٦ ص ٢١٠ س ٩ ؛ ت : ص ٢٤٤ س ٧

أبو الجاموس ، ثور بن يزيد : ص ٥٥ س ٧

أبو حاتم السجستاني ، سهل بن محمد : ص ١٢٢ س ١٩ ؛ ت : ص ٦٨ س ٨

أبو حامد الغزالي ، محمد بن محمد : ص ٢٠٨ س ٢٠

أبو حباب : ص ٤٣ س ٢ ؛ ت : ص ٤٣ س ٢

أبو حزام العكلى ، غالب بن الحارث : ص ١٢١ س ٢

أبو الحسن بن طباطبا ؛ ت : ص ١١٤ س ١٧

أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت : ص ٦٥ س ٤ ، ٨ ، ١٤ ص ٦٦ س ١ ، ٢ ، ٥ ؛ ت :
ص ٦٦ س ٣

أبو حنيفة الدينورى ، أحمد بن داود : ص ١٢٢ س ٢ ؛ ت : ص ١٠٧ س ٦

أبو حيان التوحيدى ، علي بن محمد بن العباس : ص ١٦٣ س ٢١ ص ١٦٦ س ٢
ص ١٨٠ س ٣ ص ٢٤١ س ١٦

أبو حية النميرى ، الهيثم بن الربيع ؛ ت : ص ٤٣ س ٤

أبو خليفة الجمحى ، الفضل بن الحباب : ص ١٤٠ س ١٣ ، ١٧ ص ١٨٤ س ٣

أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث الأزدي ؛ ت : ص ١١٤ س ٩ ص ٢٢٥ س ٣

- أبو الدرداء ، عويمر بن مالك أو ابن زيد الحزرجي الأنصاري : ص ٧٣ س ١١،١٠
أبو دلف الحزرجي : مسعر بن مهلهل الينبوعي : ص ١٦٥ س ١٣
أبو دلف العجلي ، القاسم بن عيسى بن معقل : ص ١٢٤ س ٩
أبو دواد الإيادي ، حارثة بن الحجاج : ص ٥١ س ١١ ؛ ت : ص ١٢٣ س ١١
أبو رمادة : ص ١١٤ س ٤ ؛ ت : ص ١١٤ س ٣
أبو رياش ، أحمد بن إبراهيم القيسي : ص ٢١١ س ٨ ؛ ت : ص ٢١١ س ٢
أبو زكريا التبرزي ، يحيى بن علي : ص ٢٠٩ س ١٩ ص ٢١٠ س ١٧ ص ٢١١
س ١ ، ٩ ، ١٣ ، ١٦ ، ص ٢١٢ س ١١،١٠،٦ ؛ ت : ص ٣٥ س ١ ص ١٤٨
س ١ ص ٢١١ س ٤ ، ٦ ، ص ٢٣٦ س ١
أبو الزناد ، عبد الله بن ذكوان الفقيه المدني : ص ٧٧ س ٩
أبو زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس بن ثابت : ص ٥١ س ٧ ص ٥٣ س ١٢ ص ٨٥
س ١٣ ، ١٥ ، ص ٩٠ س ٢ ص ١٢٢ س ٥ ص ١٤١ س ١٩ ص ١٧٨ س ١٠
ص ٢٣٩ س ٧ ؛ ت : ص ٤٢ س ١٣ ص ٥٣ س ١٢ ، ١٣ ، ص ١٦٤ س ٢
ص ١٧٢ س ١٢
أبو إسحاق (بدلا من أبي إسحاق) : ص ٩٤ س ٢
أبو سعيد المعلم = أبو سعيد المؤدب ، محمد بن مسلم بن أبي الوضاح القضاعي : ص ٥٣
س ١٠ ص ٥٤ س ٣
أبو سفیان ، صخر بن حرب بن أمية : ص ٢٤ س ٢
أبو شيبة الواسطي ، عبد الرحمن بن إسحاق : ص ٦٦ س ١١
أبو صعصعة العامري ، يزيد بن عوف : ص ١٢١ س ١
أبو صفرة : ص ٢٤ س ١٠ ؛ ت : ص ٢٤ س ١١
أبو الصقر = إسماعيل بن بلبل
أبو الطيب بن غلبون ؛ ت : ص ٢٠٢ س ٣
أبو العاص بن عبد الوهاب الثقفي ؛ ت : ص ٥٣ س ٩
أبو عبادة الوليد بن عبيد البحرى = البحرى
أبو عبيدة ، معمر بن المثني : ص ٢٤ س ٧ ص ٨٤ س ٩ ص ٨٥ س ١٣ ص ٨٦
س ٢ ص ٨٨ س ١١،٨،٣ ص ١٢٢ س ٥ ص ١٣٢ س ١٢ ص ٢٤٤ س ١٣ ؛
ت : ص ٥ س ١١ ص ٢٤ س ٨ ص ٤٢ س ١٢ ص ٨٨ س ٤ ص ١١٥ س
أبو العتاهية ، إسماعيل بن القاسم : ص ٩٦ س ١٢ ، ١٥ ، س ١٠٠ س ٨
أبو عطاء السندي ، أفلح بن يسار : ص ٣٤ س ١٤ ، ١٦ ، ص ٣٥ س ٦ ص ٥٢ س ١

- أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان : ص ١٨١ س ٣ ؛ ت : ص ٤٣ س ٦
أبو علقمة النحوي : ص ١١٩ س ٧ ؛ ت : ص ٤٣ س ٦
أبو علي الفارسي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار : ص ١٦٠ س ٨ ص ٢١٨ س ٧
أبو علي القالي ، إسماعيل بن القاسم = القالي
أبو علي المالكي ؛ ت : ص ٧٧ س ٤
أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد ؛ ت : ص ٤٨ س ١٠
أبو عمرو بن العلاء الخزاعي التيمي ، اسمه كنيته ، ص ٣١ س ١٦ ص ٤٨ س ١٠
ص ٤٩ س ٤ ص ٥٩ س ١٣ ، ١٥ ص ٦٣ س ٩ ص ٨١ س ١٢ ص ٢٢٠
س ٨ ؛ ت : ص ٤٢ س ١٣ ص ٤٨ س ٥ ص ٤٩ س ٣
أبو الفرج الأصبهاني ، علي بن الحسين : ص ٣٤ س ١٢ ص ٩٨ س ١٧ ؛ ت : ص ١٣٦
س ٤ ص ٢٣٧ س ٢
أبو الفضل الرياشي ، العباس بن الفرج : ص ١٢٢ س ٩
أبو الفضل بن العميد ، محمد بن الحسين = ابن العميد
أبو الفضل الميكالي ، عبيد الله بن أحمد : ص ١٦٨ س ٦
أبو القاسم بن طباطبا ، أمير العلويين بمصر ؛ ت : ص ١١٤ س ١٥
أبو القاسم بن المطهر : ص ١٩٥ س ١ ؛ ت : ص ١١٧ س ٢ ص ١٩٥ س ١ ص ١٩٦
س ٦ ، ٨ ص ١٩٧ س ٧
أبو قحطان ؛ ت : ص ٨٣ س ٧
أبو هب ، عبد العزى بن عبد المطلب : ص ٢٥ س ٩
أبو محمد اليزيدي ، يحيى بن المبارك : ص ٦١ س ١٣
أبو معمر عبد الله بن سخبرة : ص ٧١ س ١٣
أبو منصور الجواليقي ، موهوب بن أحمد = الجواليقي
أبو المنهال ، عتيان بن وصيلة : ص ٢٧ س ٤
أبو مهدية أو أبو المهدي الأعرابي ؛ ت : ص ٢٣٩ س ٣
أبو موسى الأشعري ، عبد الله بن قيس : ص ٧٨ س ٥
أبو ميسرة ، عمرو بن شراحيل الصحابي أو ابن شراحيل : ص ٢٣٩ س ٦ ؛
ت : ص ٢٣٩ س ٥
أبو النجم العجلي ، الفضل بن قدامة ؛ ت : ص ١٦٥ س ٦
أبو نخيلة ، يعمر السعدي : ص ٥٢ س ٢

- أبو النضير ، عمر بن عبد الملك : ص ٩٤ س ٦ ، ٩
أبو نواس ، الحسن بن هانيء : ص ٩١ س ٨ ، ١٧ ص ٩٣ س ١٧ ص ٩٧
س ٩ ص ١٣٥ س ٥ ص ٢٤٤ س ١٣ ؛ ت : ص ٩٧ س ٧ ص ١١٤ س ٤
أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل : ص ١٦٦ س ١٩
أبو وجزة ، يزيد بن أبي عميد السعدي ؛ ت : ص ١٤٤ س ١
أبو يحيى اللاحق = أبان بن عبد الحميد
أبو يزيد البسطامي ، طيفور بن عيسى بن آدم : ص ١٧٥ س ٨
أبو اليقظان ، سحيم بن حفص النسابة ؛ ت : ص ٣٠ س ٨
أبو يوسف القاضي ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب : ص ٨٦ س ١٠ ، ١٤
ص ١٢٠ س ٩
أبي بن كعب : ص ٢٣٩ س ١١
الأحدب السعدي : ص ٨٢ س ٢
أحمد بن أبي خالد ، وزير المأمون : ص ١٢٧ س ١٣
أحمد بن الحسين ، أبو الفضل بديع الزمان الهمداني = البديع الهمداني
أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي = المتنبي
أحمد الحق ؛ ت : ص ١٧٩ س ١
أحمد بن حنبل ؛ ت : ص ١٥٦ س ٥
أحمد زكي ؛ ت : ص ٦٩ س ٢
أحمد بن طيفور = ابن أبي طاهر
أحمد بن طولون ؛ ت : ص ١٣٦ س ١١
أحمد بن علي بن ثابت = الخطيب البغدادي
أحمد بن فارس ، أبو الحسين = ابن فارس
أحمد بن محمد بن إسماعيل ، أبو جعفر النحاس النحوي المصري = النحاس
أحمد بن محمد البسقي الخارزنجي = الخارزنجي
أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي = المرزوقي
أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي = الخفاجي
أحمد بن المدبر : ص ١٣٦ س ١٢ ؛ ت : ص ١٣٦ س ٩ ، ١٠
أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري = البلاذري
أحمد بن يحيى بن يسار ، ثعلب النحوي الإمام = ثعلب

- الأخطل ، غياث بن غوث ، أبو مالك : ص ٣٦ س ٩ ص ١٠١ س ١٧ ؛ ت : ص ٣٦ س ٢ ، ٤
الأخفش الأصغر ، علي بن سليمان : ص ١٤١ س ١٨
الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة الجاشعي : ص ٥٢ س ١٣
أزدة بنت سمية : ص ٢٣ س ١٥
الأزرقى ، أحمد بن إبراهيم ؛ ت : ص ٩٩ س ٦
الأزهري صاحب المعجم ، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهرى الهروى :
ص ١٦٢ س ٦ ، ١٤ ؛ ت : ص ١٦٢ س ٥
أسامة بن منقذ : ص ٢٢٨ س ١٩
الأستراباذى ، محمد بن الحسن الرضى الأستراباذى ، نجم الدين : ص ٢٢٧ س ١٢
إسحاق بن إبراهيم المصعبى : ص ١٢٧ س ٤ ، ٧ ، ٩ ص ١٣٨ س ١٠
إسحاق بن إبراهيم الموصلى : ص ١٣٨ س ٩
الاسكافى ، علي بن محمد بن القاسم : ص ١٦٦ س ١٧
إسماعيل بن أبي خالد هرمز ، الكوفى : ص ٧٦ س ٣
إسماعيل بن بلبل ، أبو الصقر : ص ١٣٧ س ١٧
إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب المعجم = الجوهري
إسماعيل بن زياد ؛ ت : ص ٢٠١ س ٤
إسماعيل بن عباد ، الصاحب = الصاحب بن عباد
الأسود بن أبي كريمة : ص ١١٣ س ٨
الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ؛ ت : ص ٣٠ س ١٤ ص ٥٩ س ٣
اشناس التركي : ص ١٢٨ س ٥ ، ٧
الاشنادانى ، أبو عثمان سعيد بن هارون ؛ ت : ص ٥٧ س ٤ ص ٢٤٢ س ٩
الاصطخرى ، إبراهيم بن محمد ؛ ت : ص ١٦٤ س ١٢
الأصعبى ، عبد الملك بن قريب : ص ٢٥ س ٧ ص ٣٨ س ١ ، ٩ ص ٤٠ س ٨ ، ٥
ص ٤٢ س ١١ ص ٤٣ س ١١ ، ١٢ ص ٤٥ س ٦ ، ٢ ص ٥١ س ١١ ، ١٤
ص ٥٦ س ١٢ ص ٦٠ س ٢ ص ٦٨ س ٤ ، ١١ ص ٦٩ س ٣ ، ٩ ص ٨٣
س ٦ ، ٥ ص ٨٥ س ١٢ ص ٨٦ س ٩ ، ١٢ ، ١٥ ص ٨٨ س ٨ ، ١٠ ص
٩٠ س ١٨ ، ٢٢ ص ٩١ س ٢ ، ٣ ، ٤ ص ١٢٢ س ٥ ص ١٣٢ س ١٠
ص ١٣٨ س ٤ ص ٢٣٩ س ٧ ص ٢٤٤ س ١٣ ؛ ت : ص ٢٨ س ٦ ص ٤٢
س ٩ ص ٤٥ س ٥ ، ٦ ، ٨ ص ٦٨ س ١٤

الأعرج الطائي ؛ ت : ص ٧١ س ٨ ص ١٢٥ س ١
الأعشى ، ميمون بن قيس : ص ٥٧ س ١٦ ؛ ت : ص ٨٣ س ٤ ص ١٧٧ س ٤
ص ٢٠٦ س ٦

أعشى همدان ، عبد الرحمن ، أبو المصبح : ص ٦٨ س ٧ ، ٩
الأعمش ، سليمان بن مهران : ص ٣٢ س ١٧ ص ٧٢ س ١٥
إلياس برشينايا ؛ ت : ص ٣٠ س ٦
امرؤ القيس بن حجر الكندي : ص ١٧٢ س ٦ ص ٢٤٥ س ٧ ؛ ت : ص ٤٧
س ٥ ص ٦٠ س ٣

أم جعفر ، زبيدة = زبيدة

أم الهيثم الأعرابية ، غنية : ص ٨٨ س ٣

الأمين : ص ٦١ س ١٥ ص ٩١ س ١٧

أمية بن أبي الصلت : ص ٤١ س ١٦ ص ٥١ س ١٣

أوجست فيشر = فيشر

أيوب بن كيسان السخيتاني : ص ٧٢ س ٧

« حرف الباء »

بابك الحرمي : ص ١١٦ س ١٢

الباخرزي ، علي بن الحسن بن علي ، أبو علي : ص ٤٤ س ٩ ؛ ت : ص ٤٤ س ٦ ص
٦٨ س ١١

بأرت Barth ؛ ت : ص ٤٩ س ٨ ص ١٤١ س ٤ ص ٢٢٠ س ٣

الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ؛ ت : ص ٢٣٨ س ٩

البحري ، أبو عبادة ، الوليد بن عبيد : ص ١٣٥ س ٨ ص ١٧٤ س ١٦ ؛ ت : ص
٨٢ س ١

البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي : ص ٣٣ س ٨ ص ٧٩ س ١٤ ص
٢١٤ س ١٧ ص ٢٢٧ س ٥ ، ١٠ ؛ ت : ص ٥٨ س ٧ ص ٦٧ س ١٠ ص

٨٢ س ١٠ ص ١٥٦ س ٦ ص ١٩٣ س ٢ ص ٢٢٥ س ٢ ص ٢٢٧ س ٦ ، ٧

ص ٢٣٦ س ٥ ص ٢٣٧ س ١

بختيار البويهبي : ص ١٨٢ س ١٢

بدر الدين (طابع ديوان بشار) ؛ ت : ص ٥٧ س ٤

البيديع الهمداني ، أبو الفضل أحمد بن الحسين : ص ١٦٦ س ١٦ ص ١٦٨ س ٨

براون Browne ؛ ت : ص ٥٣ س ١

برجسترسر Bergstraesser ؛ ت : ص ٧٨ س ١٠

البردخت ، علي بن الحليل : ص ٦٤ س ٨ ص ٨٤ س ٢

برزويه : ص ٥٥ س ١٢

برصومة (زاور الرشيد) : ص ١٠٣ س ٧

بركمان C. Brockelmann ؛ ت : ص ٨٩ س ٦ ص ١٢١ س ٤

بروينلش Bräunlich ؛ ت : ص ٤٤ س ٣ ص ١١٨ س ٢ ص ١٩٧ س ٣

برفييه Brevier ؛ ت : ص ١٩ س ٧

برويز ؛ ت : ص ١٨ س ٦

البستاني ، بطرس ؛ ت : ص ١٦٤ س ٥ ص ١٧٥ س ٤

بسخره بن بهبودان ؛ ت : ص ٢٤ س ٨

بشر بن غياث المريسي : ص ١٢٠ س ٩

بشر بن المعتز المعتزلي : ص ٥٣ س ١٣ ص ٩٦ س ٢٠

بشر بن المفضل : ص ٥٣ س ١٣

بشار بن برد : ص ٥٢ س ١١ ، ١٢ ص ٥٥ س ٤ ص ٥٧ س ١٠ ، ١٥ ، ١٩ ص

٥٨ س ١ ، ٦ ، ٨ ، ١٣ ص ٩٨ س ٢ ، ٣ ، ٦ ، ١١ ص ١٠٠ س ٨ ؛ ت : ص ٥٧

س ٤ ص ٨٣ س ٣ ص ١٨٣ س ٧

بشكست النجوى المدني ؛ ت : ص ٦٨ س ١

البطليلوسى ، عبد الله بن محمد بن السيد : ص ٩١ س ٤ ص ١٣٢ س ٩ ، ١٣ ص

٢١٢ س ١٠ ؛ ت : ص ٤٢ س ٣ ص ٨٩ س ٢ ص ٩٥ س ٧ ص ١١٣ س ٥ ص

١٢٣ س ١٠ ص ١٣٢ س ٢

بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي : ص ١٤٩ س ١٤

الباكري ، أبو عميد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ؛ ت : ص ٣١ س ٨ ص ٣٤

س ٧ ص ١٧٢ س ١٤ ص ٢٣٧ س ٦ ص ٢٤٠ س ٢ ص ٢٤٢ س ٢ ، ٨

البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن جابر : ص ١٧ س ٤ ؛ ت : ص ١٤ س ٣ ، ٥ ، ص ١٥
س ١ ، ١٢ ص ١٧ س ٦ ص ١٨ س ١ ، ٤ ، ٦ ، ص ٢٣ س ٦ ، ٨ ، ص ٢٤
س ١٦ ص ٢٧ س ١ ، ٨ ، ص ٣٠ س ٩ ص ٧٨ س ٧ ص ١٠٤ س ٨ ص
١٧١ س ١٤

بلاشير Blachère ؛ ت : ص ١٦٩ س ١

بلال بن أبى بردة : ص ٢٩ س ٨ ص ٦٧ س ١ ، ٥

بلال بن رباح الحبشى الصحابى : ص ١٢ س ١٥

البلعمى ، أبو على محمد البلعمى : ص ١٦٨ س ٦

البلوى ، أبو الحجاج يوسف بن محمد ؛ ت : ص ٢٤٢ س ٣

بهاء الدولة البويهى ، أبو نصر بن عضد الدولة : ص ١٨٠ س ٨

بهاء الدين العاملى ، محمد بن الحسين ؛ ت : ص ٩٢ س ٨ ص ١٧٠ س ٤

بينجن F. Beathgen ؛ ت : ص ٣٠ س ٦

بيدبا (بَدْبَى) : ص ٥٥ س ١٥

بيدرسن Pedersen ؛ ت : ص ١٥١ س ٤

البيدق ، محمد الراوية المعروف بالبيدق ؛ ت : ص ٢٠ س ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨

بيريس Perés ؛ ت : ص ٤٩ س ١٠

بيكر C. H. Becker ؛ ت : ص ١٣٦ س ٧

البيهقى ، إبراهيم بن محمد ؛ ت : ص ٢٧ س ٦ ، ٩ ، ص ٩٥ س ٩ ص ١٢٧ س ٤ ص

١٢٨ س ٣

بيفن Bevan ؛ ت : ص ٢٠ س ٢ ، ٣

« حرف التاء »

التبريزى = أبو زكريا التبريزى

تبع : ص ١٦ س ٧

تربكه Thorbecke ؛ ت : ص ٤٢ س ٤ ص ٢١٢ س ٦ ص ٢٤٣ س ٤

الترمذى ، أبو عيسى محمد بن عيسى ؛ ت : ص ٨٢ س ١٠ ص ٨٤ س ٥ ص ١١٨

س ٦ ص ٢١٠ س ١

تروبتسكوى Trubetzkoy ؛ ص ٢٣٢ س ٢٣

تري Ch. Torry : ت : ص ٤٥ س ٨ ص ٦٨ س ١٤ ص ٨٣ س ٥ ص ٢٢٣ س ٦
التوزي ، عبد الله بن محمد بن هارون : س ٦٣ س ١٥

« حرف الشاء »

الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل : ص ١٨٢ س ٦ : ت : ص ٥٩ س ١ ص
٩٧ س ٢ ص ١٦٥ س ١٠ ص ١٦٨ س ١ ص ١٧٤ س ٦
ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار : ص ٤٩ س ١٠ ص ١٣٩ س ١٦ ،
١٨ ، ٢٠ ، ص ١٤١ س ٤ ، ٧ ، ٩ ، ص ١٧١ س ١١ ص ١٨٤ س ٧ ص ٢١٢
س ٢ ص ٢٢٠ س ١١ : ت : ص ٤٩ س ٨ ص ٧١ س ١ ص ٢٢٠ س ٣
ثور بن يزيد = أبو الجاموس

« حرف الجيم »

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : ص ١٨ س ٧ ص ١٩ س ٥ ، ١٩ ص ٢٢ س
٤ ص ٣١ س ٢ ص ٣٢ س ٩ ص ٥٦ س ١٣ ص ٦٠ س ١٧ ص ٦٥
س ٤ ص ٧١ س ١٢ ص ٧٦ س ٧ ص ٨٠ س ١٠ ، ١٣ ص ١٠٢
س ١٢ ص ١٠٦ س ٦ ص ١١١ س ١٦ ص ١١٢ س ٣ ، ١١ ، ١٣
ص ١١٣ س ١ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ص ١١٤ س ٢ ، ٨ ، ٩ ص ١١٥
س ٦ ، ١٣ ص ١١٦ س ٥ ، ٨ ص ١١٧ س ٣ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥
ص ١١٨ س ٨ ، ١٠ ص ١١٩ س ١ ، ١٢ ، ١٦ ص ١٢٠ س ٨ ص
١٢١ س ١٦ ص ١٢٦ س ١٤ ص ١٢٩ س ٣ ، ٥ ص ١٣٢ س ٤ ، ٦ ص
١٦٣ س ١٤ ص ٢٠٥ س ١٩ ص ٢٤٠ س ٥ ، ١٠ ، ١٥ ص ٢٤١ س ١ ،
٦ ، ١٦ ص ٢٤٢ س ٢ : ت : ص ١٠ س ١ ص ١٢ س ٥ ص ١٣ س ١
ص ١٥ س ١٤ ، ١٦ ص ١٦ س ١ ، ٦ ص ٢٦ س ٢ ص ٢٧ س ١ ، ٨ ،
١٢ ص ٢٨ س ١ ، ٣ ص ٢٩ س ٢ ص ٣٠ س ١٣ ص ٣١ س ١ ، ٢ ،
٤ ، ٧ ص ٣٢ س ٥ ص ٣٣ س ٦ ص ٣٤ س ٢ ص ٣٦ س ٣ ص ٤٣ س
٤ ص ٥٣ س ٨ ، ١٠ ص ٥٤ س ١ ص ٥٦ س ٤ ص ٥٧ س ٥ ص ٥٨ س
٩ ص ٦٠ س ١٠ ص ٦٤ س ١١ ، ٥ ص ٦٦ س ١٢ ص ٦٧ س ٤ ، ٨ ص
٦٨ س ٥ ص ٧٠ س ٦ ص ٧٢ س ٥ ، ٧ ص ٧٥ س ٨ ص ٧٨ س ٤ ، ٨

ص ٨٤ س ٧ ص ٨٦ س ٤ ص ٩٥ س ١ ص ٩٧ س ١ ص ٢٠٨ ص ٩٩
س ٣ ص ١١٧ س ٤ ص ١١٨ س ٣ ص ١١٩ س ٧ ص ١٢٠ س ٤ ص ١٢٧
س ٤ ص ١٦٤ س ٧ ص ١٨٣ س ١١ ص ١٩٧ س ٦ ص ٢٠٥ س ٦ ص
٢٣٧ س ٩ ص ٢٣٨ س ٩ ص ٢٤١ س ٣ ص ٢٤٦ س ٣

جابر G. Geyer ؛ ت : ص ٨٣ س ٤ ص ٢٢٠ س ٢

جبريل بن بختيشوع : ص ٨٤ س ١٢

جحدر ، أحد لصوص العرب : ص ٢٣٧ س ٩

الجرادتان : ص ٢٣٨ س ٢ ، ٣

جراف G. Graf ؛ ت : ص ١٠٣ س ٣ ص ١٠٤ س ٥ ص ١٠٦ س ٥ ص ١٠٧

س ١ ص ١٠٨ س ١ ص ١٠٩ س ٣ ص ١٠٩ س ١ ص ١٦٢ س ١ ص ٢٢٥ س ١

ص ٢٣٧ س ٥

جرير بن عبد الله البجلي : ص ١٤٦ س ٢

جرير بن عطية : ص ٢٠ س ٣ ص ٩٠ ، ١٣ ص ٢٦ س ٢ ص ٣٦ س ٨ ، ١٥ ص ٨٤

س ٢ ص ١٢٢ س ١٥ ، ١٧ ؛ ت : ص ١٢ س ٤ ص ٣٥ س ٢ ، ٤ ص ٩١

س ٧ ص ١٦٤ س ١ ، ١٠ ص ٢٤٢ س ٧

جرينت Grünert ؛ ت : ص ٤٢ س ٢ ص ٧٥ س ٦ ص ١٢٦ س ١ ص ١٣٢ س ١

ص ١٧٦ س ٣

جعثن ، أخت الفرزدق : ص ٢٠ س ١٤ ، ١٦

جعفر بن سليمان الهاشمي : ص ٦٨ س ٥

جعفر الصادق : ص ١٣٧ س ٢

جلازر Glaser ؛ ت : ص ٢١٢ س ٣

جلد مايستر Gildemeister ؛ ت : ص ٢٠ س ٤

جلستان ، أم بشار بن برد ؛ ت : ص ١٨٣ س ٨

الجماز البصري ، محمد بن عبد الله : ص ١٢٥ س ١٢

الجمحي ، محمد بن سلام الجمحي = ابن سلام

جناد بن واصل : ص ٦٣ س ١٣ ص ٦٤ س ١

الجهشياري • أبو عبد الله محمد بن عبدوس : ص ١٦ س ٧ ؛ ت : ص ٦٩ س ٢

جهم بن خلف : ص ٢٣٧ س ٥

الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد بن الحضرمي ؛ ت : ص ١٥ س ٧ ص ٤٢ س
٣ ص ٥٨ س ٨ ، ١١ ص ٧٦ س ٢ ص ٨٣ س ٦ ص ٨٦ س ٩ ص ٨٩
س ٢ ص ١١٣ س ٩ ص ١٢٧ س ٦ ، ١٠ ص ١٩٩ س ٥
جورج ياكوب C. Jacob ؛ ت : ص ٢٤ س ٤
جولد تسهر 1. Goldziher ؛ ت : ص ٤ س ١٠ ص ٥ س ٥ ص ٢٤ س ١٢ ص ٣٥
س ٦ ص ٤١ س ٦ ص ٥٨ س ٢ ص ٧٠ س ٨ ص ٧٧ س ٦ ص ٧٩ س ٦
ص ٩٣ س ١ ص ١١٣ س ١ ص ١٦٥ س ١١ ص ٢٠٥ س ٥
الجوهري صاحب المعجم ، إسماعيل بن حماد ؛ ص ٩٠ س ٩ ص ١٩٦ س ٣ ص ١٩٨
س ١٠ ؛ ت : ص ٢٠٥ س ٥

حرف الحاء ،

حاجز الشاعر ، ابن عوف الأزدي ؛ ت : ص ٤٣ س ٣ ص ٨٠ س ٢
حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، كاتب جلبي ؛ ت : ص ٦٦ س ١ ص ١٦٥ س ٩
ص ٢٢٥ س ٧ ص ٢٢٦ س ٤
الحارث بن كلدة ؛ ص ٢٣ س ١٠ ، ١٤
حارثة بن الحجاج = أبو دواد الإيادي
الحاكم الأصغر ؛ ص ٥٩ س ١٥
حبابة ، قينة يزيد بن عبد الملك ؛ ص ٢٣٨ س ٤
حبيب بن أوس الطائي = أبو تمام
الحجاج بن يوسف الثقفي ؛ ص ١٠ س ١ ص ٢٦ س ٢ ص ٢٨ س ٥ ، ٧ ص ٢٩
س ٣ ص ٣١ س ١٧ ص ٨٢ س ١ ص ١١٩ س ٣ ص ١٩٣ س ١٥ ص ٢٣٧
س ٩ ص ٢٤٠ س ١ ؛ ت : ص ٢٨ س ٤ ص ٤٢ س ١٢
حرب ؛ ص ١١٥ س ١٦
الحريري ، أبو محمد القاسم بن علي ؛ ص ١٠٢ س ١٧ ص ١٨٤ س ٥ ص ٢٠٦
س ٨ ص ٢١٢ س ١٤ ، ١٧ ص ٢١٣ س ١ ، ٤ ، ٨ ، ١٧ ص
٢١٤ س ١ ، ١٤ ، ٢١ ص ٢١٥ س ٣ ، ٦ ، ١٥ ، ١٩ ص ٢١٧ س ٥ ،
١٢ ، ١٤ ، ١٩ ص ٢١٨ س ١٥ ص ٢١٩ س ١ ، ٩ ، ١٦ ص ٢٢٠ س ٧ ،
١١ ، ١٩ ص ٢٢١ س ١ ص ٢٢٢ س ١ ، ٣ ، ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣

ص ٢٢٦ س ٢، ٦؛ ت : ص ١٩ س ٦ ص ٤٢ س ٣ ص ٤٤ س ٩ ص ٧٥
س ٢ ص ٩٢ س ٧ ص ٩٧ س ٩ ص ١٠٤ س ١٠ ص ١٠٧ س ٩، ٥ ص
١٠٨ س ٤ ص ١٢١ س ٦ ص ١٢٣ س ١ ص ١٧٠ س ٩، ٧ ص ١٧١
س ٤، ١٥ ص ١٧٣ س ٣ ص ٢٠٦ س ٢ ص ٢١٣ س ٥، ٢

حسان بن أبي حسان النبطي : ص ٣٤ س ٢

الحسن بن أحمد بن عبد الغفار = أبو علي الفارسي

الحسن بن أحمد بن يعقوب ، أبو محمد الهمداني = الهمداني

حسين بن الحر : ت : ص ٧٨ س ٨

الحسن بن عبد الله البصري : ص ١٦ س ٨؛ ت : ص ٣١ س ١٤ ص ٣٢ س ٩

الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري = أبو هلال العسكري

الحسن بن هاني : = أبو نواس

الحسن بن وهب الكاتب : ص ١٢٦ س ٧

الحسين بن أحمد أبو عبد الله بن خالويه = ابن خالويه

حسين بن الأصرم : ص ٨٧ س ٩، ١٠، ١٣

حسين بن الحارث : ص ٧٨ س ٨

الحصري ، إبراهيم بن علي بن تميم : ت : ص ٢٤١ س ١٠

الخطيئة ، جرول بن أوس : ت : ص ٢٣٥ س ١

حفص الأموي : ص ١٢١ س ١

حفص بن أبي ودّعة : ص ٦٤ س ٤، ٦، ١٠

حفص بن عمر الحوضي : ص ٧٩ س ١٣

الحكم بن أبي العاص : ص ٨٣ س ١٤

الحكم بن عبدل الأسدي : ص ٢٤٦ س ٨

حماد الراوية ، أبو ليلى بن ميسرة أو ابن سابور : ص ٦٢ س ١٧ ص ٦٣ س ١، ٢،

٤، ٥، ٦، ٩، ١٣ ص ٦٤ س ٢، ٥ ص ٩٧ س ١٢؛ ت : ص ٦٣

س ٤، ٥، ٨

حماد بن سلمة البصري : ص ٧٣ س ٣، ٩

حماد بن مجرد بن يحيى ، أبو عمرو بن نهى : ص ٦٤ س ٨

حمزة بن بيض : ت : ص ٣٠ س ١٠

« حرف الخاء »

- خارجة بن مصعب ؛ ت : ص ٧١ س ٨
الخارزنجي ، أحمد بن محمد البسقي : ص ١٦٢ س ١٦
خالد بن الحارث المحدث : ص ٥٣ س ١٣
خالد بن صفوان : ص ٦٧ س ٣
خالد بن عبد الله القسري : ص ٣٠ س ٧ ، ٩ ، ١٣ ص ٣١ س ٣ ص ١١٦ س ١١ ؛
ت : ص ٣٨ س ٣ ، ٤
خالد بن يزيد ، خالويه البصري : ص ١١٦ س ١١
خشينشار : ص ٨٤ س ٨
الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت : ص ٦٥ س ١٨ ص ٦٦ س ١ ؛
ت : ص ٥ س ٨ ، ١١ ص ٢٤ س ١٣ ص ٢٤٤ س ٦
الحفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري : ص ٢٢٢ س ٢٣ ؛ ت : ص
٢٧ س ١٤ ص ٦٠ س ٧ ص ٧٥ س ٥ ص ١٠٤ س ١٤ ص ١٢١ س ٦
ص ١٢٣ س ٢ ص ١٦٠ س ١ ص ١٧٠ س ٥ ص ١٠٠ ص ٢١٢ س ٧ ص ٢١٤
س ١ ص ٢١٥ س ١ ص ٢١٦ س ٣ ص ٢١٨ س ٣ ، ٥ ص ٢٢٠ س ١
ص ٢٢١ س ٢ ص ٢٢٣ س ٣ ، ٤ ، ٥
خلف الأحمر : ص ٦٩ س ٢ ، ٤ ؛ ت : ص ٦٩ س ٤
الخليل بن أحمد : ص ١١ س ٩ ؛ ت : ص ١١ س ٥
خليل بن أيك الصفدي = الصفدي
الحوارزي ، محمد بن أحمد بن يوسف ، أبو علي ، صاحب مفاتيح العلوم ؛ ت :
ص ١١ س ٤

- الحوارزي ، محمد بن العباس ، أبو بكر = أبو بكر الحوارزي
خواسقي (جد أبي شيدية قاضي واسط) ؛ ت : ص ٦٦ س ١٠
الحياط ، عبد الرحمن بن محمد بن عثمان ؛ ت : ص ٩٧ س ٢

« حرف الدال »

- الدارمي ، علي بن عمرو ؛ ت : ص ٢٣٨ س ٢
الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد = أبو عمرو الداني
دكين الراجز ؛ ت : ص ١٦٤ س ١١

الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى ؛ ت : ص ٢٧ س ٤ ص ٤٣ س ٤ ص ٦٥ س ٦
ص ٩٧ س ٦ ص ١١٦ س ١ ، ٥ ص ١٦٥ س ٤ ص ١٧٧ س ٣ ص ١٩٧
س ١٠ ص ٢٣٧ س ١٢

دوزي Dozy ؛ ت : ص ٣٩ س ٢ ص ٧٠ س ١٦ ص ١١٨ س ٥ ص ١٥١ س ٢
ص ١٨٣ س ١٠ ص ١٩٦ س ٢ ص ٢٣٨ س ٣

ديت Diet ؛ ت : ص ١٧١ س ١ ، ٣ ، ٤

ديترتشي Dietrici ؛ ت : ص ١٨٠ س ١

ديرنبورج Derenbourg ؛ ت : ص ٤٢ س ١ ص ٧٣ س ١٢ ص ١٢٣ س ١٣
ص ١٧٣ س ٧

دي غويه De Goje ؛ ص ١٩٨ س ٢ ص ٢٠٤ س ٤ ، ١٦ ؛ ت : ص ١٧ س ٤
ص ٩٣ س ٩ ص ١٥٤ س ٢ ص ١٧١ س ١٤ ص ١٧٣ س ٢ ص ١٩١ س ١
ص ١٩٢ س ٢ ص ١٩٥ س ٧ ص ١٩٧ س ٥ ص ١٩٩ س ١

ديك الجن ، عبد السلام بن رغبان ؛ ت : ص ١٣٦ س ٩

ديلم : ص ١٨ س ١

« حرف الذال »

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ؛ ت : ص ٣٠ س ١٥ ص ٣٣ س ٢ ، ٤
ص ٥٣ س ١٤ ص ٥٩ س ٢ ص ٦٦ س ٩ ، ١١ ص ٦٧ س ١ ص ٦٩ س ٦
ص ٧٠ س ١٣ ص ٧٣ س ٢ ، ٦ ص ٧٥ س ١١ ص ٧٦ س ٧ ص ٧٩
س ١ ، ٢ ، ٨ ، ١٠ ص ٨٠ س ١ ، ٦ ص ٨٣ س ١٠ ص ٢٠١ س ٣

ذو الأصبغ العدواني ، حرثان بن الحارث ؛ ت : ص ٧١ س ٧

ذو الرمة ، غيلان بن عقبة ؛ ص ٤٠ س ١٣ ص ٤٣ س ٥ ، ١٢ ص ٤٤ س ١٠
ص ٤٥ س ١ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ص ٢٣٨ س ١٢ ؛ ت : ص ٢٩ س ١ ص ٤٣
س ٩ ص ٤٤ س ١ ص ٤٥ س ٤ ص ١٩٥ س ٥

« حرف الراء »

الرائق ، أمير الأمراء ؛ ص ١٣٠ س ٦

رايت Wright ؛ ت : ص ٢٣٥ س ٣

راينهاردت Reinhardt ؛ ت : ص ١٠٤ س ٢

- رباب : ص ٩٨ س ٩
ربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن ، أبو عثمان : ص ٦٩ س ١٣ ، ١٤
رستم : ص ١٧ س ١٧ ؛ ت : ص ١٨ س ٤
رشر O. Rescher : ت : ص ١٢١ س ٧ ص ١٥٦ س ٧
الرشك ، يزيد بن أبي يزيد : ص ٨٤ س ٤
الرشيد ، هارون = هارون الرشيد
رغيب بن قيس العنبري ؛ ت : ص ١٠٣ س ٧
رقبة بن مصقلة : ص ٦٦ س ١٤ ؛ ت : ص ٦٦ س ١٣
ركندورف Reckendorf ؛ ت : ص ٣٤ س ١٠ ص ٦٠ س ٤ ص ١٠٨ س ٢
ص ١٧٠ س ١ ص ١٧١ س ٧
الرمّاح بن أبرد = ابن ميادة
الرمّادي ؛ ت : ص ١١٤ س ٥
رؤبة بن العجاج : ص ٢٩ س ٧ ، ١٠ ص ٣٠ س ٣ ص ٣١ س ١٦ ص ٣٨ س ٦ ، ٤
ص ٥٢ س ٢ ص ٥٧ س ٢٠ ص ٨١ س ٧ ص ٢٢٦ س ١٠ ص ٢٤٦ س ٧ ؛
ت : ص ٣٨ س ٦ ، ١٤ ، ١٧ ص ١١٥ س ٢ ص ١٩٥ س ٦
رودو كانا كريس Rhodokanakis ؛ ت : ص ٤٩ س ٥
رياح بن سنيح أو رباح بن سنيح : ص ٣٦ س ١٢ ؛ ت : ص ٣٦ س ٦
« حرف الزاي »
زبيدة ، أم جعفر : ص ٥٦ س ٥ ، ٦
الزبير بن العوّام ؛ ت : ص ٨١ س ٤
زترستين Zettarstéen ؛ ت : ص ١٥ س ٥ ص ١٦٢ س ٤
الزجاج النحوي ، إبراهيم بن السري : ص ١٠٤ س ٩ ص ٢٢٧ س ٣
الزجاج النحوي ، عبد الرحمن بن إسحاق ؛ ت : ص ٢٧ س ٣ ص ٢٨ س ٤ ص ٧٢
س ٤ ص ٧٨ س ٢ ص ٢٣٨ س ٥
زرّ بن حبيش : ص ٧٨ س ١٢
الزرقاني ، محمد بن عبد البقي ؛ ت : ص ٢٢٧ س ٦ ، ٨ ص ٢٣٦ س ٥
الزرفيان ؛ ت : ص ٤٢ س ١١ ص ١٩٥ س ٥
زنبور Zambaur ؛ ت : ص ١٦ س ١٤ ص ٥٧ س ٢ ص ١٢٧ س ٣ ص ٢٤٦ س ٢

الزحشري ، محمود بن عمر ؛ ت : ص ٦٧ س ١١ ص ٧٥ س ٩ ص ١٠٣ س ٨
ص ١٢٦ س ٣ ص ٢٣٥ س ٤ ص ٢٣٧ س ٢ ص ٢٣٩ س ٢ ، ٤ ص ٢٤٢
س ٢ ص ٢٤٣ س ١ ص ٢٤٤ س ١
زياد بن أبي حسان النبطي : ص ٣٤ س ٢
زياد بن أبيه : ص ١١ س ٢ ص ١٥ س ٨ ص ١٦ س ٢ ، ٨ ص ١٨ س ٢ ص ٢٣
س ١٦ ص ٢٤ س ١
زياد بن سلمة لأعجم : ص ٣٣ س ١٢ ص ٣٤ س ٣ ، ٥ ، ١٤ ص ٥١ س ١٤
زياد بن معاوية ، أبو أمامة ، النابغة الديباني = النابغة الديباني
زيد الخيل الطائي ؛ ت : ص ٨٢ س ٢
زيد بن علي : ص ٣٢ س ٧ ؛ ت ص ٣٥ س ٤

« حرف السين »

سالم بن محمد بن أبي بكر : ص ٢٥ س ٥
سبخت = أبو عبيدة معمر بن المثنى
سحيم عبد بنى الحسحاس ؛ ص ١٢ س ١٩ ؛ ت : ص ٩١ س ٦
سحواو E. Sachau ؛ ت : ص ١٥ س ٧ ص ٢٤ س ١١ ص ١٠٤ س ٩ ص ٢١٢ س ١
سراقة الباهلي ؛ ت : ص ٥٨ س ١٢
سرجويه الطبيب : ص ٨٣ س ١٠
سعد بن أبي وقاص : ص ١٧ س ١٧ ؛ ت : ص ١٨ س ٤
سعد بن عبادة : ص ٢٤٢ س ٦
سعد بن معاذ : ص ٢٤٢ س ٦
سعيد بن أوس بن ثابت = أبو زيد الأنصاري
سعيد بن جبير : ص ٣٢ س ١٦
سعيد بن سلم بن قتيبة : ص ٩١ س ١
سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي : ص ٧٣ س ٢
سعيد بن مسعدة المجاشعي = الأخفش الأوسط
السفاح ، أبو العباس عبدالله بن محمد : ص ٨٥ س ٤
سفيان بن أبي عبيدة : ص ٧٤ س ٦ ، ٨ ص ٩٩ س ٩
سفيح بن رياح ؛ ت : ص ٣٦ س ٩
السكري ، أبو سعيد الحسن بن الحسيني ؛ ت : ص ٨٢ س ١ ص ٢٣٧ س ١٣

سكوس B, Skoss : ت : ص ١٠٣ س ٣ ص ١٠٨ س ٧

سلامة ، قينة يزيد بن عبد الملك : ص ٢٣٨ س ٤

سلم بن عمرو الخاسر : ص ٩٧ س ١٦ ص ٩٨ س ١

سلم بن قنينة الباهلي : ص ٥٧ س ١٧ : ت : ص ٥٧ س ٣

سليمان بن سليم بن كيسان الكلابي : ص ٣٥ س ٧ ، ٨ ، ٩ ص ٣٦ س ١

سليمان بن عبد الله بن طاهر : ص ١٣٩ س ٢١

سليمان بن عبد الملك : ص ٢٧ س ٨

سليمان بن علي : ص ٥٥ س ٨

سليمان بن مهران ، الأعمش = الأعمش

سليمي : ص ١٢٠ س ١٤

السمتي ، يوسف بن خالد الليثي السمطي ، الفقيه الحنفي صاحب أبي حنيفة : ت : ص ٨٠ س ٥

السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور : ت : ص ٧٦ س ١ ص ٨٤ س ٤ ، ٥

ص ٢١١ س ٥

سمية : ص ٢٣ س ٨ ص ٢٤ س ٣

السندوبي : ت : ص ٤٧ س ٥

سنيح بن رباح : ص ٣٦ س ١٣ : ت : ص ٣٦ س ٨

سهل بن محمد ، أبو حاتم السجستاني = أبو حاتم السجستاني

سهل بن هارون : ص ١٢٠ س ٤

السهيلي ، عمرو بن علي السهيلي الخثعمي : ت : ص ٢٣ س ٤ ص ٤٥ س ١٠ ص ٢٤٠ س ٤

سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر : ص ١١ س ١٨ ص ٥٠ س ٢١ ص ٥١ س ٢

ص ٥٢ س ٧ ، ١١ ، ١٤ ، ١٨ ص ٥٤ س ٥ ص ٦٢ س ١٧ ص ٦٦ س ٤

ص ٧٠ س ٩ ص ٧٣ س ٨ ص ١٢٦ س ٤ ص ١٧٢ س ٤ ص ١٧٨ س ١١

ص ٢١٨ س ١٥ ص ٢٢٧ س ٣ : ت : ص ١٢ س ١ ص ٣٦ س ١٠ ص ٤٢

ص ١ ص ٤٨ س ١ ص ٣ ، ١ ص ٥١ س ١ ، ٢ ، ٣ ص ٧٣ س ١٢ ص ٨٣ س ٦

ص ٨٧ س ١ ص ١٢٤ س ١٢ ص ١٧٢ س ١٢ ص ١٧٣ س ٦

السيد الجيري ، إسماعيل بن محمد بن يزيد : ص ٩٣ س ٢

السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان : ت : ص ٣١ س ٥ ص ٦١

ص ٢ ، ٤ ، ٦٤ س ١ ص ٧٣ س ٨ ص ٨٦ س ٣ ، ٦ ص ٢٢ س ٢

سيف الدولة ، علي بن عبد الله بن حمدان : ص ١٦٨ س ٦ ص ١٧٥ س ٧
سيلجزون Seligsohn ؛ ت : ص ٨١ س ٥
سيمون Simon ؛ ت : ص ٢٢ س ٤
السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين بن محمد بن عثمان : ص ١٠٢ س ١٩ ؛ ت :
ص ٦٢ س ١٣ ، ٢ ص ٧٧ س ١ ، ١٢ ص ٧٨ س ٧ ، ١٤ ص ١٠٤ س ١٣
ص ١١٦ س ٥ ص ١١٩ س ٤ ص ١٢٧ س ١ ص ١٤٦ س ١ ص ١٦٠
س ٣ ص ١٧٩ س ١ ص ١٨٤ س ٢ ص ٢١٠ س ٦ ص ٢١١ س ١٠
ص ٢١٣ س ٣ ص ٢٢٦ س ٥ ص ٢٢٧ س ١ ، ٤ ص ٢٣٧ س ١١
ص ٢٣٨ س ١٠

« حرف الشين »

الشار : ص ١٦٨ س ٦
شاهنشاه : ص ١٧ س ١٦
شبتابك Spitta Bey ؛ ت : ص ٧٥ س ١٢
شبيب بن البرصاء ؛ ت : ص ١٢٦ س ٧ ص ٢٠٦ س ٥
شبيب بن شبة : ص ٢٧ س ٥ ص ٦٧ س ١ ، ٤ ، ٩ ص ٢١٢ س ١
شبيجلبرج Spiegelberg ؛ ت : ص ٢٢ س ٢
شترك Strack ؛ ت : ص ١٩٩ س ٣
شرف الدين ، الملك المعظم : ص ٦٥ س ١٧ ص ٦٦ س ٨
الشريف الرضي ، محمد بن الحسين بن موسى : ص ١٨٠ س ١٧ ؛ ت : ص ١١٨ س ٨
الشريف المرتضى ، علي بن الحسين بن موسى : ص ١٨٠ س ٥ ؛ ت : ص ٣٦ س
١٠ ص ٥٦ س ١ ص ٦٤ س ٥ ص ٨١ س ٩ ، ١٠ ص ٩١ س ٢ ص ٢٣٨ س ١١
ص ٢٤١ س ١٢ ص ٢٤٢ س ٢ ، ٨
شعبة بن الحجاج بن الورد العنكي مولاهم ؛ ت : ص ١١٤ س ٩
الشعبي ، عامر بن شراحيل الحميري الكوفي : ص ٧٢ س ٢ ، ٥ ص ٨٦ س ١٢
شليفر J. Schleifer ؛ ت : ص ١٥٦ س ٢
الشتنمري ، أبو الحجاج الألم يوسف بن سليمان ؛ ت : ص ٣٦ س ١٠
الشهاب الحفاجي أحمد بن محمد بن عمر = الحفاجي .

شهاب الدين ، محمد بن إسماعيل ، صاحب « سفينة الملك » ؛ ت : ص ٩٥ س ١١

شوخرت Schuchardt ؛ ت : ص ١٩ س ٦

شوشى : ص ١١٤ س ٨

شوكر ؛ ت : ص ٦٩ س ٦٠ ، ٥

الشوكرى ؛ ت : ص ٦٩ س ٤

شيخ بن رباح ؛ ت : ص ٣٦ س ٧

شرويه : ص ١٥ س ٦ ؛ ت : ص ١٥ س ٨ ، ١٠ ، ١١

حرف الصاد ،

الصاحب بن عباد ، إسماعيل : ص ١٥١ س ٤ ص ١٦٣ س ١٧ ، ٢٠ ، ص ١٦٤ س ١

٣ ص ١٦٥ س ٦ ص ١٦٦ س ١ ، ١٦ ص ١٦٨ س ٧ ص ١٧٤ س ٧ ،

١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ص ١٧٥ س ٢ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ص ١٧٦ س

١٥ ، ٥ ؛ ت : ص ١٣٥ س ٦ ص ١٦٣ س ٢ ص ١٦٤ س ٣ ص ١٧٢ س

٢ ص ١٧٥ س ١

الصاوى (ناشر ديوان الفرزدق) ؛ ت : ص ٣٧ س ١ ص ٤٧ س ٦ ، ١٠

صبيح بن رباح : ص ٣٦ س ١٣

صخر بن حرب = أبو صفيان

الصديقي A. Siddiqi ؛ ت : ص ١١٦ س ٦ ص ١٩٦ س ٧

الصفدى ، خليل بن أيك : ص ١٧٠ س ٥ ؛ ت : ص ٩٧ س ٥

صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب : ص ٢٢٩ س ٢

الصلحاني ؛ ت : ص ٣٦ س ٢ ، ٨

صهيب بن سنان الصحاني : ص ١٢ س ١٦ ؛ ت : ص ١٢ س ٦

الصولى ، أبو بكر محمد بن يحيى = أبو بكر الصولى

حرف الطاء ،

طالب الحق الخارجى ؛ ت : ص ٦٨ س ٢

طاهر بن الحسين : ص ١٣٨ س ٧ ، ١١ ، ١٣ ص ١٣٩ س ١٨ ، ١٩

طاوس بن كيسان . أبو عبد الرحمن : ص ٣٢ س ١٦

الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير ؛ ت : ص ١٦ س ١٥ ص ٣٠ س ٤ ، ١٤ ص ٣٥

س ٤ ص ٣٨ س ٤ ص ١١٣ س ٢ ص ١٣٨ س ٣ ، ٦ ص ١٤٩ س ٤

طرفة بن العبد : ص ٨١ س ٦ ص ١٩٥ س ١٦
الطرساح بن حكيم : ص ٣٧ س ٢٠ ص ٣٨ س ١٠ ، ٥ ، ١ ص ٣٩ س ١٨ ص ٤٠
س ٥ ص ٤٢ س ١٠ ص ٥١ س ١٤ ص ٨٨ س ١٤ ص ٢٤٣ س ٦ ؛ ت :

ص ٣٨ س ١٢ ، ١٧

طفيل الغنوي ؛ ت : ص ٣٨ س ١٢

الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الفارسي ؛ ت ص ٥٨ س ٧

طيفور بن عيسى بن آدم = أبو يزيد البسطامي

، حرف العين ،

عامر بن شراحيل = الشعبي

عامر بن الطفيل : ص ٥٩ س ١٧

عائشة بنت طلحة : ص ٧٦ س ١

عباد بن زياد : ص ١٦ س ٧ ؛ ت : ص ١٦ س ٢

عبادة بن ماء السماء : ص ١٨٦ س ١٤ ، ٢١ ص ١٨٨ س ١٤

العباس بن الأحنف : ص ١٠٠ س ٨

العباس بن عبد المطلب : ص ٥٤ س ١١

العباس بن الفرج = أبو الفضل الرياشي

عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي البصري : ص ٧٦ س ٨

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد العيشي : ص ٧٦ س ٢

عبد الرحمن بن عنبسة : ص ٤١ س ٥

عبد الرحمن بن عيسى الهمداني : ص ١٤٩ س ٦ ، ١٣ ص ١٥٠ س ١٦ ص ١٥١

س ٣ ، ١٠ ص ١٥٢ س ١٧ ؛ ت : ص ١٤٩ س ٢ ، ٣ ص ١٥١ س ٣

عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله = أبو البركات بن الأنباري

عبد الرحمن بن محمد بن عثمان ، جلال الدين السيوطي = السيوطي

عبد الصمد بن المعتدل : ص ١٢٥ س ١٣ ص ١٢٦ س ٣

عبد العزّي بن عبد المطلب = أبو لهب

عبد القادر بن عمر البغدادي ؛ ت : ص ١٦ س ١٠ ص ٣٤ س ١ ص ٣٥ س ١ ص

٥٢ س ٢ ص ٨١ س ٢ ص ١٢٤ س ٩ ص ١٢٦ س ٤ ص ١٣٦ س ٢ ص

٢٣٧ س ١٢

عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي = ابن أبي إسحاق

عبد الله بن أبي عوف الخزاعي ؛ ت : ص ٢١ س ٢

عبد الله بن أحمد = ابن الخشاب البغدادي

عبد الله بن أحمد بن محمد بن غلاب الباهلي = غلام خليل

عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي : ص ٧٤ س ١

عبد الله بن إسماعيل = ابن زينب المراكبي

عبد الله بن بري بن عبد الجبار المصري = ابن بري

عبد الله بن الحارث السهمي ، المعروف بالمبرق ؛ ت : ص ٤٢ س ١٠ ، ١١

عبد الله بن خالد الأموي : ص ١١٤ س ٨

عبد الله بن الزبير : ص ٨٢ س ٨

عبد الله بن سخبرة ، أبو معمر = أبو معمر

عبد الله بن طاهر : ص ١٣٨ س ١٥ ص ١٣٩ س ١٥

عبد الله بن عباس : ص ٢١٠ س ٧

عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، أبو القاسم : ص ١٨٠ س ٧

عبد الله بن عتيق : ص ١٠١ س ١٣

عبد الله بن عمر : ص ٣٣ س ٨

عبد الله بن محمد الأموي الأسباني : ص ١٨٦ س ٨

عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي = البطليوسي

عبد الله بن مسعود : ص ٧٨ س ٧ ، ١٠

عبد الله بن مسلم بن قتيبة = ابن قتيبة الدينوري

عبد الله بن مسلم الهذلي : ص ٩٢ س ٥

عبد الله بن المقفع = ابن المقفع

عبد الله بن يحيى أبو محمد بن كنانة = ابن كنانة

عبد الملك بن بشر بن مروان ، والي البصرة : ص ٢٤٦ س ٩

عبد الملك بن قريب = الأصمعي

عبد الملك بن مروان : ص ٢٦ س ٢٠

عبد الملك بن هشام = ابن هشام

عبد مناف : ص ٢٥ س ١١

عبد الوارث بن سعيد : ص ٧٣ س ٤

- عميد بن أيوب ، أحد لصوص العرب : ص ٢٣٨ س ١٤
عميد الله بن أبي طاهر ؛ ت : ص ١٨٣ س ١٣
عميد الله بن أحمد ، أبو القاسم بن خرداذبه = ابن خرداذبه
عميد الله بن زياد : ص ١٥ س ٤ ، ٨ ، ١١ ص ١٦ س ٣ ، ١٠ ص ١٧ س ٥
عميد الله بن عبد الله بن طاهر : ص ١٣٧ س ١١ ص ١٤٠ س ٣
عميد الله بن قيس الرقيات : ص ٤٩ س ٢
عميد الله بن محمد العيشي : ص ٧٦ س ٢
عتبان بن وصيلة = أبو المنهال
عتبة بن غزوان : ص ٢٣ س ١٥
عثمان بن أبي العاص الثقفي : ص ٢٤ س ١٠
عثمان بن جني ، أبو الفتح = ابن جني
عثمان بن عفان : ص ٢٤٢ ، س ١٢
العجاج الراجز : ص ٩٢ س ٤ ؛ ت : ص ١٧٢ س ١١ ص ١٧٧ س ٥
العجلي ، صاحب كتاب الجرح والتعديل ؛ ت : ص ٧٢ س ٩
العديل بن الفرخ العجلي : ص ٨٢ س ٥ ؛ ت : ص ٤٢ س ١١
عدي بن زيد : ص ٥١ س ١١
عروة بن الورد ؛ ت : ص ١٦٥ س ٣
عريب الخادم : ص ١٩٨ س ١٧
العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل = أبو هلال العسكري
عضد الدولة ، أبو شجاع فناخسرو : ص ١٦٨ س ٧ ص ١٨٠ س ١٦
العقبلي ؛ ت : ص ٢٢٥ س ٥
العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين البغدادي ؛ ت : ص ١٧١ س ١٠ ، ١٥
ص ١٧٢ س ٣ ص ١٧٤ س ١ ص ١٨٣ س ٦
العلاء بن هلال ؛ ت : ص ٧٩ س ٣
علي بن أبي زيد الفصيحي = الفصيحي
علي بن أبي طالب : ص ١١ س ٣ ص ٢٥ س ٤
علي بن أحمد بن محمد الواحدي = الواحدي
علي بن بسام أبو الحسن = ابن بسام
علي بن الجهم : ص ١٢١ س ٨

علي بن الحسن بن علي الباخرزي = الباخرزي

علي بن الحسين الأصبهاني ، أبو الفرج = أبو الفرج الأصبهاني

علي بن الحسين بن موسى = الشريف المرتضى

علي بن حمزة الأصبهاني ؛ ت ص ١٠٤ س ١٢ ص ٢٤١ س ٦٠٢

علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي = الكسائي

علي بن الحليل = البردخت

علي زين العابدين : ص ٢٥ س ٣

علي بن سليمان الأخفش = الأخفش الأصغر

علي القاري ابن سليمان الفاسي : ص ١٠٢ س ٢٠ ص ١٠٨ س ١٤ ؛ ت ص ١٠٣ س ٣

علي بن العباس بن جريح = ابن الرومي

علي بن عبد الله بن حمدان = سيف الدولة

علي بن محمد الحماني العلوي : ص ١٣٧ س ١ ، ٤

علي بن محمد ، ابن خروف النحوي = ابن خروف

علي بن محمد بن العباس التوحيدي = أبو حيان التوحيدي

علي بن محمد بن عبد الله المدائني = المدائني

علي بن محمد الإسكافي ، أبو القاسم = الإسكافي

علي بن يحيى المنجم = ابن المنجم

عمار السكلي : ص ١٦١ س ١١

عمارة بن عقيل : ص ١٢٢ س ١٥

العماني ، محمد بن ذؤيب : ص ٩٣ س ٦ ص ١١٣ س ٤

عمر بن أبي ربيعة : ص ٤٦ س ١

عمر بن الخطاب : ص ٨ س ١١ ، ١٤ ص ٢٥ س ٥ ص ٧٧ س ١٥ ص ٧٨ س ٦ ، ٧

ص ٢٢٥ س ١٠ ص ٢٣٩ س ٩

عمر بن شبة ؛ ت : ص ٦٩ س ٥

عمر بن عبد العزيز : ص ٢٧ س ١٤ ص ٧٨ س ٦

عمر بن عبد الملك ، أبو النضر الشاعر = أبو النضر

عمر بن هبيرة : ص ٢٥ س ٤

عمرو بن شراحيل أو شر حيل الصحابي = أبو ميسرة

- عمرو بن عبيد : ص ٥٩ س ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ص ٨٠ س ١١ ص ١٤٧ س ٨
عمرو بن عثمان بن قنبر = سيويه
عمرو بن مسلم ، أخو قتيبة بن مسلم : ص ٢٧ س ١٣
عنيسة بن معدان ؛ ت : ص ٤٧ س ٩
عنتره : ص ١٢ س ٩ ص ٨٣ س ٧ ؛ ت : ص ٤٨ س ١
عوانة ، أبو الحكم بن الحكم بن عياض السكبي ؛ ت : ص ٢٣ س ٣ ص ٢٨ س ٥
عوف بن الأحوص ؛ ت : ص ١٢٦ س ٨
عويمر بن مالك = أبو الدرداء
عيسى بن يزيد بن داب : ص ٦٨ س ٦ ، ١٣ ، ١٤ ص ٦٩ س ٣ ، ٤
عيشة (بدلا من عائشة) : ص ٧٥ س ١٤
العيشى : ص ٧٦ س ١
العيني ، محمود بن أحمد العنتابي الحنفي ؛ ت : ص ٣٧ س ٢ ص ٤٣ س ١ ص ٦٥ س ٦
ص ١٥٦ س ٤

• حرف الغين •

- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد = أبو حامد الغزالي
غلام خليل ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن غلاب الباهلي : ص ٧٩ س ١٤
غنية ، أم الهيثم الأعرابية = أم الهيثم
غيلان بن عقبة = ذو الرمة

• حرف الفاء •

- الفاسي ، أبو عمران موسى بن عيسى ؛ ت : ص ١٠٤ س ٤
فان فلوتن Van Vloten ؛ ت : ص ٣٦ س ٤ ، ٧ ص ٥٣ س ١٠ ص ١١٣ س ١٠
ص ١١٦ س ٨ ، ٩ ، ١٢ ص ١١٧ س ٤ ص ١٢٠ س ١ ص ١٢٩ س ٢
ص ٢٠٥ س ٦
الفتح بن خاقان : ص ١٢٨ س ١٦ ص ١٢٩ س ٦ ص ١٣٥ س ١٨ ؛ ت : ص ١٢٩ س ٣
المرء ، يحيى بن زياد ، أبو زكريا : ص ٨٥ س ١٣ ، ١٩ ص ١٣٩ س ١٧ ، ١٩
ص ١٧٢ ؛ ت : ص ٤ س ١٥ ، ١٧ ص ٥ س ٣ ، ٩ ، ١٣
فران G. Ferrand ؛ ت : ص ١٥ س ١

فرايتاج Freitag ؛ ت : ص ٨٢ س ٥ ص ٢٣٦ س ١

الفرزدق ؛ هام بن غالب : ص ٢٠ س ٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ص ٣٦ س ١٦ ص ٣٧

س ٩ ، ٦ ، ١٢ ، ٩ ص ٤٧ س ٤ ، ٨ ، ١٢ ، ١٤ ص ٤٨ س ١ ص ٨٧ س ٩

ص ١٢٢ س ١٧ ص ٢١٦ س ٦ ؛ ت : ص ١٢ س ٤ ص ٤٧ س ٩ ، ٥

ص ٨٧ س ٣ ص ٩١ س ٦ ص ٩٥ س ٦ ص ١١٣ س ٤ ص ٢٣٨ س ١١

ص ٢٤٢ س ٧

فرينكل Fraenkel ؛ ت : ص ١٩٦ س ١ ص ١٩٧ س ٤ ، ١

فريدلندر Friedländer ؛ ت : ص ١٠٤ س ١

فسخراء ، جد أبي صفرة ؛ ت : ص ٢٤ س ١٠

الفصيحي ، علي بن أبي زيد : ص ٢١١ س ١٧ ص ٢١٢ س ١

الفضل بن الحباب = أبو خليفة الجمحي

الفضل الرقاشي ؛ ت : ص ٧٠ س ٤

الفضل بن سهل ، ذو الرباستين : ص ٨٤ س ١١

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب : ص ٢٥ س ١٠

الفضل بن محمد القصياني النحوي : ص ٢١٣ س ٣

الفضل بن مروان السكاتب وزير المعتصم : ص ١٢٧ س ١٥ ص ١٢٨ س ١

فلترز K. Vollers ؛ ت : ص ٤ س ١ ص ٥ س ٢١ ، ٢٣ ، ٢٢ س ١ ص ٣ ، ١ ص ٢٥

س ٥ ص ٤٢ س ٨ ص ١٠٤ س ٢

فلترز Vullers ؛ ت : ص ١٩ س ٢

فلوجل Flügel ؛ ت : ص ١٢٩ س ٥ ص ٢٠٥ س ١

فلايشمر Fleischer ؛ ت : ص ٤٨ س ٩ ص ٥٣ س ٩ ص ٧٣ س ١٣ ص ١٠٨

س ٥ ص ١٧٠ س ٦ ص ١٧١ س ٧ ص ١٧٣ س ٥ ص ٢٠٢ س ٢

ص ٢٠٦ س ٤

فنكل ؛ ت : ص ٥٦ س ٤

فيشر Fischer ؛ ت : ص ٤٤ س ٣ ص ٤٨ س ٣ ص ٧٧ س ١١ ص ٩٣ س ٧

ص ٩٤ س ٨ ص ١٠٢ س ٣ ص ١٠٧ س ١٠ ص ١٦٩ س ٣ ص ١٧٧ س ٥

فيل الغني : ص ١٥ س ١٠

« حرف القاف »

- القاسم التمار : ص ١٢٠ س ١٢
القاسم بن عبد الله ، وزير المعتضد : ص ١٤٠ س ١٢
القاسم بن علي الحريري = الحريري
القاسم بن عيسى بن معقل = أبو دلف العجلي
القاسم بن محمد بن أبي بكر : ص ٢٥ س ٤
القاسم بن محمد الثقفي ؛ ت : ص ٣٠ س ٣
القاسم بن محمد القاسم : ص ٢٩ س ١٦ ؛ ت : ص ٣٠ س ٢
قالون ، عيسى بن مينا : ص ٧١ س ٥
القالبي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم ؛ ت : ص ١٦ س ٩ ص ٣١ س ٣ ، ٧ ص ٣٤
٧ ص ٤٠ س ٤ ص ٤٢ س ١٣ ص ٤٨ س ٢ ص ٦٧ س ٥ ص ٧٨ س ٦
٩٢ س ٦ ص ١١٨ س ٧ ص ١٢٥ س ١ ص ٧٠ ص ١٧٢ س ١٣ ص ١٧٦
١ ص ٢٣٦ س ٤ ص ٢٣٧ س ١١ ، ١٤ ، ١٥ ص ٢٣٩ س ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨٠
ص ٢٤٢ س ٩ ، ٨
القتال الكلابي ، عبد الله بن المفرحي : ص ٣٩ س ١٤
قتيبة بن مسلم : ص ٢٧ س ١٣
قدامة بن جعفر : ص ١٤٣ س ١٦ ص ١٤٤ س ١١ ص ١٤٥ س ١ ، ٩
ص ١٤٦ س ٨ ص ١٤٧ س ١٣ ، ٨ ، ١ ص ٢٢ ، ١٣ ، ١٤ ص ١٤٨ س ٤ ، ١١ ، ١٩ ، ٢٠
ص ١٤٩ س ٣ ، ٧ ، ١٣ ص ١٥٠ س ١٦ ص ٢٤١ س ١٣ ؛ ت : ص ٢٧
س ٨ ص ٣٢ س ٤ ص ١١٤ س ٤ ص ١٢١ س ٢ ص ١٢٦ س ٩
ص ١٤٩ س ٢ ، ٣ ص ٢٤١ س ١٤
القدسي ، حسام الدين ؛ ت : ص ٨٦ س ٩
القسطلاني ، أحمد بن محمد بن أبي بكر ؛ ت : ص ٧٤ س ١١ ص ٢١٤ س ٢
ص ٢٢٨ س ٢
القطاحي ، عمير بن شميم ؛ ت : ص ٤٣ س ٣
قطرب ، أبو علي محمد بن المستنير : ص ١٣٨ س ٤ ؛ ت : ص ٦٨ س ٧ ، ٩ ص
٢٤٤ س ٣

قطري بن النجاء ؛ ت : ص ٦٨ س ٨

قعب بن أم صاحب : ص ٢٣٦ س ٩ ؛ ت : ص ١٧٢ س ١١ ص ٢٣٦ س ٣

القلقشندی ، أبو العباس أحمد بن علي ؛ ت : ص ١٦ س ٧ ص ٢٧ س ٩ ص ٧٠

س ١١ ص ٨٦ س ٢ ص ١٢٧ س ٢

« حرف الكاف »

كاله P Kahle ؛ ت : ص ٤ س ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٥ ص ٥ س ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣

ص ٧٧ س ٥

كامل (من زعماء بدو المتفق) : ص ٢٨ س ٦

الكتبي = ابن شاكر

كثير بن أبي كثير البصرى : ص ٢٨ س ٦

كثير عرة : ص ٤٩ س ١٤ ص ٨٣ س ٨

كرتشكوفسكى Kratschkowsky ؛ ت : ص ٤٦ س ١

كرستنسن Christensen ؛ ت : ص ٥٥ س ٢

كرنكو krenkow ؛ ت : ص ٣٠ س ٣ ص ٣٦ س ٤ ، ٩ ص ٣٨ س ١٢ ، ١٤

ص ٦١ س ٢ ، ٤ ص ٢٢٣ س ٣

الكسائي ، أبو الحسن علي بن حمزة : ص ٥٢ س ١٨ ص ٦١ س ١٤ ، ١٨ ص ٦٢

س ٧ ، ١٣ ص ٨٥ س ١٣ ص ٨٧ س ٤ ، ١١ ، ١٥ ص ٨٩ س ٨ ، ١٠

ص ٩٠ س ١ ، ٣ ، ٥ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦

كعب الأشقر : ص ٢٤ س ١٣ ؛ ت : ص ٢٤ س ٨

كعب بن زهير ؛ ت : ص ١٧١ س ١٣

كفلر H. Koffler ؛ ت : ص ٨ س ١ ص ٢٤٤ س ٢

كلتر H. Keller ؛ ت : ص ١٣٥ س ٣

الكميّ بن زيد : ص ٣٨ س ٢ ، ٥ ص ٤٠ س ٤٠ ، ٦ ، ١٤ ص ٤١ س ٥ ، ١١

١٢ ، ١٦ ، ١٨ ص ٤٢ س ١٤ ، ٢ ص ٤٣ س ٧ ص ٥١ س ١٤ ص ٦٣

س ٤ ص ١٧١ س ١٠ ، ١٢ ص ١٧٣ س ٨ ؛ ت : ص ٣٨ س ١٦

الكتوري ، السيد حسين بن السيد محمد القولي النيسابوري الشيعي (صاحب كشف

الحجب) ؛ ت : ص ١٨٠ س ٥

كندرمان Kindermann ؛ ت : ص ١٩٥ س ٩ ، ٤

كندري : ص ٤ س ٨ ، ٩

« حرف اللام »

لييد بن ربيعة العامري : ص ٢٣٦ س ٥

لبرت Lippert ؛ ت : ص ٨٤ س ١٠

لتمان E.Littmann : ص ١٢٢ س ١

اللحياني علي بن المبارك ؛ ت : ص ١٧٧ س ١

له سبارسكي Lidsbarsky ؛ ت : ص ١٩٥ س ١٠

لغدة الأصبهاني : ص ١٢٢ س ١

الليث بن المظفر : ص ٢٢٣ س ٤ ؛ ت : ص ٥٣ س ٤

ليلي العامرية : ص ٤٦ س ٦ ، ١٠

لين Lane ؛ ت : ص ١٩ س ٤ ص ٥٣ س ٤

ليفي بروفنال Lévy Provençal ؛ ت : ص ٢٠ س ٩

ليفي دلا فيدا Levi Della Vida ؛ ت : ص ٤٦ س ٣

« حرف الميم »

المأمون : ص ٦١ س ١٣ ص ٧٥ س ٢ ص ٨٦ س ٧ ص ١١١ س ٢ ، ٩ ، ١١ ص

١٢٥ س ٩ ص ١٢٧ س ٢ ، ٥ ، ٦ ، ١٢ ، ١٣ ص ١٢٨ س ٣ ص ١٣٠

س ٩ ص ١٣٨ س ١٤

مارسيي Marçais ؛ ت : ص ١٩٣ س ١

ماركوارت Marquart ؛ ت : ص ٢٤ س ١١

المازني ، أبو عثمان بكر بن محمد ؛ ت : ص ٧١ س ٧

ماكارتيي Marcartny ؛ ت : ص ٤٣ س ١٠

ماكدونالد Macdonald ؛ ت : ص ٢٠٦ س ١

مالك بن أسماء ، مهر الحجاج : ص ٢٤٠ س ١ ص ٢٤٥ س ٢

مالك بن أنس التيمي القرشي ، الإمام : ص ٣٣ س ٧ ، ٨ ص ٦٩ س ١٠ ، ١٢ ص

٧٠ س ٣ ص ٧١ س ٨ ص ٧٥ س ١ ؛ ت : ص ٧٠ س ١٠ ص ٢٢٧ س ٦

ص ٢٣٦ س ٥

مالك بن الريب ؛ ت : ص ٤٨ س ٢

المبرد ، محمد بن يزيد ، أبو العباس : ص ٣٦ س ١٢ ، ١٤ ص ٣٩ س ٢٠ ص ١٢١
س ١٠ ص ١٢٢ س ١٧ ص ١٢٦ س ٤ ص ١٤١ س ١٩ ص ٢١٨ س ١٨ ؛
ت : ص ١٥ س ١٥ ص ٢٦ س ١ ص ٢٧ س ٩ ص ٣٠ س ١٣ ص ٣١ س ٦
ص ٣٣ س ٦ ص ٤٢ س ٩ ص ٤٤ س ١٠ ص ٤٨ س ١١ ص ٤٩ س ٢ ، ٣ ، ٤ ص ٦٧
س ٩ ص ٦٨ س ٩ ص ٧٢ س ٥ ص ٧٤ س ٦ ص ٨٢ س ٦ ص ٨٣ س
١ ، ٣ ص ٨٧ س ٣ ص ٩١ س ٦ ص ٩٣ س ٥ ص ٩٥ س ٩ ص ١١٥ س
١ ص ١١٨ س ٧ ص ١٢١ س ٨ ص ١٢٣ س ٣ ، ٧ ص ١٧٣ س ٦ ص
٢١٠ س ٥ ص ٢٣٥ س ١ ص ٢٤٢ س ٥

المبرق = عبد الله بن الحارث السهمي

Mez متز ؛ ت : ص ١٤٥ س ٢ ص ١٦٥ س ١١ ص ١٩٥ س ١ ص ١٩٧ س ١ ، ٤ ،
المتقي ، صاحب كنز العمال ؛ ت : ص ٢١ س ٥

المتلمس ، جرير بن عبد المسيح ؛ ت : ص ٤٢ س ٨

المتنبي ، أحمد بن الحسين ، أبو الطيب : ص ١٦٣ س ٧ ص ١٦٨ س ١١ ص ١٦٩
س ١٥ ص ١٧٠ س ٩ ص ١٧١ س ١٠ ص ١٧٢ س ٨ ، ٦ ص ١٧٣ س ١٣ ،
١٨ ص ١٧٤ س ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٢ ص ١٧٥ س ٤ ، ١٢ ص ١٧٦ س ١٢ ،
١٤ ، ١٦ ص ١٧٧ س ٨ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ص ١٧٨ س ١ ، ٤ ، ١٣ ، ١٤ ،
١٦ ص ١٧٩ س ٨ ، ١١ ص ١٨٠ س ٤ ، ١١ ص ١٨١ س ٥ ص ١٨٣
س ٨ ص ١٨٤ س ١٥ ؛ ت : ص ٤٤ س ٥ ص ١٣٥ س ٦ ص ١٦٣ س ٢
ص ١٧١ س ١ ص ١٧٢ س ٢ ص ١٧٤ س ٢ ، ٣ ، ٥ ص ١٨٠ س ١ ، ٤ ، ٦ ،

المتوكل : ص ١٢١ س ٩ ص ١٢٨ س ١٩ ص ١٣٠ س ٤ ص ١٣٨ س ١٨

Meg مج A. ؛ ت : ص ٧٠ س ١٤ ص ١١٤ ص ٥ ص ١١٧ س ٢

المنجون : ص ٤٦ س ٧ ، ٩ ، ١٠

محمد بن إبراهيم الفزاري : ص ٩٧ س ٤

محمد البلعمي ، أبو علي = البلعمي

محمد بن أبي عون الحاجب : ص ١٣٩ س ٤ ، ١٠

محمد بن أبي مؤمل : ص ١٢١ س ٤

محمد بن أحمد ، أبو عبد الله بن ثوابة = ابن ثوابة

محمد بن أحمد بن فورجة = ابن فورجة

محمد بن أحمد المقدسي ، أبو عبد الله = المقدسي

محمد بن إسحاق بن النديم ، صاحب الفهرست = ابن النديم

محمد بن بشير ؛ ت : ص ٩٤ س ٧

محمد بن الحارث الثعلبي ؛ ت : ص ١٢٩ س ٥

محمد بن حازم الباهلي ؛ ت : ص ٢٣٨ س ٤

محمد بن حبيب : ص ١٢٩ س ٢

محمد بن الحسن الأحول النحوي : ص ١٤١ س ٥

محمد بن الحسن ، أبو بكر بن دريد = ابن دريد

محمد بن الحسين ، أبو الفضل بن العميد = ابن العميد

محمد بن الحسين بن موسى = الشريف الرضي

محمد بن حميد الطوسي : ص ١٢٤ س ٨

محمد الديباجة : ص ١٣٧ س ٢

محمد بن ذؤيب = العماني

محمد الراوية ، المعروف بالبيدق = البيدق

محمد بن زياد الكوفي = ابن الأعرابي

محمد بن سعد كاتب الواقدي = ابن سعد

محمد بن سلام الجمحي = ابن سلام

محمد بن سيرين

محمد بن شاكر السكتي = ابن شاكر السكتي

محمد بن شنب ؛ ت : ص ٩٥ س ١٢

محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي = أبو بكر الخوارزمي

محمد بن عبد الله الجواز = الجواز البصري

محمد بن عبد الله جمال الدين = ابن مالك النحوي

محمد بن عبد الله بن طاهر : ص ١٣٨ س ١٧ ص ١٣٩ س ١٢ ، ١٩

محمد بن عبد الله أبو جعفر بن قادم = ابن قادم النحوي

محمد بن عبد الله الكاتب البصري = المفجع

محمد بن عبد الله بن ظفر = ابن ظفر

محمد بن عبد الملك الزيات = ابن الزيات

محمد بن عبد الملك بن قزمان = ابن قزمان

محمد بن عبد الوهاب الثقفي : ص ٨٣ س ١٢ ، ١٣

محمد بن عبدوس الجهشياري = الجهشياري

محمد بن العساف الشجري الأعرابي : ص ١٦٠ س ٥

محمد علي : ص ٢٣١ س ٧

محمد بن عمر بن واقد ، أبو عبد الله الواقدى = الواقدى

محمد بن عمران أبو عبد الله المرزباني = المرزباني

محمد بن القاسم الثقفي : ص ٣٠ س ٥

محمد بن القاسم بن بشار ، أبو بكر بن الأنباري = أبو بكر ابن الأنباري

محمد بن محمد بن محمد الغزالي = أبو حامد الغزالي

محمد بن محمود المقبري الضريز : ص ١٨٦ س ٨

محمد بن المستنير ، أبو علي قطرب النحوي = قطرب

محمد بن مناذر = ابن مناذر

محمد بن يسير : ص ٩٤ س ١٣

محمد بن يحيى بن أبان : ص ١٢٢ س ٣

محمد بن يحيى الصولي = أبو بكر الصولي

السلطان محمود : ص ٢٠٨ س ٢١

محمود حمدي البولاقى ؛ ت : ص ١٩٠ س ١

محمود بن السلطان محمود : ص ٢٠٩ س ١

محمود بن عمر الزمخشري = الزمخشري

المدائني ، علي بن محمد بن عبد الله ، أبو الحسن : ص ٣٠ س ١٣ ؛ ت : ص ١٨ س ٤

مرداذاء ، أبو أبي صفرة ؛ ت : ص ٢٤ س ١٠

مرجانة : ص ١٥ س ٦ ؛ ت : ص ١٥ س ١١

مرجليوث Margoliouth ؛ ت : ص ١٦٤ س ٧

المرزباني ، محمد بن عمران ، أبو عبد الله ؛ ت : ص ٢٧ س ٧ ص ٣٨ س ١ ، ١٠

ص ٤٠ س ٢ ، ٧ ص ٤٢ س ٩ ص ٤٣ س ١٢ ص ٤٤ س ٧ ص ٤٥ س ٩ ، ١٠

ص ٤٧ س ٧ ، ٩ ص ٤٩ س ٥ ، ٩ ص ٥١ س ١١ ، ١٣ ص ٦٣ س ٣ ص ٦٤ س ١١

ص ٦٨ س ١٣ ص ٧٠ س ٤ ص ٨٦ س ٤ ص ٩٢ س ٣ ص ٩٣ س ١ ، ٨

ص ٩٥ س ٧ ص ٩٨ س ٣ ص ١٠٣ س ٧ ص ١٢١ س ٢ ، ٦ ص ١٢٤ س ٢

ص ١٢٥ س ٩ ص ١٣٥ س ٤ ص ١٧٣ س ٦ ص ٢٤٠ س ٣ ص ٢٤٤ س ٧

- المرزوقي ، أحمد بن محمد بن الحسن : ص ٣٩ س ٢
المرقش الأصغر ، ربيعة بن سفيان ، أو عمرو بن حرملة : ص ٦٤ س ٦ ، ١١ ، ١٥
مروان بن أبي حفصة : ص ٦٣ س ١
مروان بن الحكم : ص ٢٣٩ س ١٥
مزدك : ص ٥٥ س ١١
مساور الوراق : ص ٦٤ س ٨
مسعر بن كدام : ص ١٧ س ١٥
مسعر بن مهلهل الينبوعي = أبو دلف الخزرجي
المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ؛ ت : ص ٢٥ س ١ ص ٦٩ س ١ ص ١١٦
س ١ ص ١٣٧ س ١ ص ١٤٠ س ٤ ص ١٩٦ س ٤
مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : ص ٢٢٧ س ١٠ ؛ ت : ص ٣٨ س ٧ ص
٧٤ س ١١ ص ٢٢٣ س ٥ ص ٢٢٧ س ٦ ص ٢٢٨ س ١
مسلم بن الوليد : ص ٩٣ س ١٥ ؛ ت : ص ١٩٦ س ٣
مسلمة بن عبد الملك : ص ٢٥ س ١٣ ص ٢٧ س ١٢
المطرزي ، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد ؛ ت : ص ٦٧ س ١١
معاوية بن أبي سفيان : ص ١٦ س ٢ ، ٣ ص ١٨ س ٢ ص ٢٤ س ١ ، ٢٠
معاوية بن بكر العمليقي : ص ٢٣٨ س ٣
معاوية بن عبيد الله الأشعري ، وزير المهدي : ص ١٢١ س ٣
المعتصم : ص ١٢٥ س ٩ ص ١٢٧ س ١٦ ص ١٢٨ س ٢ ، ١٣ ، ١٧ ص ١٣٠ س
١٣ ، ٩

- المعتضد : ص ١٣٧ س ١٨ ص ١٤٠ س ١١
معد بن عدنان : ص ٥٤ س ٢
المغيرة بن حبناء : ص ٣٣ س ١٥
المغيرة بن سعيد الشيعي : ص ٣٠ س ١١
المغيرة بن شعبة ؛ ت : ص ٨٣ س ٨
المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث : ص ٢٧ س ١٠ ، ١١
المغيرة بن المهلب : ص ٣٤ س ٦
المفجع ، محمد بن عبد الله الكاتب البصري : ص ١٤٢ س ٣
المفضل الضبي بن يحيى بن يعلى بن عامر : ص ٦٣ س ٦ ؛ ت : ص ٦٣ س ٧

المفضل بن سلامة ؛ ت : ص ٢٥ س ٦

المقدسى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد : ص ١٦٧ س ١٣ ص ١٦٩ س ٢ ص ١٩١ س
٩ ، ٤ ، ٢ ص ١٩٢ س ٢٠ ص ١٩٣ س ١١ ، ١٧ ص ١٩٤ س ٥ ، ٩
ص ١٩٥ س ٢ ص ١٩٦ س ٧ ص ١٩٧ س ٤ ، ٨ ، ١١ ، ١٦ ، ١٩ ص ١٩٨
س ١ ص ١٩٩ س ٢ ، ٤ ، ١٢ ص ٢٠٠ س ١٨ ص ٢٠١ س ١ ، ٦ ،
١١ ، ١٤ ص ٢٠٤ س ٢٣ ص ٢٠٥ س ٤ ، ٦ ؛ ت : ص ١٠٤ س ٦ ص

١٨٣ س ٩ ص ١٩٧ س ٥

المقرى ، أبو العباس أحمد بن محمد ؛ ت : ص ٢٢٧ س ١ ، ٥

مكحول الدمشقي : ص ٣٣ س ٥

ملك شاه : ص ٢٠٨ س ٢٠ ، ٢١

ملار A. Müller ؛ ت : ص ١٠٧ س ١ ، ٨ ص ١٠٨ س ٤ ص ١٥٨ س ٢ ص

٢٢٩ س ١

المنصور : ص ٥٣ س ١٠ ص ٦٠ س ١٢ ص ٨٥ س ٥ ص ٨٦ س ٦

المهدى : ص ٥٣ س ١١ ص ٥٦ س ٩ ص ٨٣ س ١٣ ص ٨٥ س ٦ ص ١٢١ س ٣

المهدى شيخ أبي بكر بن علي الصنهاجي ؛ ت : ص ٢٠ س ٩

مهدى بن مهمل : ص ٧٦ س ١٠

المهلب بن أبي صفرة : ص ٥٤ س ٨ ص ٣٣ س ١٣ ؛ ت : ص ٩٣ س ٨

المهلبى ، أبو محمد الحسن بن محمد ، الوزير : ص ١٦٦ س ١٧

المهلهل ، عدى بن ربيعة ؛ ت : ص ٤٢ س ٨

مورتنس B. Moritz ؛ ت : ص ١٢ س ١٣

موسى الأسوارى : ص ١١٢ س ١٥

موسى بن ميمون : ص ١٠٣ س ١٧

موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف الطيب : ص ١٨٤ س ٦

موهوب بن أحمد ، أبو منصور الجوالقي = الجوالقي

الميدانى ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى ؛ ت : ص ٤٢ س ٦ ص ٤٣ س ٤

ص ٩٢ س ٨ ، ١٠ ص ١٠٦ س ٣ ص ٢٣٨ س ١٠ ص ٢٤١ س ٢ ، ٦ ص ٢٤٢ س ٢

ميلك P. Mielck ؛ ت : ص ٢٢٤ س ١

الميمنى ، عبد العزيز الراجكوتى ؛ ت : ص ٢٧ س ١١ ص ٨٩ س ٩

ميمون بن قيس = الأعشى

ميمون بن هارون ، كاتب إسحاق بن إبراهيم المصعبى : ص ١٢٧ س ٤ ، ٩

« حرف النون »

النابعة الديباني ، زياد بن معاوية : ص ٤٨ س ٣ ؛ ت : ص ٤٣ س ٣ ص ٤٧ س ٤
نابليون : ص ٢٣١ س ٥

ناصرى خسرو (الرحالة الفارسى) : ص ١٨١ س ٨

نافع بن أبى نعيم المدنى القارىء : ص ٧١ س ٥ ، ٧ ، ٨ ؛ ت : ص ٧١ س ٨

نافع بن الأزرق ؛ ت : ص ٢١٠ س ٣

نافع بن جبير : ص ٢٧ س ١٢ ؛ ت : ص ٢٧ س ١٣

نافع ، أبو عبد الله مولى بن عمر : ص ٣٣ س ٧ ، ٨

النجاد ، الفقيه الحنبلى ، أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن : ص ٧٩ س ٧

النجاس النحوى المصرى ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل : ص ٣٢ س ٣

النسائى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب : ص ٧٧ س ٣ ؛ ت : ص ٢٢٧ س ٧

نصر بن سيار : ص ٣٠ س ٣ ، ٤ ، ٦ ص ٣٥ س ٤ ص ١٠٢ س ١٤

النضر بن شمیل : ص ١٠٤ س ٨

نظام الملك ، الحسن بن على الطوسى : ص ٢٠٨ س ١٩

النعمان بن ثابت = أبو حنيفة

نفظويه ، ابراهيم بن محمد بن عرفه العتسكى الأزدي : ص ١٤١ س ١٦

نقيع بن سمية ، أبو بكرة : ص ٢٣ س ١٢ ، ١٦

النوبختى ، أبو محمد الحسن بن موسى ؛ ت : ص ٣٠ س ١٤

نولدكه T. Nöldeke ؛ ت : ص ٨١ س ٩ ص ٣٠٤ س ٢١ ؛ ت : ص ٤ س ٥ ص ٥

س ٢٢ ص ١٣ س ٥ ص ١٤ ص ٢ ، ١ ص ١٥ ص ٨ ص ١٧ س ٢ ص ٢٤

س ٢ ص ٢٨ س ١٠ ص ٤٣ س ٧ ص ٤٩ س ٦ ص ٦٦ س ٦ ص ٧٠

س ١٥ ص ٧٨ س ١١ ص ٩١ س ٤ ص ٩٢ س ١ ص ١٩٥ ص ١٠٢ س ٢

س ١٢٦ ص ١١ ص ١٦٥ س ٣ ص ١٧٠ ص ٢ ص ٢٠٢ س ١ ص ٣ ، ١ ص ٢١٥

س ١ ص ٢١٨ س ٣ ص ٢٢٣ س ٢ ، ٦

النووى ، محيى الدين يحيى بن شرف ؛ ت : ص ٢١ س ٧ ص ٢٢٨ س ١

« حرف الهاء »

الهادي : ص ٥٣ س ١١ ص ٦٨ س ١٤ ص ٨٥ س ٨ ص ٩٧ س ١٦ ، ١٧

هارتمان M. Hartmann : ت : ص ١٨٦ س ٢ ص ١٨٩ س ١

هارون الرشيد : ص ٨٣ س ١٣ ص ٨٥ س ٢ ، ٩ ، ١٩ ص ٨٦ س ٩ ، ١٧

ص ٨٩ س ١٠ ص ٩٠ س ١٧ ص ٩١ س ٩ ص ٩٣ س ١٢ ، ١٣ ص ٩٥

س ١٢ ، ١٤ ص ٩٦ س ٨ ، ٢١ ص ٩٩ س ٢ ص ١٠٣ س ٧ ص ١٠٤

س ٧ ص ١١١ س ٩ ، ٥ ص ١١٣ س ٤ : ت : ص ٢٠ س ٦

هبة الله بن جعفر = ابن سناء الملك

هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي ، أبو السعادات بن الشجري = ابن الشجري

هرمز الفارسي ، أبو اسماعيل بن أبي خالدة الكوفي : ص ٧٦ س ٥

هشام بن حسان : ص ٧٦ س ٩

هشام بن عبد الملك : : ص ٣٤ س ٣ ص ٣٧ س ٧ ص ٨٢ س ٧

هشام بن معاوية النجوي الضرير : ص ١٢٧ س ١٢

هشام بن محمد بن السائب = ابن الكلبي

هشيم بن بشير : ص ٧٤ س ١٤ ص ٧٥ س ٨ ، ١٠ ، ١٢

هلال بن العلاء الرقي : ص ٧٩ س ٥ : ت : ص ٧٩ س ٥

هل Hell : ت : ص ٤٦ س ٤

الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب : ص ١٥٤ س ٤ ، ٦ ، ١٨ ص ١٥٥

س ٤ ، ١٧ ، ٢١ ص ١٥٦ س ١ ، ١٣ ص ١٥٧ س ٥ ، ٥ ، ١٥ ص ١٥٨

س ١ ، ٣ ، ١٩ ص ١٥٩ س ٥ ، ١١ : ت : ص ٤٠ س ٥ ص ٩٩ س ٥ ، ٢

ص ١٢٣ س ٥ ص ١٥٥ س ١ ص ١٥٦ س ٨ ، ٩ ص ١٥٧ س ١

ص ١٥٨ س ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ص ٢٣٨ ص ٦

هورن Horn : ت : ص ١٥ س ٣ ص ١٨ س ١٠ ص ١٩ س ٣

الهيثم بن عدى = ابن سدى

« حرف الواو »

الواحدى ، علي بن أحمد بن محمد : ص ١٦٩ س ١٩ ص ١٧٢ س ٥ ص ١٧٨ س ٣

ص ١٨٠ س ١ : ت : ص ١٧٠ س ٥ ص ١٧١ س ١ ، ٦ ، ٨ ص ١٧٢

س ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ص ١٧٣ س ٣ ص ١٧٤ س ١ ص ١٨٠ س ١

- واصل بن عطاء : ص ١١٤ س ٩
الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد ؛ ت : ص ٢٣ س ٤ ص ٢٤٢ س ٥
فايل G. Weil ؛ ت : ص ١٠٢ س ١ ص ٢٢٦ س ٧
ورش ، عثمان بن سعيد المصري : ص ٧١ س ٥
ورقاء بن زهير ؛ ت : ص ٨٨ س ٤
فستفلد Wüstenfeld ؛ ت : ص ٤٠ س ٤ ص ٤١ س ٣ ص ٥١ س ٥ ص ٦٨ س ٣
وكيع بن الجراح : ص ٧٥ ص ١٢ ، ١٣
فلهاوزن J. Wellhausen ؛ ت : ص ٨ س ٣ ص ١٦ س ٣ ص ٢٣ س ٤ ص ٨٠ ص ٢٥
س ١٠ ص ٣٠ س ١٦ ص ٣٤ س ٣ ص ٣٨ س ٩ ص ٤٥ س ١١ ص ٦٨
س ١٥ ص ٨٣ س ٨ ، ١٢
الوليد بن عبد الملك : ص ٢٧ س ٧ ص ٣٤ س ٣ ص ٣٧ س ١٠ ص ٢٣٦ س ٩
الوليد بن عبيد ، أبو عبادة البحتري = البحتري
الوليد بن عقبة ؛ ت : ص ٣٨ س ٨
الوليد بن يزيد : ص ٢٦ س ٦
فنسنك Wensinck ؛ ت : ص ٨٢ س ١١ ص ٩٩ س ٤ ص ١١٨ س ٦ ص ٢٣٦
س ٦ ص ٢٣٧ س ١
وهب بن جرير : ص ٧٤ س ٣
فيت G. Wiet

« حرف اليا »

- ياقوت بن علي الحموي الرومي ؛ ت : ص ١١ س ١ ص ١٤ س ٤ ص ١٦ س ٥ ص ١٧
س ٤ ص ١٨ س ٨ ص ٢١ س ١ ص ٢٣ س ١ ص ٢٤ س ٣ ص ٩٠ ، ١٤ ، ١٥
ص ٢٧ س ١١ ، ٥ ص ٢٨ س ١ ، ٨ ، ٩ ص ٢٩ س ٣ ص ٣١ س ٧
ص ٣٤ س ٨ ص ٤١ س ٦ ص ٤٤ س ٩ ص ٤٥ س ٥ ص ٤٨ س ٤
ص ٥٦ س ٢ ص ٦٠ س ٨ ص ٦١ س ١ ص ٦٢ س ٢ ، ٥ ، ١٣ ص ٦٤
س ٢ ، ٣ ، ٤ ص ٦٥ س ٥ ص ٦٧ س ١٢ ص ٦٨ س ١٣ ص ٦٩ س ١ ،
٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١٠ ص ٧٢ س ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ص ٧٣ س ١ ، ٤ ، ٨ ، ١٠
ص ٧٤ س ٤ ص ٧٥ س ١ ص ٧٧ س ٣ ص ٧٨ س ٩ ص ٧٩ س ١ ص ٨٤
س ١ ص ٨٧ س ٤ ، ١ ص ٨٨ س ٣ ، ٦ ص ٨٩ س ١ ص ٩١ س ٣
ص ١٠٤ س ١٢ ، ٨ ، ٦ ص ١١٤ س ١٨ ص ١١٨ س ١ ص ١١٩ س ٤ ،

٩ ص ١٢١ س ١ ص ١٢٢ س ١ ص ١٢٣ س ٧ ص ١٢٦ س ١٠ ص ١٢٧
س ١ ص ١٢٨ س ٤ ص ١٣٦ س ٤ ص ١٣٧ س ٣ ص ١٣٨ س ١ ص ١٤٠
ص ١٣٩ س ٢ ص ١٤١ س ١ ص ١٤٣ س ١ ص ١٤٤ س ٢ ص ١٦٠ س ١
ص ١٦١ س ١ ص ١٦٢ س ٤ ص ١٦٣ س ١ ص ١٦٦ س ١
ص ١٧٥ س ١ ص ١٧٧ س ١ ص ١٧٩ س ٤ ص ١٨٠ س ٢ ص ١٨٠
ص ١٩٩ س ٥ ص ٢٠٥ س ٢ ص ٢١١ س ٢ ص ٢١٣ س ٣
ص ٢٢٥ س ٧ ص ٢٢٦ س ١ ص ٢٢٧ س ١ ص ٢٣٧ س ١٣ ص ٢٤٠
س ٣ ص ٢٤٢ س ١ ص ٣

يحيى بن آدم بن سليمان ؛ ت : ص ٢٣ س ٦

يحيى بن خالد البرمكي ؛ ص ٥٢ س ١٨ ص ٥٦ س ١١

يحيى بن زياد ، أبو زكريا الفراء = الفراء

يحيى بن المبارك ، أبو محمد اليزيدي = أبو محمد اليزيدي

يحيى بن نوفل الحميري ؛ ص ٣٠ س ٧ ص ٣١ س ٤ ص ٢٤٦ س ٧

يحيى بن يعمر ؛ ص ١١٩ س ٣ ص ٥

يزيد بن أبي يزيد المعروف بالرشك = الرشك

يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ؛ ص ٤٢ س ١١ ص ١٢

يزيد بن ربيعة بن مفرغ = ابن مفرغ

يزيد بن عبد الملك ؛ ص ٢١ س ٢ ص ٢٥ س ١٤ ص ٢٣٨ س ٤ ص ٥٠ ؛ ت : ص ٢٠ س ٧

يزيد بن المهلب ؛ ص ٢٥ س ١ ص ١١٩ س ٣

يعقوب بن إبراهيم بن حبيب = أبو يوسف القاضي

يعقوب بن السكيت = ابن السكيت

يعمر السعدي = أبو نجيعة

يعيش بن علي بن يعيش = ابن يعيش النحوي

يهودا هليفي ؛ ص ١٨٩ س ١٤ ؛ ت : ص ٢٣٧ س ٤

يوسف بن خالد التيمي ؛ ص ٨٠ س ١٠ ص ١٣

يوسف بن عمر ؛ ت : ص ٣٥ س ٣

يونس بن حبيب الفارسي النحوي ص ٤٩ س ٥ ص ٦٢ س ١٩ ص ٦٣ س ١١

١٤ ص ١٧٢ س ٤ ؛ ت : ص ٦٣ س ١٢

اليوناني ، علي بن محمد البعلبي الحنبلي الحافظ ؛ ص ٢٧ س ٥



